الجديد

في تفسير القرآن المجيد

تأليف
الشيخ محمد السبزواري النجفي

الجزء الأول

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الجديد

في تفسير القرآن المجيد

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٢٨

التجديد في تفسير القرآن المجيد

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

الجزء الأول

تأليف

الشيخ علي عبد الرزاق مجيد مرزه

المؤسسة الإسلامية للبحوث والمعلومات

سرشناسه : مرزه، علی
عنوان و پدیدآور : التجدید في تفسیر القرآن المجید / تألیف علي عبدالرزاق مجید مرزه
مشخصات نشر : قم: رادنگار، ۱۳۸۵.
مشخصات ظاهری : ۶ ج.
فروست : المؤسسة الاسلامیة للبحوث والمعلومات؛ ۲۸
شابک : 978 - 964 - 2818 - 09 - 9
شابک دوره : 978 - 964 - 2818 - 15 - 0
وضعیت فهرست‌نویسی: فیپا.
موضوع : تفاسیر شیعه ـ قرن ۱۴.
رده بندی کنگره : BP ۹۸/۴۲۵م۳ت
رده‌بندی دیویی : ۲۹۷/۱۷۹
شماره کتابخانه ملی : ۸۵م ـ ۴۹۱۱۶

هوية الكتاب

اسم الكتاب................ التجديد في تفسير القرآن المجيد / ج۱
المؤلّف .... الشيخ علي عبدالرزاق مجيد مرزه
التحقيق والإخراج الفنّي........ المؤسّسة الإسلامية للبحوث والمعلومات
الناشر.. رادنگار
الطبعة .... الأولى / ۱۴۲۸ هـ.ق ـ ۱۳۸۶ هـ.ش
المطبعة .... عمران
الكمية .... ۱۰۰۰ دورة
شابك: ۹ ـ ۰۹ ـ ۲۸۱۸ ـ ۹۶۴ ـ ۹۷۸ شابك الدورة: ۰ ـ ۱۵ ـ ۲۸۱۸ ـ ۹۶۴ ـ ۹۷۸

جميع الحقوق محفوظة للمؤسّسة الإسلاميّة للبحوث والمعلومات

کتابخانه
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی
شماره ثبت: ۳۸۵۴۲
تاریخ ثبت:

بسم الله الرحمن الرحیم

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله الذي دلّ على ذاته بذاته، وتنزّه عن مجانسة مخلوقاته، وتجلّى للخلائق بآياته، الذي بيده مقاليد الأُمور، ومخرج أوليائه من الظلمات إلى النّور.

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، الذي تجلّى بكلماته من خلال كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ونزّله جبريل على نبيّه تنزيلاً من حكيم مجيد ليكون للعالمين نذيراً، وجعله في متناول كلّ أحد من عباده ليكون للجميع طريق هداية وسعادة لما فيه من العقائد السليمة والأحكام الشاملة والعِضات البالغة التي تصبو إليها النّفوس وتخضع لها الأفكار والعقول.

الحمد لله الذي عرّف نبيّه وأهل بيته عليهم السلام جميعاً بطون أسراره وتأويلاته، وجعل الكتاب والعترة حبلين ممدودين بينه سبحانه وبيننا، فصرنا نستقي منهم علوم القرآن ونأخذ منهم معرفته ونطّلع على مجهولاته، فَهُم قدوة التفسير والتأويل، وهُم الأئمّة في كلّ خير ولكلّ جيل.

الحمد لله الذي أنعم علينا النِّعَم التي لا تحصى وكان أوفرها حظّاً الايمان بالله

وبنبيّه وأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وأن وفّقنا لتلاوة كتابه والتدبّر في آياته، وعلى ما أنعم علينا أن وفّر السبيل ولوازمه لكتابة هذا التفسير للقرآن الكريم.

والصلاة والسلام على النبي والأئمّة الأطهار الاثني عشر عليهم السلام جميعاً الذين جعلناهم وسيلة إلى الله لقبول هذا العمل ليكون لنا ذخراً في عالَم لا ينفع فيه إلّا بقدر ما يقدّم الإنسان من صالح العمل.

والسلام على جميع العلماء العاملين لله من خلال طريق الحق في مشارق الأرض ومغاربها.

أمّا بعد:

علاقة المسلمين مع القرآن علاقة إيمانية، وحبّ وشوق وتقديس له، مع اشتياقهم للمتحدّث في خصوص القرآن، مع جهلهم الكثير ممّا يتعلّق بالقرآن حتّى أنّ أغلبهم لا يفهمون ما يُطرح لعلوّ الفكرة القرآنية، وأنّهم لم يرغبوا في الرجوع إلى التفاسير، ويرجع ذلك إلى الأسباب التالية:

(١) صعوبة فَهْم العامّة للتفسير، لأسلوبه العلمي الفلسفي والنحوي والأُصولي وغيرها من العلوم التي أُدخلت في التفسير، وهذه العلوم وإن كانت أغلبها ضروريّة الوجود باعتبار أنّ القرآن جامع لكثير من العلوم إلّا أنّ تدوينها بشكلها الصريح لا يفيد ولا يفهمه إلّا النّخبة من النّاس، ممّا صار هذا الأمر حاجزاً أمام عامّة المسلمين حيث أبعدهم عن مطالعة تفسير القرآن وحوّل التفسير من تبيان للنّاس إلى تبيان للنخبة.

(٢) الحياة ومشاغلها التي جعلت بعض الناس يبتعدون عن أصل القراءة لمطلق الكتاب.

(٣) الحياة ومشاغلها قد غيّرت طريقة الكسب العلمي للإنسان بحيث جعلته يقتصر قراءته على الشيء الواضح السلس وما يكون سهل المؤونة، فهو يريد كسباً علمياً بأقل فترة زمنيّة، أمّا الفحص والتدقيق في العبارة فأصبح من شؤون أصحاب الاختصاص.

(٤) أنّ نفس التفسير يسير بصورة متناثرة كما هو المفهوم القرآني المتناثر بين آياته، هذا الأُسلوب يجعل القارئ العام لا يخرج بحصيلة جامعة لكليّ المفهوم ممّا يقطع استمراره عن القراءة للقرآن.

(٥) عدم وجود برامج مركّزة واهتمام عام شامل من قبل المتصدّين للحركة الإسلاميّة في العالَم بحيث تشعر المسلم العام بأهميّة معرفة القرآن والالتفاف حول دروس التفسير.

(٦) المستوى العلمي للمحاضر في التفسير، حيث البعض من المحاضرين يلقي ما هو مسموع من غير متابعة للحدث وللفكر الجديد وما يحتاج المجتمع منه، فيطرح المحاضرة وفيها الكثير من التشويش، أو فيها الترك لكثير من علامات الاستفهام، وهذا اللون من الطرح جعل لغة القرآن هي اللغة القديمة التي لا يأتي صاحبها بالجديد لكي يرغّب المستمع للحضور.

(٧) الاتّجاه الفكري أو السلوكي للمحاضر في التفسير، فالبعض ينطلق بالتفسير من خلال الاعتماد على روايات إسرائيليّة موضوع فيها التخلّف الفكري الواضح ممّا يجعل السامع يعيش حالة الخيال أو حالة الرجوع إلى الوراء ممّا يؤدّي إلى عزل القرآن عن الحياة ويشلّ حركته الاجتماعيّة والسياسيّة، أو أن يغذّي المحاضر المستمعين بأن القرآن ذو مفاهيم عالية لا يمكن إدراكه إلّا من خلال

الراسخين في العلم ويتّجه بهذا الاتّجاه ويمتدّ في النّفوس ممّا يجعل المستمع العام يصل إلى مرحلة اليأس في أن يشارك في عملية فهم القرآن ويجعله يخشى من أي فكرة يريد أن يساهم من خلالها في عملية الإبداع الفكري، وبالتالي لم يكن أمام القارئ العام للقرآن إلّا مسألة الحصول على الثواب ولا شيء وراء ذلك.

هذه الأُمور وغيرها جعلتني أفكّر كثيراً ولفترة من الزمن كيف أجعل هؤلاء المحرومين أن يقرؤون تفسير القرآن ويلتجئون إلى هذه النعمة العظيمة التي تعود عليهم بالنفع الكثير في دنياهم وآخرتهم، وكيف أُشارك في توسعة رقعة حركة التفسير ليعود مرّة أُخرى منهلاً أوليّاً ينهل منه الجميع وعلى مختلف مستوياتهم العلميّة المُثل العليا من الفكرة والأخلاق ومنهجية الحياة التي يعطيها القرآن الكريم، رأيت أن أُقدّم للقارئ ما يجذبه إلى قراءة التفسير، حتّى تبلورت الفكرة في أن أجعل تفسير القرآن على الشكل التالي:

(١) تحويل تفسير كلّ آية إلى سؤال وجواب، فكما أنّ الجواب عِلْم فالسؤال كذلك، هذا أُسلوب مدرسي قد تعوّد عليه أغلب النّاس من خلال دخولهم المدارس العلميّة الأكاديميّة وعلى مختلف المستويات، بل دخل السؤال والجواب كأُسلوب وظاهرة عامّة في أغلب طرق الكسب العلمي وأهمّها.

(٢) محاولة الابتعاد بقدر المستطاع عن الألفاظ الفلسفية والنحوية والأُصولية مع المحافظة على عمق الفكرة ووضوح العبارة، مع مراعاة كلّ القواعد العلمية بالفكرة دون التدوين في الأعم الأغلب وقدر المستطاع، ولهذا لا أذكر نقطة إلّا وهي تعتمد على قاعدة علمية لها تعلّق بمفردة الكلمة أو كلّي الآية القرآنية

وغير ذلك من لوازم التفسير، ومحاولة الابتعاد هذه جاءت من أجل أنّ هذه العلوم المذكورة محصورة بأصحاب الاختصاص، بل دخولها بهذا الشكل جعلت كتب التفسير تحتاج إلى أستاذ يفسّر التفسير لكشف قصد المفسّر، وهذا ممّا يفقد التفسير هدفه وغايته التي من أجلها وضع علم التفسير الذي هو كشف القناع عن الغموض والإبهام الذي يحمله اللفظ من المعنى ليعرف الجميع المعاني القرآنية وأفكاره بصورة واضحة بيّنة ليكون رافداً علمياً لأفكار الجميع وأخلاقهم وحركتهم في الحياة.

(٣) فهرستُ المطالب على شكل نقاط متعدّدة مطروحة على شكل احتمالات في الأغلب للابتعاد عن اليقين الذي لا يعلمه إلّا الله، والفهرسة بالنقاط لها تأثيرها الإيجابي في هضم الفكرة وتركيزها في الذهن واستيعابها وعدم تشتّتها بين كثرة الألفاظ الإنشائية.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(٤) البحوث قد وضعتها تحت عناوين بارزة، وقد أحطت بالبحث بصورة مركّزة بشيء من التفصيل في المحتوى وإجمال في التعبير، ولا يمثّل البحث جميع الطرح، بل إنّ مجموع البحث يؤخذ من مجموع الشّرح للآيات التي تحمل نفس موضوع البحث، مع وجود التداخل في بعض البحوث المطوّلة، حيث البحث الأوّل يَمْتَدُّ لم ينتهِ ويعترضه بحثاً آخر، ونبّهنا على ذلك من خلال ملاحظة مجموع صفحات البحث في فهرسة الآيات والبحوث.

(٥) المعاني اللغوية لمفردات الآية التي أذكرها عند مقدّمة تفسير كلّ آية فلمعرفة صحّتها فهي مأخوذة إمّا من (لسان العرب) أو (مجمع البحرين) أو (المفردات) أو من بعض الكتب المختصّة بمعاني ألفاظ القرآن، ومع زيادة في بعض

الأحيان غير مخلّة بالوضع لما أراه ضرورياً ومناسباً حسب فهمي لمعنى اللفظ، ثمّ إنَّ اللفظ الذي أعطينا معناه اللغوي سابقاً لم يكرّر لاحقاً في الأعمّ الأغلب.

(٦) أنَّ تحويل التفسير إلى سؤال وجواب أعتبره خطوة أُولى لمشروع مفتوح لكلّ العلماء الأفاضل وأصحاب الاختصاص أن يكون تحت نظرهم ليكملوا هذا المشروع بإضافة عدد من الأسئلة والإجابة عليها ليكون مشروعاً شاملاً لكلّ ما تحمله الآية من وجوه، فإنَّ الجهد الفردي ليس كالجماعة.

(٧) أسميت هذا التفسير (التّجديد في تفسير القرآن المجيد) لكونه يتفرّد بالأُمور التالية:

أوّلاً: فهرست المطالب على شكل نقاط في الأعم الأغلب، وأنَّ كلّ نقطة تحتوي على فكرة جديدة لجهة أُخرى مختلفة، أو تسلسل في البحث بحيث يكون المجموع هو التفسير الكلّي للآية، وهناك أغراض أُخرى ستعرفها وأنت تطالع التفسير من خلال تعدّد النّقاط.

ثانياً: القَصص القرآنية تذكر بصورة تفصيلية من بدايتها إلى نهايتها، مطروحة بأُسلوب أدبي يشابه لغة القَصص الأدبيّة ولكنّها خالية من الخيال والترف الفكري، صيغَت بلغة وهي تجمع بين أدب اللغة والتحليل العلمي الدقيق للحدث والفكرة، داخل فيها الدليل من آية أو رواية أو نقل تأريخي مع الأسئلة التي تثار حولها وأجوبتها، وكلّ ذلك من أجل أن يكون القارئ قد أخذ الصورة الكاملة للقصّة وأغلب ما تحتويه من الأحداث والشخصيّات، ويكون قد حفظ مبكّراً قَصص القرآن الكريم بشكلها الواعي وقد حصل على ثروة فكريّة عالية منها.

ثالثاً: الأبحاث تطرح اعتماداً على آيات القرآن والروايات لأهل البيت سلام الله عليهم، وينبثق منها التحليل العلمي لموضوع البحث ليكون أقرب للواقع وإصابته، لنبراسية هذين الثقلين في كلّ قضيّة علميّة نافعة، فهو وإن كان في بعض الأحيان خروجاً عن موضوع التفسير ومنهجيّة المفسّرين، إلّا أنّه من أجل الحفاظ على ما هو أهم، وهو اطّلاع القارئ على تفرّعات المفهوم القرآني ولتركيز عمقه في النفوس والأفكار ليعرف من خلال هذه التفرّعات العلو الحقيقي للمفهوم القرآني وشموليّته لجوانب الحياة.

رابعاً: محاولة ربط ماضي الفكرة القرآنية بالحاضر وما يحيط بنا من أحداث ومتغيّرات على المستوى الفردي أو الحركة العامّة للأمّة، مراعياً بذلك الإشكالات والإثارات الحديثة التي تطرح في الساحة الإسلاميّة من خلال إبرازها على شكل أسئلة والإجابة عليها.

مركز تحقيقات كامپیوتری علوم اسلامی

وهذه المقدّمة أُقدّمها بين يديك عزيزي القارئ لتكون على بيّنة في كيفية قراءة هذا التفسير وفَهْمِه.

نسأل الله أن تنال رضاه بتقديم هذا المجهود المتواضع وأن يتقبّله بخالص قبوله متوسّلين بنبيّنا محمّد ﷺ وبالأئمّة الأطهار ﷺ جميعاً الذين جعلهم الله علينا شهداء في الدنيا وشفعاء لنا في الآخرة إن شاء الله تعالى. وآخر دعوانا كما هي أوّلها ووسطها أن الحمد لله ربّ العالمين.

علي مرزه الأسدي

رجب ١٤٢١هـ

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الاستعاذة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الاستعاذة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

س: لماذا تريد الابتداء بمبحث الاستعاذة؟

ج:

لكون الاستعاذة تأتي قبل قراءة القرآن وقبل مطلق الفعل أو الترك.

س: ما هو المعنى اللغوي للألفاظ التي وردت في الاستعاذة (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)؟

ج:

(١) أعوذ : ألتصق، أعتصم، ألتجئ، أستجير، أمتنع.

(٢) الله: سيأتي البحث عن لفظ الجلالة (الله) عند البحث في البسملة إن شاء الله.

(٣) الشيطان: الهالك، المحترق، البعيد، الباطل.

(٤) الرجيم : الملعون، المطرود، المُبعَد، المرمي، المفارق.

س: لقد ذَكرتَ في الجواب السابق عدة معانٍ للّفظ الواحد بدلاً من ذكر معنى واحد لـ: (أعوذ) و(الشيطان) و(الرجيم)، ألم تجد حصول ضياع أو تشويش في رسم صورة محددة للّفظ وبالتالي لمجموع المركّب اللفظي للآية وبالتالي يتشابه المعنى على القارئ؟

ج:

أنَّ ذكر معانٍ متعددة معناه حصول وجوه متعددة للآية، وهذا معناه انطلاق الصورة الذهنية للعقل البشري في آفاق المعاني التي يستوحيها العقل من اللفظ القرآني، وهذا هو أحد أسرار حركية اللفظ القرآني وحيويته، وقد يكون تعدّد المعاني للّفظ الواحد هو أحد الوجوه لتفسير ما ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام: «إن القرآن حمّال ذو وجوه»[1].

س: على هذا يصبح الرجوع إلى الأصل الاستعمالي والوضعي للّفظ وقواعد النحو العربية أمراً مهماً في معرفة المعنى وتحديده؟

ج:

وهو كذلك، بشرط ألّا يفهم من تحديد المعنى هو تقييد انطلاق الصورة الذهنية التي يريد العقل أن يحلّق بها في آفاق المعاني التي يستوحيها من العبارة القرآنية، فالأصل اللغوي آلة للانطلاق لا لتقييد الصورة المستوحاة المتّكئة على أساس لغوي أو شرعي.

س: لم يوجد تركيب لفظي موحّد للاستعاذة؟ اذكر السبب المحتمل.

---

(١) نهج البلاغة ٣: ١٣٦/٧٧.

ج:

وهو كذلك؛ لعدم وجود أمر للشارع المقدس بصيغة معيّنة ومحدّدة، فيكفي قول: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) اعتماداً في كفاية هذه الصيغة على قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (النحل:٩٨)، وأمّا الزيادة على ذلك ففيه مندوحة وسعة كقول: (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم) اعتماداً في هذه الزيادة بالجمع بين ما مرّ وبين قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (فصلت:٣٦).

س: لماذا تُذكر (السميع) و (العليم) كأهم صفتين لله في آيات الاستعاذة من الشيطان، قال تعالى: ﴿وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأعراف:٢٠٠)؟

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ج:

لأن فعل الشيطان من الوسوسة والنزغ والنفث وغيرها من الأفعال المختلفة للشيطان يمر على الإنسان بصورة خفيفة وسريعة وخفيّة ممّا يصعب على الإنسان تمييزها والإحساس والشعور بها، فيستعيذ بالله لأنه وحده القادر على سماع كلام الشيطان وهمساته، ووحده العالم بوسوساته ونفثاته وفعله وتفصيل حركاته وأغراضه، ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»(١).

س: ما هو الحكم الشرعي المتعلق بالاستعاذة، وما هو الدليل على ذلك؟

---

(١) عوالي اللآلي ٤: ١١٣/١٧٥.

ج:

أمّا نوع الحكم الشرعي الأوّلي فهو الاستحباب، وأمّا الدليل على ذلك فهو الكتاب والسنّة:

(١) من الكتاب:

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (النحل:٩٨)، فإنّ هذا الخطاب ﴿فَاسْتَعِذْ﴾ يدل على الطلب.

(٢) من السنّة:

سُئل الإمام الصادق﷣ عن التعوّذ من الشيطان عند كل سورة يفتتحها فقال: «نعم، فتعوّذ بالله من الشيطان الرجيم»[١].

س: قالوا: إنّ الأمر ظاهر في الوجوب وما ذكرتها من الصيغ (استعذ) و(تعوّذ) كلّها صيغ أمر، فلماذا قلت بأنّ نوع الحكم الشرعي هو الاستحباب؟

ج:

لا يوجد نهي أو إنذار من قبل المعصوم عند عدم ذكرها من قبل قارئ القرآن وهو يَشرع في القراءة، وهذا يدلّ على عدم الإلزام. نعم، قد يجب قول الاستعاذة والتلفّظ بها بالنذر الشرعي وشبهه، ولهذا عبّرنا عن نوع الحكم بـ (الاستحباب) بالأوّلي الذي هو الأصل وقبل عروض أيّ عارض شرعي آخر عليه.

س: اذكر الشروط التي يجب على القارئ أن يوفّرها عند قراءة الاستعاذة.

---

(١) وسائل الشيعة ٦: ١٩٧/٧٧٢٠.

ج:

لم تكن شروط بمعنى الإلزام بحيث لا تصحّ قراءتها إلّا بها. وإنما هي أقرب لأن تكون من شروط الوعي الأخلاقي لقارئ الاستعاذة والتي يرغّب الشارع المقدّس في إيجادها. فمن تلك الشروط:

أولاً: أن يكون المُستعيذ على يقين بأن الله هو وحده المطّلع والقادر على كل شيء وأنّ الإنسان مهما يكن فهو الجاهل والعاجز عن دفع المضار المحيطة به.

ثانياً:أن تكون للمُستعيذ إرادة جدّية لأن يصونه الله من كل حالة تكون مانعة حركته نحو الله واللجوء إليه.

ثالثاً: أن تكون للمُستعيذ حالة الشعور بالخضوع والتذلل والتوسّل الخالص، لأن الاستعاذة دعاء.

رابعاً: أن يكون المستعيذ بادئاً بنفسه في سعيه باللجوء إلى الله وتحطيم خطوات الشيطان؛ لأنّ الاستعاذة لم تكن حالة اتّكالية على الألفاظ، بل هي حركة بين الطرد واللجوء.

س: هل تجري الاستعاذة بالله وتذكر في غير مورد الهروب من الشيطان؟

ج:

أنّ الاستعاذة يستحب ذكرها عند أي حالة سلبية تحدث أو يترقب حدوثها أو مفترضة الحدوث، فالمستعاذ منه كثير يتعدّد بعدد موانع اللجوء، وقد ورد استعمالها كثيراً في القرآن والسنّة في غير مورد الشيطان منها:

أولاً: الكتاب

(١) استعاذة النبي موسى عليه السلام من الجهل، قال تعالى: ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ

بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (البقرة:٦٧).

(٢) استعاذة مريم عليها السلام من الذي تمثّل أمامها، قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ (مريم: ١٨).

(٣) استعاذة النبي نوح عليه السلام من الطلب بما لم يعلم به، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ (هود:٤٧).

(٤) قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۞ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۞ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۞ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۞ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (الفلق:١-٥)، هنا يأمرالله الرسول صلى الله عليه وآله كما هو أمر لنا بأن نتعوّذ من كلّ شرّ يصدر من الخلق في غير مورد الشيطان.

(٥) قال تعالى: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (غافر:٢٧)، هنا الاستعاذة من المتكبّرين.

ثانياً: السنّة

(١) ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنّه قال: «اللّهم إنّي أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن دعاءٍ لا يسمع، ومن نفس لا تشبع ...»[١]، فهنا قد استعاذ الرسول صلى الله عليه وآله من موارد غير الشيطان.

(٢) ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «اللّهم إنّي أعوذ بك أن أفتقر في غناك أو أضلّ في هداك أو أُضام في سلطانك ... »[٢]، فهنا الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام قد استعاذ من موارد غير الشيطان.

---

(١) مصباح الكفعمي: ٢٩٩.

(٢) نهج البلاغة ٢: ١٩٧/٢١٥.

(٣) ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «لا يقولنّ أحدكم: اللّهم إنّي أعوذ بك من الفتنة؛ لأنّه ليس أحد إلّا وهو مشتمل على فتنة، ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلّات الفتن، فإنّ الله سبحانه يقول: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾»[1]. فهنا الاستعاذة من مضلات الفتن سواء كان سببها الشيطان أو غيره.

س: هل تختص الاستعاذة عند قراءة القرآن فقط؟

ج:

ليس كذلك، لقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأعراف: ٢٠٠)، حيث الاستعاذة مطلوبة من مطلق فعل الشيطان سواء كان عند القراءة أو عند غيرها، وورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنّه قال: «أمّا قوله الذي ندبك الله إليه وأمرك به عند قراءة القرآن: (أعوذ بالله السّميع العليم من الشيطان الرجيم)، فإنّ أميرالمؤمنين عليه السلام قال: وإنّ قوله: (أعوذ بالله) أي أمتنع بالله -إلى أن قال-: والاستعاذة هي ما قد أمر الله به عباده عند قراءتهم القرآن بقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ومَن تأدّب بأدب الله أدّاه إلى الفلاح الدّائم».

ثمّ ذكر حديثاً طويلاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيه: «إن أردت ألّا يصيبك شرّهم ولا يبدؤك مكرهم فقل إذا أصبحت: أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم، فإنّ الله يعيذك من شرّهم»[2].

س: لماذا هذا التأكيد على الاستعاذة عند قراءة القرآن دون غيرها من

---

(١) نهج البلاغة ٤: ٢٠/٩٣.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ١٩.

قراءات الكتب الأُخرى؟ اذكر المحتمل من الجواب.

ج:

أنَّ القرآن مركز الهداية، وتلاوة القرآن معناها اختيار القارئ اللقاء مع الله من خلال كلماته سبحانه، ولا أعتقد أنَّ هناك موقفاً أصعب على الشيطان من أن يلتقي العبد مع ربّه ليتقرّب إليه ويتزوّد منه نور الهداية والرفد الفكري العظيم الذي يجمعه القرآن، هذا مع التفاعل الروحي والقلبي والإدراك العلمي الذي يحصل عليه القارئ للقرآن دون قراءة بقيّة الكُتب، ولهذا يحتاج الشيطان إلى صدٍّ أبلغ وبَذل جهد أكبر حتى يصرف الإنسان عن هذا المصدر، وفي المقابل يحتاج الإنسان القارئ إلى استعاذة خاصة مخلصة لله لتصرفه عن الجهد الشيطاني المبذول بهذا الاتجاه وهو قراءة القرآن.

س: هل تجوز الاستعاذة بغير الله كالاستعاذة بالأنبياء أو بأي شيء قريب منه سبحانه وتعالى؟ اذكر المحتمل من الجواب.

ج:

ورد عن الرسول ﷺ وأهل بيته سلام الله عليهم أجمعين، أنه قال: «أعوذ بكلمات الله التامات ... من شرّ ما ذرأ في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء»[1]، وقد يراد من (الكلمات) بعض الأنبياء أو الرسالات السماوية أو الأرواح العالية المقدّسة التي تمثّل قدرة الله النافذة، وقد ورد استعمال الكلمة في القرآن في غير اللفظ ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾(آل عمران:٤٥)، ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾(البقرة:١٢٤)، ولكن لمّا كنّا لم نعلم ولم نمتلك اليقين

---

(١) البحار ٦٠: ١١٨/٩٩.

بما هو المراد من الكلمات في الرواية المذكورة يبقى الأفضل هو الاستعاذة بالله أو بصفاته أو أي شيء يعود إليه سبحانه وتعالى وحده ويمثّل ذاته المقدّسة، وسيأتي تتمّة الحديث عن الكلمة في القرآن إن شاء الله تعالى.

س: قلتم: إنّ الاستعاذة بالله وحده أو بصفاته أو بأي شيء يعود إليه سبحانه وتعالى وحده هي الأفضل. عدّد الأسباب المحتملة في ذلك.

ج:

(١) أنّنا نعرف الله وصفاته وإن كانت المعرفة بالله بالظاهر البسيط الذي أتاحه الله لنا، إلّا أنّ الاستعاذة بالله أفضل من أن نستعيذ بكلمات لا نفهمها وتصبح حينئذٍ لقلقة لسان.

(٢) أنّ الاستعاذة بالله نحصل منها على القدر المتيقّن الذي نؤمن به، وهو الله القادر دون غيره، وإنّ الله هو السميع العليم وبالخصوص ما كان متعلّقاً بحركات الشيطان وفعله الذي يمرّ من دون شعور منّا به.

(٣) أنّ الاستعاذة بكلمات الله التامّات والأرواح التي تمثّل قدرة الله وغير ذلك ممّا نجهله، مع أنّ هذه المعاني هي محتملة لا يقين بها، وعلى فرض حصول اليقين فإنّها قد تكون من استعاذة الراسخين في العلم من الأنبياء والأئمّة سلام الله عليهم على فرض ثبوت مثل هذه الاستعاذة فتكون من مختصّاتهم فلا تكون استعاذة عامّة.

(٤) أنّ الاستعاذة بغير الله وبغير المفاهيم التي ذُكرت في الآيات والروايات الصحيحة قد نجهل حقيقتها وقد تقع في شبهة الجواز بالاستعاذة بها، وقد تجرّنا إلى انحرافات، وبالتالي لا تزيدنا إلّا رهقاً، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ

الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً﴾(الجن:٦).

(٥) الالتزام بالنّص القرآني يدعونا أن نقتصر على الاستعاذة بالله وحده.

س: هل ذكرت الشريعة الاستعاذة بالله من الله؟

ج:

نعم، كالاستعاذة بالله من الله إذا غضب وإذا سخط، وهو منتهى التوحيد الذي يتوصّل إليه الإنسان في عقيدته حيث لا يرى إلّا ذاته وصفاته وأفعاله هي النجاة، كالطفل الذي يلتجئ إلى أمه عندما تسخط عليه و تحاول ضربه فيحتضنها، وكلّما ضربته أكثر قوّى احتضانه ولجوءه إليها؛ لأنّه لا يرى الحنان والعطف والنجاة إلّا بأُمّه ولا منقذ منها إلّا هي، وكذلك إيمان المؤمن بالنسبة إلى الله فهو يلتجئ إليه سبحانه من غضبه وسخطه وانتقامه وقدرته عليه وعذابه ... وهكذا؛ لأنَّ المؤمن لا يجد أرحم ولا أكثر قدرة ولا رادّ لله غيره سبحانه وتعالى، وقد ورد في السنّة الشيء الكثير في ذلك منها:

(١) «اللّهم إنّي أعوذ بك منك ...»

(٢) «اللّهم إنّي أعوذ منك إليك ...»

(٣) «اللّهم إنّي أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من غضبك ...».

(٤) ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام في دعائه المُسمّى بدعاء كميل أنّه قال: «فَبِعزَّتِك يا سيّدي ومولاي أُقسِمُ صادقاً، لَئِن تركتني ناطِقاً لأَضِجَّنَّ إليك بين أهلِها ضَجيجَ الآملين، ولأَصرُخنَّ إليك صُراخ المُستصرخينَ ... ...وهو يَضِجُّ إليك ضَجيجَ مُؤمِّلٍ لِرَحمتِك ...»، هنا يعلّمنا الإمام أن نلتجئ إليه وحده وبه سبحانه لا غير على فرض استحقاقنا للعذاب الصادر من الله.

س: هل يمكن قول: (أعوذ بالله) فقط من دون ذكر أي سبب ولا من أيّ شيء ولو على مستوى التصور الذهني، بل محض اللجوء إليه سبحانه وتعالى؟ اذكر المحتمل من الجواب.

ج:

يمكن ذلك خصوصاً في بعض حالات العشق والعروج الروحي لله بألّا يرى المُستعيذ إلّا الله ولا يتعلّق قلبه بشيء إلّا بالله وحده، ولكن يبقى استعمال الاستعاذة بنفسها يستبطن الهروب من شيء يُخاف منه ولو لم يقع تحت الشعور.

س: لماذا تتقدّم الاستعاذة قبل الابتداء بالقول أو الفعل؟ اذكر المحتملات في ذلك.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ج:

(١) لطهارة القلب والعقل من أدران الأوهام والتعلّقات الخبيثة فهي على غرار قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٥٦).

(٢) لطهارة اللسان من أدران الكذب والغيبة وغير ذلك ممّا يقترفه الإنسان بلسانه، وقد وردت في ذلك روايات.

(٣) أنّ شياطين الإنس والجنّ كثيرة ومحيطة بالإنسان، وعليه فما من قول أو فعل إلّا ويوجد شيطان يرصده من دون شعور منه، ولهذا يحتاج الإنسان مسبقاً إلى اللجوء إلى الله ليصدّ عنه حركة الشياطين ويبعدهم عنه، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ (الأنعام:١١٢)، ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ

قَرِينٌ﴾ (الزخرف:٣٦)، ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «إنَّ الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدّم، فضيقوا مجاريه بالجوع »(١).

س: هل تنحصر الاستعاذة بلفظ الاستعاذة؟

ج:

الاستعاذة باللفظ ليست هي المقصودة بالذات والاستقلال، بل طريق لتفاعل الإنسان بعمق روح الاستعاذة كما هو تأثير الكلمة عند الدعاء أو التوبة، فالاستعاذة الحقّة هي الاستعاذة العملية وإن كانت خالية من لفظ الاستعاذة، والمُستعيذ حقّاً هو الذي يمتلك التوكّل بالله والثقة به عند كلّ عمل يخوضه، ويمتلك حالة التساوي بثقته عند السرّاء والضرّاء، والذي يحترم مولوية المولى ويخاف اختراق حقّه تعالى بعدم العصيان فهو المُستعيذ بالله من الشيطان حقّاً وإن لم يشغل لسانه بكلمات الاستعاذة، والعكس صحيح أي إذا كان الإنسان يشغل لسانه بكلمات الاستعاذة من دون تأثير إيجابي في علاقته بالله ولا يسمو بروحه وعقله وفعله إلى الله، بل كلّما ازداد تكرار لفظ الاستعاذة يبتعد عن الله ودينه، ففي هذه الحالة يكون كما ورد في الحديث: «كم قارئ للقرآن والقرآن يلعنه»(٢)، فلفظ الاستعاذة وسيلة للوصول إلى حقيقة الاستعاذة.

س: يا حبذا لو تذكرون لنا بعض الوقفات التي يمكن أن نستوحيها من الاستعاذة.

ج:

(١) أنّها مطلوبة شرعاً وهذا يعني ترتّب الأجر والثواب للمُستعيذ.

---

(١) المستدرك ١٦: ٢٢٠/١٩٦٥٠.

(٢) مستدرك الوسائل ٤: ٢٥٠/٤٦٢١.

(٢) العجز العلمي، حيث الاستعاذة تعني أن الإنسان مهما اجتاز من المراحل العلمية فإنه يبقى عاجزاً عن العلم بكل ما يحيط به، ولهذا يحتاج الإنسان إلى اللجوء إلى الله دائماً.

(٣) العجز التكويني، حيث الاستعاذة تعني أنَّ الإنسان مهما توصل من القدرة فإنّه يبقى ضعيفاً عن دفع أبسط الأضرار في أي موقف وموقع، ولهذا يحتاج الإنسان إلى اللجوء إلى الله دائماً.

(٤) الاستعاذة تعني أنَّ المُستعيذ على استعداد تام لتطهير لسانه من تأثير الشيطان عليه من الكذب والنميمة والغيبة وغيرها من آفات اللسان.

(٥) الاستعاذة تعني أنَّ المُستعيذ على استعداد تام لتطهير قلبه من تأثير الشيطان عليه من الكسل والحقد والضغينة والحسد وغيرها من أمراض القلب.

(٦) الاستعاذة تعني أنَّ المُستعيذ يمتلك الاستعداد لتعميق إيمانه بالله وارتباطه به من خلال اللجوء إليه والاعتصام به ليعيش دائماً وأبداً إلى الله ومع الله وعدم الغفلة عنه سبحانه.

(٧) الاستعاذة تذكّر المستعيذ بشخصية الشيطان العالِمة العابدة إلّا أنَّ لحظة من الركون إلى نزوة من نزواته و إصراره على الخطأ لموقف من المواقف أدّى به إلى ما هو عليه إلى يوم القيامة وما بعد الحساب.

(٨) الاستعاذة تذكّر المُستعيذ بعداوة الشيطان المستمرة فليتخذه الإنسان عدواً بصورة مستمرة.

(٩) الاستعاذة تعني أنَّ المُستعيذ يمتلك الاستعداد التام لأن يقف المواقف البطولية أمام الظالمين، لأنَّ المُستعيذ يستجير بالله ويستند إلى أعظم قوّة قادرة.

(١٠) الاستعاذة تعني أنَّ المُستعيذ يمتلك الاستعداد التام لأن يقف المواقف الصامدة أمام أكبر المغريات التي تريد به الانحطاط كما وقفها يوسف عليه السلام أمام مراودة امرأة عزيز مصر له، قال تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (يوسف:٢٣).

* * * * *

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الحروف المقطعة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الحروف المقطّعة

س: لماذا تريد ذكر بحث الحروف المقطّعة بصورة مستقلّة؟

ج:

لاشتراك كثير من السّور التي تحتوي على الحروف المقطّعة بهذا البحث، مع أنّ هذا البحث لم يكن أمراً مستحدثاً، بل قد تحدّثت عنه الكثير من الكتب والمواضيع قديماً وحديثاً، وقد أشبع الموضوع بحثاً وكانت الآراء مختلفة فيه، ولهـذا سـوف أعرض مختصراً من هذا البحث مركّزاً على أهم ما أراه مهمّاً مع مختصر الردود.

س: ما هو الحرف؟

ج:

الحرف: هو الأداة الأُولى التي تتكون منه الكلمة.

س: ما هو معنى الحرف؟

ج:

الحرف: هو اللفظ الذي ليس لمادته ولا لهيئته معنى في نفسه.

س: إذا كان الحرف ليس له معنى فكيف تكون للكلمة معنى؟

ج:

أنَّ الحرف له خاصية الربط، فبارتباط الحروف بعضها ببعض يظهر للكلمة معنى، ولولا هذا الارتباط لبقيت الحروف متقطعة لا معنى لها.

س: على قولكم هذا يمكن أن نقول عن الحروف المقطعة التي في القرآن المستفتحة لبعض السِور: إنّها ليس لها معنى باعتبار تقطّعها وعدم ارتباطها؟

ج:

الحروف المقطّعة في القرآن الكريم لها عالَمها الخاص بها، فلا يمكن أن نقول: ليس لها معنى على الرغم من نزولها مقطعة، لأنَّ ذلك يلزم محذور النقص واللغوية، حيث نزولها في القرآن وترتيبها على شكل آيات مستقلة أو ضمنها معناه وجود علم خاص بها وإلّا لزم من وجودها اللغو أو النقص وحاشا لله منهما.

س: ألا يكون ما ذكره العلماء من الفوائد، لوجود الحروف المقطّعة دافعاً لمحذور اللغو والنقص؟

ج:

نحن نتكلّم عن المعاني لا الفوائد وهما مختلفان، وما ذكره العلماء إن كان مستنداً على شيء فهو يعتبر إشارة إلى بعض أفراد المعلوم من الحروف القرآنية التي اطّلع المعصوم عليها لا حصر المعنى به كما سيأتي توضيح ذلك إن شاء الله تعالى.

س: ذكر المفسّرون أكثر من عشرين رأياً لتفسير هذه الحروف سأعرض البعض والمهم منها بذكر عناوينها فقط لنرى وجهة النظر المختصرة فيها: الرأي الأوّل يقول: إنّها أسماء للسِور.

ج:

أنّ هذا الرأي يُشكل عليه بأنّه يصدق على أربعة سِور فحسب (طه ـ يس ـ ص ـ ق) دون غيرها من السِور.

س: الرأي الثاني يقول: إنّها تمثّل فواصل السِور.

ج:

أنّ هذا الرأي يُشكل عليه بأنّه:

١ـ وجود البسملات لكل سورة تغني عن ذلك.

٢ـ يصدق على بعض السُور دون الكثير منها.

٣ـ الحروف المقطعة مختلفة موقعاً وعدداً وماهيةً..مع أنّ الفاصلة أسهل من ذلك كثيراً.

س: الرأي الثالث يقول: إنّها دوّنت لإثبات إعجاز القرآن، على أنّه مكوّن من هذه الحروف لا غير.

ج:

أنّ هذا الرأي يُشكل عليه بأنّه بمجرد التفاتة أو لحظة تأمل في كلمات القرآن يدرك الإنسان هذه الحقيقة من دون حاجة إلى وضعها بآيات مستقلات أو ضمن آيات؛ وذلك يُوحي أنّ هذا النوع من الترتيب والتدوين قد وضع لما هو أهم ممّا ذُكر.

س: الرأي الرابع يقول: إنَّ وضع الحروف هذه كان أحد الأساليب الفنية التي وضعت لإسكات المشركين، حيث كان المشركون يتخذون أساليب خبيثة لعرقلة تأثير سماع آيات الله في نفوس الناس كوضع الأصابع في آذانهم أو اللغو عند التلاوة كما قال تعالى: عنهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (فصلت:٢٦).

ج:

أنَّ هذا الرأي يُشكل عليه بأنّه:

(١) أنَّ هذا القول يستبطن أن تكون الحروف المقطعة ليست من القرآن وهو ليس كذلك.

(٢) أنَّ نفس إلقاء كلام الله يكفي في إسكات الناس آنذاك لبيانه الساحر عليهم لما يفهمونه من اللغة العربية، وهذا أقوى بكثير من طريقة الابتداء بالحروف، واتهام الرسولﷺ بأنّه ساحر من قبل مشركي العرب ما هو إلّا لأسلوبه الجذّاب المسيطر على مشاعرهم، وفي ذلك كفاية في إسكاتهم كما كان ذلك بالفعل.

(٣) أنَّ الله قد ذكر في كتابه هذه الظاهرة من خلال قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (فصلت:٢٦)، وهي كافية للإشارة إلى تلك الظاهرة البسيطة ولفات النظر إليها وإخمادها، مع أنّها كانت ظاهرة مؤقّتة، فاشتغال الحروف المقطعة بهذا الحجم من الآيات لابدّ أن يكون موضوعاً لما هو أهم من ذلك.

س: الرأي الخامس يقول: إنّ هذه الحروف تمثّل المعنى الإجمالي للسورة.

ج:

أنّ هذا الرأي يُشكل عليه:

(١) لماذا حُرمت غير سور الحروف من هذا المعنى الإجمالي؟!.

(٢) كيف يفسّرون وجود المكرر من الحروف المقطّعة المتشابهة مع اختلاف السور؟!

(٣) كيف تحمل معنى إجمالياً ولا أحد يعرف المعنى الإجمالي لها؟!

س: الرأي السادس يقول: إنّ هذه الحروف لو أحسن الإنسان استجماعها لحصل على اسم الله الأعظم.

ج:

أنّ الاسم الأعظم مرتبة عالية من الإيمان اسمها (اسم الله الأعظم) فهل يعطيها الله لمن كان عنده المهارة والذكاء في جمع الحروف وترتيبها ليستخرج الاسم الأعظم؟ !!

س: الرأي السابع يقول: إنّ هذه الحروف المقطعة أقسام يُقسِمُ بها الله سبحانه وتعالى.

ج:

أنّ هذا الرأي يُشكل عليه:

أولاً: أنّها جميعاً خالية من حروف القَسَم.

ثانياً: لو فرضنا إمكان تقدير (أُقسم)، فهنا نقول:

(١) لماذا لم يُقسِم بكل الحروف العربية؟!

(٢) لماذا لم يُشر ولو بآية واحدة بشكل واضح لبيان أنّها في موضع القَسَم؟!

(٣) كيف يقع القسم بأداة لم تعتبر من أدواته قبلاً ولا بعداً؟!.

(٤) أنَّ القَسم لا يأتي تخميناً وجزافاً ومن دون وجود ما يدلّ عليه، ولا دليل قطعي في البَين.

س: الرأي الثامن يقول: إنَّ هذه الحروف من المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلّا الله.

ج:

أنَّ هذا الرأي يُشكل عليه:

(١) أنَّ المُحكم والمُتشابه يطلق على بعض الآيات التي لألفاظها معنى ولها معنى كلي يرجع إليه وهو المُحكم، والحروف المقطّعة لا نعرف أصل معناها ولا تكوّن لنا صورة ذهنيّة حتّى تكون من المتشابهات.

(٢) أنَّ التأويل ليس هو معنى للفظ، بل هو حقائق واقعية ومصاديق خارجيّة يرمز لها اللفظ، وسيأتي تفصيل بحث المحكم والمتشابه في سورة آل عمران إن شاء الله تعالى.

س: الرأي التاسع يقول: إنَّ هذه الحروف تُمثّل أسماء القرآن.

ج:

أنَّ هذا الرأي يُشكل عليه:

(١) أنَّ الاسم لابد من أن يشير إلى موضوع بحث الكتاب أو إشارة ولو إجمالية لأهم بحث فيه أو يقع صفة للكتاب كما هي طبيعة بعض أسماء الكتب السماوية وغيرها من الكتب العاديّة، والحروف المقطّعة ليست كذلك.

(٢) يجب على هذا الرأي أن تكون الحروف أكثر وضوحاً من الكتاب لأنّها اسم لها كما هو المدّعى لا أكثر غموضاً، لأنّ الاسم حاكٍ عمّا موجود في الكتاب.

(٣) ذكر جملة ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ بعد بعض الحروف المقطّعة لا يعني الإشارة إلى اسمه.

س: الرأي العاشر يقول: إنَّ الحروف المقطّعة ترمز للدلالة على أسماء الله وصفاته وأفعاله.

ج:

أنَّ هذا الرأي يُشكل عليه:

(١) أنَّ الرمز الدلالي يأتي بعد حصول أنس ذهني بين الرمز واللفظ الكلي نتيجة لكثرة الاستعمال أو الوضع، والحروف المقطّعة ليس لها لفظ قبل استعمالها ولا معنى حتى ينصرف إليه.

(٢) أنَّ عدد الحروف ليست بعدد أسماء الله وصفاته ولا بعدد أفعاله التي لا تحصى.

(٣) أنَّ الرمز الدلالي يشير من طبيعته إلى شيء واحد، بينما نحن نجد مثلاً أنَّ ﴿الٓر﴾ مشترك؛ لأنّها ترمز لأكثر من شيء واحد كالرحمن والرحيم والرؤوف والرازق والرقيب وغيرها ولا راجح لأحدهما على الآخر حتّى يدلّ عليه دون غيره من الأسماء.

س: الرأي الحادي عشر يقول: إنَّ هذه الحروف المقطعة إشارات إلى أعمار الأُمم وآجالها معتمدين في ذلك على حسابات أرقام الحروف.

ج:

أنَّ هذا الرأي يُشكل عليه:

(١) يعتمد على روايات ضعيفة السند.

(٢) حديثنا في معنى الحروف المقطّعة لا عن أرقامها.

س: الرأي الثاني عشر يقول: إنّ هذه الحروف المقطّعة إرادة الله في كيفية قراءة الحروف من حيث مخارجها وصنف جنسها كالرخاوة والشدّة والقلقلة والمستعلية والمنخفضة وغيرها ممّا ذكر في قواعد قراءة القرآن.

ج:

أولاً: أنّ الذين اكتشفوا قواعد القراءة من طريق ليس له علاقة بالحروف المقطّعة.

ثانياً: أنّ هذه القواعد جاءت متأخرة جداً عن عصر النزول.

ثالثاً: أنّ جميع الحروف تخضع لهذه القواعد وما مذكور هو نصف الحروف لا جميعها.

س: الرأي الثالث عشر يقول: إنّها تُلفت نظر القارئ وتشير إلى أحقّية طريق عليّ بن أبي طالب ﷺ ومنهجيته من خلال حذف المكرر من الحروف وجمعها بترتيب بعد حذف المكرّر منها يحصل من خلاله على الجملة التالية: (صراط عليّ حقّ نمسكه).

ج:

أنّ هذا الرأي يُشكل عليه:

(١) أنّ طريقة الجمع لا تكون أحد طرق الحجّة في تعيين المعنى.

(٢) أنّ هذه الجملة وإن كانت حقاً بنفسها إلّا أنّه يمكن استخراج غير هذه الجملة.

س: الرأي الرابع عشر يقول: إنّه قد أمكن تعيين المعنى للحروف المقطّعة وذلك عن طريق المكاشفة والشهود كما فسّرها بعض الصوفية بالقطب والولي والأوتاد وغيرها من المعاني عن هذا الطريق.

ج:

أنّ هذا الرأي يُشكل عليه:

(١) بأنه حصول اليقين بما له مساس بالحكم الشرعي أو تعيين معنى الحروف المقطّعة في القرآن وغيرها من الأُمور التي يكون إثباتها صعباً جداً عن هذا الطريق وخصوصاً مع ملاحظة كثرة المدّعين لذلك.

(٢) لو فرضنا حصول الكشف حقيقةً عند مَن انكشف إليه المعنى عن طريق المكاشفة فهي حجة ويقين شخصي متعلّق بمَن انكشف لديه المعنى لا حجة ودليلاً عاماً.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

س: الرأي الخامس عشر يقول: إنّ هذه الحروف لم ينزل بها وحي ولا هي من الكتاب وإنّما هي حروف لصقت بالسِور على مرور الأزمنة، وهذا القول يرجع إلى (طه حسين).

ج:

نقول لصاحب هذا الرأي:

(١) لنراجع نسخ القرآن الكريم جميعها من أقدم نسخة إلى أحدثها نسخة فسوف نجد الحروف المقطّعة موجودة فيها جميعاً ولم تتخلّف نسخة واحدة عن الرسم القرآني الموجود بين أيدينا.

(٢) إجماع المسلمين من الأوّلين والآخرين على وجودها وأنّها من الكتاب.

(٣) قراءة الرسولﷺ والأئمة الأطهار؈ والصحابة عندما يقرؤون السور من بدايتها فيقرؤونها مع هذه الحروف.

(٤) لنراجع تفسير القرآن عند الرسولﷺ أو عند الأئمة؈ أو عند صحابة الرسولﷺ سوف نجد الكثير من التفاسير متعلّقاً بهذه الحروف.

(٥) إذا كان لمرور الأزمنة دور في دخول القرآن ما ليس فيه فهذا يعني أننا لو انتظرنا أكثر من مرور الزمان لشاهدنا الكثير من الغريب قد دخل القرآن ولم يقتصر على الحروف، وهذا ينافي كون الله حافظاً للقرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر:٩).

س: الرأي السادس عشر يقول: إنَّ لها علاقة ببيان إعجاز القرآن، وذلك عن طريق حسابات أرقام الحروف وعلاقتها بحروف مجموع السورة، مثلاً أنّه لو أخذنا (سورة ص) لرأينا نسبة وجود حرف (ص) في هذه السّورة نسبة إلى مجموع حروفها تكون أكثر من نسبة غيرها من جميع السّوَر ...وإنَّ الأكثر من حرف من الحروف المقطّعة يكون الحرف الأوّل منها هو الأكثر نسبة من الثاني في داخل الآية والثاني أكثر من الثالث ...وهكذا، وغير ذلك ممّا هو موجود في غريب القرآن وفي عالَم أرقام حروفه، وهذا القول هو لمحمّد رشاد المصري الذي اكتشف ذلك عن طرق استخدام أحد برامج الكومبيوتر.

ج:

هو كما يقول ولكن حديثنا عن معنى هذه الحروف والعلم المختصّ فيها لا الفوائد التي تترتّب على وجودها.

س: الرأي السابع عشر يقول: قد وردت أحاديث عن الرسولﷺ وعن أئمة أهل البيتﷺ تقول: «لكل كتاب سرّ وإنّ سرّ القرآن فواتح السور فدعها وسل عمّا سوى ذلك»(١) وأُخرى «لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي»(٢).

ج:

لم يبقَ أمامنا إلّا الاستسلام لفحوى مثل هذه الروايات الصحيحة التي تقول بأنّ هذه الحروف علم سري اختصه الله برسولهﷺ، فهي لغة خاصة بين الله ورسوله، إما بما هي أو رمز لذلك، وهذا ليس فيه مانع عقلي ولاشرعي، حيث كما أنّ هناك سرّاً لله لم يطّلع عليه أحد من الخلق، هناك سرّ من الله لم يطّلع عليه أحد إلا الرسولﷺ كما أنّ هناك سرّ لم يطّلع عليه أحد إلّا الرسول وأهل بيته سلام الله عليهم أجمعين، وهذا وارد في اللسان الصحيح من الروايات، وما ذُكر سابقاً بعضه يدخل في الفوائد لا في معناها والعلم الذي يخصّها.

س: ما هو عدد السور التي تستفتح آياتها بالحروف المقطّعة؟

ج:

تسع وعشرون سورة.

س: ما هو عدد مجموع الحروف المقطّعة؟

ج:

ثمانية وسبعون حرفاً.

---

(١) الدر المنثور ١: ٢٣.

(٢) البحار ٨٨: ٣/١١.

س: بعد حذف المكرر من الحروف المقطعة كم يبقى عدد حروف الهجاء منها؟

ج:

أربعة عشر حرفاً.

س: ما هو عدد السور التي تستفتح آياتها (الم)؟

ج:

ست سور، وهي: ١ـ البقرة. ٢ـ آل عمران. ٣ـ العنكبوت. ٤ـ الروم. ٥ـ لقمان. ٦ـ السجدة.

س: ما هو عدد السور التي تستفتح آياتها (الر)؟

ج:

خمس سور، وهي: ١ـ يونس. ٢ـ هود. ٣ـ يوسف. ٤ـ إبراهيم. ٥ـ الحجر.

س: ما هو عدد السور التي تستفتح آياتها (حم)؟

ج:

سبع سور، وهي: ١ـ فصّلت. ٢ـ الزخرف. ٣ـ الجاثية. ٤ـ الأحقاف. ٥ـ المؤمن. ٦ـ الدخان. ٧ـ الشورى.

س: ما هو عدد السور التي تستفتح آياتها (طسم)؟

ج:

سورتان هما: ١ـ الشعراء. ٢ـ القصص.

س: ما هو عدد السور المكيّة التي تستفتح آياتها بالحروف المقطّعة؟

ج:

ست وعشرون سورة.

س: ما هو عدد السور المدنية التي تستفتح آياتها بالحروف المقطّعة؟

ج:

ثلاث سور هي: ١ـ البقرة. ٢ـ آل عمران. ٣ـ الرعد.

س: ما هو عدد السور التي استفتحت بآيتين من الحروف المقطّعة؟

ج:

سورة واحدة وهي: الشورى (حم.عسق).

س: ما هو عدد السور التي تكون الحروف المقطّعة ضمن الآية وليست آية مستقلة؟

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

ج:

ست سور، هي: ١ـ يوسف. ٢ـ الحجر. ٣ـ النمل. ٤ـ ص. ٥ـ ق.

٦ـ القلم.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

سورة الفاتحة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝

مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝

ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ

عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝﴾

(الفاتحة:١-٧)

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

﴿بِسمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (الفاتحة:١)

س: لماذا سمّيت هذه السورة بالفاتحة؟ اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

(١) لافتتاح المصحف الشريف بها.

(٢) لافتتاح تنزيل القرآن بها كسورة كاملة وذلك لتشريع الصلاة من أوّل البعثة.

س: اذكر الأسماء الأُخرى لسورة الفاتحة مع ذكر الأسباب المحتملة في ذلك.

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ج:

(١) (الفاتحة) للسبب الذي ذكرناه.

(٢) (أُم الكتاب) والسبب في ذلك:

أولاً: لأنّها تمثّل أصلاً للقرآن لما تحمل أمّ المضامين العقائدية.

ثانياً: لكونها تتقدم السور.

ثالثاً: لقول الرسولﷺ: «والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة، ولا في الزبور، ولا في القرآن مثلها، وهي أُمّ الكتاب»(١).

(٣) (الحمد) لابتداء السورة بكلمة الحمد والثناء.

(٤) (السبع المثاني) وسبب التسمية بهذا الاسم يعود إلى:

---

(١) مستدرك الوسائل ٤: ٤٨٠٧/٣٣١.

أولاً:

(١) الكتاب: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (الحجر:٨٧).

(٢) السنّة، سئل أبو عبدالله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ أنّه قال: «هي سورة الحمد»[١].

ثانيا: (السبع) لأنّها تتكون من سبع آيات.

ثالثا: (المثاني) وسبب تسميتها بذلك قد يرجع إلى أحد أُمور منها:

(١) لنزولها مرتين.

(٢) لتثنيتها وقراءتها مرتين في الصلاة.

(٣) أن يكون (المثاني) مأخوذاً من الثناء والسورة تعني ثناءه تعالى، حيث إنّ الحمد هو ثناء الله.

(٤) أن يكون (المثاني) مأخوذاً من الاستثناء فهي استثنيت لهذه الأُمّة كما ورد عن الرسول ﷺ ذلك.

س: ما هو المحتمل في عدد المرات التي نزلت سورة الفاتحة على الرسول ﷺ ولماذا؟

ج:

نزلت مرتين: الأُولى في مكة، وبعد نزول خمس آيات من سورة العلق عند وجوب فريضة الصلاة. والثانية في المدينة، عند تحوّل القبلة. وذلك لبيان أهميّتها للناس ومبالغة في تشريفها من أجل أن يتفاعلوا بقراءتها ويتعمّقوا في معانيها.

---

(١) مستدرك الوسائل ٤: ١٥٧/٤٣٦١.

س: مَن هو الذي عيّن مكية ومدنية السور؟

ج:

أنّه اصطلاح وضع من قبل علماء التفسير، فهو ليس من الله ولا من المعصوم فلا يمثل مصطلحاً شرعياً توقيفياً.

س: ما هي الاتجاهات الواردة في تفسير المكّي والمدني؟

ج:

توجد ثلاثة اتجاهات هي:

الأوّل: نظراً إلى الناس المخاطبين، حيث إنَّ المكّي هو ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني هو ما وقع خطاباً لأهل المدينة.

الثاني: نظراً إلى المكان الذي وقع فيه الخطاب، حيث إذا كان النبيﷺ حين نزول الآية في مكّة سمّيت مكيّة، وإن كان حينذاك في المدينة سمّيت مدنية.

الثالث: نظراً إلى الزمان، واعتبار الهجرة هي الحد الفاصل بين مرحلتي المكّي والمدني، فعلى هذا تكون كل آية نزلت قبل الهجرة فهي مكيّة، وكل آية نزلت بعد الهجرة تكون مدنيّة.

س: أي من هذه الاتجاهات الثلاثة يكون هو الراجح، ولماذا؟

ج:

الاتجاه الذي ينظر إلى الناحية الزمنية واعتبار الهجرة هي الحد الفاصل بين المرحلتين وذلك:

(١) شمول هذا الاتجاه لجميع الآيات، فإنَّ الآيات التي نزلت في المواقف التي حدثت ما بين مكّة والمدينة سوف يشملها هذا الرأي وما من آية إلّا وهي

نازلة إمّا قبل الهجرة أو بعدها.

(٢) معرفة بعض المفاهيم القرآنية والأحكام الشرعية منها الناسخ والمنسوخ، حيث الناسخ متأخر عن المنسوخ زماناً، فإنَّ الرسولﷺ قد كان في مكّة وخرج منها ثمَّ عاد إليها بفتحها ثمَّ خرج منها، فمكيّة السورة أو مدنيّتها بلحاظ المكان أو المخاطب لا يعيّن ذلك.

(٣) معرفة المراحل التي مرّت بها الدعوة الإسلامية، حيث الهجرة تعتبر الحد الفاصل بين مرحلتين من عمر الدعوة التي فيها ما فيها من الأحداث والمواقف، واختلاف نوعية العمل وطريقته فيما هو قبل الهجرة وبعدها، وبهذا نعرف الخصائص العامّة والخاصّة للمدني والمكّي ما قبل الفتح وبعده.

(٤) لم تكن هناك خصوصية في أن يكون المخاطب هم أهل مكّة أو المدينة؛ لأنَّ الخطابات القرآنيّة عامّة وشاملة لجميع النّاس.

ومن مجموع ما مرَّ نعرف أنَّ تسمية المكّي والمدني بلحاظ ما قبل الهجرة وبعدها، فإنَّ الآيات المكيّة أو السّور هي التي نزلت قبل الهجرة، وإنَّ الآيات أو السّور المدنيّة هي التي نزلت بعد الهجرة.

● **البسملة**

س: اذكر الوجوه التي ذُكرت في أنَّ البسملة آية من السورة، أو أنَّها جزء خارجي عنها.

ج:

(١) البسملة جزء من كل سورة باستثناء سورة البراءة.

(٢) البسملة ليست جزءاً من القرآن عدا ما ورد في سورة النمل في قوله تعالى:

﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾(النمل:٣٠).

(٣) التفصيل بين سورة (الفاتحة) وغيرها من السِّوَر، حيث تعتبر البسملة جزءاً من الفاتحة دون غيرها من السِّوَر عدا سورة النمل.

س: ما هي الأدلة التي تثبت أنَّ البسملة جزء من كلّ سورة عدا البراءة؟

ج:

أوّلاً: الإجماع، وأعني به إجماع علماء الشيعة الإمامية الكاشف عن وجود مدرك شرعي قد ورد عن المعصوم.

ثانياً: التواتر، الروايات التي وصلت حد التواتر والتي ما هو موجود في كتب العامة أكثر ممّا هو موجود في كتب الإمامية، وفي كتب العامة من طرق أهل السنّة مثل تفسير (الدر المنثور) للسيوطي والبيهقي والآلوسي هناك الكثير منها. فمن جملة ما ورد في كتبهم ما رواه البيهقي: من أنَّ معاوية صلّى بأهل المدينة فتلا (بسم الله الرحمن الرحيم) في أوّل سورة الحمد، ولكن لم يقرأ بسم الله للسورة التي بعدها ولم يكبّر حتى ذهب للركوع، فعندما سلّم للصلاة اعترض عليه جماعة من المهاجرين وقالوا: أسرقت من الصّلاة أم نسيت؟ فكان معاوية بعد ذلك يقرأ للسورة بعد الحمد أيضاً.

وهذه الرواية قد وردت في عدّة كتب، وهذا يعني أنَّ المرتكز في أذهان المسلمين أنَّ البسملة جزء من السّورة، ولهذا قالوا له: (أسرقت من الصّلاة أم نسيت).

ثالثاً: سيرة المسلمين في قراءة القرآن من أيام نزوله إلى يومنا هذا من حفّاظ وقرّاء.

رابعا: الرسم القرآني الذي قد تمّ تحت نظر النبيﷺ حيث لا مناقشة تنقل حول اعتقاد الكلّ وجزمهم بأنّ البسملة جزء من القرآن وعليه دوّن القرآن، والقرآن الذي بين أيدينا هو نفس ذلك.

س: ما هو الفرق بين جزئيّة البسملة بالنسبة إلى سورة الفاتحة وجزئيّتها بالنسبة إلى بقيّة السِور؟

ج:

البسملة جزء داخلي بالنّسبة إلى سورة الفاتحة وجزء خارجيّ بالنسبة لبقيّة السِور.

س: ما هي المحتملات الواردة في تحليل تكرر البسملة على الرغم من تشابهها في الكل؟

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

ج:

أوّلا: أنّها جزء من الأدب الإسلامي وتربيته في ارتباط الإنسان بالله في أفعاله وأقواله، لتوحي له أنّ الله يقف خلف كل وجوده وحركته، منه تُستمد القوة في العمل الإنساني في كل مواقعه التكوينية والتشريعية على أساس أنه سبحانه هو القوة الوحيدة المهيمنة على الأمر كله في حركة الكون والإنسان، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ (الإنسان:٢٥).

ورد عن الإمام الصادقؑ أنّه قال: «لربما ترك بعض شيعتنا في افتتاح أمره (بسم الله الرحمن الرحيم)، فيمتحنه الله عزّ وجلّ بمكروه لينبّهه على شكر الله

تبارك وتعالى والثناء عليه»[١].

ثانيا: أنها الشعار الإسلامي الذي يرفعه المسلمون ومَعلَماً من معالم حياتهم شأنها شأن الصلاة والتلبية والتهليل والصلاة على النبيّ وآله التي ميّزت المسلمين عن غيرهم، والذي أكدته الشريعة من خلال الجهر بها وبيان أهميتها وما تحمل من المضمون الذي يتناسب مع كونه شعاراً حتى صارت البسملة لابتداء كلّ عمل عند المسلمين.

ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «كل أمر ذي بال لم يبتدئ فيه باسم الله فهو أبتر»[٢]، ورد عن الإمام الصادقؑ أنّه قال: «لا تدع بسم الله الرحمن الرحيم وإن كان بعده شعر»[٣].

فهي تملأ الحركة الزمنية للإنسان بكرةً وأصيلاً، وتتدخل في حالاته المختلفة لتنشّط فيه روح الانفتاح على الله، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾(الأعراف:٢٠٥).

وتدخل في طعامه لتشعره بالإمداد اليومي المباشر منه سبحانه لتجعله يعيش الحضور الإلهي في تربيته واحتضانه له، قال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾(الأنعام:١١٨).

وتدخل عند الجُماع والمباشرة بين الزوجين، وعندما يريد دفع الزائد من جسمه عند الخلاء ... وهكذا تجد أنّ البسملة تملأ حركة الإنسان في جميع

---

(١) التوحيد: ٢٣٠/٥.

(٢) البحار ٧٣: ٣٠٥/١.

(٣) الكافي ٢: ٦٧٢/١.

جوانبها لتشعر حاملها بهذه المضامين من جهة ولتفتح لغيره أبواب السؤال على ما يلهج به المسلم وحب التطلّع والمعرفة، وبهذا يكون الجهر بالبسملة أحد أساليب الإعلام والتبليغ إلى الإسلام كما هو أحد الأدوار التي يؤديها التكبير والتهليل والتلبية، وهذا أهم هدف لطرح الشعار في حياة الإنسان الهادف، ومن هنا انطلق سليمان في كتابة رسالته إلى ملكة سبأ التي ابتدأها بالبسملة ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ (النمل: ٣٠).

ثالثاً: منزلة البسملة وعظمتها ومحبوبيتها عند الله وهي تصدر من الإنسان المؤمن، ورد في خبر: «لمّا أمر الله آدم بالخروج ووضع آدم قدمه خارجاً قال: (بسم الله الرحمن الرحيم)، فلمّا سمع جبرئيل منه أوقفه انتظاراً للرحمة، فقال: إلهي ترحم عليه فقد ذكر كلمة عظيمة. فأعاد الله الأمر بالهبوط» فهبوط الإنسان إلى الأرض صورة من صور رحمته، كما سيأتي بيان ذلك في محلّه إن شاء الله.

س: ما هي الأحكام الشرعية المتعلّقة بالبسملة؟

ج:

هي نفس الأحكام المتعلّقة بالقرآن منها:

(١) عدم جواز كتابتها أو نقلها بشيء نجس عمداً.

(٢) عدم جواز مسّها إلّا للمطهّرين والمتطهّرين.

(٣) الحُكم بارتداد مَن يمزّقها أو يرميها بالأماكن الدانية المهانة أو يوجّه لها أيّ شيء بداعي إنكارها والاستهزاء بشرعها ومشرّعها.

(٤) عدم جواز تغيير ألفاظها.

س: ما هي المحتملات الواردة في عدم ورود البسملة على رأس (سورة براءة)؟

ج:

الأوّل: جواب الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب‌عليه السلام فيما ورد عنه: «لأن البسملة نزلت للأمان والرحمة، ونزلت براءة لرفع الأمان بالسيف»[1]، يعني رفع الأمان عن الكفار الناكثين للعهود.

الثاني: لأنّ سورة براءة ملحقة بسورة الأنفال اعتماداً على رواية عن الإمام الصادق‌عليه السلام أنّه قال: «الأنفال والبراءة واحدة»[2].

ولكن أقول: هناك سور أُخرى تعتبر واحدة مثل (الضّحى) و (الشّرح) ولكن البسملة مذكورة لكلّ سورة منهما؟!.

الثالث: من أجل أن يبيّن الله حقيقة البسملة في جميع سور القرآن وأنّها جزء من كلّ سورة إلّا هذه السورة.

س: ما معنى (باسم)؟

ج:

(١) الباء: حرف ربطي أي يحتاج في ظهور معناه إلى طرفين، والطرف الأول هنا محذوف تقديره (أستعين أو ابتدىء) ولكن هنا قالوا برجحان تقدير (الابتداء) لموافقة البسملة للابتداء، وأنّه ينسجم مع ما ورد عن الرسول‌صلى الله عليه وآله حين قال:

---

(١) مجمع البيان ٥: ٦.

(٢) نور الثقلين ٢: ٤/١٧٦.

«كلّ أمر ذي بال لم يبتدئ فيه باسم الله فهو أبتر»[١] فاستعمل الرسولﷺ في كلمته هذه الابتداء.

ولكن أقول: سوف نذكر روايات في أثناء البحث قد استعملت الاستعانة للبسملة، فلا راجح لأحدهما، فيمكن إرادة المعنيين.

(٢) الاسم: من الأسماء المشتقة، فهو إمّا مشتق من (السمو) العلو، أو (السمة) العلامة، وهو اسم جنس تقع تحته ألفاظ غير متناهية، استعمل هنا كواسطة لمعرفة الاسم (الله).

س: اذكر بعض المحتملات التي ترد في معنى كلمة (الله).

ج:

يوجد احتمالان في لفظ الجلالة (الله):

(١) من الأسماء الجامدة البسيطة غير المشتقة، وإنَّ لفظ الجلالة الواضع له هو الله.

(٢) من الأسماء المشتقة، فهو إمّا مشتق من (الإله) بمعنى المعبود، أو من (الإله) بمعنى المحيّر، وهو كذلك حيث تحيرت به العقول في معرفة حقيقته، ورد عن أميرالمؤمنينؑ أنّه قال: «كلّ دون صفاته تحبير اللغات، وضلّ هناك تصاريف الصفات»[٢]، أو من (وَلَه) لوَلَه وعشق كلّ مخلوق به إمّا تكويناً أو إرادة منهم، أو من (لاه) أي احتجب عن العقول والأبصار، أو غيرها وهي كثيرة.

ورد عن أميرالمؤمنينؑ أنّه قال: «الله، معناه المعبود الذي يأله فيه الخلق

(١) البحار ٧٣: ٣٠٥/١.

(٢) الكافي ١: ١٣٤/١.

ويؤله إليه، والله هو المستور عن درك الأبصار، المحجوب عن الأوهام والخطرات»(١).

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «الله، معناه المعبود الذي أله الخلق عن درك ماهيّته والإحاطة بكيفيته»(٢).

وعن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنّه قال: «الله، هو الذي يتأله إليه عند الحوائج والشدائد كلّ مخلوق عند انقطاع الرّجاء من كلّ مَن دونه»(٣).

ففي هذا الاحتمال مشتقات كثيرة غير ما ذُكر وأغلبها خَلطٌ بين الأصل اللغوي والإرادة الاستعمالية، وإنّ الاحتمال الأوّل يجمع بين الاسم والذات في البساطة وعدم التركيب وهذا جيد، ولكننا نقول: إنّ الكلّ صحيح لتحيّر الكلّ في ذات الله وصفاته وأسمائه.

ورد عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في معنى الله أنّه قال: «استولى على ما دقّ وجلّ»(٤).

وهذا يكفي حتّى لا يجرّنا إلى البحث في ذاته تعالى، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «اذكروا من عظمة الله ما شئتم ولا تذكروا ذاته فإنّكم لا تذكرون منه شيئاً إلّا وهو أعظم منه»(٥).

وخير ما نختتم به القول حول اسم الله ما ورد في خبر عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

---

(١) التوحيد: ٨٩.

(٢) البحار ٣: ١٢/٢٢٢.

(٣) البحار ٣: ١٦/٤١.

(٤) الكافي ١: ٣/١١٤.

(٥) وسائل الشيعة ١٦: ٢١٣٣٧/١٩٨.

أنّه قال: «إنَّ هذا هو الاسم الأعظم الذي يتأثّر منه العالَم».

س: هل يجوز أن يسمّي أحد اسمه أو أحد المخلوقات باسم (الله) فقط؟

ج:

لا يجوز ذلك، ورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «إنَّ قولك: الله، أعظم اسم من أسماء الله عزَّ وجلَّ، وهو الاسم الذي لا ينبغي أن يسمّى به غير الله ولم يتّسم به مخلوق»[1].

س: اذكر لطيفة واحدة متعلّقة بكتابة اسم (الله).

ج:

(١) لو حذفت الهمزة من لفظ (الله) لبقي لديك (لله) ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الفتح: ٤).

(٢) لو حذفت اللام الأولى من لفظ (لله) لبقي لديك «لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (البقرة: ١١٦).

(٣) لو حذفت اللام الثانية من (له) لبقي لديك (هو) ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

س: لماذا بدأت البسملة بهذه الصفات (الرحمن الرحيم) دون غيرها من الصفات لله؟ اذكر الجواب المحتمل لذلك.

ج:

لأنَّ من الواجب الشرعي والعقلي على المؤمن الابتداء والاستعانة بالله، وهما ينحصران بعمل الخير لنفسه أو لغيره، ومبدأ الخيرات وعلّتها الذاتية هو الرحمن،

---

(١) التوحيد: ٥/٢٣٠.

والاستعانة بمصدرها أي بالرحمن لتفرّع العطاء الفعلي منها المتمثّل في الرحيم، وبهذا يكون الابتداء والاستعانة بالرحمن الرحيم أقوى طريقاً؛ لأنّها تجعل الإنسان يتجرّد عمّن سواه بالكليّة في كلّ طلب خير، لأنّه يتوسّل بأصل مصدر فعل الخير، فهو سبحانه مولى النِعَم ومبدأ الخيرات ومنه يُستمدّ في المقاصد الدنيوية والأُخروية، فالرحمن الرحيم مبدأ حاصر لجميع الخيرات الصادرة منه إلى الخلق أجمعين.

س: لماذا قدّم اسم الله ثمّ الرحمن ثمّ الرحيم في البسملة؟

ج:

قد يراد من هذا الترتيب أن يكون اسم الله للإشارة إلى ذاته المقدّسة، والرحمن للإشارة إلى مبدئيّة كلّ خير منه سبحانه؛ لأنّها مبدأ الرحمة، والرحيم إلى وجوب مرجعيّة طلب كلّ خير في العطاء إليه؛ لأنّها صفة فعل مصدرها الرحمن.

س: ما هي الأضواء التي تعطيها البسملة؟

ج:

أوّلاً: تنبيه الله الإنسان على أنّ بداية الخلق وكل الخير منه سبحانه ليذعن الإنسان إلى هذه الحقيقة ويعيشها دائماً من خلال ابتدائه باسم الله في كل حركة وسكون بجهر و إخفات ... وهكذا.

ثانياً: أن يزداد الإنسان شرفاً وعزّة أن منحه الله بأن يبتدئ باسمه العظيم الذي ليس فوق اسمه اسم، ولهذا الاحتمال ضريبته الحسنة التي يدفعها الإنسان عندما رضي أن يبتدئ بما منحه الله إليه وهو الابتداء باسم الله فلا يأتي بما ينافي هذه البداية من أن يكتب أو يفعل بما لا يرضاه الله، ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «مَن

كتب بسم الله الرحمن الرحيم فجوّده تعظيماً غفر الله له»[١].

ثالثاً: أن تنعكس أخلاقية هذا الشعار أوّلاً على حامله ليكون رباني الصفة التي أوّلها أن يكون رحيماً بنفسه وبالآخرين، فالرحمة شعار الله (بسم الله الرحمن الرحيم)، ﴿فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾(الأنعام:٥٤)، وشعار رسالته ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(الأعراف:٢٠٤)، وشعار رسوله ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾(التوبة:١٢٨)، ويجب أن يكون شعار المؤمنين فيما بينهم وأمام غيرهم ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾(الفتح:٢٩)، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ (البلد:١٧).

رابعاً: الابتداء باسم الله في السور يسترعي انتباه القارئين للقرآن لما بعد البسملة من الأمور المهمة والمضامين العالية التي تحملها آيات السورة؛ لأن الابتداء بالبسملة يعني أنّ هناك أمراً مهماً من قبله سبحانه، ورد عن الإمام الصادق(ع) أنّه قال: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم من أجود كتابك»[٢].

خامساً: الابتداء باسم الله لا يعني أنّ هذا الاسم هو أفضل أسماء الله لعدم وجود ميزة التفاضل بين أسمائه تعالى؛ لأنّ التفاضل فيه المشاركة وزيادة، وهذا لا يجوز على الله؛ لأنّه واحدٌ بسيطٌ في ذاته وأسمائه وصفاته، ولأنّ التّفاضل يعني أنّ هناك مفضولاً، أي ما فيه نقص وتعالى الله من كلّ نقص.

سادساً: الاستعانة باسم الله تمثّل ضالة الإنسان ـ أي إنسان ـ التي يبحث عنها بوجدانه وشعوره لحاجته لمَن هو أقوى من كلّ شيء ليستعين به، فإنّ الإنسان

---

(١) مستدرك الوسائل ٨: ٤٣٣/٩٩١٥.

(٢) الكافي ٢: ٦٧٢/٢.

يومياً يرفع أشياء ثقيلة لا يعلم مدى استطاعته على حملها، لا يعلم ما هي النتائج التي يحصل عليها في فعله، لا يعلم رزقه، لا يعلم أنّه سيُشفى، لا يعلم أنّه يَصِل، لا يعلم أنّه يستيقظ، لا يعلم إذا استيقظ ماذا سيكون ...وهكذا، فهو في جهل وخوف دائمين وعلى عدد اللحظات، ففي كلّ فعل قبله أو بعده أو في أثنائه يعتري الإنسان هذا الشعور، والله سبحانه وتعالى يقدّم بلطفه ورحمته وعلمه بحاجة الإنسان إلى (بسم الله الرحمن الرحيم) كأفضل آلة تمزج بين بساطة مفرداتها وسهولة أدائها وبين عظمة معانيها وحجم عطائها وأثرها، من أجل أن يستخدمها قبل كلّ فعل صغير أو كبير وفي كلّ الحالات والاحتمالات لتسدّ هذا الشعور الإنساني عنده وتملأ فراغ الشعور الذي يشغله فطرياً، ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «إذا ركب الرجل الدّابة فسمّى الله ردفه ملك يحفظه حتّى ينزله، فإن ركب ولم يسمِّ ردفه شيطان»(١).

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

س: اذكر بعض الروايات التي تذكر فيها فضيلة قول (بسم الله الرحمن الرحيم).

ج:

(١) ورد عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام في قوله: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً﴾ أنّه قال: «معناه بسم الله الرحمن الرحيم»(٢).

(٢) عن ابن مسعود قال: مَن أراد أن ينجيه الله تعالى من زبانية التسعة عشر فليقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) ليجعل الله له بكلّ حرف منها جنّة من كلّ واحد،

---

(١) الكافي ٦: ١٧/٥٤٠.

(٢) كنز العمال ٢: ٤٤٨٦/٤٥٤.

فالبسملة تسعة عشر حرفاً على عدد ملائكة أهل النّار الذين قال الله فيهم: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ وهم يقولون في كلّ أفعالهم: بسم الله الرحمن الرحيم، فمن هناك هي قوّتهم وبسم الله استضلعوا[(١)].

(٣) ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «إذا عثرت بك الدابة لا تقل: تعس الشيطان، فإنّه يتعاظم حتّى يصير مثل البيت ويقول: بقوّتي صنعته. ولكن قل: (بسم الله الرحمن الرحيم) فإنّه يتصاغر حتّى يصير كالذباب»[(٢)].

س: اذكر بعض الروايات التي تذكر ترتّب بعض الآثار السلبية على تارك البسملة.

ج:

(١) ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «ولربّما ترك بعض شيعتنا في افتتاح أمره (بسم الله الرحمن الرحيم) فيمتحنه الله بمكروه، لينبّهه على شكر الله تعالى والثناء عليه، ويمحو عنه وصمة تقصيره عند تركه قول: (بسم الله الرحمن الرحيم)»[(٣)].

(٢) ورد في الحديث: «دخل عبدالله بن يحيى على أميرالمؤمنين عليه السلام وبين يديه كرسي، فأمره بالجلوس عليه، فجلس عليه، فمال به حتّى سقط على رأسه، فأوضح عن عظم رأسه وسال الدم، فأمر أميرالمؤمنين عليه السلام بماء فغسل منه ذلك الدم، ثمّ قال: أدن منّي، فدنا منه، وضع يده عليها وتفل فيها، فما هو إلّا أن

---

(١) الدر المنثور ١: ٩.

(٢) السنن الكبرى ٦: ١٤٢/١٠٣٨٨.

(٣) الوسائل ٧: ١٦٩/٩٠٣٠.

فعل ذلك حتّى اندمل وصار كأنّه لم يصبه شيء قط.

ثمّ قال أميرالمؤمنين عليه السلام: يا عبدالله، الحمد لله الذي جعل تمحيص ذنوب شيعتنا في الدنيا بمحنهم لتسلم لهم طاعتهم ويستحقّوا عليها ثوابها. فقال عبدالله بن يحيى: يا أمير المؤمنين، وإنّا لا نجازى بذنوبنا إلّا في الدنيا؟ قال عليه السلام: نعم، أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وآله: الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر، يطهر شيعتنا من ذنوبهم في الدنيا بما يبتليهم به من المحن بما يغفره لهم، فإنّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾، حتّى إذا وردوا القيامة توفّرت عليهم طاعاتهم وعباداتهم، وإنّ أعداء محمّد وأعداءنا يجازيهم على طاعة تكون فيهم في الدنيا وإن كانت لا وزن لها؛ لأنّه لا إخلاص معها، حتّى إذا وردوا القيامة حملت عليهم ذنوبهم لبغضهم لمحمّد صلى الله عليه وآله وخيار أصحابه، فقذفوا لذلك في النّار.

ولقد سمعت محمّداً صلى الله عليه وآله يقول: إنّه كان فيما مضى قبلكم رجلان أحدهما مطيع لله مؤمن والآخر كافر به مجاهر بعداوته لأوليائه وموالاة أعدائه، ولكلّ واحد منهما مُلك عظيم في قطر من الأرض، فمرض الكافر فاشتهى سمكة في غير أوانها، لأنّ ذلك الصنف من السمك كان في ذلك الوقت في اللجج حيث لا يقدر عليه، آيسته الأطبّاء من نفسه وقالوا له: استخلف على ملكك مَن يقوم به، فلست بأخلد، فإنّ شفاءك في هذه السمكة التي اشتهيتها ولا سبيل إليها، فبعث الله ملكاً وأمره أن يزعج البحر بتلك السمكة إلى حيث يسهل أخذها، فأُخِذت له تلك السمكة فأكلها فبرئ من مرضه، وبقي في ملكه سنين بعدها. ثمّ إنّ ذلك المؤمن مرض في وقت كان جنس ذلك السمك بعينه لا يفارق الشطوط التي يسهل أخذه منها، مثل علّة الكافر، واشتهى تلك السمكة

ووصفها له الأطباء، فقالوا: طب نفساً، فهذا أوانها تؤخذ لك فتأكل منها وتبرأ. فبعث الله ذلك الملك فأمره أن يزعج جنس تلك السمكة كلّه من الشطوط إلى اللجج لئلّا يقدر عليه فيؤخذ حتّى مات المؤمن من شهوته، لعدم وجود دوائه، فعَجِبت من ذلك ملائكة السماء وأهل ذلكم البلد في الأرض حتّى كادوا يفتنون؛ لأنَّ الله تعالى سهّل على الكافر ما لا سبيل إليه، وعسّر على المؤمن ما كان السبيل إليه سهلاً، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إلى ملائكة السماء وإلى نبي ذلك الزمان في الأرض: إنّي أنا الكريم، المتفضّل القادر، لا يضرّني ما أعطي ولا ينفعني ما أمنع، ولا أظلم مثقال ذرّة، فأمّا الكافر فإنّما سهّلت له أخذ السمك في غير أوانها ليكون جزاءاً على حسنة كان عملها إذ كان حقّاً عليَّ ألّا أبطل لأحد حسنة حتّى يرد القيامة ولا حسنة في صحيفته، ويدخل النّار بكفره. ومنعت العابد تلك السمكة بعينها لخطيئة كانت منه أردت تمحيصها عنه بمنع تلك الشهوة بإعدام ذلك الدواء، ليأتيني ولا ذنب له، فيدخل الجنّة.

فقال عبدالله بن يحيى: يا أمير المؤمنين، قد أفدتني وعلّمتني، فإن رأيت أن تعرّفني ذنبي الذي صنعت به في هذا المجلس حتّى لا أعود إلى مثله؟ قال عليه السلام: تركك حين جلست أن تقول: (بسم الله الرحمن الرحيم)، فجعل الله ذلك لسهوك عمّا ندبت إليه تمحيصاً بما أصابك. أما علمت أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله حدّثني عن الله عزَّ وجلَّ أنّه قال: كلّ أمر ذي بال لم يذكر بسم الله فيه فهو أبتر. فقلت: بلى بأبي أنت وأمي لا أتركها بعدها، قال: إذن تحصّن بذلك تسعد»[1].

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٢٢/٧.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الفاتحة:٢)

• الحمد أفضل الشكر

س: ما معنى (الحمد)؟

ج:

الحمد: هو الثناء على الحسن الاختياري.

س: لماذا يحصر الله الحمد الذي يصدر من عباده به سبحانه (الحمد لله)؟ اذكر المحتمل من الجواب.

ج:

لقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى بأنّه خالق كل شيء باختيار منه وبأحسنه قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ (السجدة:٧)، وأخبرنا بأنّه سبحانه يمتلك أحسن الأسماء، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (الأعراف:١٨٠)، فإذن هو مصدر الحسن الاختياري اسماً وفعلاً، فهو المحمود في اسمه وفعله، وما من حمد حمده حامد لأمر محمود إلّا كان لله حقيقته لتعلق الجميع به، فهو جنس الحمد وكلُّ الحمد، قال تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ (العنكبوت:٦٣)، فانحصار الحمد به سبحانه أمر تفرضه طبيعة الحمد، ولهذا لا يرجع الحمد إلّا إليه سواء صدر الحمد منه إليه سبحانه، قال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الجاثية:٣٦)، أو صدر الحمد من المخلوقين إليه تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ (النمل:٩٣).

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

ورد عن أمير المؤمنين ﷺ أنّه قال: «لا يحمد حامد إلّا ربّه، ولا يلم لائم إلّا نفسه»[١]، وعنه أيضاً: «الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره، وسبباً للمزيد من فضله، ودليلاً على آلائه وعظمته»[٢].

س: كيف يحمد الإنسان ربه؟ اذكر المحتمل من الجواب.

ج:

أن يقول: (الحمد لله) عن وعي في الفكر وعمق في الروح، فهو الثناء الذي علّمنا الله إياه، وهو الحمد الذي ينبغي للعبد أن يقوله، قال تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ (لقمان:٢٥)، وورد عن الإمام الصادق ﷺ أنّه قال: «فُقد لأبي ﷺ بغلة فقال: لئن ردّها الله عليّ لأحمدنّه بمحامد يرضاها، فما لبث أن أُتي بها بسرجها ولجامها، فلما استوى وضمَّ إليه ثيابه رفع رأسه إلى السماء وقال: الحمد لله، ولم يزد، ثمَّ قال: ما تركت ولا أبقيت شيئاً، جعلت أنواع المحامد لله عزّ وجلّ، فما من حمد إلّا وهو داخل فيها»[٣].

وكفاية هذا القول في الحمد أمر تفرضه طبيعة الإنسان العاجز عن تقديم شيء لله مقابل نعمه التي يغدقها الله عليه؛ لأنَّ الله غني عن العالمين، ولجهله بمعرفة عدد ما أنعم الله عليه ليحمده على نعمة نعمة حتّى في النعمة التي يراها الإنسان بالنظرة البسيطة أنّها واحدة، فليس أمامه إلّا القول بذلك لجهله وعجزه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لا تُحْصُوهَا﴾ (إبراهيم:٣٤)، فالحمد يأتي عند العجز عن التقديم وعن الإحصاء.

---

(١) نهج البلاغة ١: ١٥/٥٠.

(٢) نهج البلاغة ٢: ١٥٧/٥١.

(٣) كشف الغمة ٢: ١١٨.

س: ما هي النسبة بين الحمد والشكر؟ اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

(١) نسبة العموم والخصوص المطلق إذا لوحظ من حيث المتعلّق، فالحمد أعمّ مطلقاً من الشكر؛ لأنّ متعلّق الحمد لجميع النعم بينما الشكر على نعمة خاصّة، ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «الحمد رأس الشكر»[1]، وورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «و ما شكر الله عبد لم يحمده»[2].

(٢) الحمد أخصّ مطلقاً من الشكر بلحاظ المورد، فإنّ الحمد مورده اللسان لعجزه الفعلي عن تقديمه لغنى الله كما قلنا سابقاً، والشكر مورده اللسان وبقية الجوارح والجوانح؛ لأنّ الشكر لفظي وعملي، فكلّ طاعة هي صورة من صور الشّكر، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «ما أنعم الله على عبد من نعمة فعرفها بقلبه وحمد الله ظاهراً بلسانه فتمّ كلامه حتّى يؤمر بالمزيد»[3].

(٣) نسبة التساوي، فإنّ كلّ حمد شكر، وأنّ كلّ شكر حمد مفهوماً ومصداقاً، وورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «شكر كلّ نعمة وإن عظمت أن تحمد الله»[4].

س: ماذا قالت الروايات عن الحمد؟

ج:

(١) أنّها الكلمة الأُولى التي صدرت من أبي البشر آدم، ورد في الحديث: «لمّا نفخ

---

(١) مجموعة ورام ٢:١٠٦.

(٢) مجموعة ورام ٢:١٠٦.

(٣) الكافي ٢:٩٥/٩.

(٤) الكافي ٢: ٩٥/١١.

في آدم فبلغ الروح رأسه عطس، فقال: الحمد لله ربّ العالمين»[١].

(٢) أنّها الكلمة الأخيرة التي يدعو بها أهل الجنّة، حيث النِّعم ولا عمل إلّا الحمد والثناء على ما يرزقهم الله، قال تعالى: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (يونس: ١٠).

(٣) أنّها أعظم قيمة عند الله نسبة إلى كلّ ما يمتلكه الإنسان من دنياه، ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «لو أنَّ الدنيا كلّها بحذافيرها بيد رجل من أُمّتي، ثمَّ قال: الحمد لله، لكانت الحمد أفضل من ذلك »[٢].

(٤) أنّها أفضل عطاء يومي يقدّمه الإنسان إلى ربّه، ورد عن الإمام الصادقؑ أنّه قال: «مَن قال أربع مرّات إذا أصبح: الحمد لله ربّ العالمين، فقد أدّى شكر يومه، ومَن قالها إذا أمسى فقد أدّى شكر ليلته »[٣].

(٥) أنّها أفضل الدعاء، ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «أفضل الكلام لا إله إلّا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله»[٤].

س: ما معنى (ربّ)؟

ج:

الرب:

١ـ إنشاء الشيء حالاً بعد حال إلى حدّ التمام، وأصله القيمومية والتربية والتدبير.

٢ـ المالك المتصرف.

---

(١) البداية والنهاية ١: ٩٦.

(٢) نهج السعادة ٨: ٢٦٣.

(٣) الكافي ٢: ٥٠٣/ ٥.

(٤) مستدرك الوسائل ٥: ٣٦٣/ ٦٠٩٢.

٣ـ السيد.

س: اذكر المحتمل لمعنى ﴿الْعَالَمِينَ﴾.

ج:

العالمين: وهو كلّ ما يُعلم به، ويطلق على جميع الموجودات من كلياته وأجزائه، المحسوس منه وغيره، كعالَم الجن وعالَم الإنس وعالَم النبات وعالَم الحيوان وعالَم الملائكة وعالَم الروح وعالَم المادة ...وهكذا.

س: ما هي المحتملات الواردة في ذكر قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؟

ج:

أوّلاً: لمّا كان كلّ شيء لا يستقل بوجوده عنه سبحانه فهو لا يستقل في آثار وجوده ولوازمه كذلك من تدبير أموره والقيام بشؤونه، فكان الله حقاً ربّاً لمن سواه من العالمين؛ لأنه وحده المالك المدبّر لجميع خلقه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ١٦٤).

ثانياً: فيها إشارة واضحة في أنّ الله فوق حدود الزمن والمكان والجهة التي تحكم العالمين، فهو ربّ العالمين من جميع جهات الإشراف والعلو.

ثالثاً: فيها انتشال الإنسان من أن يعيش الأفق الضيق لفكره وتطلّعاته ونقله إلى آفاق العالمين التي خُلقت لأجله لتشعره بمسؤوليته العظيمة وعظمة وجوده ليربط نفسه بربّ العالمين، كما ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال:

«أتحسب نفسك جرم صغير   وفيك انطوى العالم الأكبر»[(١)]

وتنقله إلى ما هو أوسع من العالمين ذلك هو عالَم الغيب المطلق ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

فمن جملة تربية الإسلام للفرد أن يجعل ذهنه يعيش الآفاق الواسعة والبُعد الواسع بمستوى لا تتناسب مع وضعه المكاني الضيّق، فهو يجعله يعيش مع السماوات والأرضين ومع التاريخ ومع المستقبل ما بعد الموت ويوم القيامة ومع ربّ العالمين، وهذا النوع من التربية له أثره الإيجابي على تفكير الإنسان وأخلاقيّته وشخصيّته ونفسيّته وهو يعيش مع هذه الشمولية من السعة.

رابعاً: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا تشير إلى تكوين الشيء وملكيته الحقيقية من قبل الله فحسب، بل تشير إلى كون الله أحسن وأوسع ربّ في تكوين الشيء ممّا يحيط به من جميع جهاته من حيث هيئته وزمنه ومكانه وقدرة عمله ونظامه وتشكيل عناصره واختياره وغيرها من الأُمور التي تتعلّق بتدبير الشيء، قال تعالى: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (طه: ٥٠).

خامساً: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ما أعظم النعمة على العالمين أن يكون الله لهم ربّاً، فنحن نحمد الله حيث جعل نفسه ربّاً للعالمين، ومن جملة لطائف ربوبيّته على العالمين أنّه لم يتركهم من دون حجّة ونظام ينظّم حياتهم من إنزال الكتب والرسل المستوعبة لجميع مشاكل الإنسان وواضعة لكلّ مشكلةٍ حلاً.

---

(١) ديوان الإمام علي عليه السلام: ١٧٥.

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (الفاتحة:٣)

● **رحمة الله**

س: لماذا كرّر الله ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ بعد وجودها في البسملة؟ اذكر المحتمل من الجواب.

ج:

لم يكرّرها باعتبار أنّ البسملة جزء من كلّ سورة وآية منها ولكنها مستقلّة بوجودها عن مضمون السورة وما تحمل من معنى، وعليه يكون ذكر ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في سورة الحمد لأوّل مرّة، فهنا تصبح جزءاً مستقلاً وضمنياً من المعنى الكلّي للسورة، فإنّ الرحمن اسم (لله) وذاته، والرحيم صفة ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ التي تنسجم مع كلّ فعل من أفعاله بما هو مربّي لجميع العالمين، فهو لم يكن ربّاً سلطوياً جبّاراً بالصفة الأوّلية وإن كان كذلك، بل إنّ أوّل مظهر من مظاهر ربوبيته وأوّل صفة تتصدّر الصفات هي الرحمة ليكون خير منفذ له إلى قلوب محبّيه وليتناغم مع مشاعر الناس جميعاً ليلتجئوا إليه؛ لأنّها أبرز صفة أودعها الله في فطرة الإنسان، ولولاها لما كان خلق الدنيا والآخرة الذي كلّه صورة من صور رحمته.

س: ما معنى ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾؟

ج:

(١) الرحمن: صفة ذاتية لله سبحانه وتعالى، وهي مبدأ الرحمة والعطاء، وقد ذُكرت في جميع آيات القرآن كصفة للذات شأنها شأن بقية الصفات الذاتية قال

تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ (الإسراء:١١٠)، ﴿لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ﴾ (الزخرف:٣٣)، ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً﴾ (مريم:٩١)، ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ (مريم:٤٥)، ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ (الرحمن:٢-٣)، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه:٥)، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾ (الفرقان:٦٠)، ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ (الفرقان:٦٣) ...وهكذا في جميع الآيات التي وردت فيها لفظ الرحمن.

(٢) الرحيم: صفة فعلية لله، والرحمة معناها العام هي رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرّد دون رقة، وإذا وصف بها البارئ سبحانه وتعالى فليس يراد بها إلّا الإحسان دون الرقة، جاءت بأسلوب التعدية والتعلّق بالمنعم عليه في القرآن دائماً؛ ولهذا أصبحت من صفات الفعل، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة:١٤٣)، ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (يونس:١٠٧)، ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ (الأحزاب:٤٣)، ﴿يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ (الكهف:١٦) ...وهكذا في جميع الآيات التي وردت فيها لفظ الرحيم.

س: ما هو المحتمل في أن تقدّم صفة الرحمن على الرحيم؟

ج:

(١) لأنّ الرحمن صفة ذات والرحيم صفة فعل، فتقديم الذات على الفعل أولى.

(٢) لأنّ الرحمن مصدر للرحمة، وتقديم المصدر على ما يتفرّع منه أولى.

(٣) لأنّ الرحمن هو الأصل، وما دور الرحيم إلّا كتتمّة لحقيقة الرحمن حيث لم يكن الله رحمناً فقط، بل معطاءاً كذلك، أي رحيم. فتقديم الرحمن أولى.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «الرحمن اسم خاص بصفة عامّة،

والرحيم اسم عام بصفة خاصّة»[١].

س: تحدّث إجمالاً عن رحمة الله.

ج:

أولاً: سعة رحمة الله، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف:١٥٦)، ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «إنَّ الله خلق مائة رحمة يوم خلق السماوات والأرض، كلّ رحمة منها طباق ما بين السّماء والأرض، فأهبط رحمة منها إلى الأرض فيها تراحم الخلق، وبها تعطف الوالدة على ولدها، وبها تشرب الطّير والوحوش من الماء، وبها تعيش الخلائق »[٢].

ثانياً: وجوب الرحمة على الله من باب أنّه موعد وعده لعباده وكتاب كتبه على نفسه، قال تعالى: ﴿فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (الأنعام:٥٤)، ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «ما خلق الله من شيء إلاّ وقد خلق له ما يغلبه، وخلق رحمته تغلب غضبه»[٣].

ثالثاً: شمولية الرحمة لجميع الناس، ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام أنّه قال: «ما ظنّك بالرؤوف الرحيم الذي يتودّد إلى مَن يؤذيه بأوليائه، فكيف بمَن يؤذى فيه، وما ظنّك بالتوّاب الرحيم الذي يتوب على مَن يعاديه، فكيف بمَن يترضاه ويختار عداوة الخلق فيه»[٤].

قيل للإمام علي بن الحسين عليه السلام: إنَّ الحسن البصري قال: ليس العجب ممّن هلك

---

(١) مصباح الكفعمي:٣١٧.

(٢) كنز العمال ٤: ٢٧٣/١٠٤٦٤.

(٣) كنز العمال ٤: ٢٥٠/١٠٣٩٠.

(٤) تحف العقول: ٣٩٩.

كيف هلك، وإنّما العجب ممّن نجى كيف نجى ! فقالﷺ: «أنا أقول: ليس العجب ممّن نجى كيف نجى، وأمّا العجب ممّن هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله !!»[١].

رابعاً: كلُّ عملٍ عباديٍّ يجلب رحمة الله، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(آل عمران:١٣٢)، ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(الأنعام:١٥٥)، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(النور:٥٦)، ﴿لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(النمل:٤٦)، وورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «تعرّضوا لرحمة الله بما أمركم به من طاعته»[٢].

خامساً: كلّ عملٍ في جانب الخير للناس يكون سبباً لجلب رحمة الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾(الأعراف:٥٦).

ورد عن أميرالمؤمنينﷺ أنّه قال: «رحم الله امرأً أحيى حقاً وأمات باطلاً وأدحض الجور وأقام العدل»[٣]. وعنه أيضاً: «رحمة الضعفاء تستنزل الرحمة»[٤].

سادساً: من موانع رحمة الله موردان:

(١) عندما ترحم من لا يستحقّ الرحمة، ورد عن أميرالمؤمنينﷺ أنّه قال: «رحمة من لا يرحم تمنع الرحمة، واستبقاء مَن لا يتّقي تهلك الأمّة»[٥].

(٢) عندما لا ترحم مَن يستحقّ الرحمة، ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «والذي

---

(١) إعلام الورى ١: ٤٨٩.

(٢) مجموعة ورام ٢:١١٩ .

(٣) غرر الحكم: ٦٩/٩٨٠.

(٤) غرر الحكم: ٤٤٩/١٠٣٣٣ .

(٥) غرر الحكم: ٣٤٣/٧٨٥٦.

نفس محمّد بيده لا يضع الرحمة إلّا على رحيم. قلنا: يا رسول الله، كلّنا رحيم، قال: ليس الذي يرحم نفسه وأهله خاصّة، ذلك الذي يرحم المسلمين»(١).

وعنه أيضاً: «قال تعالى: إن كنتم تريدون رحمتي فارحموا»(٢). وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «مَن لا يرحم النّاس منعه الله رحمته»(٣)، وورد عنه أيضاً: «ببذل الرحمة تستنزل الرّحمة»(٤).

سابعاً: رحمة الله على قسمين:

(١) الرحمة العامّة، وهي الرحمة الإلهية التي وسعت كلّ شيء، ومكتوبة لكلّ شيء، فهي مصدر النّعيم لكلّ الخلق في وجودهم ورزقهم من أوّل وجودهم، مستمرّة معهم ماداموا سائرين في البقاء، وتشمل البارّ والفاجر في الدنيا، نعيماً كانت أو عذاباً؛ لأنّ في بعض الأحيان يكون العذاب في الدنيا رحمة كما يضرب الوالد ولده تأدّباً، ويأتي في مبحث العذاب التوضيح الأكثر لهذه العبارة.

وصور من رحمته العامّة قال تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾(الروم: ٥٠)، ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾(الأنعام: ١٢)، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً﴾(غافر: ٧)، ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(القصص: ٧٣).

(٢) الرحمة الخاصّة، وهي الرحمة الإلهية التي وسعت كلّ شيء، ومكتوبة للمؤمنين خاصّة، وهي مصدر نعيم الهداية والرزق والرعاية والحماية للمؤمنين خاصّة

---

(١) مستدرك الوسائل ٩: ٥٤/١٠١٨٢.

(٢) مستدرك الوسائل ٩: ٥٤/١٠١٨٢.

(٣) غرر الحكم: ٤٤٩/١٠٣٣٦.

(٤) غرر الحكم: ٢٤٦/٥٠٥٤.

في الدنيا، فلو آمن الكلّ لشملتهم الرحمة الخاصّة؛ لأنّها وسعت كلّ شيء ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف:١٥٦)، ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة:١٥٧)، ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ (هود:٧٣).

ثامناً: زمن الرحمة الخاصّة لله، وهي على قسمين:

(١) الزمن غير المعيّن، ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «إنّ لربّكم في أيام دهركم نفحات فتعرّضوا له لعلّه أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبداً»[1].

(٢) الزمن المعيّن، كشهر رمضان وشعبان ورجب، ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «رجب شهر الله الأصم يصبّ الله فيه الرحمة على عباده»[2]، وعنه أيضاً: «شهر رمضان و هو شهر البركة و هو شهر المغفرة و هو شهر الرحمة...»[3] وغير ذلك كثير مذكور في الكتب الخاصّة لها.

تاسعاً: شعارنا الرحمة، فإنّ المسلمين يرفعون الرحمة شعاراً يبرز هويتهم ويميّزها من بين الهويات الدينية لغير المسلمين، والرحمة أوسع وأقوى وأشمل من السلام، بل السلام جزء من الرحمة، فحين تكون على سلام مع طرف فلا يقتضي السلام أكثر من أن توفر الأمن لذلك الطرف، فليس من مستلزمات السلام رفع حاجة ذلك الطرف أو مساعدته في أمور دنياه وحلّ مشكلاته والعطف عليه، بينما

---

(١) كنز العمال ٧: ٢١٣٢٤/٧٦٩.

(٢) عيون الأخبار ١: ٣٣١/٧٦.

(٣) فضائل الأشهر: ١١٢/١١٧.

علاقة الرحمة تعطي أكثر من ذلك ومن الأمن، فهي تستلزم كلّ ما يتعلّق بالرحمة في الدنيا وما توصله إلى الآخرة كذلك، فالرحمة لا تقاس شموليتها بالسلام، قال تعالى: ﴿فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾(الأنعام: ٥٤)، فالسلام فرع من الرحمة.

عاشراً: غضب ورحمة، إنّ رحمة الله وإن وسعت كلّ شيء، إلّا أنّه يجب على الإنسان أن يفهم من هذه السعة فهماً لا يستدرجه إلى تخطّي طريقها بحيث ينتقل إلى ما فيه استحقاق غضب الله وعقوبته، فإنّ رحمته وغضبه يسيران في ميزان عدالته، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «و لايشغله غضب عن رحمة، ولا تولهه رحمة عن عقاب»[1].

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

(١) نهج البلاغة ٢: ١٩٥/١٦٩.

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الفاتحة:٤)

س: ما هو المراد المحتمل لمعنى ﴿مَالِكِ﴾؟

ج:

المُلك على قسمين:

(١) المُلك الاعتباري: وهو نوع خاص من الاختصاص والتميّز، وهو نوع قيام شيء بشيء يوجب صحة التصرفات فيه فقط، ويبطل ببطلان الاعتبار والوضع، وهذه هي ملكية كلّ النّاس لكلّ شيء، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران:٢٦)، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «إنّا لا نملك مع الله شيئاً، ولا نملك إلّا ما ملّكنا، فَمَتَى ملّكنا ماهُوَ أملَكُ بِهِ مِنّا كلّفنا، ومتى أخذه منّا وضع تكليفه عنّا»[1]، وعنه أيضاً: «كلّ مالك غيره مملوك»[2].

(٢) المُلك الحقيقي: وهو قيام شيء بشيء بحيث لا يستقر وجوده إلّا به، وهو نحو أجزاء وجودنا وحواسّنا بنا بصراً وسمعاً وذوقاً، وإنّ الأشياء في وجودها قائمة بوجود مالكها، غير مستقلة دونه، بل مستقلة باستقلاله، فلا يمكن استعارة بصر الباصرة مثلاً ونقله للغير بأي اعتبار، وله أن يتصرف فيها كيف يشاء، وملكية الله للأشياء هي من هذا النوع الثاني الحقيقي بحسب حقيقة

---

(١) نهج البلاغة ٤: ٩٥/٤٠٤.

(٢) نهج البلاغة ١: ١١٢/٦٥.

المُلك، بل أعلى منه؛ لأنّ ملكيّة الله لا يبطلها أي شيء من حقيقة أو اعتبار، قال تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ (طه:١١٤)، ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ﴾ (الشورى:٤٩)، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «كلّ مالك غيره مملوك»[1]، فلا ملكية حقيقية إلّا لمالك يوم الدين؛ لأنّ الكلّ مملوك له سبحانه بحقيقة المُلك.

س: ما هي المحتملات في معنى قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾؟

ج:

(١) مالك الزمن بداية ونهاية، مالك لدينه، مالك للأمر والنهي، مالك يوم الجزاء والحساب، مالك للسلطنة التكوينية والتشريعية، مالك لكلّ مالك فهو مالك الملوك والأملاك، فهو المالك المطلق، قال تعالى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (غافر:١٦).

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(٢) إبراز ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ على الرغم من أنه سبحانه مالك كل شيء؛ لأنّ في الحياة الدنيا كلّ شيء فيه يحكي عن وجوده وصانعه ومالكيته، ويوم الجزاء من عالَم الغيب يحتاج إلى إخبار منه سبحانه، فأبرز الله هذه الحقيقة عن طريق الإخبار عنها ليزرع عندنا اليقين والاستعداد لذلك اليوم الذي لا مالك سواه، وقد يكون أنّه في الحياة الدنيا أعطى الله للإنسان بعض الأسباب ولو على مستوى الاعتبار؛ للتوسل من خلالها إلى ما يروم إليه سواء استخدمها بطريقها المستوي أو الملتوي؛ لإلفات نظر الإنسان إلى ذلك اليوم الذي تنقطع فيه الأسباب والوسائط وفيه تذوب كل الفوارق وكلّ الاعتبارات، ليقف الجميع

---

(١) نهج البلاغة ١: ١١٢/٦٥.

أمام العدل الإلهي للمحاسبة والجزاء ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾(الانفطار:١٩)، ليرتقي الإنسان المؤمن في استقامته وليحذّر الملتوي على انحرافه. قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾(الزلزلة:٧ـ٨).

(٣) أنّ عبارة ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قد أغلقت الباب وكلّ طرق العباد في عبادتهم من جميع الجهات التي يتصوّر أن تكون عبادتهم لها، وحصرها بذاته المقدّسة، فما بقي للعباد عذر في عبادة مَن سواه سبحانه؛ لأنّ نهاية كلّ شيء ترجع إليه، فهو المَلِك والسيّد والمالك والحاكم الأوحد ليوم الدين لا يشاركه أي شيء أو أحد سواه، وفي هذه العبارة تحذير لكلّ العباد بألّا يتعدّوا الحدود؛ لأنّ وراءهم يوم الدين والحساب، وقد أخّر الله هذه الكلمة عن ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ لأنّ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ تشعر بالتحذير من غضب الله، ورحمته سبقت غضبه.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

س: هل هناك فائدة احتمالية تذكر في تقديم الحمد وترتّبه في قوله تعالى:
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾؟

ج:

قد ينحصر حمد الإنسان لغيره في أربعة أُمور هي:

(١) أن يستحقّ الحمد لذاته للكمالات والصفات التي يحملها من دون أن يترجّى منه عطاء وإحساناً.

(٢) أن يستحقّ الحمد لكونه متفضّلاً عليه ماضياً.

(٣) أن يستحقّ الحمد لانتظاره التفضّل عليه في المستقبل.

(٤) أن يستحقّ الحمد لخوف منه لما يمتلك من القدرة المطلقة.

هنا كأنّ الله يقول لعباده في هذا الترتيب:

أولاً: إن كنتم تحمدون الآخرين لذاتهم ومن دون انتظار لشيء منهم لما يملكون من الكمالات والصفات، فذاتي هي المطلق لكلّ الكمالات وللأسماء الحسنى، فأنا الله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

ثانياً: إن كنتم تحمدون الآخرين لتفضّلهم عليكم فأنا أولى بالحمد؛ لأنّي متفضّل عليكم قبل تفضل كلّ أحد عليكم، وإنّ ما تحسبونه تفضّلاً من الغير فهو منّي بواسطة الغير، فلا تفضّل يجري إلّا بإذني، فأنا ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

ثالثاً: إن كنتم تحمدون الآخرين لانتظاركم منهم التفضّل مستقبلاً فأنا ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ماضياً وحالاً ومستقبلاً، فمصدر التفضّل المستقبلي لا يخرج من رحمتي، فأنا ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

رابعاً: إن كنتم تحمدون الآخرين لخوف قدرة فيهم، فأنا القادر وقدرتي غلبت كلّ شيء، فأنا ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

س: ما هو موقع قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ في الروايات؟

ج:

(١) ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «قال الله عزّ وجلّ: أُشهدكم كما اعترف عبدي إنّي مالك يوم الدين، لأُسهلنّ يوم الحساب حسابه، ولأتقبلنّ حسناته، ولأتجاوزنّ عن سيئاته»(١).

(٢) ورد في خبر: أنّ الإمام الصادق عليه السلام عندما يصل إلى قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ تأخذه غشوة، وورد في خبر آخر: أنّ الإمام السجّاد عليه السلام كان إذا وصل إلى قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ كرّره، حتّى كاد يموت.

---

(١) مستدرك الوسائل ٤: ٤٥٦٢/٢٢٨.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة:٥)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

(١) إيّاك: ضمير نصب منفصل، والكاف حرف خطاب.

(٢) نستعين: طلب العون والمساعدة.

س: ما معنى التفسير الاحتمالي لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؟

ج:

(١) حصر العبادة به سبحانه؛ لأنَّ العبد هو المملوك من كلّ ذي شعور، والعبادة مأخوذة من العبد، فكأنَّ العبادة: هي نصب العبد نفسه في مقام المملوكية لربه، وكمال العبودية واستقامتها تكون تابعة فيما يمتلكه المولى من حدود وسلطة، فالمولى الاعتيادي ليس له الحقّ أن يتدخّل في لقب العبد أو في فعله الاختياري وغير الاختياري أو في الأسماء المتعلقة به أو بغيره أو في قضاء حاجاته المتوقّفة حياته عليها، فالعبد وإن كان عبداً للمولى الاعتيادي إلّا أنَّ هناك أموراً كثيرة متعلّقة بنفس العبد خارجة عن دائرة سلطة المولى الاعتيادي، أمّا الله سبحانه وتعالى هو المالك المطلق وغيره المملوك على الإطلاق، فهناك حصر من الطرفين في كمال عبودية العبد وكمال المعبود، قال تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ (مريم:٩٣).

(٢) تدبير أمر العبد وحاجته المستمرّة تستدعي الحضور الدائم للعابد والمعبود. أمّا الحضور من قبل الله فلأنه سبحانه هو المالك، والمُلك لا ينفك عن مالكه الحقيقي كما قلنا، ولا يكون حاجباً عن مالكه؛ لأنّ المملوك متقوّم به حقيقةً كما قلنا ذلك في تعريف المُلك الحقيقي سابقاً، وعليه يكون الحضور الإلهي ضرورياً مطلقاً دائماً، وهو كذلك، قال تعالى: ﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾ (البقرة:٢٥٥).

وأمّا الحضور من قبل العبد فلابدّ أن يكون له الحضور الدائم في عبادته لما يعرفه من حقّ العبودية لله ولما تفرضه الضرورة الوجدانية بحضوره الدائم مع الله من أجل أن يعرّف نفسه إليه، لا تحجزه عن عبادته الحواجز ولا تقطعه القواطع، حاضر ملتفت إليه سبحانه، فـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ هو إعلان لحضوره البدني والروحي بين يدي الله متوجهاً إليه غير ناسٍ إيّاه، مستعدّاً لأن يستجيب لكلّ أوامره، وإلاّ كيف تطلب منه الحضور وأنت لم تحضره، وكيف تريد مخاطبته وأنت لم تخاطبه، وكيف يكون لك مولى وأنت لا تعبده، وكيف تريد ألاّ ينساك وأنت لم تتوجه إليه ...وهكذا، وإلاّ تكون عبادتك صورة العبادة، قال تعالى: ﴿فَاعبدالله مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾ (الزمر:٢).

(٣) العبد المخلص يتمنّى الحضور والالتفات إلى معبوده بشكله الدائم، ويحب الإخلاص إليه في عبادته، لكنه لم يتمكن لوعيه القاصر أو لانشغاله بما حوله ولعدم إعطائه حق العبودية في فعله القائم كما يستحقها، ولهذا تجد أنّه لابد من طلب العون والمساعدة في التفاته وإخلاصه ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ غير مستقل في حصول الإخلاص كما يستحقّه الله، بل منه سبحانه يطلب ذلك؛ لأنّ مثل

هذا الطلب ليس من اختصاص أحد ولا بمقدور لأحد غيره سبحانه.

(٤) ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لا نريد منك غيرك، لا نعبدك طمعاً في عِوَض أو ردّاً عن خوف أو بأيّ دافع يدفع الجاهلون بك، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لأنك أهل للعبادة، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا شوقاً إلى جنتك، بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك»[1]، وهذا النوع من العبودية يتوصل إليه الإنسان من خلال قربه لله ومعرفته به سبحانه، فكلما عرّف الله نفسه إلينا كلما تسلقنا أعلى بمراتب العبودية إليه وكشفنا الشيء الكثير ممّا يحيط بنا، وهاهو الله يعرّف نفسه إلينا (الله)، (ربّ العالمين)، (الرحمن الرحيم)، (مالك يوم الدين)، وهانحن (إياك نعبد)امتثالاً لطلبك ووفاءً لما أمنتنا عليه من معرفة نفسك إلينا ولم نأتِ بذلك استقلالاً منّا، بل هو استعانة منك أن عرفّتنا نفسك ووفقتنا لعبادتك، ونريد الاستعانة دائمةً مستمرة في هذين الاتجاهين، فقد ورد في الدعاء «اللّهم عرّفني نفسك فإنك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف رسولك، اللّهم عرّفني رسولك فإنك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجتك ....»[2].

(٥) ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ استعمل العبد المفرد ضمير الجمع، لتشعر العبد أنه لا يختلف عن غيره أمام الله في العبودية فلا يعبد غيره سبحانه، ولاستئناس العابد بحركته العبادية المكلّفة هذه التي لم تكن غريبة، بل هي الحركة الطبيعية التي يجب على كلّ الناس الامتثال لها والالتزام بها وإن ترك الأكثر العمل بها، كما ورد ذلك: «لا تستوحشنّ طريق الحق لقلّة سالكيه»، وليكون داعية للغير إلى عبادة

---

(١) عوالي اللآلي ٢: ١١/١٨ .

(٢) الكافي ١: ٣٣٧/٥.

الله عندما يسمعها الغير منه وهو يتلفّظها، وفيها طلب خفي من العبد في قبول عبادته، حيث حشر عبادته مع عبادة الجميع لعلم العبد أنَّ عبادته المفردة مهما كانت فهي مملوءة بالتقصير والقصور، فعسى الله أن يتقبّلها لحبه سبحانه الجماعة خصوصاً في العبادة والتعبد.

(٦) ﴿إِيَّاكَ﴾ يؤكّد الإنسان بتكرارها لله عبوديته إليه واستمراريتها عنده مهما كلّفته عبوديته إليه من بذل الجهد والصبر على الشدائد آملاً منه سبحانه وتعالى أن يعوّضه من واسع عطائه ووافر جزائه وثوابه، ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «إذا قال العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، قال الله عزَّ وجلَّ: صدق عبدي، إيّاي يعبد، أُشهدكم لأُثيبنَّه على عبادته ثواباً يغبطه كلّ من خالفه في عبادته لي، وإذا قال: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، قال عزَّ وجلّ: بي استعان عبدي وانتخا إليّ، أُشهدكم لأُعيننَّه في شدائده، ولآخذنَّ بيده يوم نوائبه»[١]، ويثبت العابد النتيجة ويؤكّد بتكرارها اعترافه بمنعميته هو لا غير وطرداً لكلّ أحد سواه.

(٧) ﴿إِيَّاكَ﴾ مقدّم على العبادة وعلى الاستعانة لتقديم ما هو مقدّم على كلّ شيء وهو الله سبحانه.

(٨) ﴿إِيَّاكَ﴾ التفاتة للذات المقدّسة وحضور قلبي لها وتفاعل فكري معها، هذا ما يجب على العابد أن يصبوا إليه كما قال رسول الله ﷺ: «اعبد الله كأنّك تراه»[٢]، و﴿نَعْبُدُ﴾ التفاتة تأتي بالمرتبة الثانية؛ لأنها وسيلة للارتباط وتحديد نوعه، و ﴿نَسْتَعِينُ﴾ التفاتة ثالثة وأخيرة لأنها طلب حاجة.

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٥٨/٣٠.

(٢) إرشاد القلوب ١: ١٢٨.

(٩) ليس من الضروري أن يكون قبول الاستعانة من قبل الله هو المد المباشر، بل هي لم تكن إلّا في الحالات النادرة، باعتبار سنّة الحياة قائمة على الأسباب في جانبيها التشريعي والتكويني، فالنبوّة والإمامة والكتاب أسباب الاستعانة الموصلة إلى العبادة التي هي غاية الخلق من الإنس والجنّ، فـ ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي بك نستعين في عبادتنا كما هي وكما تريدها من خلال استعانتنا بالنبوّة والإمامة والكتاب المبين التي جعلتها أم الأسباب للوصول إلى الغاية وهي العبادة، واجعلنا مستمرّين بالاستعانة بهم، فإنّ الاستعانة بهم هي الاستعانة بك، فكلّما استعان العبد بهذه الوحدات الثلاثة كلّما ازداد عبوديّة لله.

(١٠) ﴿إِيَّاكَ﴾ بتكرارها تعطي معنى التنصيص على التخصيص، أي يجب على العبد أن يخصّص عبادته واستعانته بالله لا بغيره لاستحقاق الله ذلك وواقع الأمر الذي تفرضه العلاقة بين الإنسان وربّه.

(١١) ﴿إِيَّاكَ﴾ نعبدك بكلّ اختيارنا وليس جبراً في إرادتنا ولهذا نحن نطلب منك الاستعانة في إقامتها واستمرارها وزيادة في الشوق إليها ومعرفة الطريق إلى خالصها.

س: لماذا تقدّمت العبادة على الاستعانة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاك نَسْتَعِينُ﴾؟ اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

(١) العبادة عطاء لله لأنّها مطلوبة، والاستعانة أخذ من الله؛ لأنّ مطلوب العبادة والعطاء لله مقدّم على الأخذ منه.

(٢) العبادة ارتباط روحي مجرّد، والاستعانة لها تعلّق بالمادّة من حيث تعلّقها بنفس

الإنسان، والمجرّد أشرف فيقدّم.

(٣) العبادة ارتباط روحي مجرّد ولا يمكن للإنسان أن يأتي به مجرّداً إلّا عن طريق الاستعانة بالله، فالارتباط أصل، والاستعانة رفد وتقوية لهذا الارتباط ونوعه، وتقديم الأصل أولى.

(٤) العبادة انتساب إلى الله، والاستعانة انتساب إلى الخلق فتتقدّم العبادة لأنّها أشرف مقاماً كما هو انتساب النبي ﷺ إلى الله (وأشهدُ أنّ محمّداً عبدُهُ ورسولُه).

(٥) العبادة وسيلة إلى طلب الحاجة، والاستعانة طلب الحاجة، وتقديم الوسيلة على طلب الحاجة أولى.

(٦) جاء في حديث: إنّ المشركين كانوا يقفون أمام أصنامهم ويقولون: إيّاكم نعبد وإيّاكم نستعين، فجاءت هذه الآية لتوجّه العبودية والاستعانة إلى الله وحده.

(٧) العبادة غاية الخلق، فهي المطلوبة وهي نقطة النّهاية التي يجب أن ينظر إليها المتسابقون إلى الله، والاستعانة سبب للوصول إلى الغاية، فتقديم العبادة على الاستعانة أولى.

س: لماذا جاءت هيئة (نعبد ونستعين) بصيغة الجمع مع أنّ المتكلّم بهما هو واحد؟ اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

أنّ النص جاء من قبل الله وهو يعلم أنّ المتكلّم بها واحد، والغرض الإلهي من جعل صيغة الجمع بدل المفرد لا شك ولا شبهة أنّه من صالح العبد ورجوع الفائدة إليه، لأنّ الله هو الغني المطلق، ويمكن لنا أن نذكر بعض الفوائد الظاهرية الملموسة

ضمن الاحتمالات التالية:

(١) ألّا يصاب الإنسان بالرياء والعُجب بعبادته عندما يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ الخالية من الشعور بالأنانية قولاً وفعلاً.

(٢) ألّا يستغرب بعبادته لله، بل هو ضمن المجموعة الكونية التي كلّ عنصر من عناصرها عابدة لله ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (مريم:٩٣).

(٣) أن تكون صيغة الجمع مراعاة لنفسيّة العابد عندما يقدّم عمله العبادي بصيغة المفرد التي تشعره بقلّته ونقصانه وما يحيطه من الأوهام، فأشركه الله بصيغة الجمع لتسلب منه هذا الشعور وتضعه في موضع الحجم الكبير والأمل الواسع في القبول.

(٤) أن يُنبّه الإنسان بألّا يكون أنانياً في عبادته، بل لابدّ أن يعوّده على مشاركة الغير والاهتمام بالغير وأن يذكر الغير في كلّ خير.

(٥) أن يُنبّه الإنسان بألّا يكون لسانه فقط هو الناطق بالعبودية والاستعانة، بل يريد أن يشعره بأن يكون كلّ وجوده الظاهري والباطني يعبدالله ويستعين به، فعندما يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي يا ربّ كلّ محتواي ووجودي يعبدك ويطلب الاستعانة منك.

(٦) أن يخلّص الإنسان من الكذب حينما يعبدالله وهو في محلّ بعيد عن عبادة الله وطلب الاستعانة منه فيحشره مع الغير ليكون صادقاً دائماً فيما يقوله في عبادته واستعانته؛ لأنّ المخلصين في العبادة وطلب المعونة موجودون، فهو يحشر نفسه معهم أو يقصدهم ولو ذهنياً ليتخلّص من الكذب بصورة دائمة.

(٧) أن يجعل الله إحراز القبول لعبادة العابد في أن يقدّم العبد عبادته ضمن المجموع، فإنّ قبولها في هذه المرّة يكون أكثر إحرازاً، فهي ـ كما قالوا ـ أشبه ببيع الصفقة التي إمّا أن يقبلها المشتري جميعاً لزوماً إذا كانت كلّها صحيحة وإذا شاهد المشتري في بعضها عيباً فهو بالخيار، إمّا أن يردّها جميعاً أو يقبلها جميعاً. وحاشا لله أن يردّ بضاعة العبد الناقصة وهي صفقة مع مجموعة عبادة العباد بلطفه ورحمته وطيب كرمه.

س: ماذا قالت الروايات عن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؟

ج:

(١) ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إخلاص للعبادة، و﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أفضل ما طلب به العباد حوائجهم»[١].

(٢) ورد عن الإمام الرضا؈ أنّه قال: «﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ رغبة وتقرّباً إلى الله وإخلاصاً بالعمل له دون غيره، و﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ استزادة من توفيقه وعبادته واستدامة لما أنعم الله عليه ونصره»[٢].

---

(١) البحار ٨٢: ٢١/١٠.

(٢) علل الشرائع ١: ٢٦٠.

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة:٦-٧).

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

(١) الهدى: أ ـ الدلالة بلطف. ب ـ الرشد والرشاد. ج ـ البيان من الضلالة.

(٢) الصراط: أ ـ الطريق والسبيل. ب ـ البلع (يبلع سالكيه).

(٣) المستقيم: المعتدل الذي لا اعوجاج فيه.

(٤) الإنعام: أ ـ إيصال الإحسان إلى الغير. ب ـ ما يستلذّ الإنسان له.

(٥) المغضوب: ثوران دم القلب إرادة الانتقام.

(٦) الضلال: العدول عن الطريق المستقيم.

س: ما هي المحتملات الواردة في أهم مميزات الصراط المستقيم من خلال قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾؟

ج:

أوّلاً: أن يكون متميّزاً في وجوده، كأن يكون الصراط المستقيم له وجود مستقل تتفرع منه سبل الله المتعددة المختلفة بحسب الكمالات والاستحقاقات، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت:٦٩)، فالمؤمنون يدعون الله وهم في طريق الله أن يوصلهم إلى الطريق الرئيسي الأعلى كمالاً وقرباً بحيث لا تشملهم

سوء العاقبة وهم يريدون الوصول إليه وهو الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً﴾(النساء:١٧٥).

ثانياً: أن يكون متميّزاً بنوعية السالكين فيه من الأنبياء والأئمة والصدّيقين والشهداء، فيكون دعاء المؤمنين بالصراط المستقيم وهو حشرهم مع هؤلاء الذين أنعم الله عليهم الذين يمثلون الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾(النساء:٦٩).

ثالثاً: ألّا تكون له ميزة بل هو الجامع لكل سبل الله ودين الله وعبادة الله، فكلّ من وضع قدمه في طريق الله فقد وضع قدمه في الصراط المستقيم، فيكون دعاء المؤمنين بالصراط المستقيم هو من باب الإدامة والاستمرار بالسلوك عليه من خلال سيرهم بكلّ ما أمرهم الله به، قال تعالى: ﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾(يس:٦١)، ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾(الأنعام:١٦١)، فقد جعل كلّ واحدة من العبادة والدين الصراط المستقيم.

رابعاً: أن يكون الصراط المستقيم هو عقل الإنسان وفطرته والعلم الحاصل منهما، حيث لو استعمل الإنسان هذه الأدوات التي منحها الله الإنسان ما ضلّ ولا انحرف، بل ضمن الاستقامة في السير إلى الله، ورد عن أميرالمؤمنين(ع) أنه قال: «ولو أن العباد حين جهلوا وقفوا، لم يكفروا ولم يضلّوا »[1]، وورد عن الإمام الصادق(ع) أنّه قال: «إنّ الصورة الإنسانية ....هي الطريق المستقيم إلى كلّ خير

---

(١) غرر الحكم: ٧٦/١٢٠٠.

والجسر الممدود بين الجنة والنار»[١].

خامساً: أن يكون الصراط المستقيم هو الجسر الممدود على النار وينتهي إلى الجنة، بمعنى أنّه بعد انتهاء الحساب يذهب المحشورون جميعاً إلى طريق واحد وهو الطريق المستقيم، حيث إمّا سقوط في النار أو ذهاب إلى الجنة، فالكلّ يمرون على النار، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً﴾ (مريم:٧١)، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «الصراط أدق من الشعر وأحدّ من السيف فمنهم من يمر عليه مثل البرق، ومنهم من يمر عليه مثل عدو الفرس، ومنهم من يمر عليه ماشياً، ومنهم من يمر عليه حبواً، ومنهم من يمر عليه متعلقاً فتأخذ النار منه شيئاً وتترك شيئاً»[٢].

سادساً: أن يكون الصراط المستقيم يعني أقصر الطرق الموصلة إلى الله وأسرعها وأكثرها ضماناً وسلامة من الضياع والتيه؛ لأن الطريق المستقيم هو أقصر الطرق الذي يصل بين نقطتين، فطلب الهداية إلى الصراط المستقيم هو تعبير آخر عن طلب الوصول إلى الغاية بأسرع الطرق وأقصرها وأقلّها جهداً.

سابعاً: ذكر الصراط المستقيم وسيلة لفتح آفاق التعرّف على الذين أنعم الله عليهم لحاجة الإنسان إلى ذلك ليزداد بيّنة واطمئناناً فيما هو سائر عليه، وليزداد استعداداً للوصول إليهم، فمراقبة الإنسان نفسه فيما تعرّف عليه من شخصيات الطريق من الأنبياء والأئمة والصديقين والشهداء ومقارنة توجهاته وما هو سائر عليه مع سير وتوجهات الذين أنعم الله عليهم تختلف كثيراً عن ذلك الذي يتحرك

---

(١) شرح الأسماء الحسنى ١٢:١.

(٢) تفسير القمي ٢٩:١.

منفصلاً ومنفرداً في عقائده وعبادته عن الذين أنعم الله عليهم الذين جعلهم الله حجّة وقادة وأسوة، فعندما يقول الإنسان: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فهي دعوة إلى البحث والتعرف على الذين أنعم الله عليهم.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أنّه قال عليه السلام: «الطريق هو معرفة الإمام»[١]، وعنه أيضاً: «والله نحن الصراط المستقيم»[٢]، وعنه أيضاً: «الصراط المستقيم أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب»[٣].

فالإمام هو الموصل بالإنسان المؤمن إلى غاية الصراط ونهايته بلا تخلّف، وورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ النّاس أخذوا يميناً وشمالاً وإنّا وشيعتنا هدينا الصراط المستقيم»[٤]. وسوف نوضّح هذا المطلب بصورة أوسع في بحث الإمامة المجلّد الثالث إن شاء الله.

ثامنا: أنّ الاستقامة هي الكلمة الجامعة لجميع أحكام الله وتعاليمه وأخلاق الإنسان وهدف عمله، وجامعة لجميع كلمات العقيدة أصولاً وفروعاً، فطلب الهداية إليها طلب إلى مجامع الدين كلّه ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت: ٣٠)، وورد عن سفيان الثقفي أنّه قال: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك. قال صلى الله عليه وآله: «قل: ربي الله، ثمّ استقم»[٥].

---

(١) تفسير القمي ١: ٢٨.

(٢) كنز الدقائق ١: ٦٠.

(٣) تفسير العياشي ١: ٣٠٨/٢٨٥.

(٤) الكافي ٢: ٥/٢٤٦.

(٥) الترغيب و الترهيب ٣: ١٩/٥٢٧.

• في هداية الله

س: لماذا يطلب الإنسان الهداية من الله ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ مع أنَّ الله قد هداه إلى صراطه المستقيم من الإيمان به وبرسوله وعبادته وتلاوة كتابه؟ وضّح ذلك من خلال توضيحك لأقسام الهداية.

ج:

الهداية من الله على قسمين:

الأولى: الهداية التكوينية

وهي على نوعين:

(١) الهداية التكوينية العامّة

وهي مجموعة العناصر الأوليّة المكوّنة من قبل الله في كل مخلوق لهداية المخلوق في الانقياد إليه ولدفع المخلوق الضرر عنه واكتساب النفع إليه من دون دخل للمخلوق في إيجادها، كالمَلَكَة في الملائكة والفطرة في الإنسان والغريزة في الحيوان والتسخير في الجمادات والنامية في النبات ... إلى آخره، قال تعالى: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾(طه:٥٠)، ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾(الإنسان:٢-٣)، ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(هود:٥٦)، ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾(طه:٧٢)، ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَتَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ..﴾(الإسراء:٤٤).

ومن جملة صفات هذه العناصر أنّها من العناوين المتواطئة التي لا تتّصف بالشدّة والضعف ولا تتخلّف عن أداء دورها، ولكن يمكن حجبها بحجب

خارجيّة يحجبها عن أداء دورها. ففطرة الإنسان كما هي في ذاتها في جميع أفراد الإنسان من دون تفاوت في وجودها ووظيفتها، ولكن بعض الذنوب يكون حاجباً ومانعاً عن أداء وظيفتها، فالتناسب العكسي بين عطاء وفاعلية الفطرة والذنوب لا يرجع إلى ذات الفطرة وفاعليتها، بل للذنوب والحجب التي تحيط بالفطرة، فالفطرة في الإنسان كالشمس في السماء، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(الروم:٣٠).

(٢) الهداية التكوينية الخاصّة

وهي مجموعة العناصر الأوّلية المكوّنة من قبل الله في خصوص الإنسان لهداية الإنسان لخالقه، ولدفع الضرر عنه واكتساب النفع إليه من دون دخل للإنسان في إيجادها، ويتمّ توزيع العناصر التكوينيّة الخاصّة على قسمين:

أ) ـ الاتّجاه العام، أي لجميع أفراد الإنسان، كالنفس والعقل، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾(الشمس:٧ ـ ٨)، ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾(النجم:١١)، ومن جملة صفات هذه العناصر كسابقتها من عناصر الهداية التكوينيّة العامّة في أنّها تبقى ثابتة في ذاتها ووظيفتها كما أرادها الله أن تكون، وإنّ الإنسان بإمكانه أن يؤثّر على عطائها بوضع الحجب عليها، فبإمكان الإنسان أن يضع حاجباً أمام فجور النفس ليظهر فاعليّة التقوى وبالعكس، وبإمكانه أن يضع الحواجز والحجب أمام العقل ليكون كالأنعام بل أضل سبيلاً. ورد عن الإمام الصادق عليه السلام عندما سئل عن قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ

﴿بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ أنّه قال: «يحول بينه وبين أن يعلم أنَّ الباطل حقّ»[١].

ب) الاتّجاه الخاص، أي لبعض أفراد الإنسان، ومثالها النبوغ العقلي الذي يمتلكه بعض أفراد الإنسان، أو النبوّة أو الإمامة أو العصمة التي يمتلكها بعض أفراد الإنسان، ففيها يكوّن الله عناصر الهداية في ذلك البعض خاصة لتهديهم إلى العصمة أو النبوّة أو الإمامة، ومن جملة صفات هذه العناصر:

(١) أنّها كسابقتها من عناصر التكوين في أنّها بذاتها ووظيفتها تهدي الإنسان إلى غاياتها حتماً مع إمكان الإنسان أن يستثمر فعّالية هذه العناصر أو لا يستثمرها، ولكن الذي زوّد بهذه العناصر سائر دائماً في استثمارها، أي المعصوم بإمكانه أن يعصي ولكنّه لا يعصي لأنّه محافظ على مقوّمات العصمة وعناصرها، والنبيّ والإمام كذلك.

(٢) أنَّ هذه العناصر والمقوّمات التكوينيّة تمتلك من القابليّة بحيث تهدي النبي أو الإمام إلى أقطار السماوات والأرض، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً»[٢]. أمّا ما هي تلك العناصر والمقوّمات؟ فهذا ما سيأتي البحث عنه في بحث الإمامة والعصمة في المجلّد الثالث إن شاء الله.

الثانية: الهداية التشريعية

وهي مجموعة العناصر التي شرّعها ورسمها الله وجعلها من أجل الإنسان وتنظيم حياته، والذي من خلال سلوكه والتزامه فيها يهتدي الإنسان إلى السعادة

---

(١) المحاسن ١: ٢٠٥/٢٣٧.

(٢) إرشاد القلوب ٢: ٢١٢.

وتسلّق درجات رفعته وكماله والتقرّب إليه سبحانه، وهذه الهداية على نوعين:

(١) الهداية التشريعية العامّة:

وهي مجموعة العناصر التي جعلها الله للإنسان لهدايته إلى إراءة الطريق الحق أو الوصول إليه من دون دخل لاختيار الإنسان في إيجادها، كنزول الملائكة والكتب والرسل وبعث الأنبياء والأوصياء والأئمّة سلام الله عليهم أجمعين.

(٢) الهداية التشريعية الخاصّة

وهي إراءة الطريق إلى الله والوصول إليه وإلى دينه من قبل الله مع دخل لاختيار الإنسان في تحصيل الهداية وطلبها، فإنّ الله جعل استعمال عناصر الهداية التكوينيّة بنوعيها والتشريعيّة العامّة تحت اختيار الإنسان، فهدايته للنجدين أن يختار الهدى أو الضلال،وهدايته للأنبياء أن يصدّق أو لا يصدّق، وأن يستعمل الفطرة والعقل في مجالهما أو يسيئ استعمالهما ويحرفهما عن مسارهما، فاختيار الإنسان محفوظ في كلتا الحالتين الصحيح والخطأ وفي جميع العناصر التي أودعها الله فيه، واختيار الصحيح وإراءة طريق الحق والوصول إليه يحتاج فيه الإنسان إلى الطلب والكسب في تحصيله وإلى توظيف جميع عناصر الهداية التكوينيّة العامّة من الفطرة والخاصّة من العقل في البحث عن الحق والحقيقة للوصول إليه المتمثّل والمنحصر بالالتزام بالعناصر التشريعيّة العامّة من الايمان والتصديق بأنبيائه وكتبه وأوصيائه والأئمّة، لدخل إرادة الإنسان واختياره في الحصول عليها﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾(الإنسان:٣).

ورد عن الإمام الصادق﵇ عندما سئل عن هذه الآية أنّه قال: «عرّفناه إمّا آخذاً

وإمّا تاركاً»(١) . ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ (فصلت:١٧).

فإذا وظّف الإنسان العناصر التكوينيّة على ما هي عليه والتزم بالعناصر التشريعيّة العامّة واهتدى إليها على ما هي عليه فقد حصل على العناصر التشريعيّة الخاصّة وهي إراءة طريق الحق والوصول إليه، وكلّما تعمّق في الأولى أكثر من ناحية الإيمان والتصديق والالتزام الفكري والعملي كلّما حصل على رؤية أعمق ومنزلة أقرب ووصول إلى الغاية أسرع، وهذا هو معنى الهداية المباشريّة الحتميّة من الله للإنسان الذي يريد طريق الهداية ويسعى إليها سعيه ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة:٢١٣)، ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة:١٦)، وبعد حصول الإنسان على هدى الله من قبل سعيه وتوفيق الله له والفوز به يبقى الإنسان المهتدي يطلب الهداية باستمرار من الله ويكرّر طلبها عليه، وذلك لبعض الأسباب التالية:

(١) لأجل طلب الزيادة في الهدى.

(٢) لأجل طلب الثبات على الهدى والاستمرار به.

(٣) لأجل الحصول على المراتب العليا التي تترتّب من وراء الهدى، فإنّ للإنسان حقّ طلب أيّ مرتبة من الهداية وإن لم يكن حاصلاً عليها عسى أن ينال توفيق الله لذلك، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «مَن انتصح لله واتّخذ قوله دليلاً هداه للتي هي أقوم، ووفّقه للرشاد، وسدّده ويسّره للحسنى»(٢).

---

(١) التوحيد: ٤/٤١١.

(٢) الكافي ٨: ٥٨٦/٣٨٩.

(٤) لأجل الوصول إلى غاية الطريق ونقطة النهاية.

(٥) لأجل بيان صدقه وإخلاصه بإظهار إلحاحه بطلب الهداية، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «إنّ الله تبارك وتعالى الحليم العليم إنّما غضبه على مَن لم يقبل منه رضاه، وإنّما يمنع مَن لم يقبل منه عطاه، وإنّما يضلّ مَن لم يقبل منه هداه»[1].

س: قالوا: (إنّ في الهداية التكوينيّة لا تتخلّف النتيجة ولا علاقة لإرادة الإنسان فيها)، فما هو جوابكم على ذلك؟

ج:

من خلال التقسيم الذي عرضناه وأدلّته يتوضّح الخلط الذي وقع به القائلون بين المقدّمات والنتيجة والهادي والمهتدي وبين الهداية التكوينيّة والإرادة التكوينيّة لله التي سيأتي البحث عنها في تقسيمات الإرادة الإلهيّة في المجلّد الثالث سورة البقرة آية ١١٧ إن شاء الله.

س: وضّح مختصِراً مجموع عناصر الهداية المختصّة بعامّة الناس مع الدليل على أنّه عنصر من عناصر الهداية.

ج:

لاشك أنّ مصدر الهداية الأول والأخير هو الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ...﴾(الإنسان:٣)، ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(البقرة:٢١٣)، وورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «هدى الله أحسن الهدى»[2]. وورد عن العبّاس بن

---

(١) الكافي ٨: ٥٢/١٦.

(٢) غرر الحكم: ٩٤/١٦٦١.

هلال أنّه قال: سألت الرّضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ فقال: «هادٍ لأهل السماء وهادٍ لأهل الأرض»(١)، ولكن من باب اللطف الإلهي وفضله أن وفّر العناصر الأولية التي تضع الإنسان في طريق هدايته إليه سبحانه، وهي:

الأولى: ما لا يحتاج الإنسان إلى بذل جهد في السير فيها والحصول عليها لوجودها فيه تكويناً، كالعقل ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة:٢٤٢)، والفطرة ﴿إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ (الزخرف:٢٧)، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «أيّها المخلوق السوي، والمنشأ المرعيّ في ظلمات الأرحام ....ثمّ أُخرجت من مقرّك إلى دار لم تشهدها، ولم تعرف سبل منافعها، فمَن هداك لاجترار الغذاء من ثدي أُمّك، وعرّفك عند الحاجة مواضع طلبك وإرادتك»(٢).

الثانية: ما يحتاج إلى اكتساب وبذل جهد لحصول الإنسان عليها، منها:

(١) السعي إلى الإيمان بالله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ (التغابن:١١).

(٢) الالتزام بالأنبياء والأئمة عليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (الأنبياء:٧٣)، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «اقتدوا بهدي نبيّكم فإنّه أفضل الهَدي، واستنّوا بسنّته فإنّها أهدى السُّنن»(٣)، وعنه أيضاً وهو يصف الرسول صلى الله عليه وآله: «فهو إمام مَن اتّقى، وبصيرة مَن اهتدى»(٤)، وعنه أيضاً

---

(١) الكافي ١: ١١٥/٤.

(٢) نهج البلاغة ٢: ٦٧/١٦٣ .

(٣) نهج البلاغة ١: ٢١٦/١١٠ .

(٤) نهج البلاغة ١: ١٨٥/٩٤ .

وهو يبيّن دور الإمام في الهداية أنّه قال: «بنا اهتديتم في الظلماء، وتسنّمتم ذُروة العلياء»(١)، وعنه أيضاً: «هُدي مَن سلّم مقادته إلى الله ورسوله وولي أمره»(٢).

(٣) الالتزام بالمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر:٣٨)، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «رحم الله امرأً سمع حكماً فوعى، ودُعي إلى رشاد فدنا، وأخذ بحجزة هاد فنجا»(٣)، وورد عن سماعة عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: قلت له: قول الله عزّ وجلّ: ﴿مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾ قال: «مَن أخرجها من ضلال إلى هُدى فكأنّما أحياها، ومَن أخرجها من هدى إلى ضلال فقد قتلها»(٤).

(٤) الالتزام بالقرآن، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة:٢)، ورد عن يوسف بن عبد الرحمن رفعه إلى الحارث الأعور أنّه قال: دخلت على أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقلت له: يا أمير المؤمنين، إنّا إذا كنّا عندك سمعنا الذي نسدّ به ديننا، وإذا خرجنا من عندك سمعنا أشياء مختلفة ومغموسة لا ندري ما هي قال عليه السلام: «أو قد فعلوها؟». قال : قلت: نعم، قال عليه السلام: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أتاني جبرئيل فقال: يا محمّد، ستكون في أمّتك فتنة، قلت: فما المخرج منها؟ فقال: كتاب الله فيه تبيان ما قبلكم من خبر، وخبر

---

(١) نهج البلاغة ١: ٤/٣٨ .

(٢) غرر الحكم: ١٦٤٧/٩٤ .

(٣) غرر الحكم: ١٦٥١/٩٤ .

(٤) الكافي ٢: ١/٢١٠ .

ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، مَن ولّاه من جبّار فعمل بغيره قصمه الله، ومَن التمس الهدى في غيره أضلّه الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، لا تزيغه الأهواء ولا تلبسه الألسنة، ولا يخلق على الرد، ولا ينقضي عجائبه ولا يشبع منه العلماء، هو الذي لم تكنّه الجن إذ سمعته أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾، مَن قال به صدق، ومَن عمل به أُجر، ومَن اعتصم به هدي إلى الصراط المستقيم، هو الكتاب العزيز الذي ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾»[1].

س: لماذا لم يجمع الله طرق الهداية من الكتاب والأنبياء والأئمّة وغيرها ويجعلها طريقاً واحداً؟

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

ج:

أنّ كلّ طريق من هذه الطرق له معطياته وتأثيره الخاص به، في الوقت الذي يكون كلّ واحد مكمّلاً للآخر ويسير في طوله، وإنّه يشبع حاجات الإنسان المختلفة على طول وجوده وحياته ومختلف المشاكل الفكرية والعقائدية التي يواجهها، فالقرآن والعقل وأقوال الأنبياء والأئمّة وأفعالهم كلّها طرق هداية تصبّ في سبيل الله ونيل هدايته، ولكن معطيات كلّ واحد تختلف عن الآخر فهو يهدي في مجاله ومورده الذي خصّصه الله له.

فمثلاً: الفطرة هي القوّة والطاقة الكامنة في الإنسان التي تهديه إلى التكامل وتدفعه إلى تسلّق درجاته من دون الوقوف على حدّ معيّن من درجاته ومن دون

---

(١) تفسير العياشي ١: ٣/٢.

تحديد لمصاديقه. والعقل يهدي إلى الحسن والقبح في الشيء لإدراكه لهما لا بصورة تامّة، ولهذا يحتاج دائماً إلى مرشد من الشرع، والنبي يرشد الإنسان إلى طريق الحق وتحديد مصاديقه من خلال تجسيده العملي، والإمام يوصل الإنسان ويضعه على طريق الحق من خلال ولايته التشريعيّة والتكوينيّة، والكتاب يهدي إلى كلّ مصاديق الحق بما يحمله من الحق جلّ جلاله ... إلى آخره.

س: قالوا: (حسبنا كتاب الله؛ لأنّ فيه تبياناً لكلّ شيء، فهو مصدر الهداية الأوّل والأخير لتشريع الله وإلى مراده في القضايا الأُخرى)، فما هو جوابكم على هذا القول؟

ج:

(١) أنّها كلمة حقّ يراد بها باطل؛ وذلك لأن في آيات القرآن المحكم والمتشابه، ففي عصر نزول القرآن الذي هو العصر الذهبي لفهم اللغة العربيّة كان الأوائل يحفظون النص القرآني ولم يفهموا منه إلّا المعنى اللفظي للمفردات، فكانوا يأتون إلى النبيّ ﷺ فيشرح لهم ما أُبهم عليهم، وحاجتنا نحن إلى الرسول ﷺ في توضيح القرآن أولى وأكثر لابتعادنا عن عصر النص.

هذا بالإضافة إلى فِرَق المسلمين المتعدّدة حيث لم يكن القرآن كافياً في هدايتهم إلى الوحدة وفي اتّفاقهم على كثير من المسائل الشرعيّة في الفكر والسلوك والأحكام، فلو كان (حسبنا كتاب الله) كافياً لكنّا على غير هذه الحالة من التبعثر والاختلاف، ولهذا احتجنا إلى قرآن ناطق يفسّر لنا القرآن الصامت الذي من خلال سلوكه وقوله وتقريره يتمّ تفسير المفهوم أو تشخيص مصداقه أو تجسيده عمليّاً ليكون كفيلاً في وحدة الفهم لجميع المسلمين، فإذا كان

القرآن الذي بين الدفّتين يمثل النظرية الإسلاميّة فرسول الله ﷺ والإمام يمثّلان التطبيق. ولهذا ورد الحديث المتواتر عن الرسول ﷺ أنّه قال: «إنّي تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا من بعدي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[1].

(٢) إذا كان المقصود من كلمة (حسبنا) أي يكفينا الكتاب وحده فلا حاجة إلى مَن يبيّنه لنا، فإنّها كلمة اجتهاد في مقابل النص التي لا يجوز الالتزام بها، وإنّها مخالفة صريحة لقول الله من جانبين:

الأوّل: يقول الله: إنّ مِن مهمّة الرسول ﷺ الرئيسيّة أنّه مبيّن لكتاب الله ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾(النحل:٤٤)، ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(النحل:٦٤) فحذف مهمّة التبيان من الرسول ﷺ اجتهاد في مقابل النص، وإنّ ما بيّنه الرسول ﷺ حجّة في حياته وما بعد مماته، وهذه المهمّة كما هي للنبي فهي للإمام.

الثاني: يقول الله: إنّ هذه الحاجة في فَهم القرآن والوصول إلى حقيقة المعنى موجودة ومستمرّة ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾(آل عمران:٧)، ولا

---

(١) مناقب أمير المؤمنين ﷺ ٢: ١١٣.

نعني بهذه الحاجة أنّها في كلّ آيات الله حتّى الصريحات التي لا تحتاج إلى مراجعة أحد.

س: ما هي المحتملات الواردة في تفسير قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّين﴾؟

ج:

(١) (المغضوب عليهم) هم اليهود، و(الضالين) هم النصارى، ورد عن الرسول ﷺ في قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ أنّه قال: «أرشدنا غير دين هؤلاء الذين غضبت عليهم وهم اليهود، ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ وهم النصارى»[١].

(٢) المغضوب عليهم هم الذين عصوا الله بأعمالهم، و(الضالين) هم الذين عصوا الله باتخاذهم النظريات المنحرفة الضالّة.

(٣) المغضوب عليهم هم الضالّون المصرّون على تضليل غيرهم، و(الضالّين) هم غير المصرين على ذلك.

(٤) في هذا القول شاهد على عصمة الذين أنعم الله عليهم، حيث لم يكونوا من المغضوب عليهم ولا من الضالين ولو للحظة في حياتهم، فهم آمنون من الضلال والغضب مطلقاً ومن جميع الجهات. فالذي يريد أن يتعرّف على الذين أنعم الله عليهم من خلال هذا الاحتمال يجب أن يبحث عن مجموعة المعصومين لا مطلق الصدّيقين والشهداء والصالحين.

(٥) من رحمة الله العامّة أنّه ينزل النعم والعطايا لكلّ النّاس، ومن جملة طرق نزول النعمة يوجد طريق خاص وهو الزيادة في الرزق والعطاء. ولهذا الطريق غاية

---

(١) الدر المنثور ١: ٩.

خاصّة كذلك وهو زيادة المرزوقين في الإثم كما هو رزق المغضوب عليهم والضالين والإنعام عليهم، قال تعالى: ﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ (آل عمران:١٧٨)، فدعاء المؤمنين (غير المغضوب عليهم ولا الضالّين) أي غير الصراط الذي تنعم من خلاله على المغضوب عليهم والضالين بحيث لا يزدادون إلّا تمرّداً عليك وابتعاداً عنك وسخطاً لأوليائك وقرباً لأعدائك وبالتالي هم لا يزدادون إلّا إثماً، بل نطلب صراط الذين أنعمت عليهم وما يزيدهم إنعامك عليهم إلّا رضاك وهدايتك وطاعتك ونيل ثوابك.

س: لقد ورد في الأحاديث الشيء الكثير في فضل سورة الفاتحة، اذكر بعضاً منها.

ج:

(١) ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «أفضل سورة أنزلها الله في كتابه هي الحمد أمّ الكتاب، وإنّها شفاء من كلّ داء»(١).

(٢) ورد عن الإمام الصادق ﷺ أنّه قال: «اسم الله الأعظم مقطّع في أم الكتاب»(٢).

(٤) ورد في الحديث القدسي: «وأعطيت لك ولأمّتك كنزاً من كنوز عرشي، فاتحة الكتاب»(٣).

(٥) ورد عن الإمام الصادق ﷺ أنّه قال: «رنّ إبليس أربع رنّات، أولهنّ يوم لعن وحين أُهبط إلى الأرض وحين بعث محمّد ﷺ على حين فترة من الرسل

---

(١) تفسير العياشي ١: ٢٠/٩.

(٢) وسائل الشيعة ٦: ٣٨/٧٢٨٤.

(٣) علل الشرائع ١: ١٢٨/٣.

وحين نزلت أُمّ الكتاب»[١].

(٦) ورد عن الإمام الحسن عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «مَن قرأ سورة فاتحة الكتاب أعطاه الله تعالى بعدد كلّ آية نزلت من السماء فيجزي بها ثوابها»[٢].

(٧) ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنّه قال: «يا جابر، ألا أُعلّمك أفضل سورة أنزلها الله تعالى في كتابه، قال: بلى علّمنيها يا رسول الله، فعلّمه الحمد»[٣].

(٨) ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنّه قال: «لا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب»[٤]، وبيان الرسول صلى الله عليه وآله هذا يكفي في بيان أهميّة قراءة أُمّ الكتاب والسبع المثاني.

س: لماذا جعل الله قراءة فاتحة الكتاب هي الثابتة في ركعتي كلّ صلاة؟ اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

(١) الهدف المشترك بينها وبين غيرها من السور هو أنّ الفاتحة من القرآن والقارئ لها قارئ للقرآن، وبهذا يكتسب القرآن حركيته وحياته يومياً من خلال المصلّين وبأوسع دائرة في العالَم، ولا يكون القارئ لها مصداقاً لمَن اتّخذ القرآن مهجوراً.

(٢) الهدف الخاصّ بها، أنّ الفاتحة تحتوي على جُلّ المعاني التي تشمل أُصول الدين بصورة تكتشف الوضوح من إجمالها، وتظهر العلاقة بين العبد وربّه، وتكشف ما يحتاجه العبد من اللغة التي يناجي بها ربّه بصورة مستمرّة بشكل

---

(١) الخصال ١: ١٤١/٢٦٣.

(٢) الأمالي للصدوق: ٢٦١.

(٣) وسائل الشيعة ٦: ٧٨١٣/٢٣٢.

(٤) مستدرك الوسائل ٤: ٤٣٦٥/١٥٨.

موجز مِلؤه التفصيل في صور المعاني العالية التي ترتسم في ذهـن القـارئ. وبعبارة أُخرى: أنَّ الفاتحة تشمل كلَّ ما يجمعه القرآن فـي العـقيدة بـصورة إجمالية.

(٣) هناك أمر إلهي في التدبّر بآيات الله، فالعبد يحرز امتثال هذا الأمر من خـلال تكرار سورة كاملة واحدة شاملة جهات البحث عشر مرّات في اليوم على أقل تقدير.

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

سورة البقرة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: ١ـ٥)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيات؟

ج:

(١) الٓمٓ: من الحروف المقطّعة التي مرّ البحث عنها.

(٢) ذلك: اسم إشارة يُستعمل للبعيد وللقريب، وللبعيد أكثر استعمالاً.

(٣) الكتاب: أ ـ الجمع، كتبت الشيء إذا جمعته، وسُميت الكتيبة من الجنود لاجتماعها. ب ـ المكتوب، ويطلق على ضم الحروف بعضها إلى بعض فيكون الأصل في الكتابة النظم بالخط. أو يطلق على المنظوم عبارة قبل أن تنظم حروفه التي يتألف منها في الخط تسمية بما يؤول إليه مع المناسبة.

(٤) الريب: أ ـ الشك، وهو تساوي طرفي النفي والإثبات من دون ترجيح لأحدهما. ب ـ الشك المريب، وهو اضطراب النفس المثير لتشكيكها. ج ـ أدنى مراتب الشك، وهو الجزء المانع من الوصول إلى درجة اليقين.

(٥) التقوى: أ ـ الخوف والحذر. ب ـ الوقاية والصيانة. ج ـ الحجز والمنع، فالمتقي: من تَلبّس بالتقوى.

(٦) الذين: اسم موصول للجمع العاقل.

(٧) الإيمان: أ ـ الأمن من الخوف. ب ـ تمكّن الاعتقاد في القلب. ج ـ التصديق الجازم، فالمؤمن: من تَلبّس بالإيمان.

(٨) الغيب: أ ـ المعنى العام، وهو مطلق الغيب فهو الله سبحانه وتعالى ب ـ المعنى الخاص، ما يقابل الشهادة، فينطبق على كل ما لا يقع تحت الحِس.

(٩) القيام: أ ـ الدوام. ب ـ الثبوت. ج ـ الإتيان. د ـ الظهور. هـ ـ الاستواء والاعتدال.

(١٠) الصلاة: أ ـ الدعاء. ب ـ اللزوم. ج ـ الرحمة. د ـ الارتباط والصلة. هـ ـ النار، صليت العصا أي قومتها بالنار.

(١١) الرزق: أ ـ العطاء الجاري. ب ـ مطلق النفع.

(١٢) الإنفاق: أ ـ الإخراج. ب ـ النفاد.

(١٣) الآخرة: وهو يوم القيامة، وسمي بذلك إمّا من (الآخر) أي ما بعد الدنيا، أو من (الأخير) حيث المثوى الأخير للإنسان.

(١٤) اليقين: التصديق بقضية من القضايا بحيث لا يشوبها شك، فهو العِلم والقطع.

(١٥) أولئك: اسم موصول لجمع العاقل.

(١٦) الفلاح: أ ـ الظفر وإدراك البغية. ب ـ الشقّ. ج ـ الفوز والنجاة.

س: هل (الكتاب) اسم شخصي ذاتي استقلالي للقرآن؟ اذكر المحتمل من الجواب.

ج:

كلا، لا يوجد اسم شخصي ذاتي للقرآن.

س: لماذا لا يوجد اسم شخصي ذاتي استقلالي للقرآن؟

ج:

لعل ذلك يرجع إلى:

(١) عدم وجود موضوع واحد جامع للقرآن بحيث يكون الاسم حاكياً عنه ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل:٨٩).

(٢) أسلوب القرآن لا يهتم بالاسم بقدر ما يهتم بالمضمون، ولهذا تجد القرآن لا يذكر أسماء الكتب السماوية ولا الأنبياء إلّا قليلاً نسبةً إلى عددها الكثير.

س: لقد ذكر القرآن أسماء كثيرة له، فما معنى هذه الأسماء العديدة للقرآن؟

ج:

إنّها صفات له وليست أسماء شخصية ذاتية استقلالية له، وبمعنى آخر أنّ ذكر أسماء الصفات للقرآن وضعها سبحانه لما يُراد من القرآن وللمهمّة التي يقوم بها، فسُمّي القرآن ليراد منه القراءة، وسُمّي بالهادي لأنّه مركز الهداية للإنسان، وسُمّي الكتاب لأنّه مجموع بين غلافين ...وهكذا.

س: هل بالإمكان ذكر صفات القرآن التي وردت في القرآن؟

ج:

لقد ذكر القرآن ست وثلاثين صفة أو أكثر وهي:

١ـ الكتاب ٢ـ البرهان ٣ـ الحكم ٤ـ النعمة ٥ـ الشفاء ٦ـ النذير ٧ـ الحكمة ٨ـ

القرآن ٩ـ العظيم ١٠ـ الذكر ١١ـ البصائر ١٢ـ المهيمن ١٣ـ الحديث ١٤ـ الحكيم ١٥ـ الفرقان. ١٦ـ العزيز ١٧ـ الموعظة ١٨ـ الرحمة ١٩ـ التنزيل ٢٠ـ الفصل ٢١ـ المبين ٢٢ـ الكريم ٢٣ـ النور ٢٤ـ الحق ٢٥ـ الهدى ٢٦ـ النجوم ٢٧ـ البيان ٢٨ـ الصراط المستقيم ٢٩ـ الروح ٣٠ـ المبارك ٣١ـ الهاد ٣٢ـ القيم ٣٣ـ الحبل ٣٤ـ التبيان ٣٥ـ البشير ٣٦ـ المثاني.

س: لقد طرحت عدّة محتملات للمراد من ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ عَدّد ذلك؟

ج:

(١) إشارة إلى القرآن الذي بين أيدينا.

(٢) إشارة إلى ذلك الكتاب الذي وعد الله به رسوله عند مبعثه ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ (المزمل:٥).

(٣) إشارة إلى أمّ الكتاب الذي عند الله سبحانه ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (الزخرف:٤).

(٤) إشارة إلى ذلك الكتاب الذي كان الأنبياء يطلبونه بالفطرة الاستكمالية عندهم لتكميل النفوس الإنسانية.

(٥) إشارة إلى ذلك الكتاب الذي أخبر الأنبياء المتقدمون بأن الله سبحانه سينزّله على النبي المبعوث من ولد إسماعيل.

(٦) إشارة إلى تلك المعاني العالية التي تحملها الأحكام والقصص والعلوم المختلفة للقرآن، فذلك الكتاب أي ذلك الكتاب العظيم العالي الرفيع المستوى، كما هي الإشارة إلى عظمة الله في قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (الشورى:١٠).

(٧) إشارة إلى الحروف المقطّعة ﴿الٓمٓ﴾ وغيرها ممّا ذُكرت في القرآن.

والجامع لهذه المحتملات التي ذكرت لا تخرج عن أنّ المراد من ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ هو القرآن العظيم.

س: ما هو مجموع الكتب السماوية التي نزلت على الرسل؟

ج:

قد يكون مائة وأربعة كتب سماويّة اعتماداً على ما ورد عن أبي ذرّ رضي الله عنه أنّه قال: قلت يا رسول الله، كم أنزل الله من كتاب؟ قال ﷺ: «مائة وأربعة كتب، أنزل الله على شيث خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشرين صحيفة، وأنزل التّوراة والإنجيل والزبور والفرقان»[1].

س: ما هي أسماء صفات الكتب السماوية التي ذكرها الله في القرآن؟

ج:

(١) الصحف، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ (الأعلى:١٨-١٩)، لصحف هي الصفة البارزة لكتاب إبراهيم وإدريس وشيث عليهم السلام، لأنّها لم تجمع بل بقيت صحفاً متفرّقة.

(٢) الزبور، قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً﴾ (النساء:١٦٣)، ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ (الشعراء:١٩٦)، وسُمّي بالزبور إمّا لكونه قد كتب على قطع حديدية كبيرة، وإمّا لكونه خالياً من الأحكام الشرعية، وإمّا أنّه عبارة أُخرى عن الكتاب ولكن لا يطّلع عليه أحد أو لا يفهمه كلّ أحد.

---

(١) البحار ١١: ٣٢/٢٤.

(٣) التوراة، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى﴾ (المائدة:٤٤)، هي نفسها صحف موسى وألواحه، وإنما سُمّيت ألواحاً لكون أوّل نزولها كانت مكتوبة على ألواح خشبية أو غيره، ثمّ نقلت إلى صحف من القماش أو الجلد، ثمّ جمعت فصارت كتاباً.

(٤) الإنجيل، قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ (المائدة:٤٦)، وهو الكتاب الذي أنزله الله على النبي عيسى عليه السلام.

(٥) القرآن، قال تعالى: ﴿الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ (البقرة:١٨٥)، وهو الكتاب الذي أنزله الله على خاتم الأنبياء محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله.

س: ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ هل هو إخبار عن واقع القرآن بأنّه لا ريب ولا ترديد فيه، أم هو إنشاء لما ينبغي للإنسان أن يكون على يقين وثبات قلبي بالقرآن فلا يشك فيه؟ اذكر المحتمل من الجواب.

ج:

شمولية نفي الريب لكلتا الحالتين وذلك:

(١) مجيء (لا) التي تفيد نفي جنس الريب.

(٢) مجيء الريب نكرة ﴿رَيْبَ﴾ فلا شَكَّ فيه بذاته، ولا ينبغي للقارئ أن يراوده الشك فيه لعدم وجود أي خلل فيه يدعو للشك بالحقائق التي يحملها وعمق معانيه وبيان ألفاظه، كلّ مَن يطّلع عليه يراه فوق كلام المخلوق.

س: ﴿هُدًى﴾ ما هو معنى الهداية وماهي مصادرها؟

ج:

راجع بحث الهداية في سورة الفاتحة آية ٦.

س: إلى كم قسم وبأيّ لحاظ يقسّم الله الناس في هذه الآيات الأُولى؟ وضّح ذلك.

ج:

هذا التقسيم الذي قسّم الله فيه الناس تقسيماً أولياً إجمالياً بلحاظ إيمانهم بالله وارتباطهم به، فهو سبحانه وتعالى قسّم الناس إلى ثلاثة أقسام:

(١) المتقون الذين يمثّلون حالة الاستقرار الإيجابي لارتباطهم بالله وإيمانهم به قولاً وقلباً و عملاً.

(٢) الكافرون الذين يمثلون حالة الاستقرار السلبي لعدم ارتباطهم بالله وجحودهم به قولاً وقلباً وعملاً.

(٣) المنافقون الذين يمثلون حالة التذبذب بين الحالتين فهم قولاً وعملاً ظاهرياً مع المتقين وقلباً وعملاً واقعياً مع الكافرين.

س: في توزيع الآيات على التقسيم الثلاثي هذا نرى أنّ حصة المنافقين من الآيات أكثر، فما هي الحكمة المحتملة في ذلك؟

ج:

أوّلاً: لعلّ الحكمة من ذلك هي في الوضوح والخفاء الذي تتبناه الأطراف الثلاث من منهجية وحركة في الحياة، فالمتقون والكافرون يشتركون في الإعلان فيما يتبنونه فلا يحتاج الإنسان في تشخيصهم إلى بذل جهد، بعكس شخصية المنافق الذي يخفي شيئاً ويظهر شيئاً آخر ممّا يجعل تشخيصه أمراً صعباً، ولهذا يحتاج الإنسان المؤمن إلى المزيد من الأمثلة وإلى المزيد من التطلّع إلى مواقفهم ودوافعهم حتى ترتكز في ذهنه أعمدة المتغيرات التي يتحرّك المنافق من خلالها.

ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «إنّي لا أتخوف على أُمّتي مؤمناً ولا مشركاً، أمّا المؤمن فيحجزه إيمانه، وأمّا المشرك فيقمعه كفره، ولكن أتخوف عليكم منافقاً عالم اللسان يقول ما تقولون ويعمل ما تنكرون»(١).

ثانيا: لعلَّ الحكمة أنَّ المؤمن كثيراً ما يلتقي بصفات المنافقين في أثناء حركته في الحياة، فهو معرّض للعصيان، ومعنى العصيان أنَّ المؤمن قد يكذب وقد يزني وقد يسرق وقد يمكر وقد يستهزئ، وغيرها من المعاصي التي تبعده عن الله وتجعل وجود إيمانه وعدمه على حدٍّ سواء من الناحية العملية، ومن جملة الرادع الذي جعله الله للمؤمن أن يفصِّل مثل هذه المعاصي ويجعلها في المنافقين لتجعل الإنسان المؤمن يعيش حالة القرب من المنافقين في فكره عند ارتكابه للمعصية فيرتدع؛ لأنَّ المؤمن لا يرضى لنفسه أن يكون منافقاً ولا يرضى على غيره أن يقول له: أنت أصبحت منافقاً بعصيانك هذا، ولهذا تجد الروايات الكثيرة التي تجعل المؤمن منافقاً عند ارتكابه بعض المعاصي من أجل أن تزرع في نفسه عامل الردع عن ارتكاب المعاصي، منها ما ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «أربع مَن كنَّ فيه فهو منافق، فإن كانت واحدة منهنَّ كانت فيه خصلة النفاق حتّى يدعها: مَن إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»(٢).

س: ما هي أهم معطيات الإيمان بالغيب؟

ج:

(١) الايمان بالغيب هي السِمةُ الأوّلية البارزة للمتقين.

---

(١) غرر الحكم: ٧٤١.

(٢) الخصال ١: ١٢٩/٢٥٤.

(٢) الايمان بالغيب يمثّل المرحلة التكامليّة للإنسان؛ الايمان بالغيب يعتبر نقلة وارتفاعاً من عالَم المادة وحدوده إلى الوجود كلّه في حقيقته وأحاسيسه.

(٣) الايمان بالغيب أوّل أصل من أصول الدين؛ لأنّه يمثّل حركة العقل والاستسلام للواجب تعالى، لأن العقل لا يعرف الحدود في إدراكاته، وفي الوقت نفسه لا يمكنه إدراك المطلق من الغيب ولا يمكنه الوصول إليه، فليس أمام العقل إلّا الاستسلام لمَن هو فوقه وعلّته وهو الله سبحانه وتعالى لهذه الضرورة التي يدركها العقل.

(٤) الايمان بالغيب يعطي للإنسان الاطمئنان وينتزع منه الخوف على ما يراه من عدم تحقق العدالة في الأرض، وعند ذلك ينتظر الإنسان أن تتحقّق العدالةبيد القدير العادل في يوم العدالة، ولهذا السبب وغيره من الأسباب العقلية لابد أن يؤمن الإنسان بالله وبما أخبر الله به من عالَم الغيب كالبرزخ والساعة والقيامة والجنّة والنار وغيرها من الأُمور الغيبية ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (الحشر:٢٢).

(٥) الايمان بالغيب يمثّل أُطروحة السماء للإنسانية التي تمثّل العدل في الطرح، فهي ترفض عدم الانتماء والإلحاد وعلمنة الحياة التي تجعل الإنسان يعيش حالة التيه والضياع ويتأثّر بالعوامل المحيطة دون أن يؤثّر فيها، لعدم امتلاكه الرؤية الواضحة لموقعه وعلاقته بالكون والحياة، وترفض الغلو في الانتماء الذي يحوّل الحالة النسبية التي نسجها خياله وولاؤه إلى مطلق والأصنام إلى وثن ومعبود وإله، وتجعل الإنسان مجمّداً لجميع طاقته وإبداعه الفكري عن ممارسة دوره الطبيعي المفتوح على الحياة بسمائه وأرضه، قال تعالى:

﴿لاَ تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً﴾ (الإسراء: ٢٢).

(٦) الايمان بالغيب يعني رفض أيّ قيد محدود على ذهن الإنسان الذي يحدّد حركة تفكيره في الحياة، فإنَّ كلّ ما يفرضه الإنسان يكون بديلاً عن الله فهو محدود وبالتالي يكون تحديداً يقيّد الذهن ولا يفتح له آفاق التحرّك في المطلق، فإنَّ الايمان بالله يعني الايمان بالمطلق الذي لا حدود له، المستوعب بصفاته الثبوتية كلّ المثل العليا للإنسان من إدراك وقدرة وعلم وقوّة وغنى وسلطة، وهذا يعني أنَّ الطريق إليه لا حَدَّ له ويفرض التحرك المستمرّ إليه ومن دون توقّف.

(٧) الايمان بالغيب هو الحالة الطبيعية المطابقة لما تريده فطرة الإنسان، والجواب الحقيقي لما تبحث عنه الفطرة، وهو العنصر الرئيسي الذي يعطي للفطرة حياتها.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

(٨) الايمان بالغيب له الأثر التكويني الذي يملأ الحياة ازدهاراً بنزول بركات الأرض والسماء ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف: ٩٦).

س: لماذا قدّم الإيمان بالغيب على بقية الوحدات العبادية؟

ج:

قد يكون للأسباب التالية:

(١) أنَّ المميّز والفاصل بين أهل الكفر والإلحاد وبين المؤمنين هو الايمان بالغيب.

(٢) لم يصح الإتيان بهذه الوحدات من الصلاة والإنفاق من دون الايمان بالغيب مسبقاً.

(٣) لا يمكن للإنسان أن يأتي بهذه الوحدات خضوعاً وتذللاً وخشوعاً وفهماً بعد الايمان بالغيب.

(٤) أنّ في كلّ العبادات هناك كلاماً ولغة يتحدّث الإنسان بها قلباً أو لساناً، ولا يمكن الإتيان بتلك العبادات التي يحتاج فيها إلى كلام وحديث إلّا بعد الايمان بالغيب كي يتحدّث معه، ويتمّ التفاهم معه، يجيبهم إذا طلبوه ويعطيهم إذا سألوه.

س: ما هي أقسام الغيب؟

ج:

للغيب قسمان، وهما:

(١) الغيب المطلق، وهو الغيب الذي لا حدود له بوجوده وماهيته ومعرفته ومن جميع جهاته وهو منحصر بالله سبحانه وتعالى.

(٢) الغيب الخاص، وهو الغيب الشائع، وهو كلّ ما لا يقع تحت الحسّ والمشاهدة سواء كان في أصل وجوده وأمكن وقوعه تحت الحس أو لا يمكن ذلك، يشمل الله وعالَم البرزخ والآخرة والجنّة والنار والساعة والوحي وغيرها من آياته الكبرى الغائبة عن الحواس لا في أصل وجودها.

- **الصلاة بين منتهى الاستعباد والحرية**

س: وضّح هذه العبارة من الآية الكريمة ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾.

ج:

(١) الصلاة تشريع قديم يفتخر الأنبياء بالالتزام بها ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا

دُمْتُ حَيًّا﴾ (مريم:٣١)، ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ (إبراهيم:٤٠)، ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ (مريم:٥٥) وورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «الصلاة من شرائع الدّين، وفيها مرضاة الرّب عزّ وجلّ، فهي منهاج الأنبياء»[(١)].

(٢) الصلاة مهما كانت مكتوبة قديماً فهي لا يخرج معناها اللغوي عن الدعاء حتّى جاء الإسلام فنقلها وصارت الصلاة: هي الفعل الشرعي المعهود المتكون من الركوع والسجود والتشهّد وغير ذلك من أفعالها المعروفة.

(٣) الصلاة هي الصلة القائمة بين العبد وربّه بما هو الإله المطلق الخالق الذي دعت إليه الأنبياء والرسل ولذاته التي نؤمن بها، لا الصورة الذهنية التي يرسمها الخيال للمعبود فتصلّي له، فإنّ ذلك ممنوع شرعاً وعقلاً، ورد عن الإمام الباقر ﷺ أنّه قال: «كلّ ما ميّزتموه بأوهامكم وعقولكم في أدقّ معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم»[(٢)].

(٤) الصلاة هي عمود الدين ورأس الإسلام؛ لأنها تمثّل أوضح المظاهر لتجسيد الطاعة لله وظهور الخضوع والتذلّل له، ورد في الحديث: «قال لقمان لابنه: يا بني، أقم الصلاة فإنّما مَثَلُها في دين الله كمثل عمود فسطاط، فإنّ العمود إذا استقام نفعت الأطناب والأوتاد والظلال، وإن لم يستقم لم ينفع وتد ولا طُنب ولا ظلال»[(٣)]، وورد عن أميرالمؤمنين ﷺ أنّه قال: « ...الله الله في صلاتكم فإنّها

---

(١) مستدرك الوسائل ٣: ٣٠٧١/٧٦.

(٢) البحار ٦٦: ٢٣/٢٩٣ .

(٣) كنز الفوائد ٢١٤ .

عمود دينكم»(١).

(٥) الصلاة أحبّ طريق إلى الله للقاء معه من خلال حركات الخضوع وعظمة الكلمات، ورد عن الإمام الصادق‌عليه السلام أنّه قال: «أحبّ الأعمال إلى الله عزّوجلّ الصلاة، وهي آخر وصايا الأنبياء»(٢).

(٦) الصلاة أحبّ عمل للرسول‌صلى الله عليه وآله، ورد عنه‌صلى الله عليه وآله أنّه قال: «جعل الله جلّ ثناؤه قرّة عيني في الصلاة، وحبّب إليّ الصلاة كما حبّب إلى الجائع الطعام، وإلى الظمآن الماء، وإنّ الجائع إذا أكل شبع، وإنّ الظمآن إذا شرب روى، وأنا لا أشبع من الصلاة»(٣).

(٧) الصلاة أمانة الله في ذمّة المؤمنين فيجب المحافظة عليها بأدائها تامّة وعدم تضييعها ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (البقرة:٢٣٨)، ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ (مريم:٥٩)، ورد عن الإمام الصادق‌عليه السلام أنّه قال: «إنّ العبد إذا صلّى لوقتها وحافظ عليها ارتفعت بيضاء نقيّة تقول: حفظتني حفظك الله، وإذا لم يصلّها لوقتها ولم يحافظ عليها رجعت سوداء مظلمة تقول: ضيّعتني ضيّعك الله »(٤).

(٨) الصلاة معراج الإنسان المؤمن حيث من خلالها يرتفع روحاً من الأرض إلى السماء ويسمو عن عبادة العباد إلى حريّة الاتّصال بالمطلق، ورد عن

---

(١) نهج البلاغة ٣: ٤٧/٧٧ .

(٢) الكافي ٣: ٢/٢٦٤.

(٣) مستدرك الوسائل ٣: ٢٩٦٨/٤١.

(٤) مستدرك الوسائل ٣: ٣١٠٣/٩٥.

الرسولﷺ أنّه قال: «المصلي مناجٍ ربّه»[١]. وعنه أيضاً: «الصلاة معراج المؤمن»[٢].

(٩) الصلاة هي السلاح الغالب على استكبار الأنفس من خلال ممارستها الخضوع لله والخشوع منه والتذلل إليه سبحانه، ورد عن أميرالمؤمنينﷺ أنّه قال: «فرض الله الإيمان تطهيراً من الشرك، والصلاة تنزيهاً من الكبر»[٣].

(١٠) الصلاة سياسة الله للإنسان لعلمه السابق؛ أنّ الإنسان يهتمّ بإزالة القشور التي تحجب العقول والأرواح كاهتمامه بإزالة قشور اللباس والبدن، فألزمه بما يخالف أهواءه الطبيعية بإقامة الصلاة تصفية للقلب وتخميداً للنفس وتخليصاً للعقل ممّا يحيطه ويحطّه من خلال خوضه ومزاولته اليومية لأوهام الدنيا ومادتها الزائلة التي لا تنفك عن المعاصي واقتراف الذنوب، فالصلاة تمحو مثل هذه الذنوب ومزيلة لمثل هذه الأدران، فالصلاة صورة من صور لطف الله ورحمته، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (العنكبوت:٤٥).

ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «سمعت منادياً عند حضرة كلّ صلاة فيقول: يا بني آدم، فقوموا فاطفئوا عنكم ما أوقدتموه على أنفسكم، يقومون فيتطهّرون فتسقط خطاياهم من أعينهم ويصلّون فيغفر لهم ما بينهما ثمّ توقدون فيما بين ذلك، فإذا كان عند صلاة الأُولى نادى: يا بني آدم، قوموا

---

(١) مصباح الشريعة: ١١١ .

(٢) مستدرك سفينة البحار ٦: ٣٤٣ .

(٣) الفقيه ٣: ٥٦٧/٤٩٤٠.

فاطفئوا ما أوقدتم على أنفسكم فيقومون ويتطهّرون ويصلّون فيغفر لهم ما بينهما، فإذا حضرت العصر فمثل ذلك، فإذا حضرت المغرب فمثل ذلك، فإذا حضرت العتمة فمثل ذلك، فينامون وقد غفر لهم»[١].

(١١) الصلاة تشريع الله للإنسان لعلمه بأنّ الإنسان يمكن أن ينسى ربّه ورسوله وقرآنه، ورد عن الإمام الرضا؈ أنّه قال: «علّة الصلاة أنّها إقرار بالربوبيّة لله عزّ وجلّ، وخلع الأنداد، وقيام بين يدي الجبّار جلّ جلاله بالذلّ والمسكنة والخضوع والاعتراف، والطلب للإقالة من سالف الذنوب، ووضع الوجه على الأرض كلّ يوم خمس مرّات إعظاماً لله عزّ وجلّ، وأن يكون ذاكراً غير ناس ولا بطر، ويكون خاشعاً متذلّلاً راغباً طالباً للزيادة في الدّين والدنيا، مع ما فيه من الانزجار والمداومة على ذكر الله عزّ وجلّ بالليل والنّهار لئلا ينسى العبد سيّده ومدبّره وخالقه فيبطر ويطغى، ويكون في ذكره لربّه وقيامه بين يديه زاجراً له من المعاصي ومانعاً من أنواع الفساد»[٢].

وورد عن الإمام الصادق؈ أنّه قال ـ عن أحد علل الصلاة ـ: «... وأراد الله تبارك وتعالى ألّا ينسيهم أمر محمّد، ففرض عليهم الصّلاة يذكرونه في كلّ يوم خمس مرّات ينادون باسمه، وتعبّدوا بالصلاة وذكر الله لكيلا يغفلوا عنه فينسوه فيندرس»[٣].

(١٢) الصلاة حركات الإنسان لله تمثّل أعلى درجات الخضوع والخشوع والتذلل

---

(١) مستدرك الوسائل ٣: ٣١٢٦/١٠٢.

(٢) الفقيه ١: ٦٤٥/٢١٤.

(٣) وسائل الشيعة ٤: ٤٣٨٣/٩.

والخوف والانغلاق مع أعلى درجات الحب والود والشوق والاطمئنان والانفتاح، وعليه لا تجد حركات التذلل والخشوع لشخص أو لأي شيء مهما كان أن تكون صادرة من حبٍّ وشوق بحيث تشبه حركات الصلاة لله أبداً. سئل الرسولﷺ: ما الخشوع؟ أنّه قال: «التواضع في الصلاة، وأن يقبل العبد بقلبه كلّه على ربّه»[1].

(١٣) الصلاة بين حجمين عظيمين، حجم العطاء الإلهي على أدائها وحجم جهل الإنسان بالعطاء، ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «ما من مؤمن يقوم إلى الصلاة إلّا تناثر عليه البرّ ما بينه وبين العرش، ووكّل به ملك ينادي: يا ابن آدم، لو تعلم مالك في صلاتك ما سئمت وما التفت»[2].

(١٤) الصلاة خير موضوع لحديث المؤمنين وهمّهم الذي يجب أن يهتمّون به، ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «ليكن أكثر همّك الصلاة فإنّها رأس الإسلام بعد الإقرار بالدّين»[3].

(١٥) الصلاة لله تؤدّى يومياً، يعرف تأثيرها على النفس كلّ أطباء العالَم وإن اختلفت انتماءاتهم الدينية، أنّها دواء ضدَّ الخوف والقلق والغضب والتردّد في القرار والسقم والضجر والنهم والأنانية وضعف الإرادة وسرعة الهزيمة وقلّة الثبات ...وغيرها من الأمراض التي تصيب النفس ولا يكون علاجها إلا عن طريق الإيمان بالله وإقامة الصلاة.

---

(١) مستدرك الوسائل ٤: ١٠٣/٤٢٣٩.

(٢) وسائل الشيعة ٥: ٢٩٦/٦٥٨٩.

(٣) تحف العقول: ٢٦ .

(١٦) الصلاة لله تؤدّى يومياً، يعرف تأثيرها في نشر السلام الاجتماعي كلّ علماء السياسة والاجتماع وإن اختلفت انتماءاتهم الدينية والعرقيّة، فإنّها تزوّد الفرد بعناصر الرحمة والإخاء وحب الإنسان واحترامه وتحافظ على كرامته وتجدّد له العهد يومياً على هذا الارتباط الروحي الأخلاقي من خلال مدّ يد التصافح والسلام للآخرين يومياً.

(١٧) الصلاة صمّام آمان لعدم التعدّي على حدود الله وارتكاب الجريمة، ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «لا يزال الشيطان ذعراً من بني آدم ما حافظ على الصلوات الخمس فإذا ضيّعهنّ تجرأ عليه وأوقعه في العظائم»[١].

(١٨) الصلاة أفضل وأوسع مؤسّسة خيرية يقضي من خلالها الإنسان حاجته، حيث يعرض المصلّي حاجته بكلّ صراحة ووضوح على أوسع أبوابها من دون خجل، لأنّه يعرضها على مصدر الرحمة والعزّ والكرم والقدرة، ذلك هو الله ربّ العالمين.

(١٩) إقامة الصلاة هو فعلها وأداتها على الشكل الصحيح، والدوام عليها بما يراد بها من تقوى الصلاة، والحضور اليومي لها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (المعارج:٣٤)، وترتيب الأثر العملي الذي تتركه الصلاة على المصلّي من أخلاق الشريعة و شريعة الأخلاق ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة:٤٥)، ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ (العنكبوت:٤٥)، ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «من لم تنهه صلاته عن

---

(١) وسائل الشيعة ٦: ٨٣٦٥/٤٣٢.

الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلّا بعداً»[١].

(٢٠) إقامة الصلاة هو النهوض بها ودعوة الناس لها من توفير جماعة الناس والأماكن المفضّلة لها؛ لأنّ النهوض بها وإقامتها بهذا الشكل أهم طريق وأوسعه لتحقيق ذكر الله على الأرض الذي يسعى الإنسان الرسالي إليه، قال تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي * إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى * فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ (طه: ١٤-١٦).

(٢١) إقامة الصلاة هي الصفة والسمة التي تميّز المسلمين عن غيرهم من أهل الديانات وهي وجه عزّة المسلمين، ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «لكلّ شيء وجه، ووجه دينكم الصلاة»[٢].

(٢٢) الصلاة هي السؤال الأوّل الذي يُسأل الإنسان عنها يوم القيامة، ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «أوّل ما ينظر في عمل العبد يوم القيامة في صلاته فإن قُبلت نظر في غيرها وإن لم تقبل لم يُنظر في عمله بشيء»[٣].

(٢٣) الصلاة لو يُقبل ركعتان منها من قبل الله سبحانه لم تمسّه نار جهنّم، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ ربّكم لرحيم يشكر القليل، إنّ العبد ليصلّي الركعتين يريد بها وجه الله فيدخله الله الجنّة»[٤]، وعنه أيضاً: «مَن قبل الله

---

(١) مستدرك الوسائل ٤: ٤٢٦٧/١١٤.

(٢) الكافي ٣: ١٦/٢٧٠.

(٣) مستدرك الوسائل ٣: ٢٩٤٥/٣٢.

(٤) وسائل الشيعة ١: ١٣٠/٦١.

منه صلاة واحدة لم يعذّبه، ومَن قبل منه حسنة لم يعذّبه»[١].

(٢٤) الصلاة ستبقى هي إحدى الوصفات العلاجية الثابتة لمشكلة الإنسان الروحية التي لا تتغيّر بتطوّرات الزمان وتغيّراتها فحالها حال بقيّة العبادات، لأنّها الدواء المناسب للإنسان أينما وجد وفي أي زمان كان.

س: ما هي الشروط والأفعال التي تكتسب الصلاة من خلالها كمال الإتمام وإحراز القبول لمؤدّيها في نظر سنّة الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام أجمعين؟

ج:

أن يتنبّه المصلّي إلى الأمور التالية:

أوّلاً: الورع عن محارم الله، ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «لو صلّيتم حتّى تكونوا كالأوتاد، وصمتم حتّى تكونوا كالحنايا لم يقبل الله منكم إلّا بورع»[٢].

ثانياً: الالتفات إلى معطيات الصلاة والسعي إلى تطبيقها، ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «لا صلاة لمَن لم يطع الصلاة، وطاعة الصلاة أن تنهى عن الفحشاء والمنكر»[٣].

ثالثاً: السعي إلى التخلّص من حقوق الغير المتعلّقة بالمصلّي قبل أداء الصلاة عند الإمكان، ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «أوحى الله إليّ أن يا أخا المرسلين، يا أخا المنذرين، أنذر قومك لا يدخلوا بيتاً من بيوتي ولأحد من عبادي عندهم

---

(١) الكافي ٣: ١١/٢٦٦.

(٢) عدة الداعي: ١٤٠.

(٣) البحار ٧٩: ١/١٩٨.

مظلمة، فإنّي ألعنه ما دام قائماً يصلّي بين يديّ حتّى يردّ تلك المظلمة»[١].

رابعاً: وعي الصلاة والتدبّر في هدفها ومعانيها وكلّ جهة تحيط بها، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «انظر في ما تصلّي وعلى ما تصلّي، إن لم تكن من وجهه وحلّه فلا قبول»[٢]، وورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنّه قال: «يا أبا ذر، ركعتان مقتصدتان في تفكّر خير من قيام ليلة والقلب ساهٍ»[٣]، وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «مَن صلّى ركعتين يعلم ما يقول فيها، انصرف وليس بينه وبين الله ذنب»[٤].

خامساً: التبنّي لولاية أهل البيت عليهم السلام، ورد عن الإمام السجاد عليه السلام (في جواب سائل سأله عن حدود الصلاة وسبب قبولها) أنّه قال: «ولايتنا والبراءة من أعدائنا»[٥].

سادساً: إقبال القلب والتفاعل الروحي والذهني مع الصلاة، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «لا يقومنّ أحدكم في الصلاة متكاسلاً ولا ناعساً، ولا يفكّرنّ في نفسه فإنّه بين يدي ربّه عزّ وجلّ، وإنّ ما للعبد من صلاته ما أقبل عليه منها بقلبه»[٦].

سابعاً: أداؤها في أوقاتها، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «ليس عمل أحبّ إلى الله من الصّلاة فلا يشغلنّكم عن أوقاتها شيء من أمور الدنيا، فإنّ الله عزّ وجلّ

---

(١) مستدرك الوسائل ٣: ٤٤٦/٣٩٦٠.

(٢) وسائل الشيعة ٥: ١١٩/٦٠٨٨.

(٣) وسائل الشيعة ٤: ٧٤/٤٥٥١.

(٤) الكافي ٣: ٢٦٦/١٢.

(٥) مستدرك الوسائل ٤: ١١٢/٤٢٦٣.

(٦) وسائل الشيعة ٥: ٤٧٧/٧١٠٧.

ذمّ أقواماً فقال: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ يعني أنّهم غافلون استهانوا بأوقاتها»(١).

ثامناً: التأنّي في أداء كلماتها وأفعالها وعدم الاستعجال بها، ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «ليس منّي مَن استخفَّ بالصلاة، لا يَرِدُ عليَّ الحوض، لا والله»(٢). وعنه ﷺ أيضاً: «ليس السارق مَن يسرق النّاس ولكنّه الذي يسرق الصلاة»(٣).

تاسعاً: أداؤها جماعة فإنّها الفرد الأتمّ والأكثر إحرازاً للقبول، ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «مَن صلى الخمس في جماعة فظنّوا به خيراً»(٤). وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «الصلاة في جماعة تفضل على كلّ صلاة الفرد بأربعة وعشرين درجة تكون خمسة وعشرين درجة وعشرين صلاة»(٥).

عاشراً: إيقاعها في الأماكن المقدّسة كالمساجد، سأل رجل الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: قلت له: إنّ رجلاً يصلّي بنا نقتدي به فهو أحبّ إليك أو في المسجد؟ قال عليه السلام: «المسجد أحبّ إليّ»(٦).

س: ذكرت الشريعة موانع مخصوصة لقبول الصلاة، اذكر بعضاً منها.

ج:

---

(١) وسائل الشيعة ٤:١١٣/٤٦٥٣.

(٢) الفقيه ١:٢٠٦/٦١٧.

(٣) مستدرك الوسائل ٤:١٠٩/٤٢٥٦.

(٤) الكافي ٣:٣٧١/٣.

(٥) التهذيب ٣: ٢٥/٨٥.

(٦) وسائل الشيعة ٥:٢٣٩/٦٤٤١.

أولاً: عقوق الوالدين، ورد عن الإمام الصادقعليه السلام أنّه قال: «مَن نظر إلى أبـويه نظر ماقت وهما ظالمان له، لم تقبل له صلاة»[١].

ثانياً: أخذ غيبة الناس، ورد عن الرسولصلى الله عليه وآله أنّه قال: «مَن اغتاب مسـلماً أو مسلمة لم يقبل الله صلاته ولا صيامه أربعين يوماً وليلة، إلّا أن يغفر له صاحبه»[٢].

ثالثاً: شارب الخمر، ورد عن الرسولصلى الله عليه وآله أنّه قال: «إنَّ مَن شـرب الخـمر لم تحسب صلاته أربعين صباحاً»[٣].

رابعاً: ما موجود من الموانع الشرعية التي وردت في الأحكام الشرعيّة وقـد ورد بعض منها عن الرسولصلى الله عليه وآله أنّه قال: «ثمانية لا يقبل منهم الصـلاة ...النـاشز وزوجها عليها ساخط، ومانع الزكاة، وتارك الوضوء، والجارية المـدركة تـصلّي بغير خمار، وإمام قوم يصلّي بهم وهم له كارهون، والسكران، والزّبين وهو الذي يدافع البول والغائط»[٤].

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

س: اذكر بـعض الفوائد في تقييد الإنفاق ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ بقيدٍ متميّز عـن غيره من الوحدات السابقة عليه.

ج:

(١) لأن الايمان بالغيب وإقامة الصلاة من الأُمور الثابتة على الإنسان المؤمن في جميع الأحوال مادام مكلّفاً، فكل مؤمن هو مؤمن بالغيب ومقيم للصلاة مادام مؤمناً، بينما الإنفاق يحتاج المؤمن فيه إلى شيء يملكه ومرزوق إليـه حـتى

---

(١) مستدرك الوسائل ١٥:١٩٥/١٧٩٨٩.

(٢) مستدرك الوسائل ٧: ٣٢٢/٨٢٩٣.

(٣) التهذيب ٩:١٠٨/٤٦٨.

(٤) الفقيه ٤:٣٥٨/٥٧٦٢.

ينفقه، فليس كل مؤمن هو منفق مادام مؤمناً، فلابد من نقطة مميّزة يمتلكها المؤمن ومرزوق إليها حتّى يقوم بإنفاقها ولهذا جاء قيد الرزق.

(٢) ﴿رَزَقْنَاهُمْ﴾ إنّ الرزق من عند الله فقط وأنّه ينزّله على الإنسان بقدر معلوم على قدر ما يستحقّه الإنسان من السعي وطلبه، وعلى قدر المصلحة التي يشخّصها الله للإنسان انطلاقاً من عدله وحكمته وإحسانه وكرمه، ومضموناً له لا يتعدّى ما مكتوب له إلى غيره، يوزّعه الله بالمباشرة تارة كالعلم الإلهامي وبعض المواهب التي يحصل عليها الإنسان وتارة بالواسطة، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾(هود:٦)، ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ (الذاريات:٢٢ـ٢٣)، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (الرعد:٨)، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «اعلموا علماً يقيناً أنّ الله لم يجعل العبد وإن عظمت حيلته واشتدّت طلبته وقويت مكيدته أكثر ممّا سمي له في الذكر الحكيم»[1].

(٣) أن يكون المنفق به من الحلال الطيّب، لأنّ الرزق مسند إلى الله ﴿رَزَقْنَاهُمْ﴾ ورزق الله وعطاؤه لا يكون إلّا من ذلك، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (البقرة:٢٦٧).

(٤) ﴿مِمَّا﴾ للتبعيض، وهذا القيد يضع الصيانة على ما ينفقه المنفق من الإسراف ويبعّده عن التبذير والسفه في التصرّف؛ لأنّ الإنفاق في سبيل الله لا يعني أن

---

(١) نهج البلاغة ٤: ٦٦/٢٧٣.

أنفق كلّ ما أملك في الموقف الذي يجب أن أنفق فيه البعض سواء كان مالاً أو علماً، فالإنفاق يجب أن ترافقه الحكمة في التصرّف والعطاء.

س: ما هي أقسام الإنفاق المالي من حيث الحكم الشرعي؟

ج:

أولاً: الإنفاق الواجب، وهو ما كان لواجب شرعي كالحقوق المالية الواجبة شرعاً منها:

(١) الخمس والزكاة والنذورات والكفّارات وغيرها من الواجبات العبادية التي يتعلّق بها المال.

(٢) الإنفاق على الأهل من الزوجة والأبناء والوالدين عند الحاجة.

(٣) الواجبات التي يتعلّق بها المال عرضاً لا أصلاً كالجهاد في سبيل الله ودعم بعض الحركات والمؤسّسات التي يجب الدعم لأسبابه وظروفه التي يشخّصها الفقيه أو العنوان الشرعي العام الذي يكون مورد الصرف أحد مصاديقه.

ثانياً: الإنفاق المندوب، وهو كلّ إنفاق ينصبّ في سبيل الله بنظر الشرع غير ما ذكر في الواجب.

ثالثاً: الإنفاق المحرّم، وهو كلّ إنفاق ينصبّ في سبيل الشيطان من كتب الضلال والمؤسّسات والتجمّعات التي تتحرّك للإفساد العقائدي والأخلاقي في المجتمع وغير ذلك ممّا ينصبّ في تضعيف الإسلام والمسلمين وتقوية سبل شياطين الإنس والجن.

رابعاً: الإنفاق المكروه، ما كان لعمل مكروه شرعاً.

س: ما هو المحتمل في توضيح قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ

إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾؟

ج:

أنّها سمة أخرى للمتّقين وللأُمّة الإسلامية التي تفرّدت بعدم عدائها لنبي من الأنبياء ولم تنكر رسالة من الرسالات السماوية، بل تَعدُّ نفسها الوارثة والحفيظة لجميع ما ورد عن الله وعلى لسان كل الأنبياء من نبينا آدم إلى خاتم الأنبياء والرسل محمّد بن عبدالله ﷺ، تؤمن بهم كوحدة واحدة تعكس وحدة المعبود والعباد في رسالاتها ورسلها، وتعكس اهتمام الله ورحمته بعباده على طول الزمن وتعدد الأجيال حيث لم يتركهم في تقصيرهم أو قصورهم كما يشاؤون، قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة:١٣٦)، وقال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة:٢٨٥).

س: لماذا استعمل القرآن الكريم صيغة الفعل المضارع في كل صفات المتّقين التي ذُكرت في الآية (يؤمنون) (يقيمون) (ينفقون)؟

ج:

قد يكون لأجل الأُمور التالية:

(١) يريد الله من الإنسان المؤمن الثبات والاستمرار في إيمانه وعمله العبادي من دون تزلزل يؤدّي به إلى الانقطاع ممّا يلاقيه من المحن والابتلاء فيسلب عنه عنوان التقوى.

(٢) يريد الله أن ينبّه أن العمل له قابلية الاستمرار والثبات عند الإنسان حتّى نهاية الحياة.

(٣) يريد الله أن ينبّه على حيوية حركة الايمان المستمر والعمل المستمر في حياة الإنسان.

س: في الآية ﴿وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ وهناك آيات أُخرى تقول: ﴿مَنْ آمَنَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ ...﴾ (البقرة:٦٢)، ما هي الفروق المحتملة بين الإيمان واليقين بالآخرة؟

ج:

الفرق الأوّل: الايمان هو عقد القلب وتصديقه بقضية من القضايا بحيث يرافقه الالتزام العملي بما آمن به، واليقين هو تصديق القلب وإذعانه بقضية من القضايا بحيث لا يشوبها شك ولا يلازمه العمل، فليس كلّ قضية متيقّن منها في الحياة يجب على الإنسان أن يعمل بها تيقّن به بعكس الايمان، فإنّه يجب العمل بما آمن به حتّى لو كلّف ذلك التضحية بنفسه، فبينهما عموم وخصوص من وجه.

الفرق الثاني: الايمان يتصف بالقوة والضعف والكامل والناقص والمستقر والمتزلزل وغيرها نظراً إلى مقدار الالتزام العملي بما يؤمن به.

وبعبارة أُخرى: إنّ الايمان من الألفاظ المشكّكة التي يتفاوت معناها في الشدّة والضعف والكمال والنقص والحقيقي والمجازي والباطن والظاهر، وأمّا اليقين فلا يتصف بذلك لبلوغ الدرجة القصوى التي ليس فوقها درجة وهي المائة بالمائة. نعم، قد تذكر مراتب لكل اليقين مثل علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين، قال تعالى: ﴿كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۞ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۞ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ (التكاثر:٥ـ٧).

الفرق الثالث: الايمان متأخر رتبةً عن اليقين واليقين متقدّم رتبةً على الايمان، ولهذا يمكن أن يكون لدى قلب الإنسان يقين بدون إيمان وليس العكس، وذلك لنفس السبب وهو أنّ الايمان يقين وزيادة في العمل به، ورد في خبر عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «لا إيمان بدون عمل، ولا عمل بدون إيمان»، ورد عن الزبيري عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: قلت له: ألا تخبرني عن الايمان؟ أقول هو وعمل؟ أم قولٌ بلا عمل؟ فقال عليه السلام: «الإيمان عمل كله، والقول بعض ذلك العمل، مفروض من الله، مبين في كتابه، واضح نوره، ثابت حجته، يشهد له الكتاب ويدعو إليه، ولمّا أن صرف الله نبيّه إلى الكعبة عن بيت المقدس قال المسلمون للنبي: أ رأيت صلاتنا التي كنا نصلي إلى بيت المقدس، ما حالنا فيها وما حال من مضى من أمواتنا وهم كانوا يصلون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله: (وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم)، فسمّى الصلاة إيماناً، فمن اتقى الله حافظاً لجوارحه موفياً كل جارحةٍ من جوارحه بما فرض الله عليه لقي الله مستكملاً لإيمانه من أهل الجنة، ومن خان في شيء منها أو تعدى ما أمر الله ناقص الإيمان»(١).

الفرق الرابع: الإيمان ثابت في القلب و اليقين خطرات على القلب، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنّه قال: «الإيمان ثابت في القلب، واليقين خطرات »(٢)، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «الإيمان ثابت في القلب، واليقين خطرات، فيمرّ بالقلب

---

(١) الكافي ٢:٣٣/١.

(٢) كنز العمال ٣: ٧٢٣٩/٤٣٨.

فيصير كأنه زبر الحديد، ويخرج منه فيصير كأنه خرقة بالية»(١)، سأل أميرالمؤمنين عليعليه السلام الحسن والحسينعليهما السلام فقال لهما: «ما بين الإيمان واليقين؟ فسكتا، فقال: أجب يا أبا محمّد، قال: بينهما شبر. قال وكيف ذلك؟ قال: لأن الإيمان ما سمعنا بآذاننا وصدّقناه بقلوبنا، واليقين ما أبصرناه بأعيننا واستدللنا به على ما غاب عنّا»(٢).

فممّا مرّ نعرف أنّ الله أراد من قوله: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ الركيزة الأُولى للإيمان وهو اليقين، ويريد من الايمان بالآخرة هو اليقين والعمل المترتب عليه الذي هو الايمان بالآخرة.

الفرق الخامس: أنّه لا فرق بين الايمان واليقين إذا عدّي الايمان بالباء من ناحية الاستعمال اللغوي كما قال اللغويون، فالايمان بالغيب هو اليقين به.

س: قلتم: إنّ الإيمان من المعاني المشكّكة التي تتّصف بالقوّة والضعف وغير ذلك، اذكر درجات الإيمان.

ج:

الايمان على ثلاث درجات هي:

(١) الايمان المتزلزل، وهو إظهار كلمة الشهادتين على اللسان، وأمّا القلب فإمّا أن يكون خالياً من الايمان كإيمان المنافقين، أو يكون في القلب بصورة مضطربة متزلزلة ليس له قرار ولا يرافقه عمل، يخرج عند أقلّ شبهة ويفشل عند أبسط امتحان ويستسلم عند أضعف الإثارات.

---

(١) كشف الغمة ٢: ١٣١.

(٢) مشكاة الأنوار: ٤٨.

(٢) الايمان القلبي المستقر، وهو عقد القلب والتصديق بما يؤمن به بحيث يكون خالياً من التكذيب بضرورة من ضرورات الدين، ويكون منشأ لفعل الخير والاستمرار في العمل الصالح.

(٣) حقيقة الايمان، وهو انشراح القلب إلى معارف الايمان والعلم بها يقيناً والذوبان بها روحاً وعملاً على أكمل الوجوه، ورد عن حارثة الأنصاري أنّه قال للرسول ﷺ: إنّي أصبحت مؤمناً حقّاً. فقال له الرسول ﷺ: «لكلّ حق حقيقة فما حقيقة إيمانك؟» قال: عزفت نفسي عن الدنيا بما فيها فاستوى عندي حجرها وذهبها[1].

س: في قوله تعالى: ﴿أُولَـٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة:٥)، السؤال الذي يُطرح هل أنّ هذه الهداية الثانية هي بنفسها الهداية الأولى المذكورة في الآية الثانية ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾؟

ج:

توجد احتمالات ثلاثة:

(١) أن تكون الهدايتان مختلفتين، حيث الهداية الأولى تكون طريقاً للثانية، فتكون الاستعانة بكتاب الله والايمان بالغيب وإقامة الصلاة والإنفاق وغيرها ما هي إلّا طرق وسبل للحصول على هداية الله المباشرة، قال تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة:١٦)، وإذا لم يسلك الإنسان هذه الطرق بل سار على عكسها فلا يحصل على الهداية المباشرة منه سبحانه وتعالى والتي سمّيناها

---

(١) المحجّة البيضاء ٣٥١:٧.

سابقاً الهداية التشريعية الخاصّة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (غافر:٢٨).

(٢) أن تكون الهدايتان شيئاً واحداً وهي الهداية التشريعيّة الخاصّة، وما هذه الطرق إلّا مرآة تعكس للإنسان الهداية المباشرة من الله لمن يسلكها ويسير عليها، فالاستعانة بكتاب الله هي هداية الله المباشرة للمستعين، والايمان بالغيب هي هداية الله المباشرة أن هداه الله للإيمان وهكذا، فكل مفردة من فعل الخير تمثّل مفردة من الهداية التشريعيّة المباشرة الربّانية له. ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ (التوبة:١١٥).

(٣) أن تكون الهداية الأُولى هداية تشريعيّة خاصّة لمن أرادها وسلك سبلها، والهداية الثانية تمثّل الزيادة فيها؛ لأن الهداية الأولى تحتاج إلى عونٍ من الله في استمرارها وديمومتها وزيادتها ونموّها، وهذا يعتمد في حصوله على عمق الإنسان وزيادة فعل الخير، فكلما ازداد الإنسان سلوكاً في طرق الهداية وتعمّقاً بها كلّما ضمن استمرار الهداية وزيادتها، فكأن الآية تصبح هكذا: أُولئك على هدًى مستمر ونامٍ وزائد من ربهم باستعانتهم المستمرّة بطرق الهداية وأُولئك هم المفلحون، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (محمد:١٧)، وقد مرّ الحديث عن الهداية وأنواعها في مبحث الهداية في سورة الفاتحة سورة ٦.

س: كيف توضحون مجموع الآيات الأربعة الأُولى التي مرّت من سورة البقرة من حيث مجموع معناها؟

ج:

يعتمد توضيح ذلك على ما هو المراد من المتقين، فالمراد من المتقين توجد فيه ثلاثة احتمالات:

(١) أن يراد من المتقين حصة خاصة من الناس، وهم عامة المؤمنين، فتكون الآيات بمعنى أن المؤمنين الذين يتصفون بهذه الصفات المذكورة هم المشمولون لهداية الله لهم ابتداء واستمراراً وهم الفائزون في الدنيا والآخرة.

(٢) أن يراد من المتقين حصة خاصة من المؤمنين، وهم أصحاب الرتبة العالية من الايمان، فتكون الآيات بمعنى أنّ الإنسان مهما توصّل في إيمانه وتقواه من المراتب العالية فهو محتاج دائماً إلى هداية الله من خلال اتّباع طرق الهداية من الاستعانة بكتاب الله وغيرها من الصفات والطرق المذكورة، ورد عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام أنّه قال: «لو مات من بين المشرق والمغرب لما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي»[1]، لبيان حاجته عليه السلام للقرآن بصورة دائمة وإن كان معصوماً في كلّ شيء.

(٣) أن يراد من المتقين عامة الناس، لأن كل إنسان هو متّقٍ ابتداء لما يمتلك من عناصر الهداية التكوينية من العقل والفطرة، والهداية التشريعية العامّة من الكتب والأنبياء، قال تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾(طه:٧٢)، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «ما من مولود ولد إلّا على الفطرة فأبواه يهودانه و ينصرانه ويمجسانه»[2]. وقد تمّ توضيح ذلك في أقسام الهداية في سورة الفاتحة فراجع.

---

(١) الكافي ٢: ٦٠٢/١٣.

(٢) علل الشرائع ٢:٣٧٦/٢.

فتصبح الآية بمعنى أنّ كل إنسان يريد هداية الله له فهو وإن كان يمتلك عناصر الهداية التكوينية والقسم الأوّل من التشريعية إلّا أنّ ترك هذه العناصر التكوينيّة من الفطرة والعقل لوحدها خطر يؤدّي إلى حجب عملها تماماً، هذا من جانب وغير كافٍ من الجانب الآخر؛ لأنّ هذه العناصر غير كافية في الدلالة على تفصيلات الحياة العقائدية ونظام الحياة نحو الله، ولابدّ من اتّباع سبل الهداية التشريعية الخاصّة وهي السعي وراء سبل الهداية التشريعية العامّة التي شرّعها الله لعامّة الناس التي لها الدور الكبير في تنمية الفطرة والعقل ورفع الحجب عن فاعليّتهما وإحيائهما كالبحث عن الأنبياء والأئمّة والالتزام بطريقهم والاستعانة بكتاب الله الذي له الدور الكبير في إحياء كلّ عناصر الهداية التي يمتلكها الإنسان، فإن تركت عناصر الهداية التشريعية العامّة من دون سعي للإنسان في تطبيقها معناه قد عرّض عناصر الهداية التكوينية بنوعيها التي يمتلكها إلى الضعف أو الموت المعنوي الروحي والفكري؛ لأنّ الفطرة والعقل والقلب كبذر الزرع الذي يحتاج في زرعه وإحيائه وحصول الأصول والفروع والثمر منه إلى مهندس زراعي أو فلّاح يضع هذا البذر في المكان المناسب ليوفّر له المناسب من الماء و الهواء وغيرها من عناصر التنمية والحياة وعدم التلوّث، فكذلك الإنسان يحتاج في تنمية فطرته وعقله وروحه وقلبه إلى السعي وراء كتب الله وأنبيائه وتطبيق شرعه من الصلاة والإنفاق وبها يكتسب الإنسان الهداية التشريعية الخاصّة التي تجعل العناصر التكوينيّة تعمل بحريّتها كما خلقها الله لذلك.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

(٤) أن يراد من المتّقين هم الذين من طبيعتهم الالتزام بما يريده الله منهم في كل وجهة مرتبطة ترتبط بالشيء المأمورين به، فالمتّقون هم يقرؤون القرآن ويتدبّرون بآياته ويعملون بها، وبهذا يكون القرآن كتاب هداية لهم، وأُولئك هم على هدًى من ربّهم، وأُولئك هم الفائزون، فلا يسمّى الإنسان المؤمن متّقياً إلّا عند العمل بما آمن به، فالمتّقون هم العاملون.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ۞ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (البقرة:٦ـ٧)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيتين؟

ج:

(١) الكفر: أـ الستر. ب ـ الجحود والعناد.

(٢) السواء: الاستواء والتعادل.

(٣) الإنذار: هو الإخبار والإعلان عن تخويف بحيث يتسع زمانه للاحتراز وإلا كان إشعاراً.

(٤) الختم: هو التغطية على الشيء والاستيثاق منه بحيث لا يدخله ولا يخرج منه شيء.

(٥) السمع: هو الجهاز الذي بواسطته تسمع الأصوات والكلمات والذي تكون مقدمته الأُذن.

(٦) البصر: هو الجهاز الذي بواسطته ترى الأشياء والذي تكون مقدمته العيون.

(٧) العذاب: الحبس والمنع ومنه سمي الماء عذباً بعدما يحبس نفسه على الصفاء ويمنع غيره من المزج فيه.

● **الكفر والكافرون**

س: للكفر مراتب وأقسام، ما هي أقسام الكفر؟

ج:

يتم تقسيم الكفر وتوضيحه من خلال الاستعانة بما ورد عن الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام أنّه قال: «الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه، فمنها كفر الجحود، والجحود على وجهين، والكفر بما أمر الله، وكفر البراءة، وكفر النعم. فأما كفر الجحود: فهو الجحود بالربوبية، وهو قول من يقول: لا ربّ ولا جنّة ولا نار، وهو قول صنفين من الزنادقة يقال لهم: الدّهرية، وهم الذين يقولون: وما يهلكنا إلا الدهر، وهو دين وضعوه لأنفسهم بالاستحسان منهم على غير تثبت منهم ولا تحقيق لشيء ممّا يقولون، قال عزّوجل: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ أن ذلك كما يقولون، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يعني بتوحيد الله، فهذا أحد وجوه الكفر.

وأمّا الوجه الآخر من الجحود على معرفة: وهو أن يجحد الجاحد وهو يعلم أنه حقّ قد إستقر عنده، وقد قال عزّ وجل: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً﴾، وقال الله عزّ وجل: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ فهذا تفسير وجهي الجحود.

والوجه الثالث من الكفر: كفر النعم، وذلك قوله سبحانه يحكي قول سليمان: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾، وقال: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾، وقال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾.

والوجه الرابع من الكفر: ترك ما أمر الله عزّوجل به، وهو قول الله عزّ وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ .... أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾، فكفرهم بترك ما أمر الله عزّ

وجلَّ به، ونسبهم إلى الإيمان ولم يقبله منهم ولم ينفعهم عنده فقال: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

والوجه الخامس من الكفر: كفر البراءة، وذلك قول الله عزّ وجل يحكي قول إبراهيم: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ﴾، يعني: تبرأنا منكم، وقال يذكر إبليس وتبرّئه من أوليائه من الإنس يوم القيامة: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾، وقال: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِن دُونِ اللهِ أَوْثَاناً مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾، يعني: يتبرّأ بعضكم من بعض»[1].

س: هل يمكن اختصار وتنظيم أقسام الوجوه الخمسة للكفر التي وردت عن الإمام الصادق عليه السلام؟

ج:

الكفر على قسمين:

الأوّل: الكفر السلبي، وهو على أربعة وجوه:

(١) كفر الجحود لمطلق الغيب.

(٢) كفر الجحود لمطلق الغيب على معرفة.

(٣) كفر النعم.

(٤) كفر ما أمر الله به.

الثاني: الكفر الإيجابي، وهو وجه واحد، وهو كفر بالطاغوت والبراءة من

---

(١) الكافي ٢: ٣٨٩/١.

المشركين ومن كل شيء لا يرتضيه الله ونهى عنه.

س: مَن هو الكافر عند الفقهاء؟

ج:

الكافر: هو ما يخرج به معتقده عن سمة الإسلام سواء كان بالأصل كاليهود والمسيح أو بالعرض كالمسلم الذي ينكر ضرورة من ضرورات الإسلام.

س: هل يمكن أن نعدّد موارد الكفر مع النظر إلى تعريف الكفر الذي ذكرتموه؟

ج:

المورد الأوّل: إنكار وجود الله أو الجحود بأحد أسمائه.

المورد الثاني: كلّ ما يخرج معتقده عن التوحيد، كالإشراك بالله، والثالوث المسيحي.

المورد الثالث: كلّ نسبة اعتقاديّة بما لا تنسجم مع ماهية الله وفعله، تجسيم الله، أو كنسبة الظلم إليه، أو كالابن المسيحي والابن اليهودي.

المورد الرابع: الإنكار لأصل من أُصول الدين أو فروعه.

المورد الخامس: ترك العمل بضرورة من ضرورات الإسلام أو ارتكاب ما نهي عنه بحيث توجب الاستخفاف والاستهانة والإنكار بالمرسِل أو بالمرسل إليه أو بالرسالة. ورد عن عبدالله بن سنان أنّه قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الرجل يرتكب الكبيرة من الكبائر فيموت، هل يخرجه ذلك من الإسلام؟ وإنْ عذّب كان عذابه كعذاب المشركين؟ أم له مدّة وانقطاع؟ فقال عليه السلام: «مَن ارتكب كبيرة من الكبائر فزعم أنّها حلال أخرجه ذلك من الإسلام، وعذّب أشدّ العذاب، وإن كان معترفاً أنّه ذنب

ومات عليها أخرجه من الإيمان ولم يخرجه من الإسلام، وكان عذابه أهون من عذاب الأوّل»(١).

س: ما هو الفرق بين الشرك والكفر والإلحاد في العقيدة، وما هي النسبة بينهم؟

ج:

(١) الشرك: وهو إيجاد إله مع الله أو ما هو دون ذلك، وهو أخصّ من الكفر، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «شرك كفر»(٢).

(٢) الكفر: هو ما يطلق على كثير من الكبائر التي منها إنكار وجود الله، والشرك به على أنواعه، وإنكار البعث والمعاد والوحي والرسالة والنبوّة والإمامة وأيّ ضرورة من ضرورات الدين بحيث يرجع إنكارها إلى إنكار أحد هذه الوحدات العقائديّة، واستحلال ما حرّمه الله وبالعكس، فالكفر أعمّ من الشرك، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «كلّ شيء يجرّه الإقرار والتسليم فهو الإيمان، وكلّ شيء يجرّه إلى الإنكار والجحود فهو الكفر»(٣).

(٣) الإلحاد: وهو مطلق الميل والاعوجاج والطعن، فهو قد يصل بالإنسان إلى أعلى درجات الاعوجاج الفكري فيلتقي مع الكفر ومع الشرك عندما يرد في مورد المعتقد من وجود الله ووحدانيته وأسمائه ورسالاته وأنبيائه وغيرها ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ (فصلت: ٤٠)، ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي

---

(١) الكافي ٢: ٢٣/٢٨٥.

(٢) المحلى ٤: ٢٤٥.

(٣) الكافي ٢: ١٥/٣٨٧.

أَسمائِهِ﴾(الأعراف:١٨٠)، وقد لا يلتقي الإلحاد مع الكفر والشرك في مصداق، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الحج:٢٥)، أنّه قال: «كلّ ظلم إلحاد، وضرب الخادم في غير ذنب من ذلك إلحاد»[1]، وعليه يكون الإلحاد أعمّ من الكفر والشرك إذا أُخذ بمعناه اللغوي.

س: ما هي العوامل التي تكون سبباً ومنشأً ودعامةً لأن يصبح الإنسان كافراً؟

ج:

هناك عدّة عوامل تذكرها السنّة الشريفة في ذلك، نأخذ منها:

(١) الفسق والعتوّ والشكّ والشبهة، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: « ...والكفر على أربع دعائم: على الفسق والعتوّ والشكّ والشبهة، والفسق على أربع شعب: على الجفاء والعمى والغفلة والعتوّ. فمَن جفا حقّر الحقّ ومقت الفقهاء وأصرَّ على الحنث العظيم، ومَن عمى نسي الذكر واتّبع الظنّ وألحّ عليه الشيطان، ومَن غفل غرّته الأماني وأخذته الحسرة إذا انكشف الغطاء، وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب، ومَن عتا عن أمر الله تعالى عليه ثمّ أذلّه بسلطانه وصغّره بجلاله كما فرّط في جنبه، وعتا عن أمر ربّه الكريم.

والعتو على أربع شعب: على التعمّق والتنازع والزيغ والشّقاق. فمَن تعمّق لم ينب إلى الحقّ ولم يزدد إلّا غرقاً في الغمرات، فلم تحتبس عنه فتنة إلّا غشيته أُخرى، وانخرق دينه فهو يهيم في أمر مريج، ومَن نازع وخاصم قطع بينهم الفشل وذاقوا وبال أمرهم، وساءت عنده الحسنة وحسنت عنده السيّئة، ومَن

---

(١) الكافي ٤: ٢٢٧/٢.

ساءت عليه الحسنة اعتورت عليه طرقه، واعترض عليه أمره وضاق عليه مخرجه، وحريٌ أن يرجع من دينه ويتّبع غير سبيل المؤمنين.

والشك على أربع شعب: على الهول والرّيب والتردّد والاستسلام، فبأي آلاء ربّك يتمارى المتمارون، فمَن هاله ما بين يديه نكص على عقبيه، ومَن تردّد في الريب سبقه الأوّلون وأدركه الآخرون وقطعته سنابك الشياطين، ومَن استسلم لهلكة الدنيا والآخرة هلك فيما بينهما ومَن نجا فباليقين.

والشبهة على أربع شعب: على الإعجاب بالزينة وتسويل النفس وتأوّل العوج وتلبّس الحقّ بالباطل، وذلك بأنّ الزينة تزيل على الشبهة، وإنّ تسويل النفس يقحّم على الشّهوة، وإنّ العوج يميل ميلاً عظيماً، وإنّ التلبّس ظلمات بعضها فوق بعض. فذلك الكفر ودعائمه وشعبه»[١].

(٢) الحرص والاستكبار والحسد، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «أصول الكفر ثلاثة: الحرص والاستكبار والحسد»[٢].

(٣) الرغبة والرهبة والسخط والغضب، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «قال النبي صلى الله عليه وآله: أركان الكفر أربعة: الرغبة والرهبة والسخط والغضب»[٣].

(٤) الشهوة، ورد عن الإمام الحسين بن علي عن أبيه عليهما السلام أنّه قال: «وأركان الكفر أربعة: الرغبة والرهبة والغضب والشهوة»[٤].

(٥) الغلوّ، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «بني الكفر على أربع دعائم: الفسق

---

(١) الخصال ١: ٢٣١/٧٤.

(٢) الكافي ٢: ٢٨٩/١.

(٣) الكافي ٢: ٢٨٩/٢.

(٤) مستدرك الوسائل ١١: ٣٦٩/١٣٢٨٤.

والغلوّ والشكّ والشبهة ...»(١).

س: قالوا: إنّ أحد مناشئ الكفر هو أصل خلقتهم وذلك اعتماداً على بعض الروايات التي تسمّى بروايات الطينة التي منها: «إنّ السعيد سعيد في بطن أُمّه والشقي شقي في بطن أُمّه» ومنها: «إنّ الله خلق المؤمن من طينة الجنّة وخلق الكافر من طينة النار» وغيرها من الروايات، فما هو جوابكم على ذلك؟

ج:

أوّلاً: أنّ ظاهر النص ومتن هذه الروايات مخالف للقرآن من وجوه عدّة، منها:

(١) وحدة مادّة التكوين، عندما نعرض مراحل تكوين الإنسان في بحث خلق الإنسان نشاهد أنّ القرآن لم يذكر من خلال آياته أنّ هناك نوعين من التراب أو من الماء المهين بحيث كان أحدهما للمؤمن والآخر للكافر، وسيأتي البحث عن خلق الإنسان إن شاء الله.

(٢) وحدة خلق النفس ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (الأعراف:١٨٩).

(٣) وحدة خلق الاستعداد، إنّ الله قد خلق الاستعداد لقبول الإيمان والكفر بصورة موحّدة لدى الإنسان من دون تفاوت بين أفراد الإنسان ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس:٧ـ٨).

(٤) وحدة خلق عناصر الهداية التكوينية والتشريعية العامّة والخاصّة من دون تفاوت في توزيعها بين أفراد الإنسان ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا

---

(١) الكافي ٢: ٣٩١/ ١.

تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ﴾(الروم:٣٠)، راجع تقسيم الهداية في تفسير سورة الفاتحة.

ثانياً: أنّ ظاهر فحوى هذه الروايات مخالف للقرآن، فإنّ هذه الروايات لها دلالات التزامية منها:

(١) أن يكون الكافر مسلوب الاختيار في اختياره للكفر، بينما القرآن يقول بوحدة وجود الاختيار في الكلّ ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾(الإنسان:٣)، ﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾(يونس:١٠٨)، ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾(البقرة:٢٥٦).

(٢) أن يكون الكفر محبوباً لدى الله، حيث إنّه على هذه الروايات يكون الله هو الذي خلق الكفر كما خلق الايمان، والمخلوق محبوب عند خالقه، وإنّ الله هو الذي حبّب الكفر في قلوب الكافرين كما حبّب الايمان في قلوب المؤمنين، وهذا كلّه مخالف للقرآن ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾(الحجرات:٧)، ﴿وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾(الزمر:٧)، ﴿إِنَّ اللهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ (الأعراف:٢٨).

(٣) الثبات وعدم التحوّل والتبدّل، حيث إنّ هذه الروايات توجب بقاء المؤمن على إيمانه والكافر على كفره، بينما نجد الواقع والقرآن يقول بالتبدّل والتحوّل فالمؤمن يرتدّ فيتحوّل إلى كافرٍ والعكس صحيح ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾(المنافقون:٣)، ﴿أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (آل عمران:١٠٦).

ثالثاً: أنّ الالتزام بظاهر هذه الروايات يكون منافياً لبعض صفات الله وأسمائه

الحسنى، منها:

(١) عدل الله وحكمته، حيث إنّ هذه الروايات يكون الله هو الذي عجن الكفر في طينة الكافر، وهو الذي سلب منه الاختيار، وهو الذي جعله شقيّاً. فعلى هذه الأُمور وغيرها التي يكون الله فيها هو السبب ويكون توبيخه ونسبة اختيار الكفر للكافر وبالتالي تعذيبه يكون في غير محلّه فينافي أنّ الله حكيم ويكون التعذيب على عدم الاستحقاق فينافي عدله. وتعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً. ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ﴾(المائدة:١١٥)، ﴿أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾(آل عمران:٨٠)، ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ﴾(البقرة:٢٨).

(٢) صدق الله. ﴿وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ﴾(يونس:٢٥)، ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(البقرة:١٨٦)، حيث أنّ دعوة الله إلى الإيمان والسلام والتقوى إلى مَن خلقهم على الكفر تكون دعوة كاذبة ولهواً ولعباً وحاشا لله من ذلك وتعالى علوّاً كبيراً.

رابعاً: توجد روايات أُخرى معارضة لروايات الطينة، منها:

(١) ورد عن الإمام الصادق عليه السلام فيما احتجّ به على الزنديق أنّه قال: فمَن خلقه الله كافراً أيستطيع الإيمان وله عليه بتركه الإيمان حجّة؟ قال عليه السلام: «إنّ الله خلق خلقه جميعاً مسلمين، أمرهم ونهاهم، والكفر اسم يلحق الفعل حين يفعله العبد، ولم يخلق الله العبد حين خلقه كافراً، أنّه إنّما كفر من بعد أن بلغ وقتاً لزمته الحجّة من الله، فعرض عليه الحقّ فجحده، فبإنكاره الحقّ صار

كافراً»(١).

(٢) ورد عن الحسين بن نعيم الصحاف أنّه قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: لِمَ يكون الرجل عند الله مؤمناً قد ثبت له الايمان عنده ثمّ ينقله الله بعدُ من الايمان إلى الكفر؟ قال عليه السلام: «إنّ الله عزّ وجلّ هو العدل إنّما دعا العباد إلى الإيمان به لا إلى الكفر، ولا يدعو أحداً إلى الكفر به، فمَن آمن بالله ثمّ ثبت له الإيمان عند الله لم ينقله الله عزّ وجلّ من الايمان إلى الكـفر». قلت له: فيكون الرجل كافراً قدر ثبت له الكفر عند الله ثمّ ينقله بعد ذلك من الكفر إلى الايمان؟ قال عليه السلام: «إنّ الله عزّ وجلّ خلق النّاس كلّهم على الفطرة التي فطرهم عليها، لا يعرفون إيماناً بشريعة ولا كفراً بجحود، ثمّ بعث الله الرسل تدعوا العباد إلى الإيـمان بـه، فمنهم مَن هدى الله ومنهم مَن لم يهده الله»(٢).

خامساً: أنّ هذه الروايات إمّا أن تكون غير صحيحة السند أو صحيحة السند، فهنا نقول:

أوّلاً: إذا كانت روايات الطينة غير صحيحة السند مع مخالفتها للقرآن والسـنّة فلابدّ من طرحها وضربها عرض الحائط.

ثانياً: إذا كانت روايات الطينة صحيحة السند، فهنا يوجد احتمالان هما:

الأوّل: إمّا ألّا يمكن رفع المنافاة بينها وبين ما ورد عن القرآن والسـنة، فـهنا يكون حالها حال الروايات في الحالة الأُولى في أنّها تطرح ولا قيمة لها.

الثاني: وأمّا أنّه يمكن رفع المنافاة وذلك بتأويلها إلى الوجوه التالية:

---

(١) الاحتجاج ٢: ٨٤.

(٢) الكافي ٢: ١/٤١٦.

(١) أن تكون هذه الروايات ناظرة إلى علم الله، أي أنَّ الله كما يعلم أنَّ السعيد سعيد وهو في بطن أمّه وأنَّ الشقي شقي وهو في بطن أمّه، يعلم ما هو سابقٌ على ذلك وهو علمه بإيمان المؤمن وكفر الكافر منذ طينته وتكوين مائه، ولا شك في القرآن والسنّة في كون علم الله السابق على حدوثها، بل أحد أهداف خلق الله الخلق كما يقال ليطابقَ الواقعُ الذي خلقه الواقعَ الذي يعلمه.

(٢) أن تكون هذه الروايات ناظرة إلى ما ستؤول إليه الطينة واقعاً، أي أنَّ واقع الإنسان إمّا أن يكون مؤمناً أو كافراً بالقوّة، وهو في حالة أنَّ الله يقوم بتكوينه منذ طينته إلى أن يصل إلى بطن أمّه إلى أن يخرج للخارج فيختار الايمان أو الكفر من دون دخل لله في صنع ذلك في طينة وتكوين الإنسان ولا في اختياره ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ (التغابن:٢).

(٣) أن تكون هذه الروايات ناظرة إلى الشخص الواحد لا إلى شخصين مختلفين أحدهما مؤمن والآخر كافر، أي عند تكوين كلّ إنسان منذ طينته إلى أن ينتقل إلى بطن أمّه والله يزوّده بالقوى المضادّة والقابليات والاستعدادات لقبول الطرفين المتضادّين بحيث يدعو أحدهما إلى السعادة والايمان والآخر إلى الشقاء والكفر، وعند خروج الإنسان إلى الدنيا يجد في داخله حالة الصراع الدائم بين مئات من المتضادات. ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس: ٧ ـ ٨)، فهنا أي وبعد خروجه يحتاج الإنسان إلى عقل سليم واختيار صحيح وإرادة قويّة ووعي راسخ وصبر مثابر وغيرها، ليستجيب إلى ما يدعوه في داخله إلى الايمان والسعادة والعلم والطهارة والتزكية والتكامل واليقين والهداية والكرم وانشراح الصدر ...وهكذا رافضاً ومسيطراً وقاهراً

وزاجراً إلى كلّ ضدّ يدعوه داخلياً إلىٰ الكفر والشقاء والجهل والدناءة والبخل والشك والضلال ...﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت:٦٩).

س: على أي نحو من القضايا قد جعل موضوع الآية ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؟

ج:

يوجد احتمالان:

(١) أن يكون موضوع الآية قد جُعل على نحو القضية الخارجية، فيصبح موضوع الآية (الكافرون) إشارة إلى مجموعة معينة من المشركين أو المنافقين في حياة الرسولﷺ لا ينفع معهم التبليغ لتماديهم بالكفر بحيث شملهم قانون الختم فلا يهتدون إلى الإسلام.

(٢) أن يكون موضوع الآية قد جُعل على نحو القضية الحقيقية، فيصبح موضوع الآية (الكافرون) على هذا فرضياً، بمعنى أنّ كلّ إنسان يصل بإصراره على الكفر إلى مرحلة بحيث لا ينفعه انذار المنذرين فيشمله قانون الختم سواء كان من الكافرين بالأصل أو من المرتدّين بعد الإيمان أو من المنافقين.

س: أيّ من وجوه الكفر السلبي الأربعة التي ذكرت في تقسيم الكافرين هم المقصودون في الآيتين؟

ج:

إذا قلنا بأن موضوع الآيتين جُعل على نحو القضية الحقيقة كما هو الأقرب فيكون قانون الختم يشمل كل إنسان يتمادى في كفره وعصيانه وتمرده ويصرّ على جحوده لعالم الغيب سواء كان من أصحاب الوجه الأوّل والثاني أو من أصحاب

الوجه الثالث والرابع الذين يتوسعون في عصيانهم حتى ينتقلوا بسببٍ من الأسباب إلى مرحلة الكفر المطلق الذي لا يرجعون عنه ويصرّون عليه فيشملهم قانون الختم، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة:٨١)، ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «إنَّ النفاق ليبدو لمعة سوداء فكلّما ازداد النفاق عظماً ازداد ذلك السواد، فإذا استكمل النفاق اسود القلب كلّه»[١].

س: هل لمسألة الختم علاقة بالجبر، حيث أصبح الكفّار مجبورين على الكفر بسبب ختم الله على قلوبهم؟

ج:

أوّلاً: إذا قلنا: انَّ الآية عبارة عن إخبار الله سبحانه لعلمه بخاتمة حياتهم وواقع الناس جميعاً الذي سوف ينتهون إليه، فهنا الإخبار عن شيء بعلم لا ينافي الاختيار، ليس علم الله بشيء والإخبار عنه إلّا كاشفاً لا سبباً.

ثانياً: إذا قلنا: انَّ الآية عبارة عن إخبار الله سبحانه بقانون الختم لقلوب الأرواح وسمعها الذي يشلّ حركة الإنسان الكافر نحو الهداية، فهذا ليس قانوناً غريباً عن كثير من القوانين الموجودة في عالمنا التي منها قانون الإدمان والاعتياد الذي يشمل كلّ من استمرّ بتناول بعض المواد المخدرة، ومنها قوانين الطبيعة التي منها الفعل وردّ الفعل، فإخبار الشارع المقدس بضرر مثل هذه المواد عن طريق النهي عنها وعدم تناولها لا يكون سبباً في اعتياد الإنسان عليها، فكذلك الآية ما دورها إلا إخبار عن وجود مثل هذه القوانين التي تحكم روح الإنسان وقلبه عند الوصول إليها بتمرّده

(١) مجموعة ورام ١: ٩٤.

وإصراره على المعاصي فلا دخل للجبر فيها.

نعم، يمكن القول بأنّ قانون الختم جبر يسعى الإنسان إليه باختياره كما هو قانون الإدمان والاعتياد على المخدّرات الذي يحكم الأبدان، وكما هي القوانين التي تحكم الطبيعة.

ثالثاً: أنّ إسناد الختم إلى الله ﴿خَتَمَ اللهُ﴾ من باب إسناد الفعل إلى مسبّبه باعتبار أنّه سبحانه خالق كل شيء ومن جملة ما خلق قانون الختم.

س: لو تستعرضوا لنا بعض القوانين المشابهة للختم من خلال الكتاب والسنّة.

ج:

● **الكتاب**

الأوّل: قانون الزيغ، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (الصف:٥).

الثاني: قانون الطبع، قال تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (النساء:١٥٥).

الثالث: قانون الترك وعدم العون من قبل الله، قال تعالى: ﴿اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (البقرة:١٥)، وورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «إنّ الله لا يوصف بالترك كما يوصف خلقه، ولكنّه متى علم أنّهم لا يرجعون عن الكفر والضلال منعهم المعاونة واللطف وخلّى بينهم وبين اختيارهم»[1].

الرابع: قانون عمى القلوب، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١١٣/١٦.

﴿الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج:٤٦).

الخامس: قانون رين القلوب، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (المطففين:١٤).

السادس: قانون الزيادة، قال تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ (التوبة:٧٧).

السابع: قانون الأكنان، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ (فصلت:٥).

الثامن: قانون الإضلال، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ (النساء:٨٨).

التاسع: قانون الإقفال، قال تعالى: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد:٢٤).

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

• السنة

(١) ورد عن الرسول محمد ﷺ أنه قال: «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، وإن ازداد زادت، فذلك الرين الذي ذكره الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»[١].

(٢) ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنه قال: «سبق في علمه تعالى أنهم لا يؤمنون، فختم على قلوبهم وسمعهم ليوافق قضاؤه عليهم علمه فيهم، ألا تسمع قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾»[٢].

(٣) من خطبة للإمام الحسين بن علي عليه السلام في كربلاء: «ويلكم ما عليكم أن تنصتوا

---

(١) روضة الواعظين ٢: ٤١٤.

(٢) مجمع البحرين ١: ٦٢٢.

إليّ فتسمعوا قولي، و إنما أدعوكم إلى سبيل الرشاد ...وكلكم عاص لأمري غير مستمع قولي، فقد ملئت بطونكم من الحرام، وطبع على قلوبكم»[١].

(٤) ورد عن الإمام علي بن موسى عليه السلام أنّه قال: «الختم هو الطبع على قلوب الكفار عقوبة على كفرهم»[٢].

س: نحن نشاهد الكثير من الضّالين الذين لا تنفع معهم الكلمة، يسعون بكل جدٍّ لعلمنة الحياة، هل يمكن للإنسان أن يحكم على مثل هؤلاء أنّهم قد ختم الله على قلوبهم بحيث نمتنع عن إيصال كلمة الحق إليهم أو الحوار معهم؟

ج:

أنّك تجد بعض من ذكرت وبعضاً ممّن كان ميؤوساً ظاهراً من هدايته قد تحول إلى طريق الهداية، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على أنّنا لم نكن من المطّلعين على الواقع حتى نميّز المشمولين لقانون الختم فنمتنع عن الحوار معهم، وعدم نفع الكلمة لا يساوق الختم لأن باب الهداية لم يكن منحصراً بالكلمة، وبالتالي لا يمكن أن نحكم على أيّ إنسان أنّه ممن ختم الله على قلبه، فتبقى الكلمة الطيبة ويبقى الحوار والتبليغ مطلوباً من قبل الرسالي عسى أن ينفع مادام الاحتمال باقياً، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنّه قال: «يا علي، لَئِن يهدي الله على يدك رجلاً خير لك ممّا طلعت عليه الشمس»[٣].

---

(١) البحار ٤٥: ٨.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١١٣/١٦.

(٣) نوادر الراوندي: ٢٠.

س: لماذا خصّص في الآية الإنذار ﴿ءأنْذَرْتَهُمْ﴾ دون مطلق الدعوة وجميع أساليب التبليغ؟

ج:

هنا توجد عدة احتمالات:

(١) أن يكون من باب استعمال الخاص وإرادة العام، فيراد من الإنذار مطلق الإخبار والدعوة.

(٢) أن يراد من الإنذار بما هو من جهة تأثيره الأقوى من البشارة، اشتغال الإنسان بدفع الضرر أشد من اشتغاله بجلب المنفعة خصوصاً مع هذه الشريحة الكافرة المشغولة بجلب المنفعة.

(٣) أن يراد من الإنذار الإشارة إلى الأُسلوب الأخير من أساليب الدعوة، حيث تبتدىء بالهدوء والانفتاح والبشارة ثم التخويف والإنذار، فاستعمال الإنذار فحسب كاشف عن عدم الجدوى لأي أُسلوب من أساليب الدعوة مع هذا النموذج من الكافرين.

(٤) أن يراد من الإنذار الإشارة إلى أسلوب الغالب في دعوة الله النّاس من خلال أنبيائه وكتبه، فلو تتبّعنا الإنذار كمهمّة للأنبياء لرأيناها تأتي منفردة وأكثر من التبشير الذي لا يأتي إلّا مقارناً مع الإنذار.

س: لماذا ذُكرت الآية السمع والبصر دون بقية الجوارح؟

ج:

لأنّهما السبيلان الرئيسيان للإدراكات العقلية الكسبية الشاملة لجميع جوانب الحياة.

س: ﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ ما المراد من القلب في القرآن؟

ج:

ليس في القرآن مورد محدّد يشير إلى ماهية القلب عند الإنسان، بل أُطلق على عدّة معانٍ منها:

(١) العقل ومركز التفكير، قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف:١٧٩)، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق:٣٧).

(٢) الروح والنفس، قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ (الأحزاب:١٠).

(٣) مركز أكثر الأحاسيس المعنوية، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران:١٥٩)، ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ (ق:٣٣)، ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ (القصص:١٠).

س: لماذا خصّ الله القلب والسمع بالختم، و خصّ الأبصار بالغشاوة؟ اذكر المحتمل من الجواب.

ج:

الأبصار تعمل عملها من خلال انعكاس الضوء من الأشياء فأي غشاوة تقف أمام البصر حتى لو كانت رقيقة فإنها تؤثر في وضوح الرؤية، بينما السمع يعتمد على وجود الهواء حيث لا يمتنع السمع إلّا بإحاطة جهاز السمع بحجاب سميك

يمنع دخول الهواء إليه وهو معنى الختم، وختم القلوب يكون نتيجة طبيعية لعدم إرادة الإنسان استخدام القنوات التي تغذي القلوب من السمع والبصر في مجالها الطبيعي فتتأكسد القلوب كما يتأكسد الحديد وبالتالي تحصل الإحاطة بالغلاف السميك عليه كما يحاط القلب الماديّ بالغلاف الدهني وهو حقيقة الختم، فالختم هو الحجاب الطبيعي للسمع والقلب، والغشاوة هي الحجاب الطبيعي للعيون، فالختم والغشاوة من الناحية المعنويّة غير مرتبّة حقيقيةً إلّا أنّ استعمال لفظ الختم والغشاوة بالذات دون غيرها من الأسماء التي تؤدّي نفس الدور قد يكون:

(١) إشارة ومراعاة لهذا العمل الآلي المادي لهذه الجوارح من ناحية القيام بالوظيفة، فالختم والغشاوة يؤدّيان نفس الوظيفة التي تؤثّر على السمع والبصر والقلب الماديّ.

(٢) أو إشارة إلى وجود هذه القوانين من الختم وإخوانه في عالم الصورة التي لها سنخية و تأثير ونوع ارتباط وسبب لعالم المادة، فيكون ختم وغشاوة عالم الصورة في التأثير والعمل على الجوانح كتأثير ختم وغشاوة عالم المادة على الجوارح والجوانح.

س: ألم يعتبر وجود مثل هذه القوانين عاملاً مساعداً في تكثير المفسدين في الأرض، باعتبارها تشلّ وتميت حركتهم نحو الهداية؟

ج:

(١) أنّ هذا القانون يشمل الذين قيّمهم الله بعلمه أنّهم لا يؤمنون إلى نهاية أعمارهم ﴿أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة:٦)، فلو كان هناك احتمال ولو ضعيفاً لما شملهم القانون هذا.

(٢) أنَّ وجود مثل هذه القوانين يعتبر عاملاً مساعداً كبيراً في قلّة المفسدين، فإنّك ترى أغلب الذين لا يتناولون المادة المخدّرة (الهيروئين) مثلاً خوفاً من السقوط بالاعتياد، فهنا أصبح التعرف على مثل هذا القانون (الاعتياد والإدمان) طريقاً تربوياً رادعاً عن تناول المادة الضارة المخدرة، وكذلك التعرف على مثل قانون الختم يكون عاملاً مساعداً في منع الإنسان من التمادي والإصرار والاستمرار على الجحود والكفر لو عرفه وتيقّن من وجوده.

س: ما هي الموارد التي لو ارتكبها المسلم يصبح في أدنى مراتب الكفر في نظر الشريعة الإسلامية؟

ج:

لقد ذكرت السنّة بعض الموارد التي يصبح الإنسان فيها في أدنى مراتب الكفر للتنبيه عليها وليقيس الإنسان نفسه عندما يقع فيما هو أكبر منها وهذا عامل تربوي جيّد، ومن تلك الموارد التي نبّهت الشريعة عليها:

الأوّل: التلاعب بالحكم الشرعي وصنع البدعة، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «أدنى ما يكون به العبد كافراً مَن زعم أنَّ شيئاً نهى الله عنه أنَّ الله أمر به ونصبه ديناً يتولّى عليه ويزعم أنّه يعبد الذي أمره به وإنّما يعبد الشيطان»(١).

الثاني: ورد عن يزيد الصائغ أنّه قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: رجل على هذا الأمر إذا حدّث كذب، وإن واعد أخلف، وإن ائتمن خان، ما منزلته؟ قال عليه السلام: «هي أدنى المنازل من الكفر وليس بكافر»(٢).

---

(١) الكافي ٢: ١/٤١٥.

(٢) الكافي ٢: ٥/٢٩٠.

الثالث: مراقبة عثرات أخيه المؤمن ليفضحه في يوم ما، ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «أدنى الكفر أن يسمع الرجل عن أخيه الكلمة فيحفظها عليه يريد أن يفضحه بها أُولئك لا خلاق لهم»(١).

س: ما هو المائز الذي يفرّق بين صدور المعصية من شرك وبين صدورها من كفر؟

ج:

المنطلق ونوع الطريقة التي سلكها الإنسان في اتّخاذ الفكرة والفعل المخالف للدين، وتوضيح ذلك يتمّ من خلال ما ورد عن الإمام الصادقؑ أنّه قال: «معنى الكفر كلّ معصية عُصِيَ الله بها بجهة الجحود والإنكار والاستخفاف والتهاون في كلّ ما دقّ وجلّ، وفاعله كافر ... فإن كان هو الذي مال بهواه إلى وجه من وجوه المعصية لجهة الجحود والاستخفاف والتهاون فقد كفر، وإن هو مال بهواه إلى التدين لجهة التأويل والتقليد والتسليم والرضا بقول الآباء والأسلاف فقد أشرك»(٢).

---

(١) كشف الريبة: ٩١.

(٢) وسائل الشيعة ١: ٣٦/٥٤.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة:٨).

س: ما معنى (النّاس) لغةً؟

ج:

النّاس: أـ أصل اللفظ مأخوذ إما من نسي أو من المؤانسة.

ب ـ الاضطراب.

● **النفاق والمنافقون**

س: مَن هذا البعض من الناس المقصود في الآية الكريمة ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾؟

ج:

هم المنافقون، وهم الذين يظهرون الشهادتين على لسانهم و يخفون الكفر في قلوبهم.

س: لماذا لم يظهر القرآن وصفهم (المنافقون) بصورة صريحة كما ذكر وصف المتّقين والكافرين من الناس بصورة صريحة؟ اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

(١) أن تكون الأقسام ثلاثة فقط حسب التقسيم العقلي أو الشرعي، فيكون الثالث متعيناً لذكر اثنين منهم.

(٢) أن يكون إشارة إلى أنّهم من الناس إلّا أنّهم يخالفون الطبيعة الإنسانية بأخلاقها

وسيرتها والتزاماتها الفكرية؛ لأنَّ الفطرة الإنسانية قد جبلت على السير في الطريق الواحد الواضح وأنّها ترفض التلوّن والتغطية، فأنكرهم الله لخروجهم عن الطبيعة الإنسانية.

(٣) أن يكون إشارة إلى أنّهم لا يشكلون شريحة مستقلة، بل من حيث الحقيقة هُمْ جزء لا يتجزأ من شريحة المؤمنين حينما يتلبس المؤمن بصفة أو أكثر من صفات المنافقين، ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «ثلاث من كُنّ فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم، إذا حدّث كذّب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان»[١]، والمنافق يكون جزءاً من الكافرين كما هي حقيقته سواء كان خارج الصف الإسلامي أو داخلاً بين صف المسلمين لغرض من الأغراض الخبيثة، والكافر يكون منافقاً لغرض من الأغراض، وعليه لا يمثّل المنافقون شريحة مستقلّة بنفسها، بل هم من هذا وذاك.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(٤) أن يكون إشارة إلى حالة الخفاء التي يتحركون من خلالها من حيث الدوافع و الأساليب، ليترك للمسلمين تشخيصهم حتّى لا يقعون في عمل النفاق.

س: لماذا ذكرت الآية الإيمان بالله واليوم الآخر فقط ﴿آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ دون ذكر بقية وحدات عالم الغيب؟

ج:

احتمال ذلك:

(١) لأن الإيمان بالله واليوم الآخر جامع لكل عالم الغيب وما بقي فهو من لوازمهما، فالذي يؤمن بهما يؤمن بالرسل والبرزخ والقيامة والجنة والنار وكل موجود غيبي.

---

(١) تحف العقول: ٣١٦.

(٢) أنَّ الايمان بالله واليوم الآخر يعبّر عن مجموع حركة الإنسان العقائدية التي تبتدئ بالايمان بالله وتنتهي بالايمان بالآخرة.

(٣) أنَّ هؤلاء المنافقين هم من اليهود، وعقيدة اليهود قد شوّهت أكبر عاملين في عقيدة التوحيد والمعاد من حيث جعلوا لله البنين وجسّموه، وقالوا بأنَّ الجنّة لهم خالصة وأن غيرهم في النار وهذا ما يعلنونه وليس: خافٍ على أحد، فعندما يظهر المنافقون الايمان بالله واليوم الآخر أمام المسلمين ليبيّنوا نسف أهم ركيزتين في عقيدتهم ليظهروا منتهى الايمان بالإسلام وإخلاصهم للمسلمين، فهو نفاق على نفاق وخداع فوق خداع.

س: لماذا نفى الله عن المنافقين الإيمان مع أنَّهم يصرّحون ويقرّون بإيمانهم أمام الرسول وأمام المسلمين؟

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

ج:

لأنَّ الايمان محلّه القلب والعمل لا اللسان، قال تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ (الحجرات: ١٤).

س: باعتبار أنَّ المنافقين من الذين لم يدخل الإيمان في قلوبهم، هنا حصل اختلاف في هل أنَّ التقسيم الثلاثي حقيقي أم بعضه والآخر اعتباري؟

ج:

كلّ تقسيم لشيء لابدّ من ملاحظة جهة المقسم التي بها يتميز التقسيم عن الآخر وتصنيفه، ومن هنا نقول:

أوّلاً: إذا لاحظنا الناس من جهة تلبّسهم بالايمان وعدمه واقعاً فيكون التقسيم

ثنائياً حقيقياً وثلاثياً اعتبارياً. لأن التقسيم بهذا اللحاظ سوف يجعل الناس قسمين:

(١) المؤمنون واقعاً، وهم المتقون.

(٢) غير المؤمنين واقعاً، وهم الكافرون والمنافقون.

ثانياً: إذا لاحظنا الناس من جهة استقرار الايمان وعدمه واقعاً فيكون التقسيم ثلاثياً حقيقياً. فينقسم الناس بهذا اللحاظ إلى ثلاثة أقسام:

(١) المتقون، وهم الذين قد استقر الايمان في قلوبهم حين هم متّقون.

(٢) الكافرون، وهم الذين قد استقر الكفر في قلوبهم حين هم كافرون.

(٣) المنافقون، وهم الذين لم يستقر الايمان ولا الكفر في قلوبهم حين هم منافقون.

ثالثاً: إذا لاحظنا الناس من جهة إعلان الايمان وعدمه ظاهراً فيكون التقسيم ثلاثياً حقيقياً. فينقسم الناس بهذا اللحاظ إلى ثلاثة أقسام:

(١) المتقون، وهم الذين يعلنون إيمانهم قولاً وعملاً.

(٢) الكافرون، وهم الذين يعلنون الكفر قولاً وعملاً.

(٣) المنافقون، وهم الذين يعلنون الإسلام قولاً فقط ويخفون الكفر والعمل المخالف للإسلام.

رابعاً: إذا لا حظنا النّاس من جهة بقاء واستمرار الايمان وعدم بقائه واستمراره فيكون التقسيم الثلاثي اعتبارياً وليس بحقيقي، لأنّه ليس كلّ مؤمن بقي على إيمانه وليس كلّ منافق بقي على نفاقه وليس كلّ كافر بقي على كفره ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ (المنافقون:٣).

خامساً: إذا لاحظنا مفهوم (المتّقون) (الكافرون) (المنافقون) بما هي مفاهيم من دون النظر إلى النّاس فيكون التقسيم ثلاثياً اعتبارياً. لأنّ في هذه الحالة يكون التقسيم إنشائياً صياغياً.

﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة:٩).

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

(١) الخداع: الإخفاء، وهو قصد السوء وإخفاؤه.

(٢) يشعرون: شعرت بكذا، علمت علماً في الدقة، مأخوذ من مسّ الشعر، فلا يكون إلّا فيما دقّ وخفي.

(٣) أنفسهم: نفس الشيء، هو حقيقة الشيء وعينه التي لا اختصاص لها بالمادة.

س: اذكر المحتملات في تفسير ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ﴾.

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

ج:

أولاً: يخادعون الله أي يخادعون رسول الله ﷺ، ونُسب إلى الله للأسباب التالية:

(١) ظهور عظمة الرسول ﷺ ورفيع درجته وقربه منه سبحانه وتعالى.

(٢) للتنبيه على أن الرسول ﷺ لم يكن لوحده أو بعدده القليل، بل هو مع القوة الغالبة التي لا يغيب عنها شيء ولا يقهرها شيء ذلك هو الله سبحانه وتعالى، فهو الحافظ والناصر له والمدافع عنه.

(٣) للتنبيه على أنّ حركة الرسول ﷺ تمثّل حركة الله على الأرض، فهو رسول الله ووليّه وعبده، فمن أطاع الرسول فقد أطاع الله، ومن بايع الرسول فقد بايع الله، ومن كذب على الرسول فقد كذب على الله، ومن يخادع الرسول فقد خادع الله. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ﴾ (الفتح:١٠)، وقال تعالى: ﴿أَنَّمَا

غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ (الأنفال:٤١).

ثانيا: يخادعون الله، أي يخادعون المؤمنين؛ لأنَّ حركة المؤمنين وجهادهم هو من أجل الله ودينه، وإنَّهم أولياء الله، فمحاربتهم بأُسلوب الخداع أو أي أُسلوب كان هو حرب ضد الله، ونسبه إليه سبحانه وتعالى ليشعر المؤمنين بأنَّ كل حركة ضدهم فهي ضده، فأمرهم أمره وشأنهم شأنه، وكل ذلك تفضيل منه سبحانه وتعالى وتكريم للمؤمنين وتسلية لهم ورفع مقامهم ومعنوياتهم ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

ثالثا: يخادعون الله باعتقادهم أنهم يخادعون الله؛ لأنَّهم لا يعرفون الله ولا يؤمنون به.

رابعا: صورة حالهم مع الله أنّهم يخادعون الله، حيث يظهرون الإيمان به ويخفون الكفر به صورة مَن يخادعه.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

خامسا: يخادعون الله أي يحاربون الله؛ لأنَّ الحرب خدعة كما قيل.

س: ما هو التعريف الاصطلاحي للخداع؟

ج:

إنزال الغير عمّا هو بصدده وبقصده بأمر يظهره على خلاف ما يخفيه بطريق لا يَعلمَه الغير، فيدخل فيه الغِش والغَبَن والتدليس والنفاق وذو اللسانين والوجهين وغير ذلك.

س: الخداع أُسلوب مرفوض من قبل العقل والشرع، لا يستعمله إلّا من كان عاجزاً أو خائفاً، كيف أجاز الله لنفسه اتخاذ نفس الأُسلوب ضدّ المنافقين من خلال قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ

﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ (النساء:١٤٢)؟

ج:

قد يراد من الخداع الإلهي:

(١) المعنى اللغوي للخداع وهو الخفاء، فيصير المعنى: أن المنافقين كما يستعملون الأُسلوب الخفي في حربهم ضد المؤمنين فإن الله يستعمل الأُسلوب الخفي كذلك في إفشال حركتهم، فالله هو المطّلع على الغيب والقادر على كل شيء، فاستعمال أُسلوب الخفاء في هذا المجال لإظهار قدرته سبحانه وتعالى، ولهذا استعمل صيغة الماضي ﴿خَادِعُهُمْ﴾ أي مطّلع على خفائهم ومستعمل الأُسلوب الخفي في طمس تحركهم منذ اللحظات الأُولى من حيث لا يشعرون.

(٢) لبيان الحق الطبيعي في اتخاذ الأُسلوب المماثل، أي أنّ اتخاذ الخداع كأُسلوب ضد من يخادع ما هو إلّا ممارسة لحق طبيعي له كقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ﴾ (الشورى:٤٠)، فمثل السيئة حق وليست سيئة، وإطلاق نفس الاسم عليها من باب المقارنة بين الأُسلوبين.

س: ما هو تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة:٩)؟

ج:

هنا عدة احتمالات:

(١) أنّ استعمال الخداع مع كل من لا ينخدع هو خداع للنفس، فكيف إذا استُعمل مع الله؟!! وهذا ممّا لا يشعر به المنافق.

(٢) محاكاتهم لأنفسهم بالنجاح والفوز هو غرر لأنفسهم وخداع لها من حيث لا يشعرون.

(٣) الخداع أسلوب مخالف للذوق الإنساني وللفطرة الإنسانية وللناموس الاجتماعي فنتيجته الحتمية الفشل، والمنافقون يعلمون بهذه الحقيقة، لكنّ أمانيهم الكاذبة الناتجة من الحالات المرضية النفسية التي أحاطت بهم وهم لا يشعرون بها تدفعهم للاستمرار لاتّخاذ مثل هذا الأُسلوب، كالعطشان الذي تدفعه حاجته للركض نحو السراب وهو يعلم أنه سراب، فهو يخدع نفسه.

(٤) جزاء المخادع المنافق جهنم، فالسائرون على هذا النهج سائرون بأنفسهم إلى النار واقعاً، وهذا ممّا لا ترتضيه النفس، فإقناع النفس بجنّة الدنيا الزائلة إن حصل عليها وخفاء خلود النار الحتمي عليها هو خداع للنفس واقعاً وهم لا يشعرون به، ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «مَن كان مسلماً فلا يمكر ولا يخدع، فإنّي سمعت جبرئيل يقول: إنَّ المكر والخديعة في النار»[1].

(٥) الشخصية الإسلامية هي حصيلة الإيمان بالغيب والنهج القرآني وتجربة الأنبياء والأئمة وجهود العلماء والعاملين، فهي تمتلك من المقومات ما لا تمتلكه أي شخصية أُخرى، ومن تلك المقومات هي أنّها شخصية لا تنخدع من الناحية العقائدية والمنهج الفكري لما تمتلك من النورانية الإلهية الكاشفة، وهذا ما لا يشعر به إلّا المتلبس بالإيمان، قال تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا

---

(١) وسائل الشيعة ١٢: ٢٤١/١٦١٩٨.

فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (الأنعام:١٢٢ـ١٢٣)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الحديد:٢٨).

(٦) من خداع المنافقين ومكرهم وإلحاق الضّرر المادي الآني بالمؤمنين ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾ (فاطر:٤٣).

(٧) ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أسلوب ذم بليغ، وخصوصاً إذا قصد منه المحسوس، حيث ينزلهم الله إلى مرتبة أدنى من الأنعام في عدم شعورهم، بل هم أضلّ سبيلاً.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (البقرة:١٠)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

(١) المرض: ما يقابل الصحة، وهو خروج البدن أو الروح عن حد الاعتدال من الوهن والفتور.

(٢) الكذب: الإخبار عن شيء بصورة مخالفة للواقع على ما هو عليه عمداً أو خطأً.

(٣) الزيادة: أن يضمّ إلى ما عليه الشيء في نفسه شيئاً آخر.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

س: ما نوع المرض الذي تصاب به القلوب؟

ج:

المرض في الآية قد جاء نكرة وهذا يدلّ على عدم توقف المرض على نوع واحد مشخّص، بل يتوقف على عمق الإنسان في عالم النفاق وعلى مستوى الدافع والأُسلوب السلبيين الذي يتحرك المنافق من خلالهما وعلى مدى تصرّفه بالشيء على غير وجهته.

س: ما هو الاحتمال في تفسير قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾؟

ج:

(١) أنّه إخبار من الله بأن الذي يختار النفاق ويسلك طريقه لم يكن اختياراً صحياً للإنسان الذي يمتلك العقل السليم والروح الصافية والسجيّة الإنسانية الطبيعية،

لأنَّ الإنسان لو ترك بطبيعته الصحيحة لا يرضى لنفسه أن يستعمل أسلوب المكر والخداع والحيلة وأن يظهر أمامه الشيء الحسن ويضمر له العداوة والبغضاء، ولهذا من الشيء الطبيعي أنَّ حالة النفاق تعبّر عن خروج الإنسان عن حالة الاعتدال الإنساني الكاشف عن وجود مرض، وبما أنَّ النفاق إضمار في القلوب فيشير الله إلى إصابة المرض في قلوبهم، ومن هنا نعرف أنّه كما تصاب الأبدان بالأمراض عند دخول الإنسان الأجواء الملوثة كذلك تصاب العقول والأرواح والنفوس بالأمراض ذلك عندما يدخل الإنسان في الأجواء الملوثة من الكذب ومصاحبة إخوان السوء والبقاء على الجهل واتباع الهوى و غيرها من الأجواء المملوءة بالجراثيم المتنوعة للأخلاق.

(٢) بما أنَّ موضوع هذه الآيات هو الإيمان ووجوده على أنحائه المختلفة عند الفئات الثلاثة من الناس، وإنَّ متعلّق الموضوع هو القلب؛ لأنَّ الإيمان بالله أو بمطلق الغيب محلّه القلوب، فلهذا تجد الله سلّط الضوء على قلوب المنافقين في أنّها مصابة بمرض؛ لأنَّ الله خلق القلوب سليمة لأن تكون وعاء لا يملؤه ويشغله إلّا الإيمان بالله، وأي شيء يشغل القلب غير الإيمان بالله يعتبر حالة مرضيّة لأنّه شغل للقلب في غير محلّه وانحراف عن عمله.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير ﴿إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء:٨٩)، أنّه قال: «القلب السليم الذي يلقي ربّه وليس فيه أحد سواه، وكلّ قلب فيه شرك أو شك فهو ساقط»[١]، وورد عن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه قال: «ألا إنَّ للعبد أربع أعين:عينان يبصر بهما أمر دينه ودنياه، وعينان يبصر بهما

---

(١) الكافي ٢: ١٦/٥.

أمر آخرته، فإذا أراد الله بعبد خيراً فتح له العينين اللتين في قلبه، فأبصره بهما الغيب وأمر آخرته، وإذا به غير ذلك ترك القلب بما فيه»[١].

س: كيف نعرف إصابة أرواح القلوب أو قلوب الأرواح بالمرض؟

ج:

يحتمل معرفته من خلال الأثر الذي يتركه المرض على شخصية الإنسان، من تلك الآثار ترى البعض لا يخضع لأوضح الأدلة، وترى البعض الآخر لا يعرف الإخلاص ولا يعرف حب الآخرين ولا يعترف بالإيمان ولا مطلق الغيب، وتجد البعض الآخر عنده المعروف منكراً والمنكر معروفاً، وتجد البعض يعارض الطبقة الواعية الحقّة المؤثرة، وغيرها من الآثار التي تكشف عن هوية صاحبها.

س: كيف نحتمل تصوّر زيادة المرض على المنافقين من قبل الله سبحانه وتعالى من خلال قوله تعالى: ﴿فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً﴾؟

ج:

(١) الزيادة قانون يشمل الصحيح و الخطأ الذي يسير عليه الإنسان، ومثل هذا القانون موجود في عالم الطبيعة وهو يشمل حالتي الخير والشر، ترى الإنسان إذا استلذّ بشيء مرّة واحدة يطلبه ثانية وثالثة ويزداد في طلبه من غير فرق بين ما يطلبه سواء كان ممّا يضره كالتدخين مثلاً أو ينفعه كنوع من أنواع الطعام، كذلك في العالم غير المحسوس هناك قانون الزيادة الذي يشمل الذي يستلذّ الطاعات أو المعاصي، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ

---

(١) الخصال ١: ٢٤٠/٩٠.

إِيمَاناً﴾ (الأنفال:٢)، وقال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً﴾ (نوح:٢١)، وإسناد الزيادة إلى الله من باب إسناد الفعل إلى مسبّبه.

(٢) أن ينصر الله رسوله والمؤمنين في ساحة العمل والجهاد والتأثير على الناس في عملية التغيير والاستجابة إلى ما يدعون إليه إلى الله ودينه ممّا يزيد المنافقين حقداً وحسداً وعزلة اجتماعية وسياسية وهكذا بقية الأمراض.

س: ما هي المحتملات الواردة في أن يكون الكذب سبباً ومصبّاً للعذاب الأليم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾؟

ج:

هناك عدّة احتمالات في استعمال الكذب في الآية:

(١) أن يكون إشارة إلى أنّ الكذب هو المفتاح والأساس لكل شرّ كما ورد ذلك في الأحاديث الشريفة.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

(٢) أن يكون إشارة إلى واقع شخصية المنافق الكاذبة؛ لأنّ المنافق يظهر شيئاً مخالفاً للواقع الذي يضمره وهو معنى الكذب وحقيقته.

(٣) أن يكون إشارة إلى واقع الكذب وأثره في تحرك المنافقين، حيث المنافق يكذب على الناس بظهوره لهم ما يريدون وما يتمنون ويتحرك بما يخالف ذلك، ويكذب على نفسه بإلقاء الأماني عليها بأن يصل إلى هدفه، ولهذا تجده كلما فشل في أسلوب اتخذ أُسلوباً آخر في المكر والخديعة والحيلة، ومن هنا نعرف أنّ الكذب هو المموّل الرئيسي الذي يدفع المنافق للاستمرار في عملية النفاق، وهو السمة الرئيسية التي تملأ المنافق وتحيط به.

س: ما هو الفرق بين (العذاب العظيم) الذي جعله الله للكافرين و(العذاب الأليم) الذي جعله الله للمنافقين؟

ج:

(١) كلّ عذاب عظيم هو مؤلم وليس كلّ عذاب مؤلم هو عظيم كالتعذيب بضربة العصا فإنّه مؤلم ولكن ليس بعظيم.

(٢) تخصيص العذاب الأليم للمنافقين لأنّهم يملكون الاستعداد لقبول الإيمان، فالحالة المرضية للجحود والإنكار لم تكن مستأصلة كالكافرين بحيث تفقدهم الإحساس، فالفرق واضح بين مصاب بالمرض منذ الأوائل من حياته وبين المصاب حالياً، فإنّ الذي يشعر بألم المرض أكثر هو الجديد الثاني وأمّا الأوّل فقد خدر جسمه، ولهذا فإنّ أي عذاب للثاني يكون مؤلماً له، بينما الأوّل يحتاج إلى عذاب عظيم حتّى تشعره بألم العذاب، وهذا لا يعني أنّ المنافق أقلّ خطراً من الكافر، بل الكلام بلحاظ الاستحقاق الأوّلي.

(٣) أن يكون تعدّد الأوصاف ناظراً إلى تعدّد أوصاف عذاب النّار والكشف عنها بصورة موزّعة على الآيات وليس له علاقة بالكافرين أو المنافقين أو غيرهم، فيذكر مرّة عظمة العذاب وأُخرى الألم وأُخرى آلات العذاب ...وهكذا.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة:١١-١٢)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيتين؟

ج:

(١) الفساد: هو خروج الشيء عن كونه منتفعاً به، قليلاً كان الخروج عنه أو كثيراً، يستعمل ذلك في المحسوس وغيره، ويضاده الصلاح.

(٢) الأرض: الجرم المقابل للسماء.

(٣) الصلاح: ضد الفساد والسيئة.

(٤) ألا: أداة تستعمل لتنبيه المخاطب.

س: من هو الذي ينهى المنافقين عن الإفساد في الأرض في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾؟ اذكر المحتمل من الجواب.

ج:

هم الداعون إلى الله، المبلّغون رسالة ربهم، الناصحون لهم الدين، الذين يتحركون لهداية الإنسان من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبما أن هناك مراتب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فالآية تشير إلى المرتبة الأولى له، وهو الإرشاد بالقول والتحاور معهم من خلال اللقاء أو الكتاب أو وسائل الإعلام المختلفة التي يمتلكونها.

س: قال تعالى: ﴿لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾، لماذا قال الله في الأرض مع أنَّ الفساد يقع على النّاس؟

ج:

هنا عدة احتمالات:

(١) أن يراد ﴿فِي الأَرْضِ﴾ أي مَن في الأرض وهم الناس، فيكون الإسناد عقلياً.

(٢) أن يراد ﴿فِي الأَرْضِ﴾ الناس من خلال الإشارة إلى الظرف المكاني المنحصر لهم وهو الأرض، كما لو قلت: لا تفسدوا عليَّ بيتي بقولكم، وأنت تريد الأهل الساكنين في البيت.

(٣) أن يراد ﴿فِي الأَرْضِ﴾ الأرض حقيقةً؛ لأن الله عندما خلق الأرض خلقها على شكل تشبع حاجة الإنسان المختلفة ذلك عندما يستثمرها بشكلها الصحيح، ولا يستثمرها بهذا الشكل إلّا المؤمنون العاملون بالشريعة الإسلامية، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف:٩٦)، فتركُ الأرض بيدٍ غير إسلامية معناه عدم تطبيق العدالة في الاستثمار والتوزيع لعناصرها وعدم حلّ مشاكلها ضمن الرؤية الربّانية الصحيحة التي وضعها لحلّ المشاكل التي تحصل، وبالتالي تتحول الأرض إلى عامل فزع وخوف بدلاً من أن تكون عامل أمن واطمئنان واستقرار.

(٤) أن يكون إشارة للارتباط بين الفساد العقائدي وبين فساد الطبيعة وعطاء الأرض، كما أنَّ هناك ارتباطاً بين الإيمان بالله وزيادة عطاء الأرض كما في الآية السابقة، وكما هو قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً﴾ (هود:٥٢).

س: حركة الإفساد لابدّ أن تكون واضحة لدى المسلم حتى ينهى عنها،

فكيف تظهر هذه الحركة للمسلم مع أنّ المنافقين لم يكونوا جسماً غريباً ولا حركة غريبة داخل الوسط الإسلامي؟

ج:

(١) حركة الإفساد عندما تكون واضحة لا تحتاج إلى المنافق فقط في القيام بها، بل يقوم بها المسلم العاصي والكافر والمنافق على حد سواء. نعم، حركة الإفساد الخفية تحتاج إلى المنافق للقيام بها؛ ذلك لأنّ المنافق شخصية إسلامية ظاهراً يقول ما يقوله المسلمون، ومعنى ذلك أنّه مطّلع على المفردات الإسلامية بحيث يستغل التأويل والعناوين الكلية واختيار ما يتناغم مع حركته وهدفه، ولهذا عندما يقولون للمسلمين: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ معناه وجود شيء في الإسلام قد أسند المنافق تحركه من خلاله بحيث يخدع بعض العوام من المسلمين، ولهذا نحتاج في أكثر الأحيان لتشخيص ذلك إلى العلماء والواعين من الأُمة الإسلامية وكشفه للمسلمين للنهي عن عمله والوقوف ضده، وبما أنّ حركة النفاق متغيرة حسب الزمان والمكان فلا يمكن حصرها بالمثال. نعم، قد أشار القرآن إلى الكثير من كليّات توجهاتهم ومنهجيتهم العامة والخاصة سنذكرها في محلها إن شاء الله تعالى.

(٢) أنّ الفساد والصلاح في خطاب الآية صفة للفعل لا للفاعل، فهنا الإسلام قد أعطى للمؤمنين الخطوط العامّة والخاصّة التي من خلالها يميّز المؤمنون العمل الفاسد عن الصالح كان مَن يكن القائم به، فنهي المؤمنين عن العمل الفاسد ناتج من تشخيصهم له من خلال الضوابط الإسلاميّة التي يمتلكونها.

س: ألم تجد قولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ كاشفاً عن قناعة داخلية فيما يتبنونه، خصوصاً إذا لاحظنا ﴿إِنَّمَا نَحْنُ﴾ حيث يحصرون الإصلاح فيهم وعندهم؟

ج:

أولاً: أنّ قول: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ شعار يرفعه كلّ من يتصدى للعمل السياسي والاجتماعي وغيره من الأصعدة حتى من غير المسلمين سواء كان بدافع القناعة أو لم يكن كذلك.

ثانياً: أنّ قول: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ وإن كان كاشفاً عن قناعتهم لكن حديثنا هو عن قناعة الإسلام في التحرك الإصلاحي وواقعه لا قناعة الآخرين المختلفة المتخلّفة. المعروف ما كان معروفاً في الإسلام والعقل والمنكر كذلك لا ما يراه الآخرون. فالمسؤول عن تشخيص وتعريف الصلاح للآخرين هو كل من كان في داخل دائرة الإسلام والإيمان والعمل بهما. فلا ننتظر من الآخرين الذين هم خارج دائرة الإسلام أن يعرّفونا على ما هو الصلاح ولا غيره من الاصطلاحات التي يملأها الإسلام معرفة وعلماً ونوراً.

س: كيف نتصوّر المنافقين وهم يخططون لحركة الإفساد ويدعون لها ويعملون عليها وهم لا يشعرون؛ لقوله تعالى: ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ﴾؟

ج:

عدم الشعور يأتي من أبواب منها:

(١) أن يؤلّف المنافق مقدمات فاسدة فتكون النتيجة فاسدة وهو لا يعلم بفساد

المقدمات أو بعضها.

(٢) أن يعتاد على المحيط الفاسد الذي يعيشه لمدة طويلة بحيث يجعله في غرفة مظلمة لا يرى النور من خلالها، ويتحوّل الفساد إلى جزء من حياته، فيكون محيطاً به مسيطراً عليه، وعندئذ تنقلب الموازين عنده، فيعتبر أنّه لا حلّ للمشاكل إلّا عن هذا الطريق فيفقد الشعور عنده بأنّ هذا الطريق هو سبب المشاكل التي دخلت إلى الإسلام وجاء بالويلات على المسلمين.

(٣) أن يدخل إلى عالَم النفاق في عمر الشباب وهو لا يعرف من الإسلام شيئاً، يدخل مغترّاً بما يرفعه المنافقون من شعارات ليفجّر طاقته في هذا الاتجاه، من دون شعور منه أنه أصبح من المفسدين في الأرض لمعرفته البسيطة عمّا يدور حوله من كبريات الأُمور.

(٤) قد تشير الآية إلى خفة وخفاء الإفساد بحيث ينطلي على المنافقين أنفسهم في بعض الأحيان، ولهذا يحتاج المسلم دائماً إلى الفحص والتدقيق والرجوع إلى أصحاب الاختصاص وخصوصاً في القضايا العقائدية والفكرية فإنّ فيه الشيء الكثير من الخفايا.

(٥) قد تشير الآية إلى عالَم الآخرة لما أعدّ الله لهم من العذاب وهم لا يشعرون لعدم إيمانهم بذلك، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ (الكهف:١٠٣ـ١٠٤).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:١٣)

س: ما معنى (السفهاء) لغةً؟

ج:

السفه: خفة ورداءة في النفس أو البدن، ضعف في العقل، ضده الحلم.

س: قال تعالى: ﴿آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾، هل يعتبر إيمان بعض الناس بشيء كمقياس لإلزام البعض الآخر به؟ اذكر المحتملات لما هو المراد من الآية.

ج:

أولاً: الله نور السماوات والأرض، الله هو الحق، قد تجلى من خلال آياته في الآفاق والأنفس، فالايمان به حقيقة يلزم العقل بها كل عاقل يتجرد عن أوهام التخلف، والجحود بهذا النور والحق والوضوح وسرّ الوجود يعتبر طريقة غير عقلائية ونقصاً في العقول وهو معنى السفه حقيقة، فالأمر الموجّه إلى غير المؤمنين بالايمان كما آمن الناس إشارة إلى نقصان عقول غير المؤمنين و إرشاد إلى اتخاذ سيرة العقلاء في اتخاذ القرارات العقلية ورفع لهم عن حظيرة الأنعام، فالناس المعرّفون من قبل الله ليس هم مطلق الناس، بل يشير الله من خلال هذه الآية إلى كُتَل العقول من الناس الذين آمنوا منهم بالله واليوم الآخر، فهم المثل الأعلى للبعض الآخر من الناس، وهم الذين أعطوا للعقل حقّه ومحلّه عندما آمنوا بالغيب، فهو من باب إطلاق العام وإرادة الخاص.

ثانياً: أن يكون إشارة إلى طبيعة الإنسان في الإيمان بالشيء، وهو أنَّ الإنسان إذا آمن بشيء يدعو له ويعمل على طبق ما يؤمن به، أما أنْ يظهر الإيمان ويدعو لغيره ويعمل على ما يخالفه فهذا خروج عن طبيعة الناس، والله يدعوهم أن يكونوا كالناس في تبنّيهم للفكرة وإبرازها قولاً وعملاً، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «ما أقبح بالإنسان ظاهراً موافقاً وباطناً منافقاً»(١).

ثالثاً: أن يكون إشارة إلى الذوق الأخلاقي العام للناس الذي يرفض المكر والخديعة والكذب وأن يكون ذا لسانين ووجهين، وكل هذه وغيرها من الصفات البارزة في المنافقين، فالأمر بالإيمان كإيمان الناس هي دعوى إلى الأخلاق التي فطر الله الناس عليها في وحدتها وسلامتها وبساطتها وقبولها لما هو الحقّ دون الأمراض التي تدعو إلى التعقيد في الأمور وهي ليست بحاجة إليها، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «ما أقبح بالإنسان أن يكون ذا وجهين»(٢)، «النّفاق شين الأخلاق»(٣).

س: ماذا يكشف ردّ المنافقين في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾؟

ج:

هنا عدّة محتملات:

(١) يكشف عن العناد والإصرار على ما يسيرون فيه وعلى ما هم عليه.

---

(١) غرر الحكم: ٤٥٨/١٠٤٧٧.

(٢) غرر الحكم: ٤٥٨/١٠٤٧٧.

(٣) غرر الحكم: ٤٥٨/١٠٤٧٤.

(٢) يكشف عن الذكاء الشيطاني الذي يمتلكه بعض المنافقين، حيث يبادر إلى مهاجمة الآخرين باتهامهم لما هو واقع فيه ليشغل الطرف الآخر بالدفاع عن نفسه.

(٣) يكشف عن أُلفة بعض المنافقين بالتقليد الأعمى والاعتزاز بالإثم والإعراض عن النظر والتحليل العقلي وإلى الواقع الذي يعيشونه والهدف الذي يرمون إليه.

(٤) أن تكون كلمات المنافقين هذه وردّهم هذا منبهاً للمؤمنين لأن يتحصّنوا بالعلم والحكمة والأدلّة حتّى لا يكونوا عرضة للتضعيف والتهمة بالسفه من قبل المنافقين والخارجين عن الإسلام.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

س: ما هو التفسير المحتمل لجواب الله في قوله تعالى: ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لايَعْلَمُونَ﴾؟

ج:

هنا عدّة محتملات:

(١) أنّه تأكيد من الله لما يراه الإنسان العاقل من السفه الذي يمتلكه المنافقون من خلال النظر إلى المنهج الفكري والأُسلوب العملي الذي يسير عليه المنافقون.

(٢) أنّه جواب الله نيابة عن المؤمنين باعتبار أنّ الاتهام الموجه إليهم موجّه إليه سبحانه وتعالى، فهو المدافع عنهم والواقف إلى جنبهم، ليزيد المؤمنين اطمئناناً وثباتاً، ويجعل المنافقين يعيشون الخوف والاضطراب النفسي لأنّهم يجابهون الله بمجابهتهم للمؤمنين.

(٣) أنّه كاشف عن مبغوضية الله للسفه، فهو تنبيه لكل إنسان أن يقع في السفه واللامبالاة في التفكير واتخاذ المواقف.

(٤) أنّه جواب الله الذي يمثل واقع الحق والصدق، وجواب غيره ما هو إلّا محض الكذب والافتراء، فهم السفهاء واقعاً حين اتّخذوا النفاق طريقاً ومنهجاً يسيرون عليه.

س: ما هي المحتملات الواردة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾؟

ج:

أولاً: أنّه سبحانه وتعالى وحده العالِم بما يذخره للمنافقين السفهاء من العذاب الأليم يوم الآخرة وهم لا يعلمون واقع ذلك.

ثانياً: إشارة إلى بعض أفراد المنافقين أنهم يسيرون في السفه ولا يعلمون بذلك.

ثالثاً: إشارة إلى المنافقين وهم يسيرون في النفاق لا يعلمون بالآثار الخطيرة الكبيرة الذي التي يتركها المنافق في نفاقه على الحياة الاجتماعية وغيرها للناس.

رابعاً: إشارة إلى المنافقين الذين يتخذون النفاق منهجية وسلوكاً وهم لا يعلمون ما في الإسلام من نعمة الفكر والسلوك وما فيه من خير الدنيا والآخرة للناس أجمعين.

س: ما هو الفرق بين عدم الشعور وعدم العلم في نهاية الآيتين ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ و ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾؟

ج:

أذكر احتمالين:

(١) لا فرق بينهما إلّا أن يكون عدم الشعور مبالغة في الجهل وعدم العلم.

(٢) أن يكون هناك فرق، وهو أنّ ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾ قد استعملت فيما يقع تحت

الإحساس والشعور وهو هنا الإفساد الذي غالباً ما يظهر في النتيجة على مستوى الفكر أو العمل ممّا يشعر الإنسان بخطئه وفساده في التفكير أو الأسلوب، بينما ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ قد استعملت فيما لا يقع تحت الإحساس والشعور، وهو هنا الايمان بالغيب المرتكز على الدلائل العلمية العقلية والشرعية التي تحتاج من الإنسان إلى العلم والانفتاح العقلي عليها.

س: لماذا اختصت هاتان الآيتان بالاشتراك بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا...﴾، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا ...﴾؟

ج:

يُحتمل أنَّ عملية الإفساد وإن كانت واقعة تحت الشعور إلّا أنّه ليس كلّ ما هو واقع تحت الحس والشعور أن يحس ويشعر به الإنسان وخصوصاً في الأُمور الفكرية والعقائدية ومنهجة العمل، وليس كل معلوم أن يعلم به الإنسان على ما هو عليه وخصوصاً في الأدلة المختصة في الأُمور الغيبية وغير المحسوسة. ففي كلتا الحالتين يحتاج فيها الإنسان إلى الحجة والمُرشد والمنبّه والهادي، فعندما يتوفر وجود المُرشد والمنبّه والهادي حقاً ولم يلتزم بما يرشد إليه وينبّه عليه ويهدي إليه فهو فساد في النتيجة حتماً وسفه لترك الفرد الصحيح والأكمل واختيار عكسه، فكأن الآيتين تكون هكذا: (عندما يتوفر المرشد والمنبّه ويرشدهم وينبّههم على خطئهم وفسادهم لعدم شعورهم بما وقعوا فيه فهم لا يلتزمون، بل يقولون: نحن مصلحون، فتكون النتيجة الحتمية هم المفسدون لعدم التزامهم بما نبهوا عليه وبما أرشدوا إليه من الإصلاح والصلاح)، (وإذا توفرت الحجة والبراهين لهم لتهديهم إلى معرفة المعلوم بما هو عليه بسبب عدم علمهم به وهدايتهم إليه لا يلتزمون بها

بقولهم: أنؤمن كما آمن السفهاء؟ فتكون النتيجة الحتمية هم السفهاء؛ لتركهم الحجج والبراهين الساطعة واختيار الطريق الرديء والبقاء على خفة العقل ونقصانه) .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ۝ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (البقرة: ١٤ـ١٥)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيتين؟

ج:

(١) اللقاء: كلّ شيء استقبل شيئاً على وجه المقاربة أو الاجتماع.

(٢) الخلاء: أ ـ الذهاب و الانصراف. ب ـ الانفراد به.

(٣) الهزء: أ ـ السخرية والازدراء بالطرف. ب ـ الانتقام. ج ـ العدو السريع والخفة.

(٤) المد: هو الزيادة في الشيء من نفسه أو من خارجه.

(٥) الطغيان: هو تجاوز الحد في الزيادة.

(٦) العمه: أ ـ التردد والتحير. ب ـ عمى في الرأي.

س: ماذا تستنتج من الآية التالية: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾؟

ج:

(١) أنّ المنافق ذو شخصية واحدة من ناحية عدم إيمانه بالله ورسوله ورسالته.

(٢) أنّ المنافق ذو شخصية مزدوجة من ناحية اعتقاده وحركته ومن وجهة نظر المؤمن إليه.

(٣) أنّ المنافقين أصحاب حركة منظّمة وشخصيّات ملتزمة بالأوامر بحيث يرجعون إلى مسؤوليهم وشياطينهم من رؤوس النفاق.

(٤) أنَّ أساس النفاق من اليهود اعتماداً على روايات من أئمة أهل البيتﷺ، منها ما ورد عن الإمام الباقرﷺ عندما سئل عن معنى شياطينهم، أنّه قالﷺ: «أنهم كهّانهم»(١).

(٥) لقاؤهم مع المؤمنين لقاء عابر سطحيّ مصلحيّ، ولقاؤهم مع رؤسائهم الشياطين لقاء مستقر، بحيث يكون أصل الرجوع في حركتهم ومعتقدهم إلى شياطينهم.

(٦) هم الذين يبتدِئون باللقاء مع المؤمنين وهذا يعني أنهم لا يتركون المؤمنين، بل يحاولون التقرب إليهم ليدرسوا نقاط الضعف فيهم ويعيشوا أخبارهم لينقلوها إلى رؤسائهم.

(٧) يستعملون أُسلوب الاستهزاء المبغوض إنسانياً وشرعياً وهو في نفس الوقت أُسلوب خادع يستعمل لتضعيف حركة المسلمين في أعين الناس وإبعاد مَن يحاول التقرّب منهم والتأثير بهم كما يستعمله الحكّام الظلمة ضدّ المؤمنين اليوم.

س: ما هي المحتملات الواردة في تفسير قوله تعالى: ﴿اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾؟

ج:

الأوّل: أنّه جواب الله نيابة عن المؤمنين، وقد مر توضيحه في جواب ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ..﴾

الثاني: أنّه حق طبيعي يمارسه الله بدوافع تختلف عن دوافع غيره، وقد مرّ توضيحه في جواب ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾.

---

(١) البحار ٩: ٦٤.

الثالث: أنّه وحده سبحانه وتعالى القادر لاتّخاذ مثل هذه الأساليب لمعرفته بمحلها ومناسباتها ومقدارها ووقتها ونوعها وعلى مَن تقع، أما غيره فليس له حق اتخاذ مثل هذه الأساليب لجهله بكل ما مر، وعلى هذا الاحتمال فلا يجوز استعمال الاستهزاء من قبل الإنسان المؤمن لجهله بواقع الاستحقاق.

الرابع: استعمل الله هذا الأسلوب معهم بعد تعدّيهم بإقرارهم، فإنّ الله لم يؤآخذهم على كذبهم ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾، ولا على اتّخاذهم المنحرفين والضالين قدوة لهم ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾، ولا على تأكيدهم في الثبات على طريقتهم طريقة النفاق ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾، لأنّ الله عندما جعل الإنسان مختاراً فليس على اختياره جزاء إلّا في عالم الآخرة.

نعم، عندما تعدّوا على الطرف الآخر ـ وهم المؤمنون ـ بالاستهزاء وقد أقرّوا ذلك ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ هنا تدخّل الله في المنع والحرب ضدّهم، وكلّما زادوا في التعدية مدّهم الله في العمه والحيرة من خلال نصرة أوليائه ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، ومثله في الإسلام، فاليهود والنصارى وغيرهم لم يقتّن الإسلام محاربتهم سواء كانوا داخل الدولة الإسلامية أو خارجها.

نعم، عندما يعتدّون على الإسلام والمسلمين ويرفعون السيف ضدّهم ويتّصف كلّ فرد منهم بكونه محارباً عند ذلك تجب مجاهدتهم من قبل المسلمين، ومثله لو انتقلنا إلى دائرة أضيق وهي دائرة المسلمين فيما بينهم من مذاهب وتجمّعات، فلينظروا أنّ الله تدخّل في عملية تعدّي المنافقين على المؤمنين بالاستهزاء التي قد يكون أضعف طريق للتحرّش والمحاربة، فكيف ونحن نرى اليوم ما هو أكبر من

ذلك من محاربة المسلم لأخيه المسلم بكلّ الوسائل التي أُتيحت له وكأنّه يواجه محارباً؟!!.

س: ما هي المحتملات الواردة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾؟

ج:

الأوّل: أن يكون من باب عطف الخاص على العام، أي يكون المد في الطغيان نوعاً من أنواع الاستهزاء الذي يستعمله الله ضد المنافقين، حيث لمّا كانت نظرتهم إلى الاستهزاء كأحد الطرق التي تجلب لهم المنفعة والنجاح في العمل، فمع الإصرار والاستمرار في هذا العمه يزيدهم الله فيما جاوزوا فيه الحد الذي يؤدّي فيهم إلى السقوط في الدنيا وعذاب في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (آل عمران:١٧٨)، وعلى هذا الاحتمال تكون الزيادة من نفس النوع.

الثاني: أن يكون إشارة إلى قانون المدّ الذي يشمل الطاغي الذي يصرّ على عمهه وعمى قلبه، وقانون المد هو ترك الله لهم وعدم مدّ يد الهداية إليهم فيبقون في مدّ وزيادة في التردد والتحيّر وعمى القلوب، وعلى هذا الاحتمال تكون الزيادة من غير نوع الاستهزاء ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ (مريم: ٧٩)، ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ (مريم:٧٥).

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (البقرة:١٦)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

(١) الشراء: هو استبدال شيء بشيء آخر على وجه التمليك.

(٢)الضلالة: أ ـ ضد الهدى والرشاد. ب ـ الحيرة و الانتكاسة والتقهقر.

ج ـ الضياع والخروج عن القصد. د ـ السهو والغفلة.

(٣) الربح: هو الزيادة على رأس المال.

(٤) التجارة: هي مهنة البيع.

س: لماذا مَثّلَ الله حركة المنافقين وعملهم بالتجارة؟ اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

(١) لأنّها التعبير الواقعي عن حركة الإنسان في الحياة، حيث إنّها قائمة على جلب الربح وترك الخسارة سواء بين الناس بعضهم لبعض أو بين الإنسان وربه، ورد عن الإمام الهادي﵇ أنّه قال: «الدنيا سوق ربح فيها قوم وخسر آخرون»[(١)] فليس هذا المثل مختصّ بالمنافقين.

(٢) لأنّه أوضح مَثَل على وجود الاختيار؛ لأنّ التاجر بنفسه اختار المهنة والبقاء عليها والاستمرار بها وبنفسه يتولّى عملية البيع والشراء وبنفسه قام بدراسة

---

(١) تحف العقول: ٤٨٣.

المطلوب للناس وبنفسه يشاهد السلعة الجيّدة ويميّزها عن غيرها، ولهذا نجد استعمال التجارة والكسب كثيراً في القرآن لبيان اختيار الإنسان فيما كسب سواء في الخير أو الشر، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ (آل عمران:١٥٥)، ﴿وَلا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئاً﴾ (الجاثية:١٠)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ (البقرة:٢٦٧).

س: ما هي المحتملات التي ترد في تطبيق هذا المَثَل على حركة المنافقين؟

ج:

الأوّل: أن يكون المَثَل إشارة إلى الوجه الأوّل لخسارة المنافقين، وهي أنّ الإنسان العاقل عندما يريد عملية البيع لابدّ أن يختار السلعة التي تنفع الناس ومحبوبة عندهم وذات السعر الذي يجلب له المنفعة والربح، وعندما يريد أن يشتري سلعة لا بدّ أن تكون تلك السلعة ذات نفع له، وهذا هو مسير العقلاء في عملية الاستبدال والتجارة. إلاّ المنافقين، وعلى الرغم من أنّهم يمتلكون العقل والفطرة ووجود النبيّ بينهم والكتاب معهم إلاّ أنهم كلُّ ذلك يتركونه للناس ينتفعون به أمّا هم فيأخذون الكذب والحيلة والخداع والمرض عوضاً عنه وهذا هو منتهى الخسارة.

الثاني: أن يكون المَثَل إشارة إلى الوجه الثاني لخسارة المنافقين، حيث يجعلون الكذب والخداع والاستهزاء والحيلة هي سلعتهم التي يعرضونها من أجل بيعها على الناس اعتقاداً منهم أنّها هي التجارة المربحة والمحبوبة لدى الناس، ولكن في حقيقة الأمر والواقع أنّها سلعة مبغوضة تبقى عندهم مكدّسة لا يشتريها إلاّ مَن في قلبه مرض وفي عقله نقص.

الثالث: أن يكون المَثَل إشارة إلى عدم معرفتهم بالتجارة وعدم اختصاصهم بها أصلاً؛ لأنهم لا يعرفون ماذا ينفع الناس حتى يبيعوا لهم، ولا يعرفون ما ينفعهم حتى يشتروه، فليتركوا ساحة التجارة إلى أصحاب الاختصاص وهم المؤمنون بالإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء:١٠٥)، ومن كلّ ما مرَّ نعرف أنّه من الطبيعي أن تكون خسارة المنافقين واضحة نتيجة لهذا النوع من الدافع وهذا النوع من الكسب والتجارة مع اختلاف العرض والطلب، فهم خسروا أنفسهم لعدم وصولها إلى الربح والهداية وخسروا الناس لعدم القبول منهم بعرضهم هذا، ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (البقرة:١٦).

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ صُمٌّ * بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ (البقرة:١٧-١٨)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيتين؟

ج:

(١) المثل: عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر.

(٢) استوقد: طلب الوقود لإشعال النار.

(٣) النار: هي جوهر لطيف مضيء حار محرق.

(٤) الضوء: ما انتشر من الأجسام النيّرة.

(٥) النور: الضوء المنتشر الذي يعين على الإبصار.

(٦) الأصم: هو سدّ الأذن بحيث لا تعمل عملها، وقد يكون ذلك من أصل الولادة.

(٧) البُكم: اعتقال اللسان بحيث لا يعمل عمله الصحيح، وقد يكون ذلك من أصل الولادة، وقد يكون سببه الصمم منذ الولادة، إنّ الصمم في هذه الحالة يولّد اعتقال اللسان لعدم فهمه للّغة أصلاً فيموت عنده النطق لا كليّاً، بل يمكن إعادته بالتمرين.

● **المثل الإلهي**

س: ما هو التعريف الاصطلاحي للمَثَل؟

ج:

المَثَل: هو أسلوب أدبي يُستعمل لتقريب الفكرة أو تأثيرها بشيء محسوس لوجود الشبه بينهما.

س: قيل عن المَثَل: يقرّب من جهة ويُبعّد من جهات، فلماذا يستعمل الله هذا الأسلوب؟

ج:

أولاً: هناك فرق بين المَثَل الذي يضربه الناس والمَثَل الذي يضربه الله، حيث إنّ الناس لا يعرفون من الأشياء إلّا ظاهرها فهم يستعينون بظاهر الشيء المشابه للفكرة التي يريدون تقريبها، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام وهو يوصي ابنه الإمام الحسن عليه السلام أنّه قال: «استدل على ما لم يكن بما قد كان، فإنّ الأمور أشباه»[1]، فهم يلحظون جهة واحدة من الشيء وهي المشابهة، بل وحتى نفس الفكرة يجهلونها من حيث الدقة والإحاطة في كثير من الأحيان، ولهذا تجد أنّها تقرّب من جهة واحدة وتبعّد من جهات.

أما المَثَل الإلهي الذي هو خالق الأشياء كلّها والعالِم بدقائقها فَمَثَله ليس كذلك، هو سبحانه وتعالى كما محيط بالشيء بما هو هو فهو سبحانه محيط بالفكرة كذلك، وعلى هذا نقول: إنّه كلّما تعمّقت بالشيء المضروب به المَثَل الإلهي أكثر كلما

---

(١) نهج البلاغة ٣: ٣١/٥٥.

تعمّقت بالفكرة أكثر وحصلت على ما هو أكثر وضوحاً وتطابقاً واكتشفت ما كان خفيّاً، والنتيجة تكون: إنّ المَثَل الإلهي يقرّب من كلّ جهة متعلّقة به ولا يبعّد من أيّ جهة متعلّقة به، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر:٢١)، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل:٧٤)، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «فيالها أمثالاً صائبة، ومواعظ شافية، لو صادفت قلوباً زاكية، وأسماعاً واعية، وآراءً عازمة، وألباباً حازمة»[١].

ثانياً: امتحان واختبار منه سبحانه لكشف طاعة عباده له، فكما وضع المتشابه في القرآن للامتحان كذلك وضع الأمثال، قال تعالى: ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (المدثر:٣١)، ورد عن أبي ذر رضي الله عنه أنّه قال: قلت: يا رسول الله، ما كانت صحف إبراهيم عليه السلام؟ قال صلى الله عليه وآله: «كانت أمثالاً كلّها»[٢].

ثالثاً: المَثَل أحد أساليب إيجاد الحركة للفكر والفحص عن المجهول، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (العنكبوت:٤٣)، وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «ضروب الأمثال تُضرب لأُولي النهىٰ والألباب»[٣]، «لأهل الاعتبار تضرب الأمثال»[٤].

س: لماذا تتعدد الأمثال وتكثر في القرآن الكريم؟

ج:

---

(١) نهج البلاغة: ١٠٩.

(٢) الخصال ٢: ١٣/٥٢٥.

(٣) غرر الحكم: ٦٨٣/٦١ .

(٤) غرر الحكم: ٦٨٣/٦١

لأحد السببين:

(١) إما لتعدد الموضوع الذي يراد له ضرب المثل فيتعدد المثل لأجل ذلك.

(٢) أو أن يكون الموضوع واحداً ولكنّ التعدد يكون في الجهة التي يُراد ضرب المَثَل لأجلها، كما هو الحال في شخصية المنافق الواحدة التي تمتلك عدّة جهات مختلفة من حيث الأُسلوب والفكر والدوافع وغيرها ممّا تؤدي في بعض الأحيان إلى ضرب أكثر من مثل للجهة الواحدة للوصول إلى فهم حقيقة تلك الجهة.

س: لقد ذكرت الشريعة عناوين كثيرة وضربت لبيان حقائقها الكثير من الأمثال، اذكر بعضاً من تلك العناوين مع ذكر المِثَال المضروب لها.

ج:

(١) الحقّ والباطل، قال تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ﴾ (الرعد:١٧).

(٢) التقرّب إلى الله والوصول إليه، حيث مثّل له بالطريق المستقيم، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام:١٥٣)، ورد في الحديث: خطّ رسول الله ﷺ خطاً بيده ثمّ قال: «هذا سبيل الله مستقيماً»، ثمّ خط خطوطاً عن يمين ذلك الخطّ وعن شماله ثمّ قال: «وهذه السّبل ليس منها سبيل إلّا عليه شيطان يدعو إليه»، ثمّ قرأ «﴿وَأَنَّ هَذَا

صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ﴾»[١].

(٣) دور الرسولﷺ في أُمّته، ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الفراش والجنادب يقعن فيها وهو يذبّهن عنها وأنا آخذ بحجزكم عن النّار وأنتم تفلتون من يدي»[٢].

(٤) دور القرآن في الناس، ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «مثل القرآن ومثل النّاس كمثل الأرض والغيث، بينما الأرض ميتة هامدة إذ أرسل الله الغيث فاهتزت ثمّ يرسل الوابل فتهتز وتربو، ثمّ لا يزال يرسل الأودية حتّى تبذر وتنبت ويزهر نباتها ويخرج الله ما فيها من زينتها ومعايش النّاس والبهائم، وكذلك فعل القرآن بالنّاس»[٣].

(٥) دور الأُمّة الإسلامية، قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ (الفتح:٢٩)، ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «مثل أُمّتي كالمطر يجعل الله تعالى في أوّله خيراً، وفي آخره خيراً»[٤].

(٦) أهل البيتؑ، ورد عن الرسولﷺ أنّه قال لأمير المؤمنينؑ: «يا علي، أنا

---

(١) الدر المنثور ٣: ٥٦.

(٢) كنز العمال ١١: ٤١٠/٣١٩٢٠.

(٣) كنز العمال ١: ٥٤٨/٢٤٥٧.

(٤) كنز العمال ١٢: ١٨١/٣٤٥٦٩.

مدينة العلم وأنت بابها ...مثلك ومثل الأئمّة من ولدك بعدي مثل سفينة نوح مَن ركبها نجا، ومَن تخلّف عنها غرق، ومثلكم مثل النجوم كلّما غاب نجم طلع نجم إلى يوم القيامة»(١).

(٧) الإنسان المؤمن، ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «مثل المؤمن مثل النخلة ما أخذت منها شيئاً نفعك»(٢)، وعنه أيضاً: «مثل المؤمن كمثل النّحلة، إن أكلت أكلت طيّباً، وإن وضعت وضعت طيّباً، وإن وقعت على عود نخر لم تكسره»(٣).

(٨) الإنسان الكافر، قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة:١٧١)، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ (إبراهيم:١٨).

(٩) الإنسان المُشرك، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت:٤١).

(١٠) الأخوّة الإيمانية، ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى»(٤)، وعنه أيضاً: «مثل المؤمن وأخيه كمثل الكفّين

---

(١) الأمالي للصدوق: ٣٤٢.

(٢) كنز العمال ١: ٧٢٧/١٤٧.

(٣) كنز العمال ١: ٧٣٥/١٤٨.

(٤) كنز العمال ١: ٧٣٧/١٤٩.

تنقّي أحدهما الأخرى»(١).

(١١) الصلاة، ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «مثل الصّلوات الخمس كمثل نهر جار عذب على باب أحدكم يغتسل فيه كلّ يوم خمس مرّات فما يبقي ذلك من دنس»(٢).

(١٢) المُنفِق في سبيل الله. قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٦١).

(١٣) العلماء العاملون، ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «إنّ مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء، يهتدى بها في ظلمات البرّ والبحر، فإذا طمست أوشك أن تضلّ الهداة»(٣).

(١٤) العابد بلا علم وتفقّه، ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «مثل العابد الذي لا يتفقّه كمثل الذي يبني بالليل ويهدم بالنهار»(٤).

(١٥) المنّ والأذى والرياء في العطاء، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة:٢٦٤).

(١٦) الدنيا، ورد عن الرسولﷺ حين جاء إلى قوم أنّه قال لهم: «ألكم طعام؟».

---

(١) كنز العمال ١: ١٥٤/٧٦٥.

(٢) كنز العمال ٧: ٢٩١/١٨٩٣١.

(٣) منية المريد: ١٠٤.

(٤) كنز العمال ١٠: ١٧٩/٢٨٩٣٠.

قالوا: نعم، قال: «فلكم شراب؟». قالوا: نعم، قال: «وتبرّدونه؟». قالوا: نعم. قال: «فإنَّ معادهما كمعاد الدنيا، يقوم أحدكم إلى خلف بيته فيمسك أنفه من نتنه»[1].

(١٧) الجليس الصالح، ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «مثل الجليس الصالح مثل العطّار، إن لم يعطك من عطره أصابك من ريحه»[2].

(١٨) الكلمة الطيّبة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (إبراهيم: ٢٤ـ٢٥).

(١٩) أثر قراءة القرآن، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، ريحها طيّب وطعمها طيّب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، طعمها طيّب ولا ريح لها»[3].

(٢٠) العلماء الضّالون، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الجمعة: ٥)، ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ

---

(١) الترهيب والترغيب: ٤/١٧٣.

(٢) كنز العمال ٩: ٩/٢٤٦٧٦.

(٣) أعلام الدين: ١٠٠.

يَتَفَكَّرُونَ﴾(الأعراف:١٧٦)، ورد عن المسيح عليه السلام أنّه قال: «لا تكونوا كالمنخل يخرج الدّقيق الطيّب ويمسك النخالة، كذلك أنتم تخرجون الحكمة من أفواهكم ويبقى الغلّ في صدوركم»[1].

س: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ﴾. لو تعمقت في المَثَل الذي يضربه الله في هذه الآية، ما هي الأُمور المهمّة التي يمكن أن تستنتجها منه؟

ج:

هناك عدّة احتمالات يمكن أن نستنتجها من هذا المَثَل عند التفكير والتعمّق به، منها:

(١) ﴿الَّذِي﴾ إنّ الذي استوقد ناراً هو شخص واحد، وهذا يعني أنّ أساس الفكر المنحرف والنفاق أو ربما تتمكن أن تقول: أساس كل فكر أو تجمع عام مرجعه إلى شخص واحد هو المسؤول عن تأسيس وتنضيج الفكرة عند الآخرين وتثقيفهم عليها ودعوتهم إليها.

(٢) ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾ إنّ الدافع الذي يدفع الإنسان لفعل النفاق دافع أناني شخصي؛ لأنه استوقد ناراً من أجل أن تضيء حوله وليس له علاقة بالآخرين.

(٣) ﴿نَاراً﴾ أنّه استعان لهداية طريقه العقائدي بالنار المحرقة والمخلّفة للأثر السيئ، وترك النور من الايمان بالله ورسالته ورسوله، الذي هو نور على نور بلا نار، فقد قال تعالى: وهو يصف نفسه: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ

---

(١) تحف العقول: ٣٩٣.

﴿مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ (النور:٣٥)، وقال تعالى: وهو يصف كتابه: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾ (التغابن:٨)، وقال تعالى: وهو يصف الرسولﷺ: ﴿وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً﴾ (الأحزاب:٤٦).

(٤) ﴿نَاراً﴾ أنّه استعمان بالنار التي لا تتعدى إضاءتها إلاّ إلى ما حولها ولا تكشف ظاهر الأشياء التي تُسلّط عليها، بينما ترك النور الإلهي ونور الإيمان به الذي قد تعدّى السماوات والأرض والخارق لأعماق جميع الأشياء وكاشفها.

(٥) ﴿نَاراً﴾ أنه استعمان بالنار التي مهما كانت من إضاءتها فهي لا تهدي إلاّ إلى الرؤية المضطربة غير الواضحة، بعكس النورية الإلهية التي تهدي الناس في الحياة الدنيا والآخرة بشكلها وجوهرها الواضحين الصافيين بصراً وبصيرة.

(٦) ﴿اسْتَوْقَدَ﴾ طلب الوقود باختيار، أي أنّ المنافق أراد أن يهتدي إلى طريق العقيدة فاختار النار، أي هو الذي رسم له طريق الهداية، بينما الله سبحانه وتعالى وحده المسؤول عن رسم منهجية الحياة وهداية الناس لها، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (الحديد:٩)، ومن هنا نعرف أنّ أخذ الإنسان منهجية العقيدة والحياة من وضع إنسان مثله ما هو إلاّ اختيار نار الدنيا والآخرة له ولغيره من المنافقين، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ۞ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ

﴿وَغَرَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾ (الحديد:١٣-١٤).

(٧) أنّه اختار النار التي ليست لها القابلية على البقاء وأنها مهددة من قبل أبسط الظروف الطبيعية التي تعصف عليها، بمعنى أنّها ليست لها القابلية لأن تقف أمام أبسط مشاكل الإنسان لتضع الحل لها، وهذا بعكس النظرية الإسلامية التي استوعبت مشكلة الإنسان ككل ووضعت لكل مشكلة حلها، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام: «ما من حادثة إلّا ولله فيها حكم»[١].

(٨) ﴿اسْتَوْقَدَ نَاراً﴾ فهو وإنْ أخطأ في اختياره ولكنه يمتلك القوّة العلمية في استخدامه للنار في كيفية الإضاءة والاستفادة منها شخصيّاً وفي كيفية استخدامها ضدَّ الإسلام والمسلمين في إشعال نار الفتنة والتمزّق والإشاعات وغير ذلك من طرق المنافقين، فهو قد استعان بالنار لا بشيء آخر حتّى يصنع الويلات للإسلام وللمسلمين.

(٩) أنّه استعمل النّار لتكون أبرز صفة في هداية طريقه، وهذا يعني أنّه لا يعرف غير النّار لغةً ولا يعرف غير الحرب حِواراً، ولا يعرف للسلام والاستقرار مفهوماً، فهو يشقّ طريقه عن طريق النار، وعليه لا ينخدع بعض المؤمنين بشعاراتهم التي ليست هي إلّا ناراً، ولا بمواعيدهم التي ليست هي إلّا ناراً، ولا بمغرياتهم التي ليست هي إلّا ناراً، وكل ما يصدر منهم هو نار على نار.

س: ما هي المحتملات التي تطرح في تفسير قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ﴾؟

ج:

---

(١) وسائل الشيعة ٢٧: ٥٢/٣٣١٨٨.

أولاً: أن تشير الآية إلى الحرب وإلى التدخّل المباشر لله ضد حركة التمرد عليه سبحانه وتعالى عند الضرورة التي يشخصها الله.

ثانياً: أن تشير الآية إلى القانون الفطري العام الذي يحكم طبيعة الإنسان الرافضة للظلم والكذب وكل شيء لا يمتّ إلى السماء بصلة، فالتحرك بهذا الاتجاه مكتوب له الفشل والذهاب والاضمحلال.

ثالثاً: أن تشير الآية إلى قانون الترك ورفع يد العون والهداية من قبل الله إليهم لإصرارهم على السير في الظلمات، فيكون إسناد الفعل إليه سبحانه من باب إسناد الفعل إلى مسببه، ورد عن الإمام الرضاعليه السلام أنه قال: «إن الله لا يوصف بالترك كما يوصف خلقه، لكنه متى علم أنهم لا يرجعون عن الكفر والضلال منعهم المعاونة واللطف وخلّى بينهم وبين اختيارهم»(١).

رابعاً: لم يفصل الله في قوله بأداة، بل هو دخول مباشر في الذهاب ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ وهذا يعني الذهاب المفاجئ لنورهم وما حصلوا عليه في دنياهم في الوقت الذي يكون في أشدّ الحاجة للإنارة.

س: اذكر بعض المحتملات الواردة في تفسير قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾.

ج:

أولاً: أنّ هذه الأوصاف تعبير آخر عن إصرارهم واستمرارهم في طريق الظلمات بحيث أغلق المنافقون كلَّ منافذ الرجوع إلى الله باختيارهم.

ثانياً: أنّه إشارة إلى شمول القانون لهم وهو قانون الختم ونوعه المناسب

---

(١) عيون أخبار الرضاعليه السلام ٢: ١١٣/١٦.

للجارحة الذي وصلوا إليه بإصرارهم وعنادهم فلا يرجعون إلى سبيل الرشاد لأنّهم أغلقوا جميع منافذ دخول الهداية ونفوذها إليهم حتّى ختمت كل الأبواب وصار وجود ما في داخلها من الفطرة ميتاً، والرجوع إلى الميّت ممنوع وبالتالي غير مقدور.

ثالثاً: أنّه إشارة إلى أنّهم لا يرجعون إلى حركة التأريخ الإنساني ليروا من خلاله كيف كانت عاقبة الذين ساروا على مِثل ما هم يسيرون عليه، بل تعاملوا مع التأريخ بسدّ كل منافذ التطلّع عليه وقراءته وأخذ العبرة منه.

رابعاً: قد تكون هذه الحالات الثلاثة (صُمّ) (بُكم) (عُمي) تعبّر عن حالة انعزال المنافق على الرغم من وجوده بين العقلاء والمؤمنين، فالأعمى هو الذي دائماً يحتاج إلى الغير من العقلاء لهدايته إلى الطريق، وبغير هذا النوع من الاستعانة لا يمكن أن يصل سالماً بصورة مستمرة مهما كانت الآلة التي يستخدمها بدلاً عن العقل، وخصوصاً إذا لاحظنا وعورة الطرق وكثرة مطبّاته وتشعّباته كالطرق العقائدية، فإذا أخذته العزّة بالإثم واعتمد على نفسه من دون الاستعانة أو الاستعانة بآلة لا يُعتمد عليها فلا يرجع سالماً، بل لابدّ أن يقع في يوم ما.

وأمّا الأصمّ فعلاقته مع الغير ـ مهما كانت ـ هي أن يتكلّم هو فقط من دون أن يستمع من الآخرين لأنّه أصم، والحياة الاجتماعية وفهم فكر الطرف الآخر والهداية إلى الطريق كثيراً ما تحتاج إلى الأخذ وتبادل الآراء والإصغاء إلى الغير، فالإنسان الذي لا يأخذ من الغير لا يصل إلى الخير ولا يرجع إليه وخصوصاً إذا كان ذلك الغير هم العقلاء والمؤمنون وما يصدر منهم.

وأمّا الأبكم هو الذي يحتاج دائماً إلى أن يفهمه الغير وإن كانت آلية تفهيم

الآخرين تتم بآلية تختلف تماماً عن آلية فهم الآخرين، فهو يريد أن يفهمه الآخرون عن طريق إشارة اليد والأصابع الضعيفة والمتخلّفة كثيراً عن آليات الآخرين وليس لها القابلية على أن تلتقي مع ما تطوّر من آليات التفاهم التي يمتلكها الآخرون، فمعايشة الأبكم بين صفوف العقلاء والمجتمع لا ترجع إليه بضعف الأعصاب والانعزالية والتقهقر، فكما يريد الإنسان أن يفهم الآخرين كذلك لابدَّ أن يفهم هو الآخرين بآليات التفاهم والهداية من خلال العقل والمنطق والدليل والعلم والإيمان والصدق لا بآلية لا تزيد صاحبها إلّا رجوعاً.

ومن هنا نعرف أنَّ الصُم والبُكم والعُمي ليس لها اختصاص بالمنافقين، بل تشمل كل فرد أو شريحة تتعامل مع الحياة الاجتماعية والفكرية والعقائدية مثل هذا السلوك والتعامل، قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ (المائدة:٧١)، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً﴾ (الفرقان:٧٣).

خامساً: أن تكون هذه الحالات من الصم والبكم والعمى من جملة عذاب الآخرة، فإنَّ ذهاب نورهم من قبل الله كناية عن الموت، وتركهم في ظلمات أي عذاب القبر، والصم والبكم والعمى هو حشرهم في نار جهنّم على هذه الحالات، قال تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً﴾ (الإسراء:٩٧).

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ۞ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة:١٩ـ٢٠)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيتين؟

ج:

(١) الصيّب: المطر الغزير.

(٢) السماء: كل ما علاك فأظلك.

(٣) الرعد: الصوت الحادث من اشتباك السحاب.

(٤) البرق: الضوء الحادث من اشتباك السحاب.

(٥) الصواعق: النازل من السحاب بوقع شديد مصحوب بنار وصوت شديدين.

(٦) الحذر: هو طلب السلامة ممّا يخاف.

(٧) الموت: ضد الحياة وما يقابل أقسامها.

(٨) يكاد: يقارب.

(٩) الخطف: الأخذ بسرعة.

(١٠) القيام: الوقوف و الثبات.

(١١) الإشاءة: أ ـ الإرادة. ب ـ الإصابة. ج ـ الإيجاد.

س: مثل آخر يضربه الله على المنافقين ليـعرّفنا شـخصيتهم الحـركية، اذكروا لنا أهم الاحتمالات التي يمكن أن نستنتجها عند الخوض فـي

عمق المثل المذكور في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾.

ج:

(١) يستعين الله بضرب المثل هذا بظاهرة من ظواهر الخير للطبيعة وهو المطر الغزير النازل من السماء الذي لا يختلف الإنسان العاقل في فائدته وخيره الواضح، لا يختلف لما في الرعد والبرق والصواعق الناتجة من تفاعلات السحاب وغيرها من الفوائد التي لها الأثر الكبير على الأرض والنباتات وغيرها، وعلى الرغم من هذا فلا يعني أن نعيش الأمن والأمان والخير بصورة مطلقة مع ما ينتجه السحاب ومع جميع ظواهر السحاب؛ لأن فيها ظلماتٍ، فالسحاب يمنع الشمس من إشراقها والمطر والرعد والبرق والصواعق قد تؤدي في بعض الأحيان إلى هدم المنازل وقتل النفوس.

من هنا نعرف أن السحاب كغيره من عناصر الخير التي لا يكون فيها الخير مطلقاً ومن جميع الجهات، وقد يكون سبب ذلك أن الله كما أراد من الإنسان أن يحرّك العقل في المسألة العقائدية أراد منه أن يحرّك عقله في مسألة بناء الحياة الطبيعية، فمن خلال دفع الضرر اكتشف الإنسان الشيء الكثير. ومن هنا نعرف شيئاً آخر وهو أن نتيجة الظلمات ـ لا بنفسها ـ فيها خير لما فيها من تحريك العقول و بناء الحياة.

(٢) الموت ظاهرة من الظواهر الطبيعية التي تحكم الحياة فهو كالسحاب في الخير، بل وأكثر منه بكثير وفيه ظلمات، وعلى الإنسان الحكيم أن يضع الشيء في

محله، وأن يستفيد من الخير في وجهته وأن يدفع الضرر بما هو المناسب لدفعه، المنافقون يحذرون من الموت وهذا أمر طبيعي كما يحذر منه كلّ إنسان، لكنهم يحذرونه ويدفعون ضرره بالمكر والخديعة والكذب وغيرها، فهل هذه هي طريقة الحذر من الموت؟!! إنّها طريقة تشبه ذلك الإنسان الذي يريد التخلص من الصواعق فيجعل أصابعه في آذانه !! إنّها ردود فعل ووسيلة دفاع لا تمت إلى العقل والمنطق بصلة، ولهذا ستأخذهم صاعقة الموت وأسبابه المتعددة ولا يفلحون دنياً ولا آخرة لأن الله محيط بهم وبغيرهم من الكافرين، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة:٣٢).

(٣) قد يشير المَثَل إلى كتاب الله أو إلى الإسلام بصورة عامة لما فيه الخير الكثير ولكن فيه ظلمات وصعوبات لما في القرآن من عمق وتأويل ومتشابه فيحتاج إلى بذل جهد في التدبر ومراجعة إلى أصحاب الاختصاص، قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (الأنبياء:٧)، ولما في الإسلام من تحمل الصعوبات التي تواجه العاملين والمؤمنين به، قال تعالى: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ (الأنفال:٧)، والمنافقون طلّاب دنيا وراحة فإذا كان الإسلام هذا طريقه فهم يجعلون أصابعهم في آذانهم حتى لا يسمعوا إلى آياته الصادعة بالحقّ ولا إلى تحمّل صعوباته.

س: كيف يمكن لنا أن نتصور إحاطة الله بالكافرين في قوله تعالى: ﴿وَاللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾؟

ج:

إحاطة الله بالأشياء على ثلاثة أنحاء هي:

(١) الإحاطة الوجودية، أي أنّ وجوده سبحانه قد أحاط بكلّ شيء، قال تعالى: ﴿أَلاَ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ (فصلت:٥٤).

(٢) الإحاطة العلمية، أي أنّ الله قد أحاط بكلّ شيء علماً، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ (الطلاق:١٢).

(٣) الإحاطة الفعل والقدرة، أي أنّ فعل الله محيط بكلّ شيء، قال تعالى: ﴿وأُخْرى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً﴾ (الفتح:٢١).

س: ما هي المحتملات في المَثَل الآخر في قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؟

ج:

(١) قد يكون المَثَل إشارة إلى حركة المنافقين ونشاطهم في الظلام أكثر منه في النهار، حيث في النهار وعندما يكونون مكشوفين أمام المسلمين فهم يمشون ويتحركون بتأنٍ وهدوء للتظاهر والاستطلاع في نفس الوقت، وإذا ابتدأت الظلمة قاموا ونهضوا للتحرك العملي أو التخطيط ضد المسلمين، فحركتهم تشبه حركة السارق والجاسوس وهم كذلك.

(٢) قد يكون المَثَل إشارة إلى دوافع المنافقين وهي المصلحة أين ما وجدت، إذا درّ الإسلام عليهم الفوائد وكان يعيش حياةً قويّةً مشوا فيه بالتأييد وفتحوا المؤسسات وطالبوا بحق المظلومين وغيرها من الشعارات البراقة التي تجلب لهم النفع، وإذا مرّ الإسلام في ساعة عُسر وحرب مثلاً وقفوا وثبتوا في أماكن الراحة لهم تاركين الإسلام إلى أهله.

(٣) قد يكون المَثَل إشارة إلى عمل المنافقين العكسي؛ لأنَّ البرق فيه كهربائية، ظهوره وحدوثه يستدعي من الإنسان الابتعاد عنه بالوقوف أو الثبات في المكان الآمن لا المشي فيه، وإذا انتهت ظاهرة البرق عند ذلك يمشي الإنسان ويتحرّك، وهذه هي الحركة الطبيعية للإنسان العاقل العارف بتأثر البرق، المنافقون يتعاملون مع البرق على عكس ذلك، بمعنى عند اضطراب أمور المسلمين لعامل خارجي وعندما تعصف بهم عاصفة تهدّد المسلمين ينشط تحرّك المنافقين في هذا الاتّجاه فيزرعون الشبهات والفتن والمبرّرات التي تضعف الصف الإسلامي وإرادة المسلمين، وإذا مرَّ المسلمون بحالة قوّة ونعيم الهدوء التي تكون هذه الحالة ظلمات عليهم لحقدهم وحَسَدَهم فلا يجدون باباً ينفذون من خلاله فيثبتون ويعيشون حالة الانتظار والتربّص.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؟

ج:

معروف أنَّ السمع والبصر أهمّ موردين لدخول غذاء العقل، ولمّا كان المنافقون يملكون القوّة العلمية والاستعداد لقبول الحقّ، فالمرجو منهم أن يستعملوا القوّة العلمية في قبول الحق؛ لأنَّ العلم هو الطريق المنحصر لمعرفة الحقّ وقبوله ومعرفة الحياة وكيفية التعامل مع آلية مفرداتها، بينما نجد هؤلاء المنافقين على الرغم من امتلاكهم القوّة العلمية الموصلة إلى الله ووجود الاستعداد للإيمان بالله إلّا أنّهم استبدلوا الطريق العلمي بالجهل والتقليد فهم ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾، وهذايكشف عن عدم استخدامهم للعقل والعلم، فكأنَّ

وجود السمع والبصر وعدمهما سواء، ولهذا﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ إلّا أنّهم لم يصلوا إلى مرحلة الختم والغشاوة حتّى يذهبها الله منهم لوجود ما يأمله الله منهم وإلّا إذا أصرّوا وتمادوا سوف يذهبها الله منهم بالختم والغشاوة ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

س: ما هو أصل كلمة المنافق؟

ج:

المنافق: مأخوذ من النفق وهو السرب أو المسكن في الأرض، فهي تتستر في الأرض، والمنافق يتستر بالإسلام.

س: متى نشأ أصل النفاق والمنافقون؟ اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

الأوّل: نشأ المنافقون بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة وبعد انتصاره بمعركة بدر الكبرى، ويستند هذا الاحتمال على الأمور التالية:

(١) أنّ أهل مكّة قبل الهجرة كانوا يعيشون الخوف من رؤوس وقادة الجاهلية وعليه فهم يظهرون الكفر ويخفون الايمان والتصديق بالرسول ﷺ لا العكس من ذلك، فلا وجود للمنافقين في مكّة المكرّمة وقبل الهجرة.

(٢) الإسلام قبل معركة بدر الكبرى كان ضعيفاً فلا خوف منه ولا طمع فيه فلا داعي لإظهار كلمة الإسلام واخفاء الكفر.

الثاني: نشأ المنافقون في المدينة وبعد انتصارات عديدة للإسلام ممّا ولّد الحسد والضغينة عند يهود المدينة الذين أصبحوا في ضعف ذليل وعزل قاهر كما عبّر القرآن عن ذلك ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً

حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾(البقرة:١٠٩)، فكانت نتيجة هذه الحالة أن يقوم اليهود بالمدّ المالي لبعض أهل المدينة من المشركين الذين تطابق حالتهم النفسية حالة اليهود واتّفقوا على معاداة الرسول وأصحابه وعرقلة حركتهم الايمانيّة، وكانوا إذا لقوا الرسول أو أصحابه أو المؤمنين به قالوا: إنّا مؤمنون بالله تعالى وبرسوله وبالبعث وأظهروا أمامهم كلّ كلمات الحقّ والايمان خوفاً على أنفسهم، وإذا خلا بعضهم مع اليهود أو ممّن على سيرتهم قالوا: إنا مستهزئون، وقد نبّه الله الرسول على وجود هذه الظاهرة.

الثالث: نشأ المنافقون في مكّة، وذلك اعتماداً على ما ورد عن الإمام الصّادق﵇ عن آبائه عن أمير المؤمنين﵇ أنه قال: «إنّ الله عزّ وجلّ لمّا بعث محمّداًﷺ أمره في بدو أمره أن يدعو بالدعوة فقط، وأنزل عليه: ﴿وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ﴾ فلمّا أرادوا ما همّوا به من تبييته أمره الله بالهجرة..»[(١)].

الرابع: نشأ المنافقون في مكّة ولكن ظهرت آثار دسائسهم وتحرّكهم الفعلي المضاد بعد دخول الرسول المدينة مباشرة، وذلك للأسباب التالية:

(١) أنّ الله قد ذكر المنافقين وحذّر الرسول منهم في عدّة سوَر، منها ما ورد في سورة البقرة التي يقال: إنّ الآيات التي تذكر المنافقين قد نزلت بعد ستّة أشهر من هجرة الرسول إلى المدينة وهذه المدّة غير كافية في أن تنشأ فكرة النفاق ويتحرّكون هذا التحرك المضاد التي تنقله هذه الآيات في هذه السورة إلّا أنْ يكون لهم أصل في مكّة.

---

(١) وسائل الشيعة ١٥:٨٥/٢٠٠٣٨.

(٢) أنّ عدد المنافقين الكبير الذي بلغ عند غزوة تبوك أكثر من ثلث المقاتلين، وهذا يعني أنّ هناك عقولاً مدبّرة تمتلك بعض المميّزات بحيث يكون لها هذه القابلية من الكسب السريع.

(٣) المتتبّع للأحداث والمواقف التي كان يصنعها المنافقون ضدّ الإسلام والمسلمين وقادتهم بالخصوص سواء التي ينقلها القرآن أو السنة يجدها تتّسم بـالنوعيّة والعدد والسرعة، حتّى وصلت مواقفهم من الخطورة أن يصدر التهديد الإلهي في أعلى درجاته ضدّهم ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً * مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً﴾ (الأحزاب: ٦٠ـ٦١)، وهذا إن دلّ على شيء فـإنّما يدلّ على أنّ قادة تحرّك المنافقين هم من داخـل الصّـف الإسلامي وعـلى مستوى المطّلعين على القرارات بحيث يتحرّكون معها ويعرفون نقاط الضعف والقوّة فيستغلّون أي نقطة ضعف يجدونها حسب تـصوّرهم وعـندها يـقفون موقفهم المضاد كلّ حسب ما يتطلّبه الموقف، واختراق المسلمين بهذا النوع من التحرك والذكاء الشيطاني الماكر وبهذا العدد وسرعة التحرك لهو الانقلاب بعينه على الإسلام والمسلمين وقادتهم لولا التدخل الرباني من كشف شخصيّاتهم للرسولﷺ، وكشف تحرّكهم ونواياهم وخططهم وحفظه ونصره له، والدفاع عنه بنزول ملائكته عليه وعلى المؤمنين، بل صنع المعجزة تـارة والكـرامـة أُخرى التي خلّصت الرسولﷺ في كثير من مؤامراتهم.

س: كيف يمكن لنا أن نتصوّر إمكان اختراق الصـف الإسـلامي مـن قـبل المنافقين في مكّة وقبل هجرة الرسولﷺ إلى المدينة؟

ج:

بصورة إجمالية أقول: إنَّ بعض الناس العقلاء مهما كانت هويّته فإنّه يمتلك الذهنية الوقّادة التي تستقرئ الأحداث قبل وقوعها، فبعض الأشخاص يمتلكون التقييم الجيد بحيث يستقرئ مستقبل نجاح المعارضة ويطمئن إليها فيدخل فيها كعنصر فعّال لا إيماناً منه بها، بل من أجل أن ينتهز كل فرصة لقلب موازين المعارضة لصالح ما يروم إليه وإن كان هذا النوع من العمل يجلب له الكثير من المخاطر على حياته، وعلى هذا يمكن القول بأن هناكشخصيات منافقة منذ الفترة الأُولى لظهور الإسلام كمعارض للجاهلية الأُولى ضمن الصف الإسلامي، وعلى هذا الاحتمال فلا مانع عقلي في أن يكون المنافقون في المدينة بعد الهجرة هم فرع من الأصل الذي كان موجوداً في مكة قبل الهجرة.

س: متى بدأت حركة المنافقين تظهر على الساحة الإسلامية كحركة سياسية معارضة؟ وما هو تفسير ذلك؟

ج:

بدأت حركة المنافقين بالتشكيل والظهور بعد هجرة الرسولﷺ إلى المدينة، ذلك عندما قويت شوكة الإسلام ممّا جعل أصحاب النفوس الضعيفة والمحترفين السياسيين أن يدخلوا الإسلام خوفاً أو طمعاً للوصول إلى ما يرومون إليه، فإعلان الشهادتين على اللسان يكفي في الحفاظ على دمهم ومالهم وعرضهم من الهدر، وهذا خير مجال لمن لا يملك القيم الإنسانية والشرعية ويخطط دوماً لتشويه مسير العدل وعرقلة السائرين عليه، ومن هنا بدأت حركة النفاق وتشكيل مجاميعها السياسية في أوساط المسلمين التي قد يكون مؤسّسو هذه الحركة النفاقية من

داخل دائرة المسلمين وقد تكون من خارجها.

س: ما هي المحتملات الواردة في عدم محاربة الرسول ﷺ للمنافقين محاربة قتالية؟

ج:

الأوّل: أنّ الدعوة فتية لم تحصل على الاستقرار بالمعنى التام، وتعيش الحالة الدفاعية، وفي مرحلة يُراد منها فهم كلمة الإسلام بشكلها الهادئ الذي يثير عند الآخرين الرحمة والتحابب، ففتح جبهة حرب ثانية ضد المنافقين معناه ضعف للمسلمين من جهة وضياع لكلمة الحق والنور بين الصخب الذي تحدثه الحرب.

الثاني: الحرب ليس هو الطريق الذي يسلكه الإسلام في عملية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل هي حالة دفاعية يستخدمها الإسلام في الحالات التي تكون الحرب فيها هي الطريق المنحصر لا غير، فما دام للكلمة مجال فلا تصل النوبة إلى القتال، وقد يكون تقييم الرسول ﷺ أنه يعيش في مرحلة الكلمة لا الحرب.

الثالث: أنّ المجتمع المسلم لازال البعض منهم لم يهضم عملية حربه ضد المشركين فكيف يتورط بحرب ضد المنافقين الذين يعيشون بينهم ومنهم من الناحية النَسَبية والعشائرية والعائلية والتأثير التربوي، وفي رواية نجد أنّه قد ردع الرسول ﷺ عن ذلك حينما شاهد أحد أصحابه وهو يحاول قتل منافق فإنّه قال: «دعه، لا يتحدّث الناس أنَّ محمّداً يقتل أصحابه»[(١)].

الرابع: كلُّ الذي مرَّ في النقطة الأُولى والثانية والثالثة يأتي إذا كان هناك مبرّر للقتال وشهر السلاح ولم يستخدمه النبيّ ﷺ، وأمّا إذا لم يوجد مبرّر لشهر السلاح

---

(١) كنز العمال ١: ٤٠٤/ ١٧٢٧.

ومقاتلتهم كما هو الواقع؛ لأنَّ المنافقين هم الذين لا يتظاهرون بكفر ولا يتجاهرون بخلاف وإنَّما يتوصّلون إلى ما يريدون عن طريق المكر والحيلة فلا مبرّر لشهر السلاح ضدَّهم، فهنا نقول: إنَّ الرسول ﷺ كان يجاهد المنافقين بالمعنى الأعمّ للجهاد من خلال الطرد من ديارهم والتضييق في معاشهم والقتل إذا أخذ عليهم بالردّة والهجرة من أوطانهم وغيرها من الأحكام الموجودة داخل الدستور الإسلامي وحسب المصلحة التي يشخّصها الرسول آنذاك، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً﴾ (النساء:٨٩)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (التوبة:٧٣).

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

س: أين يوجد المنافقون اليوم؟

ج:

أوّلاً: المنافق بالمعنى الاصطلاحي الخاص، وهو الذي يظهر الشهادتين ويخفي الكفر، هنا توجد عدّة احتمالات:

(١) أن يكون المنافقون قد انتهوا في حياة الرسول ﷺ وبعد فتح مكّة حينما رأوا النور الساطع واستمعوا إلى الحجج البالغة ورضخوا للواقع المرّ عليهم.

(٢) أن يكون المنافقون قد استمروا بعد حياة الرسول ﷺ ونجحوا في التمسك بأعلى مراكز السلطة أو بالمراكز الحسّاسة منها باتّفاق مع المسؤولين في توزيع المراكز بينهم بعد رحيل الرسول ﷺ مباشرة، ولما انقطع الوحي بعد رحيل الرسول ﷺ أصبح الحكم على الظّاهر، وظاهر المنافقين أنّهم مسلمون، وبقيت هذه الحالة حتّى انتهى النّفاق الخاص المقصود بموت حامليه، والمتتبّع

المنصف للأحداث ما بعد رحيل الرسول ﷺ يعثر على بصمات هذا الاحتمال بصورة واضحة.

ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام في خطبة يصف المحدّثين: «وإنّما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس: رجل منافق مظهر للإيمان، متصنّع بالإسلام، لا يتأثّم ولا يتحرّج، يكذب على رسول الله ﷺ متعمّداً، فلو علم النّاس أنّه منافق كاذب لم يقبلوا منه، ولم يصدّقوا قوله، ولكنّهم قالوا: صاحب رسول الله ﷺ رآه وسمع منه، ولقف عنه، فيأخذون بقوله، وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبر، ووصفهم بما وصفهم به لك، ثمّ بقوا بعده، فتقرّبوا إلى أئمّة الضلالة والدّعاة إلى النّار بالزور والبهتان، فولّوهم الأعمال، وجعلوهم حكّاماً على رقاب النّاس، فأكلوا بهم الدنيا، وإنّما النّاس مع الملوك والدنيا إلّا مَن عصم الله، فهذا أحد الأربعة»[1].

(٣) أن يكون المنافقون حركة مستمرة إلى نهاية الحياة والمتمثّلة اليوم بالجواسيس والعملاء الملحدين الذين يرسلهم الكفر العالمي إلى بلاد الإسلام وبين صفوف المسلمين.

ثانياً: المنافق بمعنى المتلبس بالنفاق العملي لا العقائدي، وهو الإنسان المسلم حين تلبّسهِ بصفة أو عدّة من صفات المنافقين مع التكرار والإصرار، فهم اليوم يمثلون الأغلبية الساحقة من المسلمين.

س: إذا كان المنافقون قد انتهوا سواء قبل وفاة الرسول ﷺ أو بعدها فلماذا هذا السرد الكثير من الآيات في القرآن حول المنافقين؟

(١) نهج البلاغة ٢: ٢١/١٨٩.

ج:

من أجل ألّا يقع المؤمنون في النفاق العملي، كما يسرد القرآن حالة المشركين حتى لا يقعوا في الشرك العملي، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾(يوسف:١٠٦)، ولهذا تجد في السنّة النبوية أكثر الأحاديث تتحدّث عن النفاق العملي الذي يقع فيه المؤمنون، ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «مَن خالفت سريرته علانيته فهو منافق كائناً مَن كان»[١].

س: عدّد الأساليب التي يستعملها المنافقون.

ج:

لا يمكن حصر المنافقين في صفات معيّنة أو أُسلوب معيّن، فهم يتخذون أيّ أُسلوب يتماشى مع المجتمعات يناغمون كل شعور وتعاطف، فلا ثوابت في سلوكيتهم. نعم، يمكن حصرها تحت عناوين كلية كما يعرضها القرآن الكريم من خلال آياته وسوف نذكرها لاحقاً إن شاء الله.

س: أين تكمن خطورة المنافقين؟

ج:

(١) في خفاء كفرهم.

(٢) في معايشتهم بين صفوف المسلمين.

(٣) ينتهزون أيّ فرصة للإطاحة بالمسلمين، ورد عن أميرالمؤمنين‌ؑ أنّه قال: «...فو الذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، ما أسلموا ولكن استسلموا، وأسرّوا

---

(١) مصباح الشريعة: ١٤٦.

الكفر، فلما وجدوا أعواناً عليه أظهروه»[1].

(٤) يتخذون أي أسلوب يجلب لهم المصلحة وللمسلمين المفسدة.

(٥) أغراء بعض المسلمين بأساليبهم وأقوالهم ممّا يعرقل ويتعب حركة العاملين في الساحة الإسلامية، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «المنافق لسانه يسرّ وقلبه يَضر»[2].

س: ما هي شروط توبة المنافق إلى الله؟

ج:

(١) الرجوع إلى الله إيماناً وعملاً وفكراً ومنهجاً وظاهراً وباطناً.

(٢) الخروج من صفّ المنافقين ورفضهم جملةً وتفصيلاً.

(٣) أن يكون مع المؤمنين حقّاً، قال تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النساء:١٤٦).

(٤) أصلاح ما فسد منه أثناء عمله مع المنافقين .

(٥) العمل بسنّة الرسول صلى الله عليه وآله وما يقتضيه منه الحكم الشرعي، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الأنعام:٨٢).

س: ما هو الموقف القرآني الذي أوجبه على المؤمنين تُجاه المنافقين؟

ج:

(١) عدم الحضور في جلساتهم ورفض العمل مع أي مؤسسة تابعة لهم، قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا

---

(١) نهج البلاغة ٣: ١٦/١٦.

(٢) غرر الحكم: ١٠٤٩٠/٤٥٨.

تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾(النساء:١٤٠).

(٢) اتخاذ المواقف المتشدّدة ضدّهم وعدم اللين فيها، قال تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾(النساء:٨٨)، ورد في الحديث: «ولا تقولوا للمنافق سيّد، فإنّه إن كان سيّدكم وهو منافق فحالكم دون حاله، والله لا يرضى لكم ذلك»(١).

س: اذكر صفات المنافقين التي يطرحها القرآن للمؤمنين لكي يحذرهم من الوقوع بالنفاق العملي من خلال تشخيصه بما يتصف به المنافقون.

ج:

قبل البدء بالجواب توجد ملاحظتان:

الأولى: ليس من الضروري أن تكون جميع الصفات المذكورة مجتمعة في كل منافق، بل يختلف وجودها من منافق إلى آخر، فقد يمتلك صفة واحدة وقد يمتلك الأكثر.

الثانية: سأذكر عنواناً واحداً لكل صفة يريد الله من المؤمن أن يفهمه من الآية التي تذكر صفة المنافقين ولا يمنع من أن يُستنتج أكثر من عنوان من ذلك.

من تلك العناوين:

(١) عدم التفاعل القلبي بالإيمان بالله ومطلق عالَم الغيب، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾(البقرة:٨)، ورد عن

---

(١) النهاية في غريب الحديث ٢: ٤١٨.

أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «النفاق أخو الشرك»(١) وعنه أيضاً: «النفاق توأم الكفر»(٢).

(٢) استعمال أسلوب الخداع الذي أحد نتائجه خداع النفس، قال تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة:٩)، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنّه قال: «المنافق يملك عينيه يبكي كما يشاء»(٣).

(٣) الكذب في الحديث المولّد للأمراض الأخلاقية، قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (البقرة:١٠)، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «بالكذب يتزيّن أهل النفاق»(٤).

(٤) عدم معرفتهم بالتقييم الإسلامي الدقيق للأعمال التي يدعو إليها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة:١١ـ١٢).

(٥) اتهام الآخرين بما هم واقعون فيه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:١٣).

(٦) القناعة المستقرة بالكفر والإلحاد، قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ (البقرة:١٤).

(٧) التذبذب في المواقف وليس لهم موقف ثابت واحد، قال تعالى: ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ

---

(١) غرر الحكم: ١٠٤٨٣/٤٥٨.

(٢) غرر الحكم: ١٠٤٨٤/٤٥٨.

(٣) كنز العمال ١: ٨٥٤/١٦٩.

(٤) غرر الحكم: ٤٣٧١/٢١٩.

ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ (النساء:١٤٣).

ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «مثل المنافق كمثل الشّاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرّة وإلى هذه مرّة لا تدري أيّهما تتّبع»(١).

(٨) وحدة الدافع والأُسلوب المنحرفَين الذي يجمع المنافقين، قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ (التوبة:٦٧).

(٩) الاستعانة بالعناصر البعيدة عن مراكز العلم والوعي الإسلامي، قال تعالى: ﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة:٩٧).

(١٠) الاهتمام بالمصلحة الشخصية والأنانيّة الذاتيّة، قال تعالى: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (آل عمران:١٥٤).

(١١) اتخاذ القيادة من خارج دائرة المؤمنين، قال تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ للهِ جَمِيعاً﴾ (النساء:١٣٩).

(١٢) مع القوي مهما كانت هويته، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النساء:١٤١).

(١٣) يمارسون العمل العبادي كأُسلوب من أساليب التمويه والتغطية، قال تعالى:

---

(١) كنز العمال ١: ١٦٩/٨٥٢.

﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ﴾ (النساء:١٤٢).

(١٤) كسب الشرعية للعمل غير الشرعي من خلال كسب بعض العلماء والمؤمنين أو التقرب إليهم، قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة:٦٢).

(١٥) تضعيف الخط الايماني من خلال توهين الدين في أعين المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال:٤٩).

(١٦) يفتحون المؤسسات باسم الإسلام لتفريغ المسلمين من المحتوى الحقيقي له، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (التوبة:١٠٧).

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١٧) يزرعون الخوف في الوسط الإسلامي وبين صفوف المؤمنين، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران:١٧٣).

(١٨) لغتهم لغة الدين والصلاح بحيث تعجب السامعين عند السماع لمحتواها و يستأنس بيانها وأسلوب طرحها الساحر ممّا يتورّط الإنسان بالتأثر بها والانجذاب إليها إذا لم يمتلك الحصانة العلمية الكافية لكشف الغامض منها والهدف من وراء طرحها، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (البقرة:٢٠٤)، فيما كتبه أميرالمؤمنين عليه السلام لمحمّد بن أبي بكر لمّا ولاّه مصر: «ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

إنّي لا أخاف على أُمّتي مؤمناً ولا مشركاً، أمّا المؤمن فيمنعه الله بإيمانه، وأمّا المشرك فيقمعه الله بشركه، ولكنّي أخاف عليكم كلّ منافق الجنان، عالم اللسان، يقول ما تعرفون، ويفعل ما تنكرون»[١].

(١٩) يعانون من نقص في اتخاذ الموقف العقائدي لأنّهم بنفاقهم وكفرهم الداخلي يواجهون الحقّ والنور الساطع، فهم يلجؤون إلى مبرّر كاذب وخادع أيضاً لسدّ النقص وهو رغبتهم في أن يشارك المؤمنون في الدخول إلى الكفر وقبولهم أن يكونوا تحت إمرة الكفّار والخضوع لأوامرهم حتى يتساووا وتكون مشاركة المؤمنين معهم ذريعة في البقاء على الكفر ليرضوا أنفسهم اعتقاداً منهم بذلك، قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ (النساء:٨٩).

(٢٠) لا يمكن للمنافقين أن يتراجعوا بعد ما حصلوا على مشروع عمل وقطعوا أشواطاً فيه ممّا أصبح لهم وجود يُعتدّ به، ففي هذه الحالة لو قدّمت لهم النصيحة بأن يراجعوا أنفسهم على تقوى الله والرجوع إلى ما هو الحجّة رفضوا الاستجابة وأخذتهم هذه العزّة والوجود الذي حصلوا عليه عن طريق النفاق والإثم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (البقرة:٢٠٦)، وورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «إنّ النفاق يبدو لمظة سوداء فكلّما ازداد النفاق عظماً ازداد ذلك السواد، فإذا استكمل النفاق اسود القلب»[٢].

---

(١) نهج البلاغة ٣: ٢٩/٢٧.

(٢) غرر الحكم: ٧٤١.

(٢١) اهتمامهم بالزيّ والمظهر الخارجي للجسم الذي يقع على نسق واحد متناسب مع أدب الدين والمتديّنين لجذب استئناس المتدينين لهم وانخداعهم بهم ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ (المنافقون:٤).

(٢٢) أيّ دعوة إلى الله وإلى دينه وأيّ رفض للانحراف الذي يصدر في كتاب أو يكتب في مقال أو يجرى في حوار أو يلقى في احتفال يظن المنافقون أنّهم هم المقصودون بذلك، فيمدون أنفسهم وجماعاتهم عن مراكز الوعي والمنهج الصحيح، وهم يعيشون الخوف دائماً من أن ينكشف واقعهم الفكري والسلوكي المملوء تناقضاً وابتعاداً عن الواقع الديني ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (المنافقون:٤).

(٢٣) يقطعون بنفاقهم الموارد المالية التي تدعم حركة المؤمنين ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ﴾ (المنافقون:٧).

(٢٤) يقلبون موازين العناوين التي منحها الله لقادة المؤمنين وللمؤمنين كعزيز وداعية وبشير ونذير وحكيم ومحسن وغيرها إلى ذليل وضال وسفيه وغيرها من المصطلحات التي تقابل الواقع الذي عليه المؤمنون ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون:٨).

اختتم حديثي عن النفاق بما ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام وهو يصف المنافقين أنّه قال: «أحذّركم أهل النفاق، فإنّهم الضّالون المضلّون، والزالّون المزلّون، يتلوّنون ألواناً، ويَفْتَنون افتناناً، ويَعمِدونكم بكلّ عماد، ويرصدونكم بكلّ مرصاد. قلوبهم

دويّة، وصِفاحُهم نقيّة، يمشون الخفاء، ويدِبّون الضرّاء، وصَفُهُمْ دواءٌ، وقولهم شفاء، وفعلهم الدّاءُ العَيَاء، حسدةُ الرّخاء، ومؤكّدو البلاء، ومُقنِطو الرجاء، لهم بكلّ طريق صريعٌ، وإلى كلّ قلب شفيع، ولكلّ شجو دموع. يتقارضون الثناء، ويتراقبون الجزاء، إن سألوا ألحفوا، وإن عذلوا كشفوا، وإن حكموا أسرفوا ،قد أعدّوا لكلّ حقّ باطلاً، ولكلّ قائم مائلاً، ولكلّ حيّ قاتلاً، ولكلّ باب مفتاحاً، ولكلّ ليل مصباحاً، يتوصّلون إلى الطّمع باليأس ليقيموا به أسواقهم، وينفقوا به أعلاقهم، يقولون فيشبّهون، ويصفون فيموّهون، قد هوّنوا الطّريق، وأضلعوا المضيق، فهم لُمة الشيطان، وحُمَةُ النيران: ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَانِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَانِ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ﴾»[1].

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

---

(١) نهج البلاغة ٢: ١٦٦/١٩٤.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:٢١-٢٢)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيتين؟

ج:

(١) يا أيها: يا: حرف نداء أي: اسم مبهم يرفع إبهامه بوصف اسم الجنس أو ما يجري مجراه. ها: حرف تنبيه.

(٢) العبادة: أ ـ أظهار التذلل والخشوع. ب ـ الطاعة.

(٣) خلق: أ ـ فعل الشيء على التقدير والتسوية. ب ـ أيجاد الشيء من الوجود إلى العدم بتقدير.

(٤) لعل: حرف ترجٍّ.

(٥) الفراش: ما يفترش على الأرض للاستقرار عليه.

(٦) البناء: أ ـ كل ما علا الأرض. ب ـ وضع شيء على شيء مع التماسك بينهما.

(٧) الند: المثل المنازع والمعاند.

● **العبادة والعبودية**

س: ماذا نستنتج من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾؟

ج:

(١) أوّلُ خطابٍ يبتدئ الله الناس جميعاً به في هذه الآية.

(٢) خطاب مباشر بلا واسطة مكرمة منه تعالى وفضل كبير على الناس ويعطي الراحة واللذة لأنه من أعلى العليين وخالق المخلوقين.

(٣) النداء وضِعَ للبعيد واستعمله الله سبحانه وتعالى للقريب ليشعرهم بقربه إليهم وحضوره لديهم.

(٤) استعمل نداء البعيد حقيقة إشارة إلى غفلة الناس وبُعدهم عنه.

(٥) استعمل النداء بصيغته الآكد والأبلغ لتنبه الناس للأُمور العظيمة التي تتلو هذا النداء من المواعظ والقصص والأحكام وغيرها من الخطابات الإلهية كما هي طريقة القرآن في الاستعمال الكثير لمثل هذا النداء.

(٦) استعمل النداء لجميع الناس ليعرّفهم أنَّ التشريع لم يختص بفئة من الناس وإنّما فيه الاستيعاب والشمولية لكلّ فرد من أفراد الناس؛ لأنَّ الجميع هم خَلقُه وسواسية عنده من الذكر أو الأُنثى، وفي المقابل يجب على كُلِّ فرد من أفراد الناس أن يصغي لكلامه وخطابه؛ لأنّه مِن الله ربّ العالمين.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾؟

ج:

الأوّل: على الرغم من أنّه أوّل خطاب للناس يأمرهم بالعبادة إلّا أنّه سبحانه لم يدعوهم إلى عبادة نفسه سبحانه، حيث لم يذكر اسمه (الله)، بل قال: ﴿رَبَّكُمُ﴾؛ لاطمئنانه بأنّه لا خالق إلّا الله ولا ربَّ إلّا الله ولا معبود سواه، وهو واحد لا شريك له (الذي) للمفرد، وإنَّ هذه الحقيقة سيتوصل إليها كل عاقل بمجرد فكرة بسيطة ونظرة عقلية.

الثاني: نداءٌ يُعرّف الله الناس بمنهجية العلاقة والارتباط معه، حيث الناس كلّ الناس أنّهم عباد الرحمن وهو المولى سبحانه وتعالى لأنه هو الخالق والمالك لكل شيء.

الثالث: أمر ودعوة منه سبحانه وتعالى إلى دخول الناس إلى عبادته والتعبّد إليه؛ لأنه الطريق الوحيد الذي يحصل الإنسان من خلاله التقوى والتقرب لله سبحانه، وأنها أفضل طريقة لإظهار الإنسان خضوعه وتضرعه والتذلل إليه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(الذاريات:٥٦)، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «ما تقرّب متقرّب بمثل عبادة الله»(١).

الرابع: الأمر بالعبادة توجيه الناس نحو الطريق المنحصر للعبودية، لأنّ الأمر بالعبادة تلبية لحاجة الإنسان لما يحس ويشعر به كل عاقل في وجوده، لأنّ العبادة كبقية الأشياء التي لا تنفصل عن شعوره الغريزي وإحساسه العقلي، فهي تتحرك في كيانه تماماً كالأبوة والأمومة والصداقة وغيرها ممّا يشعر بها الإنسان، فعندما يريد أن يصبح أباً لابدّ أن يختار المرأة التي تنجب، وعندما يريد أن يكون له صديق عليه أن يختار الصديق المحب والصادق... وهكذا. فأين يضع الإنسان مفردة العبودية التي يشعر بها بأحاسيسه ووجدانه وعقله، لحاجته وضعفه ومملوكيته ولقهره من قبل الأمور الخارجة عن اختياره؟ أنها مع الله ولله ولا معبود سواه، وهذا هو الاختيار المتعين والصحيح، لأنّ العبادة هي التعبير العملي والتطبيقي لغريزة الإيمان، وأنّها تشبع الإحساس العقلي والفطري، وأنّها الجواب العميق الثابت الذي يجيب على كلّ أسئلة العقل والفطرة على طول الحياة الإنسانية.

---

(١) غرر الحكم: ١٩٩/٣٩٤٢.

الخامس: الأمر بالعبادة دعوة إلى العمل بعد الفكر، لأن الله لا يطرح الفكرة ـ أيّ فكرة ـ من أجل أن تكون مثاراً للجدل والنقاش والتأمل فحسب، بل لما يترتب عليها من الأثر العملي، فالعبادة تمثّل الجانب العملي بعد التفكّر والبحث عن وجود الله من خلال آياته التي مَلأت الكون والحياة، ورد عن أميرالمؤمنينعليه السلام أنّه قال: «التفكّر في ملكوت السماوات والأرض عبادة المخلصين»(١)، وعنه أيضاً: «سكّنوا في أنفسكم معرفة ما تعبدون حتّى ينفعكم ما تحرّكون من الجوارح بعبادة مَن تعرفون»(٢)، وعن الإمام الرضاعليه السلام أنّه قال: «أوّل عبادة الله معرفته، وأصل معرفته توحيده ...»(٣).

السادس: أنّها العلاقة التي يرسمها الله للناس، هي علاقة العبد بربه لا علاقة العبد بسلطان جائر، حيث ﴿رَبَّكُمُ﴾ المشعرة بالعطف والحنان والشفقة، الذي رباكم تكوينياً ويربيكم روحياً وفكرياً بهدايته لكم، ورد عن الإمام علي بن الحسينعليه السلام أنّه قال: «إنّي أكره أن أعبدالله ولا غرض لي إلّا ثوابه، فأكون كالعبد الطّمع المطيع: إن طمع عمل وإلّا لم يعمل، أكره أن أعبده إلّا لخوف عقابه، فأكون كالعبد السّوء، إن لم يخف لم يعمل قيل له: فلِمَ تعبده؟ ! قال: لما هو أهله بأياديه عليّ وإنعامه»(٤).

السابع: أنّها دعوة لتحرير الإنسان من أن يكون عبداً لغير الله سواء كان ذلك الغير هو الإنسان أو المال أو الجاه أو الآلة أو أيّ شيء آخر، ورد عن أميرالمؤمنين

---

(١) مستدرك الوسائل ١١:١٨٥/١٢٦٩٥.

(٢) تحف العقول:٢٢٣.

(٣) أعلام الدين: ٦٩.

(٤) تفسير الامام العسكريعليه السلام: ٣٢٨/١٨٠.

علي بن أبي طالب‎ﷺ أنه قال: «لا تكن عبداً لغيرك وقد جعلك الله حراً»[١]. وورد عن الإمام الصادق‎ﷺ أنّه قال: «ليس العبادة هي السجود ولا الركوع إنّما هي طاعة الرجال، مَن أطاع المخلوق في معصية الخالق فقد عبده»[٢].

الثامن: أنّها دعوة لتحريك الإنسان ودفعه نحو الإخلاص في بناء الحياة؛ لأنّ الله يحب من الإنسان أن يراه في حالة السعي والكبد والجهاد والكدح والمعاناة وغيرها من الوحدات التي تمثّل حركة الإنسان في الحياة، وأفضل عنوان يدفع ويدعو الإنسان إلى فعل هذه الوحدات هو عنوان العبودية؛ لأنّ العبد ليس له وظيفة إلّا فعل ما يحبه مولاه، وتركما يبغضه، والعبد لله كذلك، فالعبودية لله ما هي إلّا دعوة نحو الحركة المحبوبة عنده سبحانه وتعالى ونفعها يعود إلى نفس الإنسان دنياً وآخرة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (الانشقاق:٦)، ورد عن الرسول‎ﷺ أنّه قال: «العبادة عشرة أجزاء تسعة أجزاء في طلب الحلال»[٣]، وورد عن أمير المؤمنين‎ﷺ أنّه قال: «أعلى العبادة إخلاص العمل»[٤].

التاسع: أنّها دعوة لبقاء الصلة والترابط بين المحبوب وحبيبه وبين المؤنس وأنيسه، فالعبادة حقيقة هي أرقى أنواع الأُنس وألذّ حلاوة العشق للعابد، فهي ليست عبادة قهر وتعسّف تقع على النفوس كما هي علاقة العبيد مع مواليهم، ورد عن الرسول‎ﷺ أنّه قال: «أفضل النّاس مَن عشق العبادة فعانقها وأحبّها بقلبه، وباشرها بجسده وتفرّغ لها، فهو لا يبالي على ما

---

(١) نهج البلاغة ٣: ٣١/٥١.

(٢) وسائل الشيعة ١٦: ٢١٢٣١/١٥٥.

(٣) مستدرك الوسائل ١٣: ١٤٥٨٦/١٢.

(٤) غرر الحكم: ١٤٠٤/٨٥.

أصبح من الدنيا على عسر أم على يسر»(١).

العاشر: أنّها دعوة إلى تذكّر الله دائماً وعدم نسيانه والغفلة عنه، ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «لئلا يكونوا ناسين لذكره، ولا تاركين لأدبه، ولا لاهين عن أمره ونهيه، إذ كان فيه صلاحهم وقوامهم، فلو تركوا بغير تعبد لطال عليهم الأمد فقست قلوبهم »(٢).

الحادي عشر: أنّها دعوة لتشخيص الطريق الكفيل بحلّ مشاكل الإنسان والتغلّب عليها ونجاحه في ممارسته الحضارية الذي لا يحصل عليها الإنسان إلّا من خلال تعبّده لله.

الثاني عشر: العبادة هي الرسم والطرح الإلهي الذي لا يتجدّد ولا يتغيّر؛ لأنّها الحالة الوحيدة التي تعالج حاجة الإنسان الثابتة التي خُلقت معه وثبتت في كيانه، ولأنّها تختلف عن علاقة الإنسان بالطبيعة القابلة للتغيّر والتطوّر؛ ولأنّ مجالها لم يخضع لطابع مرحلي بل هو عمق الإنسان الواحد الذي لم يتبدّل أصل تكوينه بتبدّل الحياة وتطوّراتها، ولهذا تجد هدف العبادة حيّاً إلى يومنا هذا.

الثالث عشر: العبادة هي المقام العالي عند الله والذي يتشرّف جميع الأنبياء أن ينتسبوا إليه ﴿قَالَ إِنِّي عبدالله آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً﴾ (مريم: ٣٠).

س: أنّ هذه الآية أوّل خطاب للناس يعرّف الله من خلاله على نفسه، لماذا جعلت معرفة الله من أول العلوم وأهمها؟ اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

---

(١) الكافي ٢: ٨٣/٣.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١١٠.

(١) أنّ معرفة الله والبحث عنه من الأُمور الفطرية التي تظهر آثارها في المرحلة الأُولى لنضوج الإنسان عقلياً وفكرياً.

(٢) أنّ كلّ إنسان يعلم بالبداهة بنهايته ونهاية الحياة، وانّ شغل الإنسان وشاغله في معرفة أين يصل في نهايته وما بعدها، ولا يمكن الوصول إلى نتيجة صحيحة إلّا عن طريق معرفة الله.

(٣) أنّ أهمية العِلم ترجع إلى أهمية الموضوع الذي يبحث عنه ذلك العِلم، ولما كانت معرفة الله أهمّ كل شيء في الحياة، لأنّها متعلّقة بالمبدأ الخالق فالعِلم المتعلق به يكون من أولويات اهتمام الإنسان وأهمها، ورد في الحديث: جاء رجل إلى الرسول ﷺ قال: ما رأس العلم؟ قال ﷺ: «معرفة الله حقّ معرفته». قال: وما حق معرفته؟ قال ﷺ: «أن تعرفه إلهاً واحداً، خالقاً قادراً، أوّلاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، لا كفوَ له، ولا مثل له، فذاك معرفة الله حقّ معرفته»[١].

(٤) الواقع العلمي الذي تفرضه طبيعة العلوم، فكلّ علم نافع يستبطن مئات الإثارات حول معرفة الله بما أنّه مسبب الأسباب وعلّة العلل ومدبّر الأُمور ومكوّن العناصر ومنظّم تركيبها وواضع القانون ومقدّر تأثيرها ووازن الموازين بدقّتها وغيرها من الأُمور التي لا يخلو علم منها والتي تستدعي الإثارات في ذهن الإنسان لمعرفة الله بحيث لا تنفك عنه، وبهذا يكون كلّ عِلم نافع هو في خدمة معرفة الله وموصلٌ إليه.

س: اذكر بعض الحالات التي تتجسّد فيها حقيقة العبادة عندما يعيشها الإنسان.

---

(١) جامع الأخبار: ٥.

ج:

(١) في حالة يكون الإنسان فيها متجوّلاً بين روافد العلم والتفكير والوعي والدراية والفهم وسعة الأُفق وبين كلّ ما يزيد العقل فعّالية وحركة ونشاطاً. ورد عن أميرالمؤمنين‌ﷺ أنّه قال: «أفضل العبادة التفكر»[١]. وعن الإمام الصادق‌ﷺ أنّه قال: «أفضل العبادة، إدمان التفكير في الله وفي قدرته»[٢].

(٢) في حالة يكون الإنسان فيها متكلّماً مع الله بكلمات الدعاء التي تعمّق في قلبه معرفة الله، وتفتح له أبواب رحمته ليستمد منه الداعي كلّ ما يروم إليه، ورد عن الرسول‌ﷺ أنّه قال: «الدعاء مخّ العبادة»[٣]. وعن الإمام الباقر‌ﷺ عندما سئل عن أيّ العبادة أفضل أنّه قال: «ما من شيء أحبّ إلى الله من أن يُسأل ويُطلب ما عنده»[٤].

(٣) في حالة يتعرض فيها الإنسان إلى معصية، ويبدأ الصراع بين الدعوتين المتضادّتين، فينتصر الإيمان على الكفر والعقل على الشهوة والصبر على الاستسلام، ورد عن الإمام الباقر‌ﷺ أنّه قال: «أشدّ العبادة الورع»[٥].

(٤) في حالة يكون الإنسان صابراً على عسره لا يشكو لغير الله همّه منتظراً من الله برفع غمّه بالسرور أو غمّ أُمّته بالفرج وظهور صاحب الأمر والزمان المهدي المنتظر(عج)، ورد عن الإمام أميرالمؤمنين‌ﷺ أنّه قال: «أفضل العبادة الصبر

---

(١) غرر الحكم: ٥٣٢/٥٦.

(٢) الكافي ٢: ٣/٥٥.

(٣) عدّة الداعي: ٢٣.

(٤) وسائل الشيعة ٧: ٨٦٢٦/٣٠.

(٥) الكافي ٢: ٥/٧٧.

والصمت وانتظار الفرج»[١].

(٥) في حالة يكون الإنسان فيها راصداً مراقباً لأهمّ باب من أبواب منافذ الهوى والشيطان تلك هي الشهوة بفرعيها الرئيسيين الأكل والجنس، لا يستعملها ولم يدخل إليها إلّا من خلال ما أحلّه الله، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «إنَّ أفضل العبادة عفّة بطن وفرج»[٢]، وورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنّه قال: «مَن تزوّج فقد أعطى نصف العبادة»[٣]، وورد عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «أفضل العبادة العفاف»[٤].

(٦) في حالة يكون فيها الإنسان مستمراً بصفة التواضع التي تملأُ قلبه ولسانه وسيرته مع الله ومع الآخرين ممّن حوله، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «عليك بالتواضع فإنّه أعظم العبادة»[٥]، وعنه أيضاً: «إنَّ من العبادة لين الكلام وإفشاء السلام»[٦].

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

(٧) في حالة يكون الإنسان فيها أنّه يمتلك الشيء الكثير ممّا رزقه الله ووفّقه إليه وكانت كلّ حركته ومقصده أنّه جاعل كلّ ما ملكه في خدمة الناس وقضاء حاجة المحتاج منهم، ورد عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «وإنَّ أشرف العبادة خدمتك إخوانك المؤمنين»[٧].

---

(١) تحف العقول: ٢٠١.

(٢) مستدرك الوسائل ١١: ٢٧٥/١٢٩٩٠.

(٣) روضة الواعظين ٢: ٣٧٥.

(٤) الكافي ٢: ٧٩/٣.

(٥) مستدرك الوسائل ١١: ٢٩٦/١٣٠٧٩.

(٦) غرر الحكم: ٢١٥/٤٢١٠.

(٧) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٦٢١.

(٨) في حالة يكون الإنسان فيها نشطاً متحرّكاً لا يقبل لنفسه الدعة والاتكالية على الغير، يسير في طرق الكسب والكدح في طلب الحلال، يظلّ يبحث عن الطريق المفتوح لو أُغلقت عليه طرق الكسب، يدفعه إلى ذلك الأمل بالله، ورد في الحديث القدسي: «يا أحمد، إنَّ العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في طلب الحلال»(١)، ورد عن النبي عيسى‌عليه السلام أنّه قال: «قال لرجل: ما تصنع؟ قال: أتعبّد، قال: فمَن يعود عليك؟ قال الرجل: أخي، قال‌عليه السلام: هو أعبد منك»(٢).

(٩) في حالة يكون الإنسان فيها يمتلك قلباً تسكن فيه الراحة والاطمئنان إلى قدر الله الذي قدّره له في حالتي الرخاء والضرّاء، هادئاً من كلّ ضجر وشكوى، ورد عن الرسول‌صلى الله عليه وآله أنّه قال: « ...والسكينة زينة العبادة »(٣)، وعنه أيضاً: «إن حسن الظنّ بالله من حسن عبادة الله »(٤).

(١٠) في حالة يكون الإنسان فيها لسانه مستسلماً لله مشغولاً بآيات وكلمات الاستغفار والتسبيح، ورد عن الرسول‌صلى الله عليه وآله أنّه قال: «أفضل العبادة قول لا إله إلا الله ولا حول ولا قوّة إلّا بالله، وخير الدّعاء الاستغفار»، ثمّ تلا الرسول‌صلى الله عليه وآله: «فاعلم أنّه لا إله إلّا الله واستغفر لذنبك»(٥).

(١١) في حالة يكون الإنسان فيها بصره مستسلماً لله، يبحث عن المراقد المشرّفة والأماكن المقدّسة وعن مجالس قادة السياسية الإسلامية العادلة ومجالس

---

(١) مستدرك الوسائل ١٣: ٢٠/١٤٦١٥.

(٢) مجموعة ورام ١: ٦٥.

(٣) جامع: ١٢٢ .

(٤) مجموعة ورام ١: ٥٢.

(٥) المحاسن ١: ٢٩١/٤٤١.

العلماء العاملين والمؤمنين الرساليين ويستقرّ لحظات بين والديه لتكون له أهم مواضع يركّز النظر فيها، ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «النظر إلى العالم عبادة، والنظر إلى الإمام المقسط عبادة، والنظر إلى الوالدين برأفة ورحمة عبادة، والنظر إلى الأخ تودّه في الله عزّ وجلّ عبادة»(١). وعن الإمام أميرالمؤمنين؈ أنّه قال: «غضّ الطرف عن محارم الله أفضل العبادة»(٢).

(١٢) في حالة يكون الإنسان فيها سمعه مستسلماً لله، يبحث عن تلك النغمات التي لا تزيده إلّا عشقاً لله، يبحث عن تلك الألحان التي لا تزيده إلّا طرباً يهيجه شوقاً لله، يبحث عن كلّ ذبذبة صوتيّة توصل إليه ذكر الله لتزيده قرباً إليه، ورد عن الإمام الصادق؈ أنّه قال: «مَن أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله فقد عبدالله، إن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس»(٣).

س: ما هي الأمور التي يجب مراعاتها في عامّة العبادة؟

ج:

أوّلاً: الإخلاص، لأنّ العبادة لا تكون إلّا لله وحده فلا معبود سواه، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾(البينة:٥)، ورد عن الإمام الباقر؈ أنّه قال: «أفضل العبادة الإخلاص»(٤).

ثانياً: عشق العبادة، كما مرّ سابقاً حديث الرسولﷺ أنّه قال: «أفضل الناس مَن عشق العبادة فعانقها وأحبّها بقلبه، وباشرها بجسده وتفرّغ لها، فهو لا يبالي

---

(١) أمالي للطوسي: ١٠١٥/٤٥٤.

(٢) غرر الحكم: ٥٥٤٣/٢٦٠.

(٣) البحار ٦٩: ١/٢٦٤.

(٤) مجموعة ورام ٢: ١٠٩.

على ما أصبح من الدنيا على عسر أم على يسر »[١].

ثالثاً: الخشوع والتذلل الذي هو أظهر مظاهر العبادة. ورد عن الإمام الصادقؑ أنّه قال: « ... وإنَّ الصدّيقين ورثوا الصدق بالخشوع وطول العبادة»[٢].

رابعاً: عدم إكراه النفس على العبادة في الوقت الذي تكون فيه غير مستعدّة أو ضعيفة كما هي الحالة الطبيعية التي تصيب الإنسان في بعض فترات حياته، ورد عن الإمام أميرالمؤمنينؑ أنّه قال: «خادع نفسك في العبادة، وأرفق بها ولا تقهرها، وخذ عفوها ونشاطها، إلّا ما كان مكتوباً عليك»[٣]، وعن الإمام الصادقؑ أنّه قال: «لا تكرهوا إلى أنفسكم العبادة »[٤].

خامساً: أن تجعل النفس تخوض النشاط في العبادة من خلال ترويضها على ذلك كما تروّض البدن من خلال الرياضة البدنية التي تكسبه النشاط. ولا تعطيها الفرصة في أن تميل إلى الفتور والكسل عن العبادة، ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «آفة العبادة الفترة»[٥].

سادساً: تقديم الأولى فالأولى بما أراده الله في المجال العبادي، ورد عن الإمام الصادقؑ أنّه قال: «أعبد الناس مَن أقام الفرائض»[٦].

---

(١) الكافي ٢:٨٣/٣.

(٢) كفاية الأثر: ٢٥٧ .

(٣) نهج البلاغة ٣: ١٣٠/٦٩.

(٤) الكافي ٢:٨٦/٢.

(٥) الخصال ٢:٤١٦/٧ .

(٦) الفقيه ٤:٣٩٤/٥٨٤٠.

س: ماذا نستنتج من قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾؟

ج:

الأوّل: أنّها كلمة تفتح باب معرفة المعبود؛ لأنَّ العبادة تستدعي معرفة المعبود عقلاً.

الثاني: أنّها دعوة إلى التفكّر في أوّل أصل من أُصول الدين وهو إثبات وجود الله ووحدانيته ليخرج الناس من طريق التقليد في هذا الأصل وهو إثبات وجود الصانع عن طريق العقل والتفكير.

الثالث: ابتدأ بالخلق لأنّه أوضح دليل لإثبات الصانع لمن ابتعد عن المجادلة بغير علم، يجمع بين البساطة الفطرية لعامة الناس والدقة العلمية لمن طلبها، لوضوحها وبداهتها في دلالتها على وجوده، افتتحها الله بحديثه مع الرسول ﷺ فقال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق: ١)، ورد في الحديث: فيما سأل الجاثليق أميرالمؤمنين عليه السلام أن قال: أخبرني عرفت الله بمحمّد أم عرفت محمّداً بالله عزَّ وجلّ؟ قال عليه السلام: «ما عرفت الله بمحمّد ﷺ، ولكن عرفت محمّداً بالله عزَّ وجلّ حين خلقه وأحدث فيه الحدود من طول وعرض، فعرفت أنّه مدبّر مصنوع بالاستدلال وإلهام منه وإرادته، كما ألهم الملائكة طاعته وعرّفهم نفسه بلا شبه ولا كيف»[1].

الرابع: عرض الله خلق الأنفس ﴿خَلَقَكُمْ﴾ قبل عرض خلق الطبيعة؛ لأنه الدليل القريب إليهم الذي يعيشونه في وجدانهم وأحاسيسهم من خلال التفكر بالخوف والرجاء والموت وما بعد الموت وقضاء حاجاتهم الداخلية وما يحيط بهم وربط بعضها البعض وغيرها من الأُمور التي يعيشها الإنسان صاحب الشعور دائماً.

---

(١) التوحيد: ٤/٢٨٦.

وما دور الخطاب إلّا توجيه النظر لما يتحسسون به ويعيشونه، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾(لقمان:٢٥)، ولعل من هذا الباب ابتدأ الخطاب ﴿الَّذِي﴾ يُستعمل في أحيانٍ إلى ما هو معروف قبل التحدث به كما لو قلت: جاء الذي علّمكم.

الخامس: أنّها دعوة مفتوحة للإنسان لمعرفة خِلقَتهِ؛ لأنّ الإنسان كلما ازداد في اكتشاف أسرار خِلقتهِ كلما ازداد إيماناً بخالقه، ورد عن الإمام أميرالمؤمنين(ع) أنه قال: «مَن عرف نفسه عرف ربّه»[1]، «عجبت لمن يجهل نفسه كيف يعرف ربّه»[2].

السادس: أنّها دعوة لأخذ منهجية العبودية من الله الخالق الذي يكون أعرف من العقل؛ لأنّ العقل قد يقرّ بالعبودية إلّا أنّه يقصر في رسم منهجيتها، وإنّه أعرف من الفطرة التي تقرّ بالعبودية ولكنّها قاصرة عن رسم منهجية العبوديّة التي تجعلها باقية الحياة. فالعقل والفطرة إذا بقيا من دون توجيه قد ينتكسا ويُمنيان بألوان الانحراف كما وقع بالنسبة إلى الشعور الديني غير الموجّه في أكثر مراحل التأريخ.

س: ماذا نستنتج من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾؟

ج:

أوّلاً: دليل آخر على ثبوت الصانع وهو أنّ الكلّ متغير وممكن وحادث وفانٍ وغيرها من الأُمور مثلكم لا يختلفون عنكم ولا أنتم تختلفون عنهم، فبعد التفكير والتأمل يستنتج الإنسان بالضرورة العقلية أنه لابدّ من الرجوع إلى الثابت التي لا

---

(١) غرر الحكم: ٤٦٣٧/٢٣٣.

(٢) غرر الحكم: ٤٦٥٩/٢٣٣.

تطرأ عليه التغيرات والمُحدِث لكل حادث والمُحيي والمُميت والواجب بذاته وغيرها من الصفات التي يثبتها العقل للخالق، وبالتالي فهي دعوة للتفكير بضرورة وجود الخالق.

ثانياً: وحدة الخالق والمُنعم والمُحيي والمُميت لجميع الخلق، فهي دعوة للتفكير بوحدانية الخالق ونِعَمه السابقة السابغة عليهم وعلى آبائهم وأجدادهم قديماً وحديثاً.

ثالثاً: دعوة للتفكير بتجارب الماضين من حيث التطلّع على نتاجاتهم العقائدية ومعرفة نتائجها وتمييز عناصرها وأشخاصها وما حصدوه من ترتب الأثر العملي لِما كانوا يعتقدون به.

رابعاً: هي دعوة لإزالة الشبهات من أنّ الموجد لهم هم الآباء والأجداد، وإزالة الشبهات من الذين يعتقدون أنّ الخالق هم الملائكة أو كواكب الأرض أو أي شيء آخر يعبدونه غير الله، فهو الذي خلقكم والذين من قبلكم كائن مَن كان.

س: ماذا نستنتج من قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾؟

ج:

أولاً: أنّه ترجٍّ من الله العظيم إلى عباده، وترجّي العظيم معناه إلزامهم به ويريده جداً بطريقة لطيفة شفافة مؤدبة مشفقة وهو الترجّي، وعلى هذا يكون المعنى: أنّ الله يريد التقوى من العبادة لا المجرّدة منها، قال تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ (الفتح:٢٦).

ثانياً: أنّه ترجي العباد، حيث ـ كما قلنا سابقاً ـ : إنّ الإنسان يعيش الخوف سواء من الموت وما بعده أومن غيره و يعيش الرجاء في الخلاص، فكأنّ الله يقول

للناس: إنَّ طريق العبادة هو الخلاص الذي ترجونه فيما كنتم تفكرون بكيفية الحذر ودفع ما تخافون منه، فالعبادة تضمن حصول الوقاية من كل ما تحذرون عنه وتخافون منه ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَ﴾ (النساء:١٣١).

ثالثا: لبيان غاية العبادة، فكما أنَّ غاية خلق الناس العبادة لله فغاية العبادة هي التقوى لهم ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣).

رابعا: عندما خلقكم وخلق كلّ شيء لأجلكم وترك الاختيار لكم كان من الشيء الطبيعي والمرجو منكم بما أنكم عقلاء ومؤمنون أن تتقوا الله، فهو سبحانه في صورة انتظار المرجو منهم.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

س: ما هي مراتب التقوى؟ وضّح ذلك.

ج:

للتقوى ثلاث مراتب هي:

(١) الايمان بالله، وهذا ما يتّقي الإنسان من خلاله الجحود والشرك، وهذا ما يتمثّل بخطابات الله لعامّة النّاس عندما يلزمهم بالتقوى، أي بالايمان به سبحانه، قال تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ (الفتح:٢٦)، ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ (الشعراء:١١)، وكثير ما تنتهي الآية بقوله: ﴿لَعَلَّهُم يَتَّقُونَ﴾ أي يؤمنون، والايمان هو تصديق القلب بالله وصفاته.

(٢) طاعة الله، وهذا ما يتّقي الانسان من خلاله السقوط في المعاصي كبيرها وصغيرها، ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «لا يبلغ العبد درجة المتقين حتّى

يدع ما لا بأس به حذراً ممّا به بأس »[1].

(٣) التجرّد إلى الله، وهذا ما يتّقي الإنسان من خلاله دخول نفسه وذهنه وقلبه وكلّ سريرته عن البدع وعن كلّ ما هو لغير الله، وهو أعلى درجات ومراتب التقوى، قال تعالى: ﴿اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ (آل عمران:١٠٢).

ولعلّ المراتب المذكورة تحصرها الآية التالية في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة:٩٣).

س: ما هي المحتملات في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ﴾؟

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ج:

الأول: انتقال إلى الدليل الآخر في إثبات وجود الخالق وهو خلق آيات الطبيعة والكون وما هو خارج عن نفس الإنسان، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت:٥٣).

الثاني: أنّه الدليل الآخر على وحدانية الخالق لوحدة أصل التكوين الذري المشترك بين الإنسان والكون.

الثالث: أنّه دليل على أن الخالق عادل عاقل حكيم عليم وغيرها من الصفات التي تجري في هذا المجرى بجعل الملاءمة والأُلفة التامة بين آيات الطبيعة والنفس، حيث جعل الأرض والسماء تلبّي كل حاجات الإنسان المادية والنفسية

---

(١) الألفين: ٣١٣.

بما زودها من عناصر الحياة.

الرابع: أنّه دليل على عظمة الخالق وقدرته وغيرها من الصفات التي تجري في هذا المجرى لِما للأرض والسماء من عظمة وقدرة وما فيها وما عليهاعَلِمنا و مما لم نَعلم.

الخامس: أنّه دليل محبة وكرم ورحمة الخالق وغيرها من الصفات التي تجري في هذا المجرى؛ لأنّه خلقها وجعلها ﴿رِزْقاً لَكُمْ﴾.

السادس: أنّها دعوة مفتوحة لمعرفة الكون؛ لأنّ الإنسان كلما ازداد في اكتشاف أسرار الكون يزداد إيماناً بخالقه.

السابع: أنّها صورة تمثّل جعل الدنيا للإنسان كالبيت المريح له الذي يلبّي كلّ حاجاته من الفراش والسقف والثمرات.

الثامن: أنّ إنزال الثمرات من السماء يعكس وجود تعدّد الوسائط والعِلل عند إيجاد ثمرة الدنيا وهذا ما يميّزها عن ثمار الآخرة التي لا تحتاج إلى هذه الوسائط في إيجادها.

التاسع: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾، كلّ الرزق نتاج مشترك بين السماء والأرض، وبعض رزق السماء ماء الذي يكون سبباً لبعض الثمرات، فإذا قلنا: ﴿مِن﴾ الثانية للتبعيض كذلك، فيصير المعنى:

(١) أنّ ما أُعطي للدنيا هو بعض من السماء، لا كلّها وبعض من الثمرات لا كلّها، هذا يعني أنّ عطاء الدنيا لا من جميع السماوات، وأنّه قليل بالنسبة إلى الآخرة.

(٢) أنّ الماء يعطي بعض الثمرات لا كلّها؛ لأنّه ليست كلّ الثمرات هي من الماء.

٣) ـ ما من شيء إلّا وهو متّصل بتدبير السماء، قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (الذاريات:٢٢)، ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ (سبأ:٩)، ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ

وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ (فاطر:٣).

العاشر: أنَّ الله يعرض بعض ما جعله لا واجباً عليه ولا استحقاق الإنسان له، ولكن ليعكس من خلال هذا العرض مقدار لطفه ورحمته بعباده وحقيقة ربوبيته.

س: ما هي المحتملات في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؟

ج:

(١) أنَّ الخالق قد أظهر اسمه (الله) بعد أن جعله مبهماً (ربّكم) و(هو) في البداية، وهذا فيه إشارة إلى النتيجة الحتمية التي يتوصل بها الإنسان بعد التفكير في آيات النفس والآفاق، وهذا ما يعلمه الله سبحانه وتعالى لِما أوجد من الوضوح الناصع في كل الآيات للدلالة على وجوده وتصديه الأوحد لخالقية الكون وما فيه، هو سبحانه يعرض اسمه بكل قوة ويقين.

(٢) بعد أن عرفتم بأن الله خالق وواحد عن طريق الفكر، فالبحث والتفكر بشريك الباري ليس من الفكر العملي؛ لأنها من العلوم الجدلية الواضح فشلها لفشل نتيجتها الواضحة عندكم بعد استدلالكم بوحدانية الخالق، وإنَّ كل ما يفرضه العقل جدلاً كشريك يرفضه نفس العقل.

(٣) لا تجعلوا شريكاً للباري لأنكم تعلمون أنَّ افتراض أي شريك لم تكن له حق الشِركة لعدم اشتراكه في خلق أي شيء مع الله ولعدم وجود مدّعٍ للشِركة ولا أثر موجود للشريك حتّى يدلّ عليه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً﴾ (النساء:٤٨).

(٤) قد يكون الخطاب موجهاً إلى المؤمنين، فهذا يعني أنَّ الله ينهى عن شِرك الطاعة

كالرياء وعلى نسق قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾(يوسف:١٠٦)، ورد عن أبي موسى الأشعري أنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم، فقال: «يا أيّها الناس اتّقوا الشرك، فإنّه أخفى من دبيب النمل»، فقال مَن شاء أن يقول: وكيف نتّقيه وهو أخفى من دبيب النّمل، يا رسول الله؟ قال: «قولوا: اللهم إنّا نعوذ بك أن نشرك بك ونحن نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه»(١).

(٥) قد يكون الخطاب موجهاً إلى أهل التوراة والإنجيل، فعلى هذا ينهاهم الله عن جعل شريك له لعلمهم ما موجود في التوراة والإنجيل الذي ينهى عن جعل أي شريك للباري سواء الأصنام أو عيسى بن مريم ﷺ أو عزير وغيرهم من الأنداد.

(٦) قد يكون النهي عن الشرك بصورة خاصّة ومستقلّة و جعله الله من الخطابات القرآنية الأُولى للناس ليكشف الله عظمة وخطورة الشرك المنافية لتحقيق الغاية من الخلق من قبل الله تعالى، ولما فيه من تجميد للعقل وقتل إنسانية الإنسان ونزولها إلى ما هو أضلّ من الأنعام، ولما له من سوء الأثر الاجتماعي الكبير الذي يتركه الشرك، فإنّ ميزة حركة الأنبياء جميعاً مجاهدتهم للشرك، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(لقمان:١٣)، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: « يا بن مسعود، إيّاك أن تشرك بالله طرفة عين وإن نشرت بالمنشار، أو قطّعت، أو صلبت، أو أُحرقت»(٢).

---

(١) مسند أحمد ٤: ٤٠٣.

(٢) مكارم الأخلاق: ٤٥٦.

س: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ في هذه الآية وفي غيرها يعتبر الله الشريك نداً له، بيّن الأسباب المحتملة لذلك.

ج:

هنا عدّة احتمالات منها:

(١) بالعبادة شابهت حالهم حال مَن يعتقد أنّها واجبة بالذات قادرة على أن تدفع عنهم بأس الله وتمنحهم ما لم يريده الله منهم.

(٢) استمرار العبادة لها تحوّل اعتقاد العابد لها من وسائط إلى أنّها مستقلّة بالذات سواء لصانعيها أو لعامة المشركين الذين يأتون بعدهم.

(٣) التنافي والأنداد لا فيما يقصده المشركون، بل المنافاة تقع في نفس العبادة التي لا تنسجم ماهيةً مع غير الله ولا ينسجم عطاؤها لغير الله ولا ينسجم وضعها لغير الله، فالأصنام مثلاً بما هي أصنام ليست نداً لله بل بما هي معبودة أصبحت نداً وهكذا كلّ معبود غير الله.

(٤) أنّ كيفية عبادة المعبود ورسم منهجيّتها من حقّ الله وليس لأحد دخل فيها وهو لا يرى للوسائط ضرورة وليس لها محلّ، فالذي يجعل الوسائط من دون مراجعة له ومن دون رضاه معناه قد نصّب نفسه مشرّعاً وممنهجاً وهو معنى النّد حقيقة.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة:٢٣ـ٢٤)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيتين؟

ج:

(١) نزل: انتقال الشيء من الأعلى إلى الأسفل تدريجياً، أنزل: انتقال الشيء من الأعلى إلى الأسفل دفعة.

(٢) الدعاء: النداء والاستعانة.

(٣) الشهيد: أ ـ الحاضر. ب ـ القائم بالشهادة والمعاينة. ج ـ الإمام. د ـ الناصر.

(٤) دون: أ ـ الغير. ب ـ أدنى مكان من الشيء. ج ـ الحقير. د ـ التجاوز.

(٥) الصدق: هو الخبر المطابق للواقع على ما هو عليه أو على ما فيه.

(٦) أعدت: تهيأت وجعلت عدّة.

- **المعجزة في القرآن**

س: لمَن وجّه هذا الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾؟

ج:

كل مَن دخل الريب في قلبه من أنّ هذا القرآن من وضع غير الله، سواء كان المرتابون من الإنس أم من الجن، وسواء كانوا فرادى أم جماعات ومن وقت نزول القرآن إلى نهاية الناس، قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (الإسراء:٨٨).

س: ماذا يكشف لنا الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾؟

ج:

(١) أنّه سبحانه أعطى لرسوله أوّل سمة وهي أنّه عبد لله، وهذا يدل على أنّ مقام العبودية يجب أن يكون أسمى المقامات التي يفتخر بها البشر ويسعى لأجل الحصول عليها والإخلاص فيها كما هو مسير الأنبياء، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عبدالله آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً﴾(مريم:٣٠)، وقال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عبدالله﴾(النساء:١٧٢).

(٢) أثبات القرآن على أنّه معجزة نبيهﷺ، وأنّه من صنع الله لا صنع غيره أيّاً كان.

(٣) التصديق بنبوة محمّدﷺ؛ لأن التصديق بالمنزل به تصديق بالمنزل عليه.

(٤) قطع الحجة أمام كلّ مَن يرتاب فيه بإظهار ضعفه وعدم قدرته في إتيان سورة أيّاً كانت السورة من غير تحديدلعدد آياتها ومضمونها، وما أمام الإنسانأن يذعن للحقائق الثلاثة وهي المرسل والرسول والرسالة عند الاعتراف بعدم إمكانه وعجزه، قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾(هود:١٤).

(٥) أنّ نفس شخصية محمّدﷺ تستبطن ثبوت الإعجاز، حيث إنّه أُميّ لا يقرأ ولم يُعلّمه مُعلّم، ولم يُعرف في الوسط الأدبي من الشعر والنثر، ولم يحيطه جوٌّ علمي حتى يكون قد تأثر به، وتربّى يتيماً محروماً وغيرها من الأُمور التي لو كانت عند غيره لا يُلام في أن يخرج من الدنيا وهو لا يعلم شيئاً منها، قال تعالى ـ وهو ينقل هذه الحقيقة ـ: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ

بِيَمِينِكَ إِذاً لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (العنكبوت:٤٨)، ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ (يونس:١٦)، بينما نجد هذه الشخصية ـ وهو الرسول محمّدﷺ ـ قد تحمّلت هذا الثقل الكبير وفهمت ما لم يفهمه أكبر الأُدباء في عصر الأدب والبلاغة والفصاحة ومنها تخرج التوضيحات لجزئيات الرسالة وفروعها وجسّدت غموضاتها بأروع صورها في ميدانها العملي، وعاش النبيﷺ سيداً وقائداً وأسوة للعالمين في جميع جوانب الحياة. إنّ الذي يطّلع على حياة الرسول محمّدﷺ وعطائه ليجزم أنّ عامل الغيب هو المتدخل في صنع هذه الشخصية لا غير اعتماداً على العناصر الخيّرة الذاتية التي كان يمتلكها الرسولﷺ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى ۞ وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى ۞ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾ (الضحى:٦ـ٨)، ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۞ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ۞ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۞ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الشرح:١ـ٤).

س: كم معجزة تثبت في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ (البقرة:٢٣)؟

ج:

ثلاث معاجز هي:

(١) القرآن معجزة، حيث لا يُقدر على الإتيان بسورة من مثله.

(٢) شخصية الرسولﷺ معجزة، حيث لا توجد شخصية مثله في المميزات والظروف الصعبة وتكون في نفس الوقت المثل الأعلى لكل الناس من كلّ جهة إيجابية تتعلّق بالشخصية.

(٣) بقاء حالة البشر من عدم الإتيان واقعاً لا مثل القرآن ولا مِثل الرسولﷺ ولا أقلّ من ذلك، فبقاء الناس في حالة العجز مع استمرار الخطاب بالإتيان بمثل القرآن يكون معجزة، حيث نجد فعلاً وصدقاً أنه ﴿لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾.

س: إلى كم قِسمٍ يُقسّم نزول القرآن، وأي قِسمٍ منه أثار التشكيك عند الكافرين؟

ج:

ينقسم النزول إلى قسمين:

الأوّل: النزول الدفعي، وهو نزول القرآن دفعة واحدة إجمالية على الرسول محمّدﷺ، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾ (البقرة:١٨٥)، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر:١)، وفائدته هو لتعليم وتوعية الرسولﷺ على الرسالة العظيمة التي أُعدّ لحملها من خلال المعارف الإلهية والأسرار الكبرى التي يحملها القرآن الكريم.

الثاني: النزول التفصيلي التدريجي، وهو نزول القرآن نجوماً وسِوَراً وآيات متعاقبة حسب مناسباتها، وفائدته لتربية الأُمة وترويضها على الرسالة الجديدة، في هذا القسم شكّك الكافرون بالقرآن ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ (الفرقان:٣٢)، كما أنزل الله كتبه مرّة واحدة في كلّ الرسالات على أنبيائهم وكما هي الحالة الطبيعية لكلّ كاتب حين يصدر له كتاب، فأجابهم الله ببعض الحكمة، إنّه لتثبيت النبيﷺ وتسليته، قال تعالى: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ (الفرقان:٣٢).

س: ما معنى معجزة النبي؟

ج:

معجزة النبي: هي الدليل الذي يبرهن على صدق دعوى ذلك النبي، ورد عن الإمام الصادقعليه السلام أنّه قال: «والمعجزة علامة الله لا يعطيها إلّا أنبياءه ورسله وحججه ليعرف به صدق الصّادق من كذب الكاذب»[١].

س: ما هي حقيقة المعجزة؟

ج:

المعجزة: هي حدوث الأمر الخارق للعادة الدال على تصرّف ما وراء الطبيعة في عالم الطبيعة ونشأة المادة، بحيث يعجز الإنسان عن معرفة سببه والوصول إليه.

س: هل عجز الإنسان عن معرفة المعجزة يرجع إلى استحالتها بالذات؟

ج:

لو كانت المعجزة من نوع المستحيل عقلاً وبالذات كاجتماع النقيضين أو الضدّين مثلاً لَما تعقّلها أي عاقل ولا كان يستدل بها على شيء.

س: هل تخضع المعجزة إلى قانون أو سبب طبيعي أو أنّها تحدث بالفعل المباشر لله من باب ﴿إِنَّ اللهَ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾؟ اذكر المحتمل من الجواب.

ج:

أنّ السبب المادي أو القانون الطبيعي لا يعمل عمله إلّا إذا اجتمع مع المؤثرات به والشرائط المتعلقة والعوامل المساعدة التي تدخل بنسبة في التأثير، كل ذلك إذا اجتمع أثّر أثره فتنتقل المادة من حال إلى حال ومن صورة إلى صورة حتى تستقر

---

(١) علل الشرائع ١: ١/١٢٢.

الصورة الأخيرة المطلوبة من تلك العِلل والأسباب، وهذا ما هو جارٍ في العلوم التجريبية.

إذا عرفت هذا فنقول إنَّ علّة المعجزة لها احتمالان:

(١) أن تكون بعضها لها علاقة بعالم المادة كما هي أغلب القوانين التي تحكم المادة. ففي هذه الحالة يقوم الله بتسخير القوانين الخاصّة بالصورة التي يريدها ولا تتأثّر هذه القوانين بأي مانع ماديّ باعتبار حاكمية التسخير عليها، ومن أمثلة هذه المعجزة رجوع الشمس بعد مغيبها أو إرسال الرّياح وما فيها من الضفادع والجراد والطوفان.

(٢) ألّا يكون بعضها لها ارتباط بعالم المادة ولكن إذا أَذِنَ الله لهذه العلة أنْ تعمل وتؤثر أثرها بحيث لا يقاومها أي قانون أو عِلة مادية، بل هي التي تقضي عليها تأثيراً لكونها في الكمال الأعلى، وما ذكره القرآن يوحي بالإشارة إلى ذلك، منها ما قاله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٩)، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ (الفرقان:٢)، ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (الحجر:٢١)، ومن أمثلة هذا النوع ولادة عيسى عليه السلام، وناقة صالح عليه السلام، وعصى موسى عليه السلام.

س: على الاحتمال الأوّل إذا كانت علة المعجزة لها ارتباط بالقانون الطبيعي، هذا يعني أنَّ بالإمكان اكتشاف العِلّة يوماً ما خصوصاً مع التطور العلمي الهائل، عليه لا تكون المعجزة معجزةً إلّا لمَن جهلها؟

ج:

(١) أنَّ علّة المعجزة وإن كانت تستند إلى سبب طبيعي إلّا أنّه كما قلنا في بدايتها بتسخير الله، وأمرها بيد الله، وفعلها بإذنه، وأنه غير مغلوب على أمره، قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (المجادلة:٢١).

(٢) إذا عثرنا على معجزة من النوع الأوّل الذي ذكرناه قد قال الله في حقّها: إنّها مؤقّتة لوقتها ولزمان أهلها وقد أذن الله بكشف سرّها العلمي للبشر ليحرّك مقدرتهم العلمية أو امتحان منه إليهم، فعند ذلك لا مانع شرعي ولا عقلي في أن يأتي البشر بمثلها بعد اكتشاف علّتها القانونية؛ لأنّ الفرض من الأوّل مبني على أنّ المعجزة من النوع الأوّل وأنّها مؤقّتة بوقتها.

س: هل بإمكان العلم اليوم أن ينكر المعجزة؟

ج:

كلا لا يمكنه ذلك لما يشاهده من خوارق الطبيعة بين الآونة والأخرى، وما يشاهده من خوارق العادة من قِبل السَحَرة وأصحاب الرياضات الروحية وبعض مظاهر المخلوقات الغريبة وغيرها من الظواهر التي تنشر في وسائل الإعلام بين الآونة والأخرى بشكل تجعل العالِم أن يقف موقف المتحيّر العاجز عن تفسيرها وعن أن يضعها ضمن القانون العادي للطبيعة.

س: معجزة القرآن من أي نوع هي؟ اذكر المحتمل من الجواب.

ج:

من نوع العلم والمعرفة؛ لأنّ أي معجزة غير العلم والمعرفة إنّما هو موجود طبيعي أو حادث حسّي محكوم بقوانين المادة محدود بالزمان والمكان مشهود لبعض دون بعض ومعجزة القرآن عامة لكل فرد ولكل زمان مهما امتد.

س: هل إعجاز القرآن خاص ببعض الوجوه؟

ج:

بل هو عام من جميع الجهات والأوجه ولكل فرد ولكل اختصاص من الناحية

الأدبية والسياسية والعسكرية والاجتماعية وغيرها من الاختصاصات، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل:٨٩).

س: هل تنطلق المعجزة من الله من باب تحدي الله للناس؟

ج:

أنَّ الذي يتحدى إمّا أن يتحدى لمن هو مثله أو ظاناً به القدرة على الإتيان بما يتحدى به، والله الذي ليس كمثله شيء في العظمة والقدرة، والعالم بعدم قدرة الإنسان على الإتيان أصلاً، فهل يعقل أن يصدر منه التحدي؟!! ولهذا لا تجد للتحدي لفظاً مستعملاً لكل ما يمثل الله في محاكاته مع الناس إلّا ما هو مملوء بالعطف والرحمة التي تكشف عن حبه العظيم للإنسان؛ لعدم قدرة البشر على شيء مقابل مشيئته، فالمعجزة تتحدى بمعنى أن تعطي الشيء الملموس المباشر من الغيب لتضع الإنسان أمام الأمر الواقع الذي يكشف للإنسان عدم قدرته.

إنَّ الذي أتى به محمّدﷺ من الله ليصدّق الإنسان دعواه، ولتقطع عن الإنسان المعذرّية أمام الله. نعم، التحدي للقرآن موجود عند الناس وصادر منهم أوّلاً لجهلهم بالله أو بكتابه، حيث بعض الناس قد يحدّث نفسه بوسوسة قلبية بشعور منه، أو من دون ذلك أن يكون بمقدوره الإتيان بمثله أو بعضه أو أنّه قد يكون من تأليف محمّدﷺ أو غير ذلك ممّا يخطر في الذهن وفي القلب، فيأتي إثبات المعجز منه تعالى العالم بما تخفي الصدور كجواب كاشف عمّا في صدور بعض الناس ومستوعب لجميع الأوهام من خلال فتح الأجوبة المختلفة مسبقاً ليمنع الأوهام الكاذبة أن تشغل فكر الإنسان وقلبه وهذا لطف دقيق آخر على عباده، ولهذا

ابتدأت الآية ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ حيث لولا الريب الذي يدخل صدور الناس لما جاء إثبات المعجز، وهكذا تجد كلّ آيات إثبات المعجز يسبقها تحدٍّ فعليٌّ من الناس، وعليه يكون إثبات المعجز جواب على التحدّي الذي يصدر من الناس، فلا يصدر التحدّي ابتداءً من الله.

هذا كله يأتي إذا كان التحدّي بمعنى إثبات الغَلَبة والقدرة والقوة وغيرها من الدوافع، وأمّا إذا كان التحدّي بمعنى النداء والجواب فلا بأس من إسناده إلى الله وهو كما قلنا: أي يجيبهم ويناديهم.

س: هل تعتبر المعجزة الطريق المنحصر للتصديق بالنبي؟

ج:

المعجزة طريق لهداية بعض الناس إلى الايمان بالله والتصديق بنبيه، والله من باب لطفه بعباده ورحمته يضطر إلى المعجزة من أجل ذلك البعض، ولهذا تجد أنّه ليس كل نبي معه المعجزة قد آمن به كل الناس، وليس كل نبي فقد المعجزة قد كفر به كل الناس، فإنّ الكثير قد آمن بنبوة محمّدﷺ من خلال صدقه في الحديث أو من خلال نجاحه في كثير من المواقف أو من خلال ما وجدوه مذكوراً عندهم في التوراة والانجيل، والطرق بتصديق النبي كثيرة لا تنحصر بالمعجزة إلّا عند البعض.

ورد في خبر: أنّ رجلاً قال للرسول محمّدﷺ: مالي وللمعجزات؟ احلف بالله أنك رسول الله، وأنا أؤمن بك، فقال الرسولﷺ: «والله إنّي رسول الله»، فقال الرجل: أشهد ألا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله.

نعم، في حالات كثرة المدّعين وأصبحت الظروف بحيث يصعب تشخيص الصادق وصارت كلّ شخصية موضعاً للتهمة، فهنا ينحصر الطريق بالمعجزة للتصديق به.

س: لماذا صارت المعجزة مختلفة باختلاف الأنبياء؟

ج:

هنا عدّة أسباب محتملة، منها:

(١) أن تكون المعجزة استجابة لطلب القوم وتحدّيهم كما هم قوم صالحﷺ الذين طلبوا منه ظهور ناقة من الجبل مثلاً.

(٢) أن تكون المعجزة ذات مستوى تتناسب مع المستوى التفكيري والعقلي والثقافي لذلك المجتمع.

(٣) أن تكون المعجزة متناسبة إلى نوع حاجة الظرف الذي يحتاجه المجتمع ونفس النبي كما هي أغلب معاجز موسىﷺ.

(٤) أنّ أحد الأسباب ما ورد عن ابن السكيت قال لأبي الحسنﷺ: لماذا بعث الله موسى بن عمرانﷺ بالعصا ويده بيضاء وآلة السحر؟ وبعث محمّداًﷺ بالكلام والخطب؟ فقالﷺ: «إنّ الله لمّا بعث موسىﷺ كان الغالب على أهل عصره السحر، فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله، وما أبطل به سحرهم، وأثبت به الحجّة عليهم، وإنّ الله بعث عيسىﷺ في وقت قد ظهرت فيه الزمانات واحتاج النّاس إلى الطّب، وأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيى لهم الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله، وأثبت به الحجّة عليهم، وإنّ الله بعث محمّداًﷺ في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام، فأتاهم من عند الله من مواعظه وحكمه ما أبطل به قولهم، وأثبت به الحجّة عليهم»[١].

---

(١) المناقب ٣: ٥٠٧.

س: اذكر المحتملات التي ترد في منشأ الريب في القرآن الذي أنزله على عبده ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾.

ج:

ليس للريب في القرآن منشأ معيّن فقد:

(١) يتعلق بأصل عدم الايمان بالله، فالذي لا يؤمن بالغيب يشكك في كل شيء متعلق به.

(٢) يتعلق الريب في شخصية الرسول ﷺ لشبهة كما ورد عند البعض، وقد ذكر بعضها في القرآن ذلك عندما أُتهم بأنّه كان يقف على غلام بمكة يعمل السيوف ويبيعها وهو من أهل الروم، فأجابهم الله تعالى بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (النحل:١٠٣).

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وقال بعض آخر: إنّ الذي علّمه هو سلمان الفارسي العالِم بالمذاهب والأديان، وجوابه أنّ سلمان قد آمن في المدينة وقد مرّ من القرآن الشيء الكثير، واتّهمه البعض الآخر من خلال النظر للوضع الاجتماعي البسيط والمتواضع الذي يعيشه الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف:٣١).

(٣) يتعلق الريب بنفس القرآن بما يُتصور فيه من التضاد ومن التشابه لجهلهم وعدم إحاطتهم بعلمه وتأويله، قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ (يونس:٣٩)، أو يُتهم نزوله على أنّه لا من الله ولا من البشر بل من الشياطين، فيجيب الله عن هذه الشبهة بقوله تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ

الشَّيَاطِينُ ۞ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۞ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ (الشعراء: ٢١٠ـ٢١٢)، أو يُتّهم نزوله لكونه يشبه نزول البشر في طريقتهم في التأليف باباً باباً حتى يصبح كتاباً وقصيدة قصيدة حتى يصبح ديواناً وحسب الحوادث والمواقف، فلو كان من الله لكانت طريقة التأليف والنزول مختلفة حيث يكون دفعة واحدة للدلالة على قدرته، قال تعالى ـ وهو ينقل إشكالهم هذا ـ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ (الفرقان: ٣٢).

س: ألا تعتبر هذه الإشكالات التي يطرحها المشركون والمنافقون حقاً طبيعياً بالنسبة لهم سواء كانت المتعلّقة منها بالقرآن أو بشخصيّة الرسول ﷺ؟ اذكر المحتملات للجواب.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ج:

أولاً: عندما تنطلق هذه الإشكالات من المشركين والمنافقين لم تُعتبر حقّاً لهم بالنظر إلى دوافعهم التي يرومون من خلالها تضعيف الإسلام وتكذيب النبي والقرآن وإبعاد الناس عن الإيمان بالله، وغيرها من الدوافع التي تبعد الناس عن اقتناص الحقيقة والوصول إليها.

ثانياً: عندما تنطلق مثل هذه الإشكالات التي وردت من أيّ إنسان يريد الوصول إلى الحقيقة والتعمّق بالفكرة فيُعتبر عندئذٍ حقّاً طبيعياً مراعاة لما هو موجود في الأذهان من اللوازم بين الأُمور كمجيء ممثّل من قبل أحد كبّار الأغنياء والكرماء وهو يرتدي ملابس ممزّقة مثلاً، فهنا من حقّ أيّ إنسان أن يشكل لعدم وجود ما هو اللازم المعهود من الفارق بين ما يحمله المرسل من الصفات وبين

وضعيّة الرسول الظاهريّة، إن الإشكال لا بدافع تحقير الشخص أو الاستهانة به، بل من أجل الوصول إلى حقيقة المطلب والدقّة في الهدف والفكرة، وكذلك هذه الإشكالات التي صدرت حول القرآن والرسولﷺ قد تُعتبر أغلبها حقاً طبيعياً بلحاظ نفس الإشكال لا نوعيّة المستشكل، ولهذا تجد الله سبحانه وتعالى قد أخذ بهذه الإشكالات من خلال تدوينها والإجابة عنها في كتابه العزيز، ووبّخ المستشكلين من الكفار والمنافقين لدوافعهم الخبيثة، فهي أشبه بكلمة الحق التي يراد بها باطل.

ومن هنا نعرف أنّ الإشكال حقّ طبيعي، وسوء الدوافع وخبثها التي تكمن وراء الإشكال لم تكن حقّاً طبيعياً بل هي مرض طبيعي يجب أن يعالج.

س: ما هي بعض الجوانب الاعجازية في القرآن الكريم؟

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ج:

أولاً: الإخبار عن الغيب، يخبر عن ماضي الأولين كما يخبر عن مستقبل الآخرين بنفس القوة واليقين، قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ﴾(هود:٤٩)، منها قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾(الشورى:٢٩)، حيث يخبر عن وجود حياة مستقرة لبعض خَلقِهِ الذي يدبُّ في الكواكب السماوية وأنّهم يمكن الاجتماع معهم إذا شاء الله سبحانه.

ثانياً: عدم وجود الاختلاف فيه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً﴾(النساء:٨٢).

ثالثاً: فصاحته وبلاغته ونظمه الأدبي حيث خاطب أصحاب القمة في الأدب

الجاهلي المعروف بقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾ (يونس:٣٨).

رابعاً: اختيار البيئة والمجتمع الذي انطلق القرآن منه، حيث مكة والمجتمع الجاهلي الذي لم يمارس أي لون من ألوان الحضارة والمدنية وفجأة ومن دون سابقة ينبثق منه كتاب تمتدّ أشعته لكل العالَم وهي تكتسح ظلمات الحضارات القائمة ولم يعبر عن طرح سابق أو فكرة سائدة آنذاك، ويرتقي بالأمة إلى أعلى المستوى الثقافي والأدبي والعلمي، كل هذا اختراق للقانون الطبيعي القائل بأن الكتاب مرآة يعكس المستوى الثقافي للمؤلف ومجتمعه، والقرآن حامله أميّ ومجتمعه جاهلي !

خامساً: مواكبته العلمية لكلّ الأعصار والأمصار وعلى توالد الأجيال، يسير وهو يطرق كلّ أبواب العلم ومختلف ميادينها مشيراً إليها تارة ومؤسّساً لها تارة أخرى، بل بما أنّه كتاب فليس فيه إلّا العِلم، بل والعِلمُ بكلّ شيء ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل:٨٩).

س: ما هو التفسير المحتمل لقوله تعالى: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ... فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾؟

ج:

(١) أنّ الله عندما دعا الناس إلى هذه الدعوى وهو يعلم أنّ الناس جميعاً لا يقدرون على ذلك سواء كانوا الحاضرين منهم أو الغائبين الذين سيولدون في مستقبل الزمان، ولهذا سوف لا يفعلون الآن ولن يفعلوا في المستقبل، ولهذا بعَّد الله اسمه جانباً في الآية ﴿مِن دُونِ اللهِ﴾ لعلمه المُسبق بكذب كلّ مُدّعى ومُدّعٍ إن

وجد، ولكونه وحده القادر على الإتيان بمثله، بل بما هو خير منه، قال تعالى:

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ (البقرة:١٠٦).

(٢) لو فرضنا الآن بعض الأفراد أو الجماعات كمحاولة منهم في التأليف وادّعوا أنّ ما كتبوه شيئاً جديداً غير مذكور في القرآن، مثل القرآن من حيث ميزاته العظيمة في اللفظ والمضمون، وقد يصدّق الإنسان نفسه في دعوته هذه لما بذله من الجهد العميق في ذلك ولما يراه هو من عدم الفرق بين ما كتبه وبين سوَر القرآن، ومن أجل التأكد من صدق دعواه وعدم وقوعه بالوهم لابدّ أن يعرض نتاجه على أصحاب الاختصاص ويدعوهم للمعاينة وتقييم البحث وإمضائه وتصديقه، وأصحاب الاختصاص والخبرة لابدّ هنا أن يكونوا من المتعمقين في القرآن والفكر الإسلامي وباللغة من جميع جوانبها، والقرآن يدعو في هذا الباب ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ من دون تحديد هوية أصحاب الاختصاص ولا نوع الديانة التي يتمسكون بها ولا المستوى العلمي المطلوب. وهنا يكمن أحد أسرار المعجز حيث الباب مفتوح للجميع لعلمه أنّ الزيادة التي أعطاها الله في كلامه لن يتمكن أحد للوصول إليها وأنّ أي شاهد سيكذّب بنفسه أي مُدَّعٍ لذلك حيث يفقد تلك الجاذبية السحرية للنغم الإلهي وما إلى ذلك من خصوصيات كلام الله. ولأجل هذا لم ولن يجرؤ أحدٌ لحد الآن أن يتقدم بذلك، إذ لو كان لبان على الرغم من بساطة المطلب لتوفر أركانه لدى الإنسان من الفكر ووسائل التدوين المتطورة ولتوفر الحاقدين على القرآن والدين الإسلامي والمنكرين له الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر، فإنّه مردود من قبل نفس أصحاب الاختصاص، بل ومن غيرهم كذلك؛ لأنّ كلام الخالق

مُميّز حتّى عند عامة الناس.

س: ما هو التفسير المحتمل لقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾؟

ج:

أوّلاً: الانفتاح على آخر أصل من أصول الدين وهو المعاد حيث الحساب والجنة والنار.

ثانياً: النار قد أُعدّت، وهذا يعني أنّها مخلوقة حقيقةً وليست رمزاً للشرّ فقط كما يتصوره البعض.

ثالثاً: النار التي وقودها الناس والحجارة بمعنى توجد درجات للنار وإحدى درجاتها مختصة لبعض الناس والحجارة بحيث توقد بالناس والحجارة ويوقدون بها، هي تزداد شعلة وتوهجاً وحرقاً ولهيباً عند وضع مثل هؤلاء الناس والحجارة ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ (الأنبياء:٩٨).

رابعاً: قرن هذا البعض من الناس مع الحجارة لأنّه كل من يتخذ غير الله رباً ومعبوداً مع هذا الوضوح لآيات الله والعطاء الذي منحه للإنسان، لو كان هناك دون الحجارة قياساً مع مثل هؤلاء لقرنهم به الله؛ لأنهم بفعلهم هذا جمّدوا أهم ما في وجودهم وهو العقل ومسحوا كل كرامة لإنسانيتهم.

خامساً: ﴿اتَّقُوا النَّارَ﴾ أنّها صدمة للكافرين من أجل أن يحرّك الواعز الداخلي الذي قد لا يحركه الرخاء والجنّة، وتعرفهم بالنتيجة البشعة حتى لا يبقى لهم عذر عند الله. ويشعرهم أن الدنيا لم تترك بأيدي أيّ كان، بل وراء الكل حساب ونتيجة، أنّها عدالة الله التي تضع الشخص المناسب في المكان المناسب.

سادساً: أنَّ النار قد جمعت بين أشرف الخلق وهو الإنسان وبين أخسّه وهو الحجارة، وهذا يعني أنَّ النار ستضمّ ما بينهما من الخلق غير الإنسان والحجارة.

سابعاً: ﴿اتَّقُوا النَّارَ﴾ اتركوا العناد والإنكار والتشكيك المتعمّد والشرك والكفر وسدّ الطريق على الرسالة والرسول وأوليائه وعرقلة حركتهم، اتركوا كلّ شيء يلازمه الحصول على نار جهنّم.

س: بمَ تختلف نار الآخرة عن نار الدنيا؟

ج:

(١) الذي خلقها هو الله بالمباشرة، وسجّرها لغضبه.

(٢) أصحابها والمتولّون عليها ملائكة غلاظ ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً﴾ (المدثر:٣١)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم:٦٣).

(٣) أنها حقيقية وليس شيئاً رمزياً ﴿نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴾ (المسد:٣)، ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ (البروج:٥)، ﴿نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ﴾ (الهمزة:٦).

(٤) لا تظهر للحواس إلّا بعد الانتقال إلى عالَم الآخرة. ﴿كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ (التكاثر:٥-٧).

(٥) تحتوي على الأجسام الباردة ولا تتأثّر فيها مثل الماء والأشجار﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً﴾ (محمد:١٥)، ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الأَثِيمِ﴾ (الدخان:٤٣-٤٤).

(٦) لها أنواع مختلفة من حيث التأثير ولكلّ نوع له باب، الجحيم، السعير، سقر، لظى، سجّين، الهاوية، الحُطَمَة ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ

﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ (الحجر:٤٤).

(٧) تبتدئ من جوف الداخلين فيها ثمّ تظهر إلى الخارج ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً﴾ (الإسراء:٩٧).

(٨) شمولها للبدن والروح ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ (الهمزة:٧).

(٩) أنّها لا توصل صاحبها الحيّ إلى حدّ الموت ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى﴾ (طه:٧٤).

(١٠) أنّها تحافظ على تنفّس الإنسان ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ (هود:١٠٦).

(١١) أنّها لا تذهب العقل والنطق والشعور ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ (الأعراف:٥٠)، ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾ (غافر:٤٧).

(١٢) تحرق كلّ مَن دخل فيها صغيراً أو كبيراً ﴿لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ﴾ (المدثر:٢٨)، بعكس نار الدنيا التي مهما كانت فهي قد تترك بعض الأجسام أو الأجزاء على الرغم من أنّها داخلة في النار.

(١٣) فيها يقدّم الطعام والشراب ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً﴾ (محمد:١٥)، ﴿يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً﴾ (النساء:١٠)، ﴿لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ﴾ (الواقعة:٥٢).

(١٤) بعض آلات التعذيب فيها ومنها ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾ (الحج:١٩)، ﴿نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ (الكهف:٢٩)، ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ (الكهف:٢٩). ورد عن ابن مسعود في تفسير ﴿بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ أنّه قال: كعكر الزيت فإذا قرب إليه سقطت فروة رأسه فيه[1].

---

(١) البحار ٨: ٢٤٧.

س: لماذا صار الإيمان بالمعاد واليوم الآخر أصلاً من أُصول الدين؟

ج:

(١) أنَّ الايمان بيوم الآخرة من الضرورات التي يستدلّ بها العقل، ورد عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «فليصدق رائد أهله، وليحضر عقله، وليكن من أبناء الآخرة فإنّه منها قدم، وإليها ينقلب»[1].

(٢) أنَّ سقوط هذا الأصل سقوط للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوعد والوعيد والوحي والنبوة وبالتالي بطلان الدين الإلهي من أساسه، ويوجب ركون الإنسان إلى الأرض والانشغال بالحياة الدنيا وبما يدور فيها من العلم والمعلوم، ويوجب إشاعة الفساد والجريمة وبالتالي اختلال نظام الحياة، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً﴾ (القصص:٨٣).

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(٣) الايمان بيوم الآخرة تجسيد لايمان الإنسان بعدالة الله ومولويته وحاكميته ونصرته للمظلوم وغيرها من صفاته جلَّ وعلا التي لها تعلّق بالمعاد.

---

(١) نهج البلاغة ٢٢: ١٥٤/٤٤.

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة:٢٥)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

(١) البشارة: الخبر عن شيء فيه سرور.

(٢) الجنة: البستان المتكاثف المُظَلَّل بالتفاف أغصانه.

(٣) المُتشابه: عدم التمييز بين الشيئين سواء كان عيناً أو معنًى.

(٤) المُطَهَّرة: مبالغة في النظافة والتنزه والنقاء.

(٥) الخلود: هو تبري الشيء من اعتراض الفساد، وبقاؤه على الحالة التي هو عليها.

س: ما هي بعض الصور الجميلة في العطاء المذخور الذي تضمّه الآية ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ ...﴾؟

ج:

أولاً: أنّها بشارة من الله الصادق الوعد الذي لا يخلف الله وعده، قال تعالى: ﴿وَعْدَ اللهِ لا يُخْلِفُ اللهُ الْمِيعَادَ﴾ (الزمر:٢٠).

ثانياً: الجنة للذين جمعوا بين الإيمان والعمل، فهي ليست للذين يقولون: المهم هو الإيمان الذي نحمله فليصدر منّا ما يصدر!! وليست للذين يقولون: المهم أنّنا

نقدّم عملاً إنسانياً سواء آمنّا بالله أو لم نؤمن !! فليس ـ بعد الايمان بـالله ـ حـق الاختيار برسم طريق الحياة ومنهجيته من قبل الإنسـان فـإنه مـن مـختصات الله سبحانه وتعالى، فالايمان ما يكون عند الله إيماناً والعمل ما يكون عند الله صالحاً.

ثالثاً: المَسكَن جنّات أي بساتين ذات الألوان المختلفة من الزروع يتسلق بعضه على بعض وينفرد بعضه عن بعض، مختلف في سيقانه وورقه وثماره، مختلف فيما يجري تحته من الأنهار. قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ (محمّد:١٥).

رابعاً: أنَّ ما يقدّم إليهم لم يكن غريباً عنهم، حيث ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾، حيث قالوا: ﴿هَذَا الَّذِي﴾، ولم يقولوا: (هذا ما رزقنا)، فإنَّ (هذا) و (الذي) يفيدان الزيادة في التأكيد على أنّه بـنفسه، وهـذه النفسيّة في الثمر إمّا جاءت من يقينهم بما أخبرهم الله به في الدنيا، أو لمجيئه على نفس الوصف الذي وصفه الله لهم في الدنيا، أو اشتباه منهم لاعتقادهم بأنَّ الذي قدم إليهم قبل ساعة مثلاً هو بنفسه الذي يقدم إليهم الآن للمشابهة بينهما، لكن عندما يتناولونه سيجدونه مختلفاً سواء كان مأكلاً أو ملبساً، أو لأنَّ الثمرة عندما تؤخذ من شجرتها يستبدلها الله بمثلها مباشرةً فعندما يأتي إليها مرّة أُخرى يشاهدها بنفسها موجودة في نفس الموضع فيقول: ﴿هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾.

ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «والذي نفس محمّد بيده أنَّ الرجل مـن أهـل الجنّة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي واصلة إلى فيه حتّى يبدّل الله مكانها مثلها»(١).

---

(١) الفيض القدير في شرح الجامع الصغير ٢:٤٢٢/١٩٧٦.

خامساً: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً﴾

(١) مُتشابه من حيث اللون، فبعض الذي يقدّم إليهم مختلف الحقيقة متشابه في اللون.

(٢) مُتشابه في الطعم، فبعض ما يقدّم إليهم مختلف الحقيقة واللون متشابه في الطعم.

(٣) مُتشابه اللون مختلف الطعم وبالعكس.

(٤) مُتشابه النوع، كأن يكون كله تفاحاً مثلاً مختلف الطعم، حيث يختلف طعم كلّ تفاحة عن الأخرى.

(٥) مُتشابه الجنس، من جنس الفواكه مثلاً ولكن طعمه منه متشابه ومنه مختلف.

(٦) مُتشابه لما كان في الدنيا من حيث الاسم أو الشكل ولكن حقيقته مختلفة جداً.

(٧) مُتشابه لا في ذات ما يقدّم إليهم، بل تشابه عليهم لأنّ الكلّ محبوب عندهم فيختلط الاختيار عليهم ويتشابه؛ لأنّ الكل يحمل خاصيته من اللذة الغريبة العجيبة المفضّلة.

(٨) مُتشابه من حيث الذين يقدمون الرزق فإنهم متشابهون من حيث جمال الولدان مثلاً.

(٩) مُتشابه الأواني والأباريق وبقيّة الآلات التي يقدّمون بها.

(١٠) مُتشابه من حيث نوعية الإكرام والاحترام وأنّ كلّه من الدرجة العالية.

(١١) مُتشابه في أن يأتي بعض الرزق شبيهاً لكل ما يتمناه الإنسان في نفسه ومثله.

(١٢) مُتشابه في العرض الكلّي، فتكون اللذة والجمالية في نفس التشابه الحاصل للموزّعين كجمالية عرض الزي الموحد في إحدى العروضات التي يستعرض فيها الملبس والمأكل وكلّ محتويات العرض.

(١٣) مُتشابه الظاهر والباطن، حيث متاع الدنيا مزيّن فينجذب له الإنسان لأجل التزيين الذي يحمله الشيء، ولولاه لما انجذب إليه الإنسان، وهذا يعني أنّ الأشياء في الدنيا لها حقيقة غير ظاهرها بحيث لو اطّلع عليها كما هي لم ينجذب إليها، أمّا متاع الآخرة فهو مُتشابه الظاهر والباطن وعلى مستوى واحد من الجذب العالي فلا يحتاج إلى التزيين ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ (آل عمران: ١٤).

سادساً: بالإضافة إلى ما مرّ من مطلق الرزق يُذكّر الإنسان برزق له خصوصية في عالَم المناكح المذخور له لينشلّ زِنا فكره وزِنا نظره وزِنا حركته من إنسان الدنيا إلى حيث الأزواج المُطهّرة من كل عيب في الجمال ومن كل عيب في الرائحة ومن كل ما هو نجس وخبيث وبغيض.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

سابعاً: ما من ذِكر للجنان إلّا وأرفده الله في ذكره بالأنهار التي تجري من تحتها، وهذا لا يعني أنّ وظيفة الماء أن يقوم بتغذية الأشجار كما هو الماء بالنسبة إلى أشجار الدنيا، فإنّ الأسباب يوم القيامة متغيّرة وأنّ العطاء يعمل بالمباشرة من الله بمجرّد أن تشتهي الأنفس، ولكن هذا الإرفاد ـ حيث كلّما ذكر الله الجنان أرفده بذكر الأنهار ـ لتكميل الصورة الجمالية التي يستذوقها الإنسان، ففرق كبير بين نقل صورة الأشجار فقط وبين نقل صورة الأشجار مع الأنهار التي تجري تحتها، فالصورة الثانية أعطت كلّ حياة الجمال للمنظر.

ثامناً: والخلود يعني أنّه لا موت ولا مرض ولا بذل جهد يشق عليهم ولا عامل نفسي يؤلمهم ولا حساب آخر يطاردهم ولا أي منغّص من المنغّصات بحيث تشغل

الفكر والواقع المعاش في الجنة، بل هم في رغدٍ من العيش آمنون في مسكنهم ومأكلهم ومناكحهم وكل ما يتعلق بذلك.

س: لماذا يكرّر الله كثيراً بالوعد الإلهي من الجنّة وما فيها ويؤكّده بخطاباته من خلال تفصيل ما ينقله عن الجنّة وما فيها؟ اذكر المحتمل من الجواب على ذلك.

ج:

(١) ليبيّن ويؤكّد واقعيّة الجنّة وأنّها لم تكن رمزاً معنوياً.

(٢) ليبرز الله أهم هدف لخلق الإنسان الذي يعكس حكمته وهو أنّ الله خلق الإنسان من أجل سعادته ليسعى الإنسان إليها، فلو فرضنا أنّ الله لم يخبر بالسعادة المنتظرة فإنّه سوف يدخل التشاؤم عند الإنسان، بل قد يعتبر أنّ خلقه نوع من أنواع الجناية عليه كما هو نظر المادّيين والبعيدين عن القرآن الذي تكثر عمليات الانتحار في أوساطهم، فعلى الحكيم أن يظهر هذا المعنى ويذكره بين الحين والآخر ليؤكّده في النفوس ليجعل الإنسان يسير نحو هدف وأمل حقيقي يسعى للحصول عليه، وأمّا ذكر تفصيلات الجنّة ليزيد الإنسان شوقاً إليها الذي يلازمه مضاعفة الحركة والنشاط نحو ما يقرّبه إلى الجنّة ورضوان الله.

﴿إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحِيِ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾ (البقرة:٢٦)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

(١) الحياء: هو تغيير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يُعاب به ويُذمّ عليه، قد يكون مصبّ تأثير الحياء في الروح كما أنَّ مصبّ الخجل في الجسم.

(٢) الضرب: اعتمده وكوّنه أو عمل فيها.

(٣) ما: أ ـ حرف استفهام ﴿مَاذَا أَرَادَ﴾. ب ـ بمعنى الذي (ما جاء به القرآن فخذوه). ج ـ الشيء، وتأتي لزيادة الإبهام والتنكير (مثلاً ما) ليشمل كل الأمثال القرآنية.

(٤) البعوض: أ ـ القطع. ب ـ بعض الشيء. ج ـ حشرة صغيرة لها خرطوم بحيث تغوص بجلد الفيل أو الجاموس تفرز مادة حرارية أو سمية من ذوات الجناحين يقال: إنّه صغار البق.

(٥) الفوق: ما كان تحته شيء.

(٦) الحق: أصله المطابقة والموافقة على ما هو عليه.

(٧) أراد: قصد.

(٨) الفسق: الخروج، كخروج التمرة من قشرها لتفسّخها وعدم المنفعة منها.

● الحياء

س: ما هي المحتملات الواردة في الإصرار على ضرب المثل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الله لا يَسْتَحِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا﴾؟

ج:

أولاً: لكون ضرب المثَل حالة أدبية موجودة في أدب العرب وعند كل المجتمعات.

ثانياً: أنَّ ضرب المثَل لم تكن حالة مستحدثة في القرآن، بل هي موجودة في بقية الكتب السماوية.

ثالثاً: أنَّ ضرب المثَل نوع من أنواع العلم والمعرفة لما فيه من مشاركة فكر الإنسان على ما سيكتشفه من حقيقة التكوين والصفة للمضروب به المثل وعلى عمق الفكرة التي يُراد توضيحها من خلال المثَل.

رابعاً: أنَّ في ضرب المثل اختصاراً للحديث مع تمامية الفائدة الذي لولا المثل لاحتاج في توضيحه إلى الشيء الطويل والكثير.

س: ما هي المحتملات الواردة في تفسير قوله تعالى: ﴿لا يَسْتَحِي﴾؟

ج:

(١) ﴿لاَ يَسْتَحِي﴾ لأنَّ الله ليس كمثله شيء حتى يدخله الحياء الذي هو من الصفات والمتغيرات التي تعتري الإنسان.

(٢) ﴿لاَ يَسْتَحِي﴾ تعكس الأدب الرباني حيث إنَّه يستحي من عبده بالحياء الرباني بتركهذا الفعل الذي هو منتهى الحياء لو كان هناك داعٍ للترك.

(٣) ﴿لاَ يَسْتَحِي﴾ ردّاً على ما قال به المشركون وغيرهم: (ألم يستحي) محمّد من

أن يضرب مثلاً بالذباب والبعوض والنار والحمار والصيِّب.

(٤) ﴿لاَ يَسْتَحِي﴾ لأنّه سبحانه خالق الكل سواء كبير الشيء أو صغيره، وقد أحكم خلقه من كلّ جهة فلا فرق عنده بين الصغير والكبير، بل رُبَّ صغير في محلّه ومناسبته يكون أهمّ من الكبير لما يمتلكه الصغير من الصفة المميّزة التي يفقدها الكبير، وأحكم الفكرة والتقريب بينها وبين المضروب به المَثَل، فلا نقيصة يخاف منها في كلّ جهات المَثَل، فلا يبقى داعٍ للحياء، وعَلاَمَ يستحي مادام في نفس ضرب المَثَل والمضروب به المَثَل تحصل فيه الفائدة التّامة للإنسان وأنّه عِلمٌ يُنتفعُ به وأدب بلاغي يستذوقه الإنسان.

س: ما هو التعريف الاصطلاحي للحياء؟

ج:

الحياء: حالة جوهرية أخلاقيّة معجونة مع طينة الإنسان، تظهر آثارها من التغيّر على بدن الإنسان أو في حركته عندما يقدم على فعل ما يخاف الذم عليه.

س: مَن هم الذين يتّصفون بالحياء؟

ج:

(١) يتّصف الله سبحانه وتعالى بالحياء الملائم لذاته، ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «إنَّ الله يستحي إذا رفع العبد يديه إليه أن يردهما صفراً»[1].

(٢) الأنبياء والأئمّة، ورد عن الإمام الصادق‪ؑ أنّه قال: «خطب سلمان ...ألا إنَّ نبي الله نحله البأس والحياء»[2]، وورد عن الإمام الحسن بن عليؑ أنّه قال:

---

(١) مستدرك الوسائل ٥:١٨٦/٥٦٤٢.

(٢) رجال الكشي:٢٠/٤٧.

«...أنا ابن مَن كسا محاسن وجهه الحياء»[١]، ورد في كتاب (كنز العمال): كان صلى الله عليه وآله أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها[٢].

(٣) المؤمن، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنّة»[٣].

(٤) المسلم، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله عندما سأله أبو ذر رضي الله عنه: ما الإسلام؟ أنّه قال: «...الإسلام عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء»[٤]، وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الإسلام عريان فلباسه الحياء، وزينته الوفاء، ومروءته العمل الصالح، وعماده الورع، ولكلّ شيء أساس وأساس الإسلام حبّنا أهل البيت»[٥].

(٥) مطلق العاقل، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله وهو يصف العاقل، أنّه قال: «...ولا يفارقه الحياء»[٦].

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

س: ممَّن يجب أن يستحي الإنسان المؤمن؟

ج:

(١) أن يستحي الإنسان من ربّه، ويظهر هذا النوع من الحياء في ترك ما لا يرضى الله سواء كان في السريرة أو عند الخلوة أو أمام الناس، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله

---

(١) المناقب ٣: ١٧٨.

(٢) مستدرك الوسائل ٨: ١٠٠٢٤/٤٦٥.

(٣) الكافي ٢: ١/١٠٦.

(٤) الأمالي للطوسي: ١٢٦/٨٤.

(٥) الفقيه ٤: ٥٧٦٢/٣٦٤.

(٦) تحف العقول: ٢٩.

أنّه قال: «أوصيك أن تستحي من الله كما تستحي من الرجل الصالح من قومك»[١].ورد عن العقيلة زينب بنت أميرالمؤمنين عليه السلام أنّها قال: خف الله لقدرته عليك، واستحِ منه لقربه منك[٢]. وعن الإمام الكاظم عليه السلام أنّه قال: «استحيوا من الله في سرائركم كما تستحيون من الناس في علانيتكم»[٣].

(٢) أن يستحي الإنسان من ملائكته، ويظهر هذا النوع من الحياء في ترك ما لا يريد أن تسجّله الملائكة وتشهد عليه، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنّه قال: «ليستح أحدكم من ملكيه اللذين معه، كما يستحي من رجلين صالحين من جيرانه، وهما معه بالليل والنهار»[٤].

(٣) أن يستحي الإنسان من الناس، ويظهر هذا النوع من الحياء عندما يظهر للناس ما يرضى به الصالحون من الناس في كلامه وسلوكه وملابسه. وبعبارة أُخرى: أن يظهر أمام الناس بما أمره الله، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «مَن لم يستحِ من الناس لم يستحِ من الله سبحانه»[٥].

(٤) أن يستحي الإنسان من نفسه، ويظهر هذا النوع من الحياء في الأُمور التي لا يحبّ الإنسان أن تبرز وتظهر أمام الناس لسوئها فليستحِ من نفسه ولا يفعل تلك الأفعال عند خلوته بنفسه، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «غاية

---

(١) مستدرك الوسائل ٨: ١٠٠٢٧/٤٦٦.

(٢) بلاغات النساء: ٤١.

(٣) تحف العقول: ٣٩٤.

(٤) الجامع الصغير ٢: ٧٥٦٥/٤٥٠.

(٥) غرر الحكم: ٥٤٦٨/٢٥٧.

الحياء أن يستحي المرء من نفسه »[١].

س: ما هي أهم الصفات التي يتّصف الحياء بها؟

ج:

(١) أنَّ الحياء واجب شرعي أخلاقي، ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «إنَّ الحياء من شرائع الإسلام»[٢]. وعنه أيضاً: «إنَّ لكلّ دين خلقاً وخلق الإسلام الحياء»[٣].

(٢) أنَّ الحياء صفة خير، ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: « الحياء خير كلّه»[٤].

(٣) أنَّ الحياء يتلاءم وينسجم مع أعلى صفات الخير وأهمها في الإسلام، ورد عن أحدهما ﷺ أنّه قال: «الحياء والإيمان مقرونان في قرن، إذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه »[٥].

(٤) أنَّ الحياء من الصفات المنتجة لصفات أُخرى جميلة، ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: « أمّا الحياء فيتشعّب منه اللين، والرأفة، والمراقبة لله في السر والعلانية، والسلامة، واجتناب الشر، والبشاشة، والسماحة، والظفر، وحسن الثناء على المرء في الناس، فهذا ما أصاب العاقل بالحياء، فطوبى لمن قبل نصيحة الله وخاف فضيحته»[٦].

---

(١) غرر الحكم ٤٧٥٨/٢٣٦.

(٢) كنز العمال ٣: ٥٧٧٢/١٢١.

(٣) مشكاة الأنوار: ٤١٣.

(٤) الفقيه ٤: ٥٨٠٠/٣٧٩ .

(٥) الكافي ٢:٤/١٠٦.

(٦) تحف العقول: ١٧.

(٥) وجوده في النساء أكثر من وجوده في الرجال، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «الحياء عشرة أجزاء فتسعة في النساء وواحد في الرجال»[١].

(٦) الحياء كأيّ صفة جميلة يحملها الإنسان في حاجتها إلى عناصر التنمية والحياة فهي تحتاج إلى بذل جهد وكسب وتوفيق من الله لتنميتها والحفاظ عليها وإلّا تكون معرّضة للموت، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «قال عيسى عليه السلام: إذا قعد أحدكم في منزله فليرخي على ستره، فإنّ الله تبارك وتعالى قسّم الحياء كما قسّم الرزق »[٢].

(٧) الحياء وإن كان صفة جميلة يحملها الإنسان معجونة مع فطرته، ولكنّها كأي صفة أخلاقية في أنّها لا تنتقل بالوراثة، بل تحتاج إلى عناصر التربية في الحصول عليها، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المكارم عشرة، فإن استطعت أن تكون فيك فلتكن، فإنّها تكون في الرجل ولا تكون في ولده، وتكون في ولده ولا تكون في أبيه، وتكون في العبد ولا تكون في الحرّ، قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وآله: صدق البأس، وصدق اللسان، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وإقراء الضيف، وإطعام السائل، والمكافأة على الصنايع، والتذمم للجار، والتذمم للصاحب، ورأسهنّ الحياء»[٣].

س: ما هو أثر الحياء على شخصية الإنسان المسلم؟

ج:

---

(١) مشكاة الأنوار: ٤١٣.

(٢) وسائل الشيعة ٢٠: ٢٥٢٣١/١٣٥.

(٣) الكافي ٢: ١/٥٥.

(١) نمو شخصية الإنسان المؤمن نحو الكمال، ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «ما كان الفحش في شيء قطّ إلّا شانه، ولا كان الحياء في شيء قطّ إلّا زانه»[١].

(٢) يزوّد الإنسان المَلَكات الحسنة، ورد عن أميرالمؤمنينؑ أنّه قال: «أصل المروّة الحياء وثمرته العفّة»[٢]، وعنه أيضاً: «الحياء مفتاح كلّ خير »[٣].

(٣) يزوّد الإنسان الحصانة من الفعل غير المرضي عند الله والنّاس، ورد عن أميرالمؤمنينؑ أنّه قال: «الحياء يصدّ عن فعل القبيح»[٤]، وعنه أيضاً: «حسب المرء من حيائه ألّا يلقى أحداً بما يكره»[٥].

(٤) منال محبوبية الله، ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «إنَّ الله يحبّ الحيَّ المتعفّف»[٦].

(٥) الحياء يذهب ويمحو الكثير من السيئات، ورد عن أميرالمؤمنينؑ أنّه قال: «الحياء من الله يمحو كثيراً من الخطايا»[٧].

(٦) الفوز بالجنّة، ورد عن الإمام الصادقؑ أنّه قال: «الحياء من الإيمان والإيمان في الجنّة، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار»[٨].

(٧) الحياء من المحفّزات التي تحفّز الإنسان المؤمن على الامتثال لكثير من

---

(١) مستدرك الوسائل ٨:٤٦٢/١٠٠١٥.
(٢) غرر الحكم: ٢٥٨/٥٥٠٣.
(٣) غرر الحكم:٢٥٧/٥٤٥٣.
(٤) غرر الحكم: ٢٥٧/٥٤٥٤.
(٥) كشف الغمة ٢:٣٤٧.
(٦) الأمالي للطوسي: ٣٩/٤٣.
(٧) غرر الحكم: ٢٥٧/٥٤٥٥.
(٨) تحف العقول: ٣٩٤.

التكاليف الإلهية الاجتماعية، ورد عن الإمام الصادق‌ؑ أنّه قال: «انظر يا مفضّل إلى ما خصّ به الإنسان دون جميع الحيوانات من هذا الخلق الجليل قدرة العظيم غناؤه، أعني: الحياء، فلولاه لم يقرّ ضيف، ولم يرف بالعداة، ولم تقضَ الحوائج، ولم يتحر الجميل، ولم ينكب القبيح في شيء من الأشياء، حتّى أنّ كثيراً من الأُمور المفترضة أيضاً إنّما يفعل فإنَّ من النّاس مَن لولا الحياء لم يرعَ حقّ والديه، ولم يصل إلى ذي رحم، ولم يؤدِّ أمانة، ولم يعف عن فاحشة، أفلا ترى كيف وفى الإنسان جميع الخلال التي فيها صلاحه وتمام أمره ...»[١].

(٨) الحياء من كبريات المحفّزات التي تحفّز الإنسان على تركالسيئات، ورد عن بعض الأئمةؑ أنّه قال: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم بميزان الحياء قبل أن توزنوا»[٢].

س: اذكر أقسام الحياء.

ج:

قسّمت الشريعة الحياء إلى قسمين، ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «الحياء على وجهين: فمنه الضعف ومنه القوّة، وإسلام وإيمان»[٣]، وعنه أيضاً: «الحياء حياءان: حياء ممدوح، وحياء مذموم»، وعنه أيضاً: «الحياء حياءان: حياء عقل وحياء حمق، فحياء العقل هو العلم، وحياء الحمق هو الجهل»[٤].

---

(١) توحيد المفضل: ٣٩.

(٢) مصباح الشريعة: ٨٦.

(٣) الخصال ١: ٧٦/٥٥.

(٤) الكافي ٢: ٦/١٠٦.

وعلى هذا نقول: إنَّ الحياء على قسمين:

الأوّل: الحياء الممدوح، وهو كلّ ما مرّ الحديث عنه.

الثاني: الحياء المذموم، وهو يحصل في الموارد التالية:

(١) موارد الحق من حيث بيانه أو قبوله، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ (الأحزاب:٥٣)، ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً﴾ (البقرة:٢٦)، ورد عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «مَن استحيا من قول الحقّ فهو أحمق»[١].

(٢) في بعض الحالات التي تجعل الإنسان يمتنع عن الكسب والحركة نحو الرزق بحجج واهية منها الحياء من الناس ولا يستحي في أن يكون مادّ الأيدي إلى الناس، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «الحياء يمنع الرزق»[٢].

(٣) في خصوص احترام الوالدين والضيف والمعلّم، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «ثلاث لا يستحيا منهنّ: خدمة الرجل ضيفه، وقيامه عن مجلسه لأبيه ومعلّمه»[٣].

س: ما هي مراتب الحياء؟

ج:

استعين بالكلمة الجامعة لمولانا الإمام الصادق عليه السلام التي وردت عنه وهو يبيّن فيها ساحة الحياء ومراتبه الخمسة أنّه قال: «الحياء نور، جوهره صدر الإيمان، وتفسيره التثبيت عند كلّ شيء ينكره التوحيد والمعرفة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الحياء

---

(١) غرر الحكم: ٩٨٨/٧٠.

(٢) غرر الحكم: ٥٤٧٣/٢٥٧.

(٣) مستدرك الوسائل ١٦: ١٩٨٠٠/٢٦٠.

من الإيمان. فقيل: الحياء بالإيمان والإيمان بالحياء وصاحبه خير كلّه، ومَن حرم الحياء فهو شرّ كلّه وإن تعبّد وتورّع، وإنَّ خطوة يتخطى في ساحات هيبة الله تعالى بالحياء منه إليه خير من عبادة سبعين سنة، والوقاحة صدر النفاق والشقاق والكفر، قال رسول الله ﷺ: إذا كنت لا تستحي فافعل ما شئت. أي إذا فارقت الحياة فكلّ ما عملت من خير وشرّ فأنت به معاقب، وقوّة الحياء من الحزن والخوف، والحياء مسكن الخشية، فالحياء أوّله الهيبة، وصاحب الحياء مشتغل بشأنه، معتزل من الناس، مزدجر عمّا هم فيه، ولو تُرِك صاحب الحياء ما جالس أحداً. قال رسول الله ﷺ: إذا أراد الله بعبد خيراً ألهاه عن محاسنه وجعل مساويه بين عينيه وكرّهه مجالسة المعرضين عن ذكر الله. والحياء خمسة أنواع: حياء ذنب، وحياء تقصير، وحياء كرامة، وحياء حبّ، وحياء هيبة، ولكلّ من ذلك أهل، ولأهله مرتبة على حدة»[١].

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

س: ما هي الجوانب السيئة التي يتعرّض إليها الإنسان عندما يكون تاركاً للحياء؟

ج:

(١) أن يكون الإنسان معرّضاً لأن يعمل ما شاء من الأمور القبيحة والفساد، ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: « لم يبقَ من أمثال الأنبياء إلّا قول الناس: إذا لم تستحي فاصنع ما شئت »[٢].

(٢) أن يكون معرّضاً لسوء الذكر بين ألسنة الناس، ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال:

---

(١) مصباح الشريعة: ١٨٩.

(٢) الأمالي للصدوق: ٦٠٠/٨٣٠.

«مَن ألقى جلباب الحياء لا غيبة له»[١].

(٣) أن يكون معرّضاً يوم القيامة إلى الحساب العسير، ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «إنَّ الله حرَّم الجنَّة على كلّ فاحش بذي قليل الحياء لا يبالي ما قال ولا ما قيل فيه ...»[٢].

(٤) أن يكون معرّضاً بحيث يصل به النزول لأن يكون شريك الشيطان وعند ذلك لا يمكنه الصعود إلى الايمان بالله ونيل توفيقه، ورد عن الامام الصادقؑ أنّه قال: «مَن لم يبال ما قال وما قيل فيه فهو شرك شيطان، ومَن لم يبال أن يراه الناس مسيئاً فهو شرك شيطان »[٣].

س: اذكر أهم عاملين من العوامل التي تضعف الحياء عند الإنسان.

ج:

(١) عدم المبالاة بأمر الله ونهيه، ورد عن الامام الحسنؑ أنّه قال: «لا حياء لمن لا دين له »[٤].

(٢) سؤال الناس الحاجة، ورد عن الامام الصادقؑ أنّه قال: «طلب الحوائج إلى الناس استلاب العزّة ومذهبة للحياء »[٥].

س: ما هو التفسير المحتمل لقوله تعالى: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾؟

ج:

---

(١) مستدرك الوسائل ٨:٤٦١/١٠٠١٢.

(٢) تحف العقول: ٤٤.

(٣) الفقيه ٤:٤١٧/٥٩٠٩.

(٤) كشف الغمة ١:٥٧١.

(٥) الكافي ٢:١٤٨/٤.

لمعنى الفوق احتمالان:

(١) ما هو أكبر من البعوضة من المخلوقات.

(٢) ما هو أصغر من البعوضة من المخلوقات وإن كان الأصغر هو قسم من البعوضة، ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»(١).

س: ما هو التفسير المحتمل لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾؟

ج:

أنّ إيمان المؤمنين بالله سبحانه يدفعهم لأن يتعاملوا مع المَثَل بدقّة وعمق لأنه صادر من ربهم الذي لا يصدر منه إلّا الحق والنور وما هو مطابق للواقع، فما يزيدهم المَثَل إلّا الانفتاح على كلماته والتفحص عن الحقيقة الخارجية التي يشير إليها المَثَل ليستنبطوا عمق الفكرة.

س: ما هو التفسير المحتمل لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً﴾؟

ج:

أولاً: الكافرون أو الذين في قلوبهم مرض نموذج الإنسان الرافض لأيّ حالة نورانية تحاول إضاءة ظلمات النفوس سواء كانت متجسدة في الكلمة أو الفعل لا يتهربون منها فحسب، بل يحاولون الدخول إلى الجهة المظلمة التي تضفي نفوسهم

---

(١) مجموعة ورام:١٢٨.

المريضة إليها من خلال إثارة الاعتراضات والتساؤلات التي تشغل الإنسان في فوضى الجدل والتشكيك بعيداً عن أي رغبة في الوصول إلى معرفة الحق، ويوحون للآخرين بأنهم لم يفهموا ماذا أراد الله بهذا المثل، أو لو كان من عند الله لفهمه الجميع ولكان عنصر هداية للجميع لا أن يضلّ بعضاً ويكون عنصر هداية للبعض الآخر، فهم في حالة حرب باردة من خلال توبيخ الحق واستصغاره في أعين الناس، كما أن المثل هو أسلوب حرب باردة يضرب معتقداتهم وتضليلاتهم ويفشل خططهم من خلال كشفها عن طريق المثل.

ثانياً: (يقولون) التي توحي بأحد الأساليب التي يستخدمها الكافرون أو المنافقون في تعاملهم مع ما يُطرح من الجهة المقابلة لهم، حيث إنهم يقولون ومن دون مراجعة لأصحاب الاختصاص من المؤمنين أو صحابة الرسولﷺ من العلماء أو نفس الرسولﷺ الذي يعيش بينهم أو أي مصدر من مصادر الفهم ومعرفة الحقيقة المنفتحة لطلابها، بل هم يقولون ويقرّرون ويحكمون وكأنهم أحاطوا بكل شيء، وهذا ما يقع فيه الكثير في الوسط الإسلامي كذلك، بينما نجد طريق المؤمنين هو طريق الفحص والتدقيق والعلم ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ﴾ لا ما يقولون في جلساتهم ولقاءاتهم العابرة التي تقودهم إلى الضلال والتيه والجهل المركّب.

ثالثاً: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً﴾ أن تكون جواباً من الله للناس، بأن المَثَل هو أحد الطرق الاختبارية لهم وأنه لا يختلف عن بقية آياته في الأمر بالتمسك بها للمصلحة التي يحملها المثل للناس.

س: ما هي المحتملات الواردة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾؟

ج:

أوّلاً: إشارة إلى قانون الرفع الإلهي الذي يصل إليه المصرّون على التمرّد على إرادة الله والإصرار على الخروج من طاعته سبحانه وهو رفع يد الهداية عن مَن يرفضها وما بعدها إلّا البقاء على الضلال، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ (النساء:٨٨)، ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الأعراف:١٨٦).

ثانياً: إشارة إلى اضمحلال أعمالهم وموتها وفشلهم في مساعيهم في تشكيك الناس بالقرآن عن طريق التشكيك في المَثَل الربّاني، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (محمد:١).

ثالثاً: إشارة إلى العقوبة التي تنتظرهم يوم القيامة ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ﴾ (القمر:٤٧).

رابعاً: الفاسقون نموذج من النماذج الذي يشملهم قانون الرفع الإلهي، فهناك الظالمون ﴿وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ﴾ (إبراهيم: ٢٧)، والكافرون ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ الْكَافِرِينَ﴾ (غافر: ٧٤)، والمسرفون ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ (غافر:٣٤)، وفيه دلالة على عدم توقف شمول القانون على الكافرين فحسب، بل كلّ مَن يصرّ على الخروج عن طاعة الله وإن كان مسلماً ظاهراً.

﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (البقرة:٢٧)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

(١) النقض: هو حلّ المبرم بعد فتله.

(٢) العهد: ما يقدّمه طرف إلى طرف آخر، وله صيغ متعدّدة حسب موضوعاته ومصاديقه المتعدّدة من الأيمان والوصية وغيرها من الأشياء التي تلزم الطرف الآخر على ما تعهّد به وألزم به نفسه سواء كان شرعياً أو عقلائياً.

(٣) الميثاق: التوثق والإحكام.

(٤) القطع: إيجاد الفصل بين المتصلين.

(٥) الأمر: الطلب.

(٦) الوصل: هو إيجاد الربط بين الطرفين المنفصلين.

(٧) الخسران: النقصان.

س: الفسق مفهوم كلّي يقع تحته الكثير من المفردات، وذكرت الآية ثلاثة منها في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ ...أُولَـئِكَ هُـمُ الْـخَاسِرُونَ﴾، اذكرها.

ج:

(١) النقض لعهد الله.

(٢) القطع لأمر يريد الله وصله.

(٣) الإفساد في الأرض.

س: ما هي المحتملات في تفسير هذه الآية: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾؟

ج:

الأوّل: ﴿عَهْدَ اللهِ﴾ هو العهد التكويني من جوهر العقل والفطرة، ذلك الجوهر المُحكم المُبرم الذي جعله الله الرابط بينه وبين عباده والذي لو استخدمه الإنسان في مجاله الصحيح لحصلت الرابطة الوثيقة القوية بينه وبين الله سبحانه، ولكن الفاسقين يصنعون الحجب التي تعرقل مسير العقل وتضعف الفطرة وتحرفهما إلى اتجاه يبعّدهم عن التقرب والوصول إليه سبحانه.

الثاني: ﴿عَهْدَ اللهِ﴾ هو العهد التشريعي من القرآن الكريم والشريعة الإسلامية المُحكمة المُبرمة من جميع جهاتها الميسّرة التي لم تكن غريبة على عقول الناس وفطرتهم التي فطر الناس عليها، بل هي تتماشى مع الذوق الإنساني ومع السجية الإنسانية ومع الخُلق الإنساني الرفيع المستوى، أنزلها الله لتكون نوراً للناس يستضيئون بها ويعملون على وفق إنارتها الصافية، على الرغم من ذلك كلّه نقض الفاسقون هذا العهد والعطاء والخير الذي لا يقدّر بثمن مقابل أبخس الأثمان، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَـئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ﴾(آل عمران:٧٧).

الثالث: ﴿عَهْدَ اللهِ﴾ نبوة محمّدﷺ، حيث العهد الذي أخذه الله من أهل الكتاب وهو التصديق بنبوة محمّدﷺ المذكورة عندهم في التوراة والإنجيل والزبور، وعند بعثته نكروه وكذّبوه وحاربوه ونقضوا كلّ ما هو مذكور حول

شخصية النبي محمدﷺ على الرغم من إبرامه ووضوحه وإحكـامه، قـال تـعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (آل عمران:١٨٧).

الرابع: ﴿عَهْدَ اللهِ﴾ الإمامة والولاية والحجة القائمة على عباده والتي أثبتتها الضرورة العقلية قبل الشرع بأن الأرض لا تخلو من حجة وواسطة بينه سـبحانه وبين عباده يحمل الصفات النبوية ويؤدّي نفس الدور مع فارق الوحي الذي يـتمّ تعيينه من الله؛ لأنه يمثل عهد الله، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَـالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة:١٢٤).

الخامس: ﴿عَهْدَ اللهِ﴾ هـو العـهد الذرّي، الذي أخـذه الله مـن الآبـاء حـين أخرجهم وكثّرهم من صلب آدم، ولهذا العهد فوائد وأهداف يأتي ذكرها عندما نصل إن شاء الله إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَـنِي آدَمَ مِـنْ ظُـهُورِهِمْ ذُرِّيَّـتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف:١٧٢).

السادس: ﴿عَهْدَ اللهِ﴾ هو العهد الثاني، وأما العهد الأوّل هو ميثاق الله الذي قد يكون هو العهد الذري أو التكويني أو التشريعي، فكأنّ الآية تكون هكذا: ينقضون عهد الله من بعد ميثاق الله من رجوع ضميرميثاقه إلى الله.

السابع: ﴿عَهْدَ اللهِ﴾ هو تبليغ الرسالة الذي أخذه الله من الأنبياء والعلماء، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِـتَابٍ وَحِـكْمَةٍ﴾ (آل عـمران: ٨١)، ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَـتُبَيِّنُنَّهُ﴾ (آل عـمران: ١٨٧)، فـالتعذيب أو الترغيب من قبل الفاسقين والسلطات الجائرة على الأنبياء والعـلماء مـا هـي إلّا

محاولة منهم لصدّ الأنبياء أو العلماء عن تبليغ رسالتهم والذي يعتبر في نفس الوقت محاولة لسحب الأنبياء والعلماء إلى نقض عهدهم الذي أبرموه مع الله لتبيين رسالته للناس، وهذه الأساليب لم تفلح مع كلّ الأنبياء والعلماء الذين أصرّوا على مواصلة التبليغ الرسالي وعدم نقضهم لعهد الله. ورد في التأريخ الصحيح أن رؤساء قريش قد عرضت على الرسولﷺ السلطة مقابل التخلي عن تبليغ رسالته فقالﷺ: «لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ما أردته»[١]، ولكنّ أساليب الترغيب والترهيب قد أفلحت مع بعض العلماء الذين منعوا أنفسهم عن التبليغ ووصول كلمة الحق، بل تحوّل بعضهم إلى وعّاظ سلاطين يحرّفون الكلم عن مواضعه يصدّرون الفتوى ضدّ المؤمنين والعلماء العاملين مقابل ثمن بخس، وغيرها من الأعمال التي نشاهدها اليوم ممّا تصدر من بعض العلماء الذين أصبحوا يمثّلون قمّة الفسق وحركة الفساد في الأرض بنقضهم العهد من تبليغ الرسالة وإيصال كلمة الحقّ الذي أبرموه مع الله حين اتخذوا لباس العلم الإلهي وسلكوا سبيله بعد العِلم بالعهد الذي أخذه الله على العلماء من خلال اطلاعهم على كتبه ورسله سبحانه.

س: العهد مسؤولية شرعية وسوف يسأل الإنسان عنها، فهل كلّ ما ذُكر من معنى العهد يجب على الإنسان أن يكون ملتزماً به؟ اذكر المحتمل من الجواب على ذلك.

ج:

العهد مسؤولية شرعية، ذلك عندما يتعهّد الإنسان بشيء كالإيمان بالله

---

(١) تفسير القمي ٢: ٢٢٨.

وبالرسول وبالكتاب وبالإمامة، فإنَّ كلّها قد ألزم الإنسان نفسه بها وآمن بها وصدّق بها فهو عهد يجب الوفاء به. نعم، قد يذكر بعض موارد العهد كالمسمّى بعالَم الذر الذي كان الإنسان فيه قبل خلقه وأنّهم يقولون: إنَّ الإنسان قد أعطى من عالَم الذر عهداً، فعلى فرض صحّة وجود مثل هذا العالَم فأيّ عهد أُعطي فيه؟ فالإنسان غير مسؤول عنه؛ لأنّه من شروط الوفاء بالعهد أن يكون الإنسان ذاكر للعهد غير ناسٍ له يعرف متى حدث وأين حدث يحسّ به خارجاً أو وجداناً، وكلّ هذا وغيره مفقود في العهد الذي أُخذ في عالَم الذر المفترض، وهكذا في كلّ مورد يشابه هذا العهد فالإنسألّا يكون مسؤولاً عنه.

س: ما هي المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾؟

مركز تحقيقات کامپیوتری علوم اسلامی

ج:

(١) ﴿أَنْ يُوصَلَ﴾ هو القرآن الذي يريد الله أن يوصله لجميع الناس، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾(القصص:٥١)، بينما نجد بعض الناس يمنعون وصوله من خلال تكوين التشكيكات والأوهام وبث الإشاعات التي تبعّد الإنسان عن النظر إلى القرآن والاطلاع عليه والأخذ منه، ومن جملة ما يبث من إشاعات اليوم هو قطع الدّين وفصله عن قيادة الحياة.

(٢) ﴿أَنْ يُوصَلَ﴾ هو الترابط والتواصل بين الناس؛ لأنَّ منهجية الله في خلقه لها أهداف مهمة منها التقارب والتحابب والتواصل بين الناس ذلك عندما يكونون ملتزمين بما أنزل الله، فالمنهج الإلهي يضمن سعادة الناس وأمانهم في الدنيا من خلال التزامهم بالوحدات التي تقوّي الترابط والتحابب والتواصل من صلة

الرحم ومساعدة الفقراء وزيارة المرضى والوفاء بالعقود والكلمة الطيبة والعفو عن المسيء وانتصار المظلوم وغيرها من أوامر الله التي أُنزلت لهذا الهدف، فدعوة بعض الناس إلى غير دين الله معناه السعي إلى تقطيع هذه الأواصر التي توصل بين الناس، ونظرة سريعة إلى عالمنا اليوم تجد واضحاً ما خلّفه الابتعاد عن أوامر الله من هذه الناحية من علاقة الشعوب والمجتمعات والأُسر والأفراد، وهكذا. فكلّما حصل الابتعاد عن الالتزام بما أمر الله به أن يوصل كلما تقطّعت الأواصر التي تربط الإنسان بالآخر أكثر، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات:١٣).

(٣) ﴿أَنْ يُوصَلَ﴾ هي العبادة التي توصل الإنسان بربه والصلة القائمة التي خطّها الله للتقرّب والوصول إليه، فبعض الناس والحكومات تراقب المصلّين وتعذبهم على صلاتهم وتمنع دخولهم المساجد وتحوّل كلّ وحدة عبادية لله إلى شبح مخيف يطارد الإنسان المسلم، وتثقيف المجتمع على النظرة التشاؤمية ضد عبادة الله، فيجعلونها حالة رجعية أو مرضاً نفسياً يصاب به بعض الناس، وغيرها من الأُمور التي تتجدد بين الحين والآخر ممّا يكون واضحاً أنّه سعي لتقطيع ما أمر الله به أن يوصل بين الناس وبين ربّهم.

(٤) ﴿أَنْ يُوصَلَ﴾ هي القيادة الشرعية من الأنبياء والأئمة الذين جعلهم الله حلقة الوصل بينه وبين خلقه وأمر بطاعتهم وقرن طاعتهم بطاعته، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾ (النساء:٥٩). فحرب الأدلّة التي تثبت نبوة النبي أو إمامة الإمام وتحريفها وتكذيبها هو تقطيع الناس وانفصالهم عن قيادتهم الشرعية التي أمر

الناس أن يتصلوا بهم ويأخذوا منهم.

(٥) ﴿أَنْ يُوصَلَ﴾ هو التبليغ الرسالي الذي أوجبه الله على الأنبياء والعلماء أن يوصلوه إلى الناس من خلال عهده كما مرّ في الاحتمال السابع فيما هو المراد من ﴿عَهْدَ اللهِ﴾.

(٦) ﴿أَنْ يُوصَلَ﴾ هو طريق الجهاد والمجاهدين الذين أُمِروا بالدفاع عن دينهم وعن المستضعفين في الأرض حتّى يتحقّق من خلاله وصول الناس إلى الله وإلى ما أمرهم به، ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «إنَّ الله أمرني أن أقاتل الناس حتّى يقولوا: لا إله إلّا الله فإن انتهوا فلا عدوان إلّا على الظالمين»[1].

س: ما هو المراد المحتمل من قوله تعالى: ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾؟

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ج:

(١) أن يكون إشارة إلى النتيجة الطبيعية لفسق العمل من نقض العهود والقطع لما أمر الله به أن يوصل هو الإفساد في الأرض كما أنَّ الخسران في الدنيا والآخرة هي النتيجة الطبيعية للفاسق الذي يتحرك بهذا الاتجاه المنحرف.

(٢) أن يكون إشارة إلى النظم الوضعية التي لا تمتّ إلى دين الله وعهده وأوامره بصلة، فهي فساد في الأرض ونقصان وخسراً لا تصل إلى نتيجة بحيث تمنح الإنسان السعادة.

(٣) أن يكون إشارة إلى البديل عن الالتزام بعهد الله وما أمر الله به أن يوصل، ما هو

---

(١) الدر المنثور ١: ٢٠٥.

إلا الإفساد في الأرض من زرع الإنانية عند الناس والخوض بالباطل والملاهي وعدم اللجوء إلى العمل الجدّي الذي به يحصل المجتمع على تكامله ونموّه وسعادته وبالتالي يكون الخسران والتقهقر واضحاً على سير المجتمعات وتفسّخها.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٨ـ٢٩)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيتين؟

ج:

(١) كيف: أداة استفهام تسأل عن الحال.

(٢) الاستواء: أـ الانتصاب. ب ـ المساواة والاعتدال. ج ـ الاستيلاء. د ـ القصد. هـ ـ الشروع.

(٣) السواء: أـ التعديل. ب ـ الجعل. ج ـ المشترك المساوي.

(٤) الشيء: من ألفاظ العموم. مركز تحقيقات كامپیوتری علوم اسلامی

س: ما هي المحتملات الواردة في تفسير قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ﴾؟

ج:

الأوّل: استفهام استنكاري موجّه لكلّ جاحد، لوجود ما يصرف الكفر ويدعو إلى الايمان الذي يملأ الكون والحياة.

الثاني: تعجّب ممّن يجحد أو ممّن يستجيب للجحود ويصدّق به ويذعن إليه مع وجود الأدلّة الواضحة المتعدّدة.

الثالث: عرض الحقائق للإنسان لدعوته إلى الايمان وإلقاء الحجة عليه عن طريق الاستفهام ليجيب هو عليها بالصدق والصراحة؛ لأن الإنسان مسؤول عن

الإجابة عنها يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾ (الصافات:٢٤)، ﴿وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (العنكبوت:١٣).

الرابع: أنّه سبحانه لم يخلق الكفر في قلوب الناس، بل الكفر من الناس؛ ولهذا يطرح السؤال عليهم من عنده سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾ (الإسراء:٩٤).

س: ما هي المحتملات في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾؟

ج:

(١) كنتم أموات لا حياة لكم، فبثّ فيكم روح الحياة، ثمّ يميتكم وأنتم أحياء ثمّ يحييكم وأنتم أموات، وكلّ هذه التغيرات التي تحصل لجميعكم مرجعها إلى الله سبحانه وتعالى فهو مالِك الموت والحياة.

(٢) كنتم عدماً وصرتم وجوداً حيّاً منه سبحانه، ولم يكن عنصر الحياة بهذا الشكل ثابتاً لكم، بل سوف تمرّون بين الموت والحياة حتى يكون اللقاء المباشر في عرصات الحساب ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾ (الإنسان:١).

(٣) كنتم تراباً أمواتاً لا ذكر لكم، فأحياكم من خلال تحويل التراب إلى نطفة ثمّ علقة ثمّ مضغة ثمّ عظاماً ثمّ لحماً حتى ولجت الروح فيكم وأصبحتم أحسن خلق تعيشون حياتكم الدنيا، ثمّ بعد انقضاء أجلكم ستنتقلون إلى حتمية أُخرى وتنقطع دنياكم عنكم بموتكم لتنتقلوا إلى عالَم آخر وهو عالَم البرزخ بروح لا بدن له، ثمّ يرجع بدنكم إلى أرواحكم من خلال إحياء آخر لكم

لتنتقلوا إلى عالَم آخر وهو عالَم الحساب الذي يواجهكم به الله وحده للحساب.

(٤) كنتم ماء مَهيناً لا تملكون روح الحياة الإنسانية، فبثّ فيكم تلك الروح وأنتم في بطون أُمهاتكم تتغذون منها وتتحركون فيها ثمّ انتقلتم إلى دنياكم بعد إكمال ما انتم عليه من الكمال الخلقي الإنساني، ثمّ يميتكم لتنتقلوا إلى عالَم القبر ثمّ يُحييكم في عالَم القبر لتعيشوا الحساب الإجمالي ولتعيشوا حالة روض الجنّة أو حالة حفرة النار، ثمّ إليه تُرجعون بإحياء آخر لتعيشوا الحساب التفصيلي والجنة أو النار الخالدتين.

(٥) كلمات قصيرة عرضت الحق الطويل الذي ابتدأ من منشأ الإنسان حتى انتهاء مطافه الأخير، والإنسان في كل هذه المراحل والتغيّرات ليس بيده أيّ حيلة اتجاهها، بل هو مقهور عليها جميعاً، فهو عرض لحصول العبرة، ورد عن أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام أنّه قال: « خلق لكم ما في الأرض جميعاً لتعتبروا به، ولتتوصّلوا إلى رضوانه، وتتقوا به من عذاب نيرانه ...»[(١)].

(٦) كيف تبقون وتختارون الكفر وهو موت لكم لما عطّلتم جميع منافذ الحياة الحقيقية التي تنفذ من خلال عقولكم وفطرتكم وإنسانيتكم فكنتم أمواتاً بكفركم ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾(فاطر:٢٢)، والله يريد منكم أن ترتقوا في سلّم الحياة، فالحياة الأُولى هو بعث الأنبياء لكم ودعوتهم إليكم ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾(الأنفال:٢٤)، ثمّ الحياة الثانية التي هي حياة البرزخ التي هي أرقى درجة من الحياة الدنيا التي تنتقلون إليها من

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٩/١٥.

خلال ما يسمّى بالموت، ثمّ الحياة الثالثة التي هي أرقى درجات الحياة التي تنتقلون إليها من خلال رجوعكم إليه يوم القيامة ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٤).

(٧) كما أنّ الحياة نعمة فكذلك الموت، فبالموت ينقطع تكليف المؤمنين العاملين، وبالموت تتوازن الحياة الاجتماعية، وبالموت تحفظ كرامة الإنسان ممّا يظهر عليه من أثر الكبر والمرض والانتكاس، وبالموت يتخلّص الإنسان من الظالمين، وبالموت يرتقي الإنسان من الدنيا الدانية إلى عالم أكثر تكاملاً وتقرباً إلى الله ورحمته.

(٨) كما بدأكم تعودون، وكما ذرأكم في الأرض تحشرون، وكما انطلقتم بإرادته من عالَم الموت إلى عالَم الحياة إليه ترجعون، فكما هو علّة للإنشاء فهو علّة للانتقال من مرحلة إلى أخرى.

(٩) الإنسان عند خلقه مستمرّ الحياة، فهو خُلِقَ للبقاء والخلود، الروح ثابتة محفوظة والمتغيرات للبدن فقط في جميع مراحل التطور والانتقال.

(١٠) كلمات قصيرة عرضت الحق الطويل الذي ابتدأ من منشأ الإنسان حتى انتهاء مطافه الأخير، فهو عرض يعكس بلاغة القرآن وفصاحته ودقّته العلمية.

س: اذكر بعض الذين حصلوا على إماتة وحياة إضافية في الحياة الدنيا كحالة استثنائية من القانون العام لمراحل الموت والحياة العامة التي يمرّ بها كل الناس.

ج:

(١) النبي الذي مرّ على قرية مع حماره، قال تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ

﴿ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ (البقرة: ٢٥٩).

(٢) السبعون رجلاً من قوم موسى، ﴿..ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة:٥٦).

(٣) قوم من أهل الشام بعثهم الله من بعد موتهم في زمن النبي حزقيل، قال تعالى: ﴿..فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ (البقرة:٢٤٣).

(٤) المقتول من بني إسرائيل في زمن موسى، قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ﴾ (البقرة:٧٣).

(٥) أولاد النبي أيوب، قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾ (الأنبياء: ٨٤).

(٦) جمع ممّن أحياهم عيسى بإذن الله، قال تعالى: ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ﴾ (آل عمران:٤٩).

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

س: ما هي المحتملات في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾؟

ج:

(١) أنّها تذكرة بِنِعَمِ حياة الآفاق بعد ذكره سبحانه نِعم الأنفس من الإيجاد والموت والحياة في الآية السابقة، ليأخذ الإنسان الدروس العلمية والعِبَر الدينية من خلق الله للأرض، فإنّ كل عنصر من عناصر الحياة كما يُظهر الناحية العلمية فيه فإنّه يُظهر الناحية الدينية فيه من دلالته على الموجود والصانع، ورد عن أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب أنّه قال: «خلق لكم ما في الأرض جميعاً،

لتعتبروا به، ولتتوّصلوا إلى رضوانه، وتتّقوا من عذاب نيرانه..»[١].

(٢) هدف خلق السماوات والأرض وإيجادها بهذا الشكل وما تحتوي على العناصر كلّها من أجل خدمة الإنسان من دون فرق بين أفراد الناس جميعاً، فليس من حق أحد التفرّد بالمنافع إن كان على حساب الآخرين، كما ليس للآخرين حق التصرف إن كان على حساب الفرد، فالمجتمع والفرد لهم حسابهم في حصول المنافع من الأرض والسماوات إلّا عند حصول التزاحم فتُقدَّم منفعة المجتمع.

(٣) الأصل الإباحة في جميع التصرّفات إلّا ما هو القليل ودلَّ عليه الدليل وهو من مصلحة الإنسان؛ لأنَّ الخالق هو الله المُطّلع بما خلق ممّا قد يضرّ الإنسان من جهة استعماله في غير محل الجهة التي خلق ذلك الشيء من أجلها، وبما في المحرّم من المنافع من جهات أُخرى خارجة عن تلك الجهة المحرّمة.

(٤) فيها دلالة على وحدانية الله الخالق لوحدة خلقه في الجميع حيث الجميع على مستوى واحد من عناصر التكوين والماهية والهيئة الخارجية لأفراد العنصر الواحد، وفيها دلالة على الكمال والجمال المطلق لله حيث تمامية خلق الأرض والسماوات وعدم النقص فيها، فخلقها لكم من أجل فائدتين دنيوية ودينية.

(٥) عطاء من مِنّتِهِ وتفضّله لا من اقتضاء ذاتي عليه ولا حاجة إليه ولا يريد في مقابله شيء، بل هو اللطيف والجميل والغني المطلق.

(٦) أنَّ الله يُحبّ عباده جميعاً من غير فرق بين أحد، ولهذا خلقهم وخلق كلّ شيء لهم، وأنه ذو قيمة عالية عنده سبحانه، وأنّه أعزّ وأكرم عليه من كلّ شيء، فليس للإنسان الحق أن يبذل عزّته وكرامته من أجل مكسب ماذّي مخلوق لأجله، بل الإنسان هو الذي يطوّر الحياة ويدير بناءها وآلاتها لا أنَّ الصناعة

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٥/٢٩.

هي التي تطوّر الإنسان وتستخدمه كما قيل.

س: ماهي الحكمة من تعدد السماوات بالنسبة للإنسان؟

ج:

هناك عدّة احتمالات:

(١) قد يكون لبيان عظمة قدرته سبحانه.

(٢) قد يكون له مساس وتأثير في التوازنات التي تتدخّل في بناء النظام الكوني الذي يحيط بحياة الإنسان.

(٣) قد يكون لتغطية حاجة المخلوقات في غير هذه الأرض.

(٤) أن تشعر الإنسان بدوره العظيم في هذا الكون العظيم الذي خُلِق لأجله وتوحي له الحس المؤثّر العميق في أن يتحرك وينظر من أوسع الآفاق انفتاحاً ويتحرر من قيود الأنانية وضيق الأُفق وعدم الانشراح للآخرين.

(٥) أن يملأ الله جميع ما يتصوّر الإنسان الوصول إليه عن طريق إدراكه اللامحدود وحبّ التطلّع فيه واكتشاف ما فيه.

س: ما هو المحتمل في خلق سبع سماوات؟

ج:

(١) أن يكون إخباراً غيبياً عن الموجود الحي في سبع مناطق من السماء.

(٢) أن يكون إخباراً عن عجز العقل البشري من الوصول إلى السماوات السبع.

(٣) أن يكون ظهور العدد عملية تبسيط من الله ومراعاة منه سبحانه لزرع الأمل في دعوة الإنسان إلى السماء لكشف ما فيه من النِعَم المتعلّقة بخدمة الإنسان على الأرض.

(٤) أن يكون إشارة إلى الطبقات التي تحيط بالأرض.

(٥) أن يكون إشارة إلى جزئية عَالَمنا من مركّب خلقه وتعدّده وتنوّعه، حيث عَالَمنا بما فيه من الخلق فإنه متكون من سبع سماوات، أمّا غيره فلا نعلم عنه شيئاً، جميع عَالَمنا بأرضه وسبع سماواته ما هو إلّا جزء من خلقه اللامحدود.

(٦) أن يكون إشارة إلى العوالم التي فوق عالم المادة كعالم المثال وعالَم العقول المجردة وغيرها ممّا ثبته علماء الفلسفة من تعدّد العِلَل والوسائط، وممّا يسند القول بوجود مثل هذه العوالم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (الحجر:٢١)، ورد عن أحد الأئمة عليهم السلام: «إن في العرش صور جميع الموجودات».

س: أننّا نشاهد أنَّ هناك تفاوتاً في خلق الله للسماوات والأرض وما فيهما وما بينهما من الفاضل إلى الأفضل، ولم يجعل الخلق كلّه ذا فضل واحد وعلى مستوى واحد من الفضل؟

ج:

أوّلاً: إذا كان المقصود من التفاوت والتفاضل بين عوالم الأشياء في أصل تكوينها كعالم العقل والمثال والمادّة، وإنّ التساوي في الفضل يعني التساوي في الطبقة، فعلى هذا الفرض سوف تحصل الأُمور التالية :

(١) على هذا الفرض يعني أن تكون كلّ العوالم في عالَم واحد كعالَم العقل الذي هو أشرف العوالم للمخلوق وأفضلها، وإذا حصل هذا الفرض معناه لم يظهر الخلق للوجود في عالمنا الطبيعي لانحصاره في عالم العقل الأفضل.

(٢) مع إمكان وجود جميع الخلق واستعداده الكامل لهذا العالَم وهو عَالَم الطبيعة

والحياة، فمع حصره في عالَم واحد كعَالَم العقل يكون ظلماً لها لا عدلاً وقسطاً، والظلم مستحيل على الله.

(٣) أنَّ انحصار المخلوق في عالم غير هذا العالَم معناه تبدّل الحياة إلى حياة أُخرى وبالتالي يكون الفرض في غير محلّه.

ثانياً: إذا كان المقصود هو وقوع التفاضل في عالَم الطبيعة والحياة وفي عالَمنا هذا، وإنَّ التساوي في الفضل هو تساوي الخلق جميعاً في الفضل من جميع الوجوه، فهنا نقول: إذا حصل هذا الفرض سوف تحصل الأُمور التالية:

(١) التساوي يمنع من الدلالة على الأحسن واختياره.

(٢) التساوي يمنع الحاجة وبالتالي لا نظام ولا تنظيم تقوم عليه الحياة.

(٣) التساوي يمنع زيادة الحركة والتنافس نحو الله وكسب الكمال الإنساني.

(٤) التساوي يمنع التجديد والتكاثر في الخلق سواء المباشر من الله في خلقه للأشياء في الكون أو بواسطة الإنسان عن طريق التناسل.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:٣٠)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

(١) الملائكة: جمع مَلَك، وهو مشتق من الألوكة وهي الرسالة، وألَكَني إليه أي أرسلني.

(٢) الجعل: من الألفاظ ذات الاستعمال العام منها: الصنع، والخلق، والإيجاد، والفعل.

(٣) الخليفة: مَن يخلف غيره ويقوم مقامه.

(٤) السفك: الصب.

(٥) التقديس: التطهير، وضده التنجّس.

س: في هذه الآيات جعل الله الإنسان خليفة في المكان وهو الجنّة، والشخصيات المحاورة هم الله وآدم والملائكة والشيطان، هل هذا التعبير يحكي عن قصّة حقيقية ينقلها الله، أم هو أُسلوب قرآني يتخذه بشكل القصّة لتقريب الفكرة؟

ج:

يوجد احتمالان:

(١) قيل: إنّه أُسلوب قرآني لتقريب الفكرة، وانَّ الصدق في القصد المطابق للواقع لا

في الإنشاء كما هو المستعمل في الكتابة، وقد استعمل القرآن الحوار مع الجمادات لتقريب فكرة خضوعها التكويني بما زوّدها الله من القوانين الطبيعية التي تخضع لإرادته سبحانه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (فصلت:١١).

(٢) قيل: إنّها قصّة حقيقية ينقلها الله بمكانها وزمانها وشخصياتها وأحداثها.

والقول الثاني هو قول الحق، وذلك للأسباب التالية:

أوّلاً: وجود القرائن اللفظية من الخارج وهي الروايات الواردة فيها التي تحكي التفصيل عن بعض أحداثها والتحركات التفصيلية لأبطال القصة من الفعل وردود الفعل، ووجود القرائن الحالية التي تحيط بالقصّة ولوازمها، وممّا يستيقن من هذا وذاك أنّها تقلّ لحدث قد وقع حقّاً وحقيقةً وليس مجرّد أسلوب لتقريب الفكرة.

ثانياً: أنّ الآية التي ذُكِرَتْ في سورة فصّلت في الاحتمال الأوّل يمكن أن يكون حدثاً وحديثاً واقعياً قد أجراه الله مع السماء بما زودها الله من الأسرار التي هو المطّلع عليها دون غيره، فكما تعكس الآية خضوعها لله تعكس أشياء أُخرى بعضها متعلّق بالله وتعريف صفاته، وبعضها متعلّق بتعريف مخلوقاته بما أودعه الله فيها من الطاقات خصوصاً مع ملاحظة ومراعاة الأُمور التالية:

١ـ قوله تعالى: ﴿أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (فصلت:٢١).

٢ـ أحداث وحديث سليمان مع الطير والنمل مع أنّها قصّة حقيقية.

٣ـ متبنى البعض من أنه ما من شيء إلّا وهو ذو شعور عند عالِم الغيب، قال تعالى:

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء:٤٤).

ثالثاً: أنّ أبطال القصّة من آدم والملائكة والشيطان لهم وجودهم الواقعي، وقد

مسّت القصّة سلباً بعض شخصيّات القصّة بصورة صريحة كآدم والشيطان، فلو كانت القصّة رمزية فهذا معناه:

(١) أنّ الله قد ارتكب الكذب والظلم حيث نسب إليهم بما ليس هم واقعون فيه، وحاشا لله عن ذلك وتعالى علوّاً كبيراً.

(٢) كان من حقّهم الطبيعي أن يعترضوا على الله؛ لأنّه نسب إليهم أو مثّل بهم بما لا يليق بهم، بينما نحن نشاهد الاعتراف التّام منهم والإقرار بما نسبه الله إليهم.

● الإنسان بين الماء المهين والخلافة العظمى

س: ماذا يُراد من الجعل في هذه الآية المباركة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾؟

ج:

الجعل التشريعي للخلافة والتكويني لآدم.

س: هل للجعل استعمالات أُخرى في القرآن؟

ج:

الجعل له عدّة استعمالات في القرآن منها:

(١) الخلق، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ (الأنعام:١).

(٢) التكوين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (الأنبياء:٣٠).

(٣) التشريع، قال تعالى: ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ (يونس:٨٧).

(٤) الاتخاذ، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ (الرعد:٣٣).

س: (الملائكة) (الجنّ) (الإنسان)، لماذا تريد الشروع بالبحث عن تكوين الإنسان؟

ج:

لأنّه أفضل موجود في عالم الممكنات والمخلوقات.

س: ما هي الأدلّة التي تثبت أنّ الإنسان أفضل تكويناً وأكرم عند الله من بقيّة الممكنات والمخلوقات؟

ج:

(١) مادّة الإنسان، حيث ينسبها الله إلى يديه، أي أنّه هو المباشر في تحضيرها وخلقها دون مادّة بقية خلقه، قال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (ص:٧٥).

(٢) روح الإنسان، حيث ينسبها الله إليه مع المباشرة في النفخة دون بقيّة الأرواح للخلق، قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (ص:٧٢).

(٣) صورة الإنسان، حيث يخبر الله أنّ صورة الإنسان هي أحسن صورة من جميع خلقه، قال تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ (غافر:٦٤)، ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ (الانفطار:٨).

(٤) قابلية الإنسان والاستعدادات التي أودعت فيه من قبل الله بحيث جعلت الله يمدح نفسه عند خلقه للإنسان دون بقية المخلوقات، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون:١٤)، وكذلك مدح الله خلق الإنسان على لسان نبيّه محمّد ﷺ حين قال في خبر: «الإنسان أعجب موجود خُلِقَ».

(٥) التفاوت الزمني ما بين خلق السماوات والأرض وما بينهما وما بين خلق

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الإنسان، حيث أخبرنا الله بزمن خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستّة أيام. قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (السجدة:٤)، بينما تخبرنا السنّة أنّ خلق الله للإنسان قد تمّ في أربعين يوماً، ورد في الحديث: «خمرت طينة آدم بيده أربعين صباحاً»[1] وبعض الأخبار تقول: أربعين سنة، كما ورد عن الإمام الباقر‌ عليه السلام أنّه قال: «وجدنا هذا في كتاب عليّ عليه السلام، فخلق الله آدم فبقي أربعين سنة مصوّراً، فكان يمرّ به إبليس اللعين فيقول: لأمر ما خلقت، لئن أمرني الله بالسجود لهذا عصيته»[2]، وهذا يعكس أهميّة خلق الله للإنسان واختلاف عجينته عن بقيّة خلقه من دون تفاوت في قدرته سبحانه. فإنّ قدرته تعالى لا تخضع للزمان ولا تتوقّف على أي عامل من العوامل أبداً ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (البقرة:١١٧).

(٦) اسم الإنسان مشتقّ من المؤانسة، فيمكن حصول المؤانسة بين الله وبين الإنسان وهذه الصفة الخاصّة قد يكون وجودها في الإنسان دون غيره من الخلق ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ (النساء:١٢٥).

(٧) علّم الله الإنسان الأسماء كلّها، وهذا النوع من التعلّم تفقده جميع مخلوقاته، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة:٣١)، والعِلم أفضل طريق للتفضيل.

(٨) جعل الله جميع الخلق في هذا العالم في خدمة الإنسان، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٩).

---

(١) عوالي اللآلي ٤:٩٨/١٣٨.

(٢) البحار ٦٠:٢٧٣/١٦١.

(٩) شارك الله الإنسان في أمّهات ما يريده الله من الخلق والمختصّة به سبحانه، كالطاعة ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (النساء:٥٩) والشكر ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (لقمان:١٤)، والسجود ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ (البقرة:٣٤)، وقبول التوبة ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ (النساء:٦٤).

(١٠) مَنَحَ الله الإنسان الكثير من صفاته المختصّة به كالرحيم والرؤوف والكريم والمُحسن، وغيرها كثيرة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة:١٢٨)، ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران:١٣٤).

(١١) فتح الله للإنسان المجال في أن يمرّ على أعلى مراتب خلقه الماديّة والمعنوية بما لم يمرّ بها أحد من جميع الخلق، قال تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (النجم:٨-٩).

(١٢) نصّب الله نفسه للإنسان بما لم ينصّب نفسه إلى جميع خلقه من ناحية القرب والإجابة لدعوته، قال تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة:١٨٦)، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ (الأنفال:٢٤)، والطبيب له ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (الشعراء:٨٠)، والمُقترض ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ﴾ (البقرة:٢٤٥)، وغير ذلك، والأقرب وجوداً من الله أكثر كمالاً.

(١٣) أظهر الله للإنسان ما لم يظهره لأحد من خلقه من التجلّي والتكلّم بنوع من القدرة لا للذات المقدّسة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ (الأعراف:١٤٣)،

﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ (البقرة:٢٥٣).

(١٤) أخبار الله وسنّة نبيّه عن كرامة الإنسان وفضله ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء:٧٠)، ورد عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «ما من شيء أكرم على الله من ابن آدم»، قيل: يا رسول الله، ولا الملائكة؟! قال: «الملائكة مجبورون بمنزلة الشمس والقمر»[١].

س: لقد ذَكَرتَ في أول نقطة من نقاط التفضيل هي مادّة الإنسان، ألم تكن المادة الأصلية لخلق الملائكة (التي هي النور) والجن (التي هي النار) أفضل من مادة الإنسان (التي هي التراب)؟ اذكر المحتملات من الجواب.

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

ج:

(١) من الخطأ إذا أردنا أن نفرق بين أفضلية تركيب وتركيب آخر أن ننظر إلى جزء منه وإلى جهة واحدة منه ونترك المجموع وإلّا يكون الحجر أفضل من الإنسان لكون الحجر أكثر صلابة مثلاً، وهذه المغالطة هي التي أوقعت إبليس في القياس الباطل ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (الأعراف:١٢).

(٢) أنّ مادّة الإنسان لها الاستعداد على توليد أو قبول النارية والنورية كما تتحدّث كثير من الأخبار في ذلك عندما تحكي عن نور المؤمنين ونار الكافرين والفاسقين سوى أنّنا لم نشاهدها ولم نحسّ بها كما هي نورانية الملائكة

---

(١) كنز العمال ١٢: ١٩٢/٣٤٦٢١.

ونارية الجنّ على الرغم من وجودهما على الأرض ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾ (الحديد:٢٨).

(٣) أنّ استعمال لفظ التراب من قبل الله وإن كان استعمالاً حقيقياً ولكنّه ناظر إلى العناصر الأساسية للإنسان المشابهة لعناصر التراب والتي لا تخرج عنه، لا نفس التراب، فإنّ المركّب الكيميائي إذا أُضيف إليه أو نقص منه أي جزيئة أو ذرّة سوف يتحوّل إلى شيء آخر مختلف تماماً عن المركّب الأوّلي بجميع صفاته على الرغم من أنّه يحمل نفس العناصر الأوليّة، وهكذا تراب الإنسان، فإنّه وإن كان أصلاً لمادّة التكوين ولكن عند إجراء عمليات التغيير عليه ومروره بمراحل مختلفة يخرجه عن كونه نفس التراب، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ﴾ (المؤمنون:١٤).

(٤) أنّنا نجهل أصل العناصر التكوينية لنورية الملائكة ونارية الجنّ فلا موضوع للتفاضل في هذه النقطة إلّا من حيث مفاهيمها، حيث النورية أكثر تجرّداً من المادّة، وكلّما كان كذلك فهو أفضل، أمّا ماهية النورية والنارية فلا علم لنا بها، ومع عدم العِلم بماهية الطرفين فلا يمكن إجراء التفاضل فنقتصر على المنقول فقط في عملية التفاضل.

(٥) أنّنا ذكرنا في النقطة الأُولى من التفاضل وليس منظورنا إلى أصل المادّة وإنّما من جهة مباشرة يد الله في التكوين وخلق الإنسان.

س: اذكر المراحل التي أُجريت في تحضير مادّة الإنسان التي يذكرها الله عند خلقه للإنسان الأوّل آدم عليه السلام.

ج:

المرحلة الأولى: وهي تحضير التراب كمادّة أوليّة لخلق آدمﷺ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ (آل عمران:٥٩).

المرحلة الثانية: خلط التراب بالماء حتّى صار طيناً ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ﴾ (ص:٧١).

المرحلة الثالثة: تعجين الطين حتّى صارت أجزاؤه بصورة متماسكة متلاصقة لتهيئته لأن يقبل تشكيله على الصورة التي يريدها الله ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ﴾ (الصافات:١١).

المرحلة الرابعة: ترك العجين اللازب في مادّته السائلة حتّى تغيّر لونه إلى الأسود تقريباً ﴿مِنْ حَمَإٍ﴾ (الحجر:٢٨).

المرحلة الخامسة: تمّ تصويره من قبل الله بالمباشرة بيده كما أشارت الآية إلى ذلك أو من قبل صبّه بقالب ﴿مَسْنُونٍ﴾ (الحجر:٢٦).

المرحلة السادسة: ترك الحمأ المسنون والمصوّر مدّة إلى أن يَيبَس ﴿مِنْ صَلْصَالٍ﴾ (الحجر:٢٨).

المرحلة السابعة: أَدخَلَ أو سَلَّطَ على الصلصال جوّاً حرارياً أو نارياً حتّى صار كالخزف من حيث تثبيت هيئته ولونه ﴿مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ (الرحمن:١٤)، وهي المرحلة الماديّة النهائية التي أصبح مستوياً وجاهزاً وكاملاً لا ينقص هيئته الماديّة وبدنه شيء.

المرحلة الثامنة: نفخ الروح فيه من قبل الله ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ (ص:٧٢).

س: هل فكرة المراحل الثمانية التي مرّ بها أصل تكوين آدم حقيقية أم تمثيل؟

ج:

يوجد احتمالان:

الأوّل: أن تكون فكرة المراحل هذه حقيقية إلّا أنّها تحمل الوضوح في عدد المراحل وعناوينها دون الوضوح في تفصيلات الشئون لكلّ مرحلة لاختصاصه بالله.

الثاني: أن تكون فكرة المراحل عبارة عن تمثيل بأن مثّل الله خلقة الإنسان الأوّلي بمراحله تماماً كما يقوم صانع الخزف بذلك، وذلك لتقريب فكرة أصل خِلقة الإنسان الأوّلي للإنسان النوعي.

س: سواء قلنا بحقيقة المرحلية أو أنّها تمثيل، السؤال ما هي الحكمة من إبراز مراحل التكوين بهذا الشكل الواضح في القرآن؟ اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

(١) لتأكيد حقيقة وجود العنصرين المادّي والمعنوي في الإنسان، وهما البدن والروح.

(٢) لتأكيد أهميّة الإنسان في نفسه حتّى لا يستهين بدوره في الحياة، ذلك عندما يرى أنّ هناك اهتماماً خاصاً من قبل الله عند خلقه للإنسان وأنّ هناك جهداً عظيماً قد بذل في خلق الإنسان وأنّ هناك أدواراً قد مرّت عند خلقه، إنّ الذي يمرّ خَلْقَهُ في أدوار ومراحل يعكس أهميّة هذا المخلوق من ذلك المخلوق

الذي يوجد دفعة واحدة.

(٣) لتأكيد أهميّة المرحلية في أيّ شيء يخطو إليه الإنسان، فإنَّ الذي خلق السماوات والأرض بمراحل، وخلق الإنسان بمراحل، وجعل كلّ شيء ينمو ويتحرّك وينشأ في الأرض أن يمرّ بمراحل، وأنزل القرآن بمراحل، وأنزل بعض أحكامه سبحانه على شكل مراحل، ودعوة الرسولﷺ كانت على شكل مراحل، فإنَّ الله أراد من الإنسان أن يتّبع نفس أسلوب المرحلية في العمل، فإنَّ في اتّباع المرحلية في العمل يوجد الخير الكثير لما فيها من دقّة التفكير وبذل الجهد العقلي والدراسة الدقيقة، والتأنّي في الخطوات، وقوّة الإرادة، والصبر على المِحَن واكتساب التجربة، وعدم الاستعجال بالأمور، والحصول على النتائج المفلحة.

(٤) لتعريف الملائكة بخلق الإنسان وأساس تكوينه وأنّها معنيّة بأمره تدبيراً ومراقبةً وغيرها من الأُمور التي تتعلّق بمهمّة الملائكة مع الإنسان مستقبلاً.

س: ما هي المراحل التي يمرّ بها تكوين الإنسان النوعي أي عامة البشر من قبل الله؟

ج:

المرحلة الأولى: اختيار أحسن الطين والماء من طينة آدم وتحويله إلى نطفة، حيث إن الله استلّ من طينة آدم أحسنه ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾ (المؤمنون:١٢-١٣)، والسلالة هي التي تسلّ من ألطف أجزاء الطين، استلّ ماءً شفّافاً ضعيفاً من الطين الذي خلق منه آدم ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ

مَهِينٍ﴾ (السجدة:٧ـ٨)، ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً﴾ (الفرقان:٥٤).

المرحلة الثانية: خلق النطفة. وفي هذه المرحلة مزج الله أحسن الطين مع أحسن الماء اللذين استلّهما الله من طينة آدم وخلق منه النطفة بحيث جعل لها القابليّة أن تجري مع دم الإنسان من دون تفاعل وتغيير ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ (فاطر:١١).

المرحلة الثالثة: دورة النطفة، في أن جعل الله النطفة تنعزل عن الدم وترشّح في الوريد الذي هو أحد عروق الدماغ ثمّ تنتقل إلى ظهر الإنسان عبر نخاع العمود الفقري ثمّ إلى بويضتي الجهاز التناسلي من خلال الأوعية الدقيقة الداخلية للإنسان ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ (الأعراف:١٧٢)، ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ۞ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ (الطارق:٦ـ٧)، والصلب هو العمود الفقري.

ورد عن الإمام الحسين عليه السلام أنّه قال: «ابتدأتني بنعمتك قبل أن أكون شيئاً مذكوراً، وخلقتني من التراب، وأسكنتني الأصلاب أمناً لريب المنون واختلاف الدهور، فلم أزل ظاعناً من صلب إلى رحم في تقادم الأيام الماضية والقرون الخالية ...»(١).

ثمّ دورة النطفة عند المرأة،ري ماء المرأة التي تترشّح من الدم إلى الدماغ إلى عظام الصدر ﴿وَالتَّرَائِبِ﴾، ثمّ إلى أوعية الرحم.

المرحلة الرابعة: تصفية النطفة، ففي هذه المرحلة تتحوّل النطفة، أي الماء الصافي الشفاف إلى ماء غليظ تسبح فيه بلايين الحيامن والتي منها يتكوّن الإنسان وهو الذي أسماه الله بالمني ﴿مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ (النجم:٤٦)، ﴿أَلَمْ

---

(١) الإقبال ٢: ٧٤.

يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى﴾ (القيامة:٣٧).

المرحلة الخامسة: صنع الرحم، وهو جعل الله الرحم في الأُنثى ليكون الموضع المناسب لاستقرار ونمو وتكامل وحدوث أطوار الإنسان تكويناً والذي أسماه الله بالقرار المكين ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ (المؤمنون:١٣).

المرحلة السادسة: الشهوة الجنسيّة التي وضعها الله في الرجل والمرأة لتكون واسطة في حصول الخلط بين ماء الرجل وماء المرأة لتنتقل الحيامن من ماء الرجل إلى ماء المرأة ﴿مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ (الإنسان:٢)، ﴿مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى﴾ (القيامة:٣٧)، ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ (الواقعة:٥٨).

المرحلة السابعة: اختيار الله للحيمن الذي يريده الله لأن يكون ولداً لهذه الأُم الذي يسبق كلّ الحيامن في الدخول إلى بويضة رحم الأُم ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ (فاطر:١١)، ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ (الحج:٥).

المرحلة الثامنة: العَلَقَة، وهي أن تنمو بويضة الرحم الملقّحة بحيمن الرجل وتتحوّل إلى كتلة دموية ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ (المؤمنون:١٤).

المرحلة التاسعة: المُضغة، وهي أن تنمو العَلَقَة فتتحوّل بعد مرور أربعين يوماً إلى كتلة لحمية دموية تكون العروق فيها خضراء اللون مشتبكة ويكون حجمها بقدر ما يمضغه الإنسان ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ (المؤمنون:١٤)، وهنا يبدأ التقدير الإلهي للوليد في إكمال مراحله أو لا، في جعل الذريّة أو لا، في أن يكون تامّ الخلقة أو لا، غير ذلك من الأقوال ﴿مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ (الحج:٥).

المرحلة العاشرة: وهي مرحلة تكوين العظام ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾ (المؤمنون:١٤).

المرحلة الحادية عشر: وهي مرحلة تكوين اللحم على العظام ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً﴾ (المؤمنون: ١٤).

المرحلة الثانية عشر: وهي مرحلة نفخ الروح وولوجها فيه الذي يكون عند دخول الجنين الشهر الرابع في نشأته وتكوينه ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ (السجدة: ٩)، ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ﴾ (المؤمنون: ١٤).

س: ما هي الملاحظات التي تريد أن تسجّلها على ما ذكرت من هذه المراحل الاثني عشر لتكوين عموم الإنسان؟

ج:

(١) أنّ هذه المراحل لا تكون على سبيل الحصر، فنحن ذكرناها على ما ذكره القرآن بعناوينها العامّة، ولهذا يكون لأصحاب الاختصاص الدور الأكبر في تحديد عدد المراحل والكتابة في تفصيلاتها، فإنّ أكثر علوم هذه المراحل ومعرفتها قد فتحها الله للإنسان.

(٢) أنّ كلّ مراحل التكوين المادي الذي يمرّ على تكوين الإنسان على الرغم من عمقه ودقّته اللامتناهية إلّا أنّه عند الله لم يكن تكوينه للإنسان ذا قيمة مُعتبرة، بل كان الإنسان فيها مهيناً إلّا بعد إكمال المرحلة الأخيرة التي فيها اعتبر الله الإنسان شيئاً آخر وبها يكون الإنسان إنساناً ومن خلاله تكتمل إنسانية الإنسان.

(٣) أنّ ذكر هذه المراحل لتكوين الإنسان الصحيح تبيّن خلق الله للإنسان ورعايته له في جميع مراحل تكوينه، وصحيح أنّها تظهر العامل العِلمي في تكوين الإنسان إلّا أنّ ذكرها في القرآن هو وسيلة للغاية الأخلاقية التي يريدها الله من

الإنسان ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۞ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۞ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ (الانفطار:٦ـ٨).

س: ما هو الفرق بين تكوين آدمعليه السلام وتكوين بقيّة البشر؟

ج:

أنَّ تكوين بقية البشر قدْ مرَّ بمراحل من التراب إلى الماء إلى النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى العظم ثمَّ اللحم ثمَّ ولوج الروح ولا يكون إلّا من أبوين، بينما تكوين آدم لم يمرّ بهذه المراحل، بل من التراب ونفخ الروح فصار آدمعليه السلام بكلمة من الله ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (آل عمران:٥٩).

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

س: لماذا خلق الله آدمعليه السلام من تراب؟ اذكر الاحتمالات في ذلك.

ج:

(١) لكونه مخلوقاً لعمارة الأرض، والأرض من تراب، فحتّى ينسجم الإنسان مع الأرض ويحبّ البقاء فيها فلابدَّ من سنخيّة بينهما ليجعل التلاؤم بينهما مستمرّاً.

(٢) لبيان قدرته سبحانه المطلقة في خلقه لكلّ شيء من نار ونور وتراب.

(٣) لبيان عظيم قدرته في خلق الإنسان الذي أصله تراب ولكن أعطاه القابليّة النوريّة بالمعرفة والعِلم والروح والشهوة والأُمور المعنويّة الأُخرى بما يضاهي بقيّة الخلق.

س: ما هو تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾؟ اذكر الوجوه المحتملة في ذلك.

ج:

أولاً: أنَّ هذا القول لم يكن استشارة منه سبحانه، لأن الاستشارة هي اقتناص الرأي الأصح عند الجهل به، وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ثانياً: أنّه إخبار يقدّمه الله للملائكة ليطلعهم على الوضع الجديد الذي يريد طرحه لعلاقتهم به باعتبارهم المدبّرون لأمره إذا قلنا: إنّ الخطاب خاص بآدمﷺ.

ثالثاً: بالإمكان توجيه الأوامر للملائكة من دون إخبارهم وهم المطيعون لذلك، لكن أخبرهم لإبراز خُلُقِهِ الرباني في احترامه وتقديره لملائكته المقرّبين بعدم تجاوزهم.

رابعاً: أخبرهم ليكشف جميع الإشكالات والتساؤلات التي تدور في أذهانهم التي يعلمها لينطلقوا مع هذا الكيان الجديد عن قناعة تامّة في فضله بعد سماعهم الأجوبة والاطلاع عليها عملياً.

خامساً: أخبرهم ليعرّفهم بطاقاتهم المحدودة وأنّهم لم يطّلعوا على كلّ شيء إلا بحدود ما عرّفهم عليه.

سادساً: أنّه الحوار الذي يكشف للإنسان فضله بما أودع الله فيه من الطاقات والإمكانيات التي تضاهي جميع الخلق لو استثمرها في جهتها المرسومة له.

سابعاً: آدم الإنسان قد جعله الله خليفة في الأرض ليكون هو المسؤول عن بناء الأرض واكتشاف أسرارها، لأنه يمتلك الإمكانات التي تؤهله لذلك من العقل والإرادة والاختيار وحرية الحركة نحو التكامل المفقودة عند الملائكة.

ثامناً: آدم الإنسان قد جعله الله خليفة ليعلم الإنسان مكانته عند الله ليتحرك في الأرض وهو يمثّل الله في سلوكه وأخلاقه مكتسباً من صفاته الربانية لأنه خليفة الله على الأرض.

تاسعا: آدم الإنسان خليفة وإن كانت الخلافة بمعناها العام، إلّا أن اختيار هذا العنوان بالذات يستبطن التلميح إلى وجوب سير الإنسان ضمن منهجية المخلِّف وأن يحافظ على خطه وقانونه الذي استخلفه عليه وديمومة مراجعته إليه والأخذ منه والارتباط به وإلّا يصبح عنوان الخليفة مجرّداً عن أيّ قيمة يَعنِيه المصطلح، وعليه فكما أنّ هذا الجعل يعيّن سيادة الإنسان على الأرض يلزمه بالتمسك بدين مَن جعله خليفة وسيّداً ولو بالتلميح أو الفحوى؛ لأنّ الخليفة واقع بين مستخلف مسؤول يسأل عنه، وجزاء يتلقّاه نتيجة تصرّفه، فالخليفة واقع بين الله والمعاد.

عاشرا: في هذا القول تلميح أو تصريح لإثبات الوجود الحقيقي للملائكة الذي لا يتمّ الدليل على وجودها إلّا عن طريق السمع والنقل لعدم إحساسنا بوجود الملائكة بيننا ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾.

الحادي عشر: أن يكون الخطاب منذ بدايته عاماً بحيث يشمل الملائكة وغيرهم، بمعنى أنّ خلافة آدم تشمل الأرض والسماء والملائكة والجنّ وجميع المخلوقات.

س: قال تعالى: ﴿ ...إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، هل الخلافة هنا خاصة بآدم أم أنّها عامة لكل فرد من الإنسان؟ وضّح المحتملين.

ج:

الأوّل: أنّها عامة لكلّ فرد من أفراد النوع للإنسان لا لخصوص آدم، وذلك للأسباب التالية:

أوّلا: أنّ آدم ﷺ محدود بزمن معيّن وعمر معيّن لا يكفي بالقيام بجزء ولو ضئيل نسبةً إلى خلافة الأرض وإدارتها.

ثانياً: أنَّ الملائكة الصادقين قد وصفوا هذا الخليفة بأنّه مسفك للدماء ويفسد في الأرض وهذا الوصف لا ينطبق على آدم عليه السلام.

ثالثاً: أنَّ استعمال هذا العنوان لم يكن مختصاً بآدم، بل استعمل مع الأنبياء، قال تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ (ص:٢٦)، واستعمل مع كافة الناس: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ (فاطر:٣٩)، فلا تنحصر الخلافة بآدم.

رابعاً: لم نسمع بنبيّ أو وصيّ نبيّ يدعو إلى خلافة آدم بالخصوص، وهذا يدلّ على أنَّ المرتكز في أذهانهم هي الخلافة العامّة.

خامساً: شمول الخطاب لآدم وحواء أي للذكر والأنثى للإطلاق، فلا اختصاص للخلافة بآدم.

الثاني: أنّها جامعة لنوعين من الخلافة:

(١) الخلافة العامّة لآدم بلحاظ كونه بشراً.

(٢) الخلافة الخاصّة بعنوان كونه حجّة الله ونبيّه.

س: كم نوع من الخلافة يعرضها القرآن الكريم؟

ج:

ثلاثة أنواع هي:

الأولى: الخلافة العامّة

وهي خلافة كلّ فرد من الإنسان الذي يريدهم الله كعباد له ربانيين في وجودهم وحركتهم ومعتقداتهم وإعمارهم للأرض كما قلنا سابقاً. قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة:٣٠)، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ

وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتاً وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَاراً﴾ (فاطر:٣٩).

الثانية: الخلافة الخاصّة

وهي السلطة والولاية والحاكمية للفرد الذي يتمّ تعيينه، إمّا بالمباشرة من قبل الله كما هو الجاري في الأنبياء، أو بالنص الشرعي القطعي الخاص بأفراد معيّنين والذي لا غبار عليه أبداً كما في ولاية هارون على قوم موسى، قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ (الأعراف:١٤٢)، وقال تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ (ص:٢٦)، وولاية الأئمّة الاثنى عشر سلام الله عليهم أجمعين. ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة:٥٥)، أو بالنص الشرعي القطعي العام كولاية الفقيه والقيادة النائبة وسيأتي الحديث عنها إن شاء الله.

فخلافة الخواص لا تنفصل عن الله، فهي إمّا تكون تعييناً مباشراً بالنص عليه أو بواسطة النبيّ أو السنّة لمطلق المعصوم.

الثالثة: خلافة النموذج من العامّة

وأعني بها: تحقّق القدوة للخلافة من المجتمع المؤمن الذي يمثل خالص عامّة المجتمعات التي عاشت على الأرض في إيمانها وسلوكها وتعاملها والتزامها بالقانون الإلهي، والمرآة التي تعكس الإرادة الربّانية لخلقه المجتمعات على الأرض وتحقيق دينه الذي ارتضاه لعباده ليكون هذا النموذج من المجتمع حجّة على المجتمعات والأمم التي عاشت والتي تعيش بعدهم، وتحقّق قابلية وواقعيّة القدوة للخلافة الخاصّة للفرد ليكون حجّة على جميع الحكام وعلى الناس الذين شككوا

في قابليّة الإسلام أو بقيادته بعدم قابليّتهما على قيادة الحياة. وهذا النموذج البرزخي بين الخليفة (الخلافة الخاصّة) والمستخلف عليهم (الخلافة العامّة) سيتحقّق بظهور الامام الحجة المهدي المنتظر ﷺ حيث سيحقّق المجتمع النموذجي بقيادته، والمجتمع النموذجي بدوره سيحقّق خلافته النموذجيّة على الأرض بإعمارها واستخراج بركاتها بشكل لم يمرّ به مجتمع من المجتمعات، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾ (النور:٥٥)، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ (البقرة:١٤٣)، ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ (القصص:٥).

س: الخلافة العامّة وهي القسم الأوّل من تقسيمكم للخلافة، هل يمكن أن تعطي معنى أن يكون الحكم متروكاً للناس بأن يحكموا أنفسهم بأنفسهم سواء كان ذلك بحياة الإمام الخليفة أم في زمن غيبته؟

ج:

نحن قلنا عند توضيح التقسيمات: إنّ الخلافة بالمعنى الخاص أي السلطة والحكومة التي لا تكون إلّا لأفراد خاصّين ولا يكون ذلك إلّا بالتعيين والجعل الإلهي كما سيأتي توضيح ذلك في بحث الإمامة إن شاء الله في المجلّد الثالث، فالخلافة العامّة جعلت ـ كما قلنا ـ لإعمار الأرض، فهي من حقّ الجميع وليس لأحد الادّعاء بالتفرّد لوحده بالخلافة العامّة، فهي لا تعني السلطة والحكومة، فإنّ خطاب الخلافة القرآني إذا جاء بمعنى السلطة والحكومة فهو يخاطب الفرد أو الثلّة

من أصحاب الدرجات الإيمانيّة العليا المتميزين عن عامّة الناس كما طرحنا شواهد على ذلك من القرآن فراجع.

س: كيف يعرف الإنسان طبيعة الخلافة العامّة عن الله في الأرض ليتحرك عملياً لتجسيدها؟

ج:

الخلافة لا تختلف في جميع أنواعها في أنّها ترتكز أساساً على معرفة الشيء الذي يكون عليه قائداً وخليفةً معرفة تفصيلية يكتشف من خلالها نقاط الضعف والقوّة ليقوّي الضعيف وينمّي القوي، وهذا هو الجامع الأهم الذي يقوم به الخليفة، وعندما يكون خليفة على مجتمع من المجتمعات لابدّ من دراسة ذلك المجتمع من حيث التربية والمتبنيات وجميع الظروف المحيطة به حتى تأتي قراراته منسجمة مع ذلك المجتمع.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

هذا من جهة، ومن جهة أخرى معرفة نفسه وموازنتها مع المجتمع الذي يكون هو خليفة عليه فقد يكون ذلك المجتمع قد سبقه كثيراً من الناحية العلمية والتربوية، فبقاؤه على هذه الحالة معناه أصبح خليفة ظالماً لنفسه ولغيره.

إذا عرفنا هذه المقدّمة نقول: لا يحتاج الإنسان إلى معرفة نفسه من حيث علاقته بالكون الذي هو خليفة عليه؛ لأن كلّ ما في الكون مخلوق له ومن أجله ومسخّر له فهو أفضل مخلوق من كلّ المخلوقات فهو بهذا يستحقّ الخلافة في الأرض دون غيره من المخلوقات، ولكن يبقى عليه معرفة الأرض وما حولها التي سيكون خليفة عليها ليتحرك بما ينسجم مع متطلّباتها وحتى لا يكون ظالماً لنفسه وللأرض بوجه من وجوه الظلم، وليؤدّي دوره في الخلافة بأحسن صورتها، فمن

جملة ما يجب أن يعرفه الإنسان الخليفة من الكون والحياة أموراً منها:

أولاً: طاعة الله

قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾(فصلت:١١)، ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾(الإسراء:٤٤)، مهما اختلفت طريقة الطاعة والتسبيح يبقى العنصر المشترك بين الكلّ أنه مطيع مسبّح لله، وهذه أحد أهم عناصر القوّة التي يمتلكها الكون الذي يسير في وحدة واحدة في الطاعة والعبودية لله، هو سير نحو العُلى وارتباط بالعليّ القدير، وصفة لا يعاب عليها عند أي عاقل، وهذا هو مكان عرش خلافة الإنسان، وما على الإنسان إلّا أن يتحرّك على الأرض وهو عبد لله ومكلّف من قبل الله يمتثل أوامره في كلّ مجال يشغله وضمن حدوده التي يتحرّك بها وقابلياته التي يسعى من خلالها لبناء نفسه وما يدور حوله ليكون سيره منسجماً مع هذا الكمال التصاعدي، عملية التمرد والعصيان لله تعتبر تخلّفاً ونزولاً تخرج الإنسان بعيداً عن كونه خليفة.

ثانياً: العلم

الصفة التي لا ينكر أحد ضرورة اكتسابها لكلّ إنسان؛ لأنها الطريق المنحصر للأخذ والعطاء المنسجم مع بناء الكون والحياة القائم على الأساس العلمي، فلمّا كان بناء الكون على هذا الأساس فلا طريق آخر لأداء دور الخلافة في الأرض، فالجهل ليس له محلّ في فهم الحياة، بل هو العائق دائماً والمانع لأداء دور الخلافة والخلفاء على الأرض ممّا يمنع استجابة السماء والأرض على أن تقدّم معطياتها، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْماً﴾(النمل:٨٤).

ثالثاً: الحركة

قال تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾(يس:٤٠)، حيث الحركة تملأ الكون كله حتى الذي تراه ساكناً فإنه يتحرك ضمن حركته الجوهرية، وكلّ شيء يتحرك لأداء وظيفته، وكلّ شيء موظّف لغاية شريفة وصالحة ونافعة، ترى الجدّ في الحركة هي الصفة البارزة في كلّ ناحية من نواحي الحياة، فلا الخمول والكسل ولا اللعب واللهو يقترب لينتسب إلى أيّ زاوية من زوايا الكون والحياة، فالكون يمثّل إرادة الله في الحركة والنشاط بعيداً عن أيّ نوع من الدعة والراحة، وهذه هي الصفة الأُخرى التي يجب أن يعرفها الإنسان في أن يكون خليفة في الأرض، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ﴾(الانشقاق:٦).

رابعاً: العدل صفة بارزة أُخرى للكون أنه قائم على أساس من القدر المعلوم والحكمة والدقة والميزان، قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾(الحجر:١٩)، والعدالة هي الصفة البارزة للمراد من الخلافة بجميع أنواعها، وهي الصفة التي تتماشى مع نظام الكون والحياة، قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ﴾(آل عمران:١٨).

س: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، هل كلمة ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ قيد احترازي بحيث الإنسان لا يكون خليفة لله إلّا على الأرض فقط؟

ج:

الإنسان خليفة على كل الحياة الدنيا سواء كان محطّه الأرض أو أي كوكب آخر، وهي كلّها أرض عندما تكون محل استقرار له، فإرادة هذا الكوكب الأرضي من الآية باعتباره المحل الأوّلي هبوطاً واستقراراً ومنطلقاً للكواكب الأُخرى.

س: ما هي المحتملات الواردة في طبيعة سؤال الملائكة في قوله تعالى:

﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾؟

ج:

أولاً: أنّه سؤال تفرضه طبيعة الحدث بعدما أخبرهم الله بالجعل الجديد، حيث الفارق الموجود بين الخليفة الإنسان التراب وبين ربّ الأرباب ممّا يثير الدهشة والاستغراب، فالسؤال نابع من طبيعة الفارق بعيداً عن مسألة الحوار، كمَن يسمع برئيس دولة متقدّمة علمياً وقد أرسل أُميّاً يمثّله في أحد مؤتمرات التربية والتعليم مثلاً.

ثانياً: أنّه سؤال جاء بعدما عاش آدم وبدأت حياته معهم وقد عرفوا ما يختزن هذا الكائن الإنسان من العناصر المضادة من العقل وقوى الغضب والشهوة والنفس المستعدّة لقبول الفجور والتقوى وغيرها من العناصر التي تتفجر من خلالها حالة الصراع والنزاع والأنانية واقتراف الجريمة وحب الحياة ونسيان الله وبالعكس ...وغيرها ممّا هو معروف من قابلية الإنسان في التمرّد، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر:٢٨-٢٩)، فالسؤال نابع من بعد معرفة ماهية الإنسان غير اللائقة للخلافة ظاهراً.

ثالثاً: أنّه سؤال جاء بعد معرفة الملائكة لطبيعة الأرض التي لا يمكن إدارتها من قبل شخص أو مجتمع معيّن، بل إدارتها وتدبير شؤونها واستثمار عناصرها وتوزيع معطياتها يحتاج إلى حركة نوعية وتعاون اجتماعي تذوب فيه الأنانية والمصلحة الشخصية في الإيثار والتفاني وغيرها من الأُمور، فلا انسجام موجود بين طبيعة الإنسان غير المعصوم وبين طبيعة عطاء الأرض التي يراد بناؤها وفق

إرادة الله، وعليه تكون النتيجة الطبيعية أن يكون هناك إفساد مادّي ومعنوي وسفك في الدماء تجرّهم الأرض إليه إن تعاملوا معها باللامبالاة، فالسؤال نابع من بعد معرفة حقيقتين هما الأرض والإنسان.

رابعاً: أنّه سؤال جاء بعد إخبار الله لهم بالنتائج وغيرها من التفصيلات التي يمرّ بها النوع الإنساني والتي حذفها الله اختصاراً منه بما لا ينفع الإطناب فيه كما هي طريقة القرآن.

خامساً: أنّه سؤال جاء بعدما طرح الله الإنسان بعنوان أنّه خليفة والذي من معناه أنّ نفس عنوان الخليفة يستبطن وجود نزاع وخلاف وفساد وسفك دماء ممّا يحتاج لحَلِّهِ والسيطرة عليه إلى خليفة، وإلّا كان الحال كحالهم في عدم احتياجهم إلى خليفة لعدم وجود التنازع والاختلاف بينهم لعصمتهم.

سادساً: أنّه سؤال جاء بعد اطلاعهم على حقيقة وجود النار المخلوقة، أو بعد اطلاعهم على أمّ الكتاب أو اللوح الموجود الذي في قسم منه تفصيل وفي الآخر إجمال كلّ شيء، فرأوا أنّ الأكثرية بعيدون عن الفلاح والنجاح في الوصول إلى الغاية المطلوبة منهم بما رسمه الله إليهم ﴿بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (المؤمنون: ٧٠).

سابعاً: أنّه سؤال منطلق من حبّهم لله وكرههم الشديد من أن يُعصى الله في أي زاوية من زوايا الحياة ومن أي فرد من مخلوقاته، فالعاصي يحصل على غضب ملائكة الله بداية ووسطاً ونهاية، فالسؤال كان يمثّل غضب الملائكة ورفضهم للعاصي، وكذلك يفقد استغفارهم في الدنيا وشفاعتهم في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ (الشورى: ٥)، ﴿أُولَئِكَ

جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (آل عمران:٨٧).

ثامناً: أنّه سؤال قد فتحه الله عليهم وصدر بإذنه وعلمه السابق، ممّا صار هذا الإذن لجميع نوع الإنسان أن يسأل الله ويسأل غيره من ذوي الاختصاص، بل وأوجبه الله على الإنسان لأنّه يمثّل أهمّ منبعاً من منابع العلم، قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (الأنبياء:٧).

تاسعاً: إذا قلنا: إن الخطاب كان عامّاً بحيث يكون آدم الإنسان خليفة على الأرض وعلى الملائكة كذلك، وهذا هو الذي أثار سؤالهم الذي يثيره كلّ عاقل للاختلاف الواضح في عطاء كلّ واحد من النوعين، حيث الإنسان له قابلية الفجور والتقوى والملائكة ليست لها القابلية للفجور فكيف يصبح الإنسان هو الخليفة على الملائكة التي لا يصدر منها الفجور؟!

عاشراً: أنّه سؤال قد فتحه الله ليكون درساً ووعظاً لكلّ الذين يرون في أنفسهم أنّهم أكبر من أن يُردّ عليهم أو يعترض عليهم، أو يمنعون غيرهم حريّة السؤال، ليمنعوا أنفسهم من المراجعة واكتشاف الخطأ في أنفسهم، فإنّهم لم يكونوا بأعظم من الله الذي أعطى للمخلوق الحريّة في التعبير عمّا يفكّر فيه ويعتقد به ليصحح الخطأ ويؤكّد الصحيح، وفتح السؤال هو ما دعا إليه أهل البيت عليهم السلام جميعاً كذلك.

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «لا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي استثقالاً في حق قيل لي، ولا التماس إعظام لنفسي، فإنّه مَن استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه، كان العمل بهما أثقل عليه، فلا تكفوا عن مقالة بحقّ، أو مشورة بعدل»[1].

---

(١) نهج البلاغة ٢: ٢٠١/٢١٦.

الحادي عشر: أنّ السؤال قد أثير من قبل الملائكة بعدما عرفوا البون الشاسع بين ضخامة الأرض وتراكيبها المعقّدة وبين الإنسان الذي هو من المخلوقات ﴿وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفاً﴾ (النساء:٢٨)، فالسؤال نابع من ملاحظة التفاوت بين ضعف الخليفة تكويناً وقوّة وعظمة المخلّف عليه كذلك.

الثاني عشر: أنّ السؤال قد أثير من قبل الملائكة لأنّهم عاشوا أكثر من تجربة مع أكثر من نوع من الخلق على الأرض قبل خلق آدم الإنسان، وكانت جميع تجارب ذلك النوع من الخلق السابق فاشلة لما صدر منهم من الدمار وسفك الدماء.

ونعتمد هذا الرأي على أخبار، منها: ما ورد عن عيسى بن أبي حمزة المدائني الثقفي أنّه قال: قال رجل لأبي عبدالله: جعلت فداك، إنّ النّاس يزعمون أنّ الدنيا عمرها سبعة آلاف سنة؟ فقال: «ليس كما يقولون، إنّ الله خلق لها خمسين ألف عام فتركها قاعاً قفراً خاوية عشرة آلاف عام، ثمّ بدا لله بداء، فخلق فيها خلقاً ليس من الجنّ ولا من الملائكة، وقدّر لهم عشرة آلاف عام، فلمّا قربت آجالهم أفسدوا فيها، فدمّر الله عليهم تدميراً، ثمّ تركها قاعاً قفراً خاوية عشرة آلاف عام، ثمّ خلق فيها الجنّ، وقدّر لهم عشرة آلاف عام فيها، فلمّا قربت آجالهم أفسدوا فيها وسفكوا الدماء، وهو قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ كما سفكت بنو الجان فأهلكهم الله. ثمّ بدا لله فخلق آدم وقرّر له عشرة آلاف، وقد مضى من ذلك سبعة آلاف عام ومائتان، وأنتم في آخر الزمان»[١].

وعن الإمام الصادق أنّه قال: «إنّ الله تعالى خلق اثني عشر ألف عالَم كلّ عالَم منهم أكبر من سبع سماوات وسبع أرضين ما يرى عالَم منهم، أنّ لله عزّ وجلّ

---

(١) تفسير العياشي ١: ٣١/٨.

عالَماً غيرهم»[١].

الثالث عشر: أنَّ السؤال قد أُثير من قبل الملائكة لأنّهم عاشوا تجربة خلق الإنسان السابق على خلق آدمنا، فكانت تجربة فاشلة لما صدر من أُولئك الناس السابقين من الإفساد وسفك الدماء. و يعتمد هذا الرأي على أخبار كذلك، منها ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «ما علم الملائكة بقولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾، لولا أنّه قد كانوا رأوا مَن يفسد فيها ويسفك الدّماء»[٢]، وعنه أيضاً: «لعلك ترى أنَّ الله لم يخلق بشراً غيركم؟ بلى لقد خلق ألف ألف آدم، أنتم في آخر أُولئك الآدميين »[٣]، وورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «لقد خلق الله عزَّ وجلّ في الأرض منذ خلقها سبعة عالَمين ليس هم من ولد آدم خلقهم من أديم الأرض فأسكنهم فيها واحداً بعد واحد مع عالَمه ثمَّ خلق الله عزَّ وجلّ آدم أبا البشر وخلق ذريّته منه»[٤].

ويعتمد هذا الرأي على ما عثر عليه علماء الآثار من عظام الإنسان التي يرجع تأريخها إلى ما قبل آدمنا والتي قد تكون حالة العثور هذه مؤيّداً لهذا الرأي.

الرابع عشر: أنَّ الملائكة صادقون مع غيرهم كما هم صادقون مع أنفسهم، فعندما كان الأمر بالسجود لآدم في مرحلته الإنسانية ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر:٢٩)، هنا بقي شيء يدور في ذهن الملائكة وهو أنَّ هناك نقطة ضعف في آدم البشر، فعندما فتح الله باب السؤال في خصوص هذا

---

(١) الخصال ٢: ٦٣٩/١٤.

(٢) تفسير العياشي ١: ٢٩/٤.

(٣) الخصال ٢: ٦٥٢/٥٤.

(٤) الخصال ٢: ٣٥٨/٤٥.

الموضوع أثاروا ما كانوا يشعرون به وهو باقٍ في خلجات نفوسهم، فركّزوا عليه دون غيره من الأسئلة، وسيأتي توضيح أكثر لهذه النقطة عند جواب السؤال عن سبب وقوع إبليس في مستنقع الاستكبار والتمرّد.

الخامس عشر: ذكر الإفساد وسفك الدماء هي الكلمة الجامعة من أدنى مراتب المعصية إلى أعلاها.

س: ما هي المحتملات الواردة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾؟

ج:

أولاً: أن يكونوا قد طرحوا أنفسهم للخلافة كبديل عن الإنسان ﴿وَنَحْنُ﴾.

ثانياً: أن يكون تكملة لسؤالهم عن سبب تفضيل المفضول على الفاضل حسب اعتقادهم ونظرتهم الظاهرية.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ثالثاً: أن يكون للكشف عن عصمتهم وحركتهم الإيجابية نحو الله في كلّ الاتجاهات، وفحوى قولهم هذا: إنّ الإنسان يخلط بين الطاعة والتمرّد، فهي لم تكن حركة إيجابية دائماً، حيث الإنسان يمتلك الشهوة والغضب اللذين هما أهم مصدرين للفساد والقتل ونحن لا نمتلك ذلك ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ أي مصدرهما وهما الشهوة والغضب.

رابعاً: تسبيح الإنسان وتقديسه يأتي بعد اتهام الله بالنقص سواء مرّ ذلك بشعور منه أو لم يمرّ كذلك، بينما تسبيحنا وتقديسنا لك كملائكة هو صرف الحمد، وبتعبير آخر: أنّ تسبيح وتقديس الإنسان نابع من حالة سلبية بينما تسبيحنا نابع من حالة إيجابية فقط، فالتسبيح الذي هو تنزيه ذاتك والتقديس الذي هو تنزيه أفعالك

وتبعيدك من كلّ نقص لا يصدر منّا إلّا عن طريق واحد وهو حمدك لا غير، فنحن نسبّح بحمدك، ولا نفرض لك شريكاً حتّى على مستوى الوهم حتّى تنزهك منه، فتسبيحك من قبلنا لا نفياً لحالة سلبية مفترضة، وإنّما نابع من حالة ثبوتية وهو الحمد فقط ولا نملك إلّا محض التقديس لك.

خامساً: إذا كانت الحكمة من خلافة الإنسان وخلقه هي أن تكون العبادة والتسبيح والتقديس من قبله خالصة لك، فهذا ما لا يأتي به الإنسان إلّا وهو مخلوط لك ولغيرك، سواء ظهر منه ذلك الشرك أو خفي ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾(يوسف:١٠٦)، بينما نحن في عبادتنا وتسبيحنا وتقديسنا وكلّ حركتنا لا تكون إلّا لك خالصة.

سادساً: نحن مداومون في تسبيحك وتقديسك ومستمرّون بحمدك وشكرك، ونحن باقون على حالتنا في استسلامنا لك سواء عرفنا الحكمة أم لم نعرفها لعلمنا ويقيننا أنّك أنت العليم الحكيم.

سابعاً: لا يتّهمنا أحد بإظهار بعض الحالات السلبية للإنسان من فساده في الأرض وسفكه للدماء بسؤالنا، لأنّ حالنا هو التسبيح والتقديس له سبحانه، ولأنّنا معصومون لا تدخل إلينا أيّ حالة سلبية ممّا يدخل لغير المعصوم، فنحن نريد بيان الحقيقة إلينا فقط، فإذا كان هدف الخلق في الحياة هو معرفة الله وتقواه والتقرّب إليه فها نحن ننجز هذه المهمّة كأفضل مصداق من كلّ مخلوق بفطرتنا الملائكية، فنحن نريد أن نعرف الداعي لاختيار غيرنا في الخلافة.

ثامناً: ولكن نقول بإمكاننا أن نوجّه التهمة إلى الملائكة من باب الابتداء بالأنسب، حيث الأنسب للملائكة أن يظهروا كلمة الطاعة والتسليم قبل أنْ يسلّطوا

الضوء على حالة السلب التي يحملها الإنسان، ولكن هذا الاتهام يضمحل عندما نرى الموقف لم يكن في محل نقل انتقاد نفس الإنسان وإنّما هو تقييم الاستحقاق لخلافته، أو قد يكون الملائكة قد كان لها حديث طويل ولكنّ الله أخذ منه جانب الإشكال فقط وما كانت تجهله الملائكة؛ لأنّه الجانب الأهم الذي من خلاله سوف يدخل الله الجانب العملي لإقناع الملائكة ويطّلع الإنسان من خلاله على قابليّاته ومعرفة مسؤولياته وأهميّة وجوده على الأرض.

تاسعاً: قد يكون أنّهم أبرزوا بهذه العبارة أفضل أفراد عبادتهم التي هي التسبيح والتقديس التي يتقدّمون بها إلى الله ولا يعلمون أنّ هناك مخلوقاً يقدّم مثلها أو أحسن منها، ولهذا برزوا بأفضل ما يميّزهم عن الخلق عبادةً.

س: ما هي المحتملات في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾؟

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامى

ج:

(١) أنّه إظهار لحقيقة علمه سبحانه الذي يحيط علمه بكلّ شيء ولا يحيط أحدٌ علماً به.

(٢) أنّه جواب يستبطن الإقرار بصحة وصدق ما أثارته وادّعته ملائكته المتعلّق بهم إيجاباً وبالإنسان سلباً، لعدم وجود نفي من قبله سبحانه لما ادّعته الملائكة في هذا الجواب، وكأن الله سكت أو ابتعد عن موضوع السؤال، فتكون النتيجة على هذا الاحتمال أنّهم علموا بشيء ولكن جهلوا أشياء لا يعلمها إلّا الله.

(٣) أنّي أعلم بإخلاصكم وأعلم بأنكم سوف تسألون عندما أعرض القضية عليكم وأعلم أنكم لا تعلمون الحكمة من ذلك، ولهذا عرضت القضية عليكم من أجل

أن تسألوا حتى أُجيبكم بالطريقة التي سوف تدخل القناعة عندكم.

(٤) أنّي أعلم بفضل آدم بما أودعت فيه من القابليات التي تنتج الوجوه الكثيرة من الخير والصلاح في الأرض وأنتم لا تعلمون بذلك حيث أخذتم الجانب الواحد من النظرة إلى هذا الكائن الجديد، ولا تعلمون ما سيخرّج هذا الكائن الجديد من الأنبياء والأئمة والصدّيقين والشهداء والصالحين الذين يملؤون الدنيا قسطاً وعدلاً، لا تعلمون أنّ الحياة لا تبنى من خلال التسبيح والتقديس فحسب بل تحتاج إلى جوانب أُخرى أنتم لا تمتلكونها.

(٥) أنّي أعلم ما هو المهم والأهم عندي وأنتم لا تعلمون بذلك، فقد تكون المفسدة الحاصلة من الإنسان شيئاً مهماً ولكن ما يحصل منه من المصالح والخير وإن كان قليلاً إلّا أنّه هو الأهم عندي، وقد تكون المعصية مهمّة ولكن حصول التوبة والندم هو الأهم عندي... وهكذا.

(٦) أنّي أعلم أنّكم تسبّحون وتقدّسون ولكنّكم لا تعلمون أُموراً منها:

الأوّل: أنّ التسبيح والتقديس عمل عبادي ولكنّه لم يكن مختصاً بكم ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ (الإسراء: ٤٤).

الثاني: أنّ التسبيح والتقديس هو عمل عبادي يصدر من أيّ مخلوق، ولكن لا تعلمون أنّ هذا العمل العبادي إذا صدر من الإنسان هو أكثر قيمة عندي؛ لأنّه خارج من بين صراع ومعاناة، وخرج من بين أقوى القوى المضادّة والمعارضة لأيّ عمل عبادي.

الثالث: أنّ الإنسان لو استخدم قواه وقابلياته المودعة فيه في الاستقامة سوف يمتدّ أثره الإيجابي عليكم أيّها الملائكة وسيكون معلّماً لكم أيضاً وهذا ما تجهلونه

ولا تعلمون به، وسوف تشاهدون نموذجاً من تلك القابليات وعندها ستكتشفون استحقاق الخلافة لأن تكون للإنسان.

الرابع: أنَّ الإنسان صاحب إرادة واختيار، وهذا ما يفقده الخلق، وهذا ما يشابهني فيه الإنسان، وبه استحقّ الخلافة عنّي.

● الملائكة

س: هل وجود الملائكة رمزي أم هي ذات وجود حقيقي؟

ج:

الملائكة وجود حقيقي ومخلوق خارجي مستقل متميّز عن غيره من المخلوقات ولهم عالمهم الخاص بهم، نبرهن ذلك من خلال النقل لا العقل الذي لا شأن له بذلك ولا يمكنه التوصل والكشف عن هذا المخلوق، والنقل يتمثّل بالقرآن والسنّة اللذين ينقلان كلَّ التفصيلات التي تتعلق بهذا الخلق من حيث ماهيتهم وأعمالهم وخطاباتهم وأخلاقهم وسيرتهم وغيرها من الأُمور التي سنتعرّض لذكرها والتي فيها الدلالة الواضحة على حقيقة خلقهم ووجودهم، لا كما يقول بعض الذين اعتمدوا على الوهم والخيال والتفلسف حين قالوا بأنَّ الملائكة هي العقول المفارقة، أو هي النفوس الطاهرة للبشر عند انفصالها عن البدن بالموت، أو أنّها النفوس الفلكية، أو أنّها الوجود الكامل الذي كان سبباً لوجود العالَم الطبيعي، أو أنّها تطلّعات البشر للوجود الأكمل الذي سمّوها الملائكة ...وغيرها من الأقوال المخالفة لكتاب الله والتي لم تستند إلّا على الوهم والتخيل.

س: ما هي المحتملات من الحكمة في خلق الملائكة من قبل الله سبحانه وتعالى؟

ج:

(١) أن يكون لعدم قابلية الكون وما فيه من مباشرة الله في تدبير أمر الكون لعدم قابلية الكون وما فيه لذلك، فلابدَّ من وسيط يحمل التلقّي من الله بوجه من الوجوه ليتمَّ إيصاله إلى التنفيذ حسب وجهته المختلفة. قال تعالى: ﴿ ... قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾ (الأعراف: ١٤٣).

(٢) أن يكون لبيان قدرته تعالى المطلقة في خلق أي شيء بحيث يملأ ذهنية الإنسان بالصور المختلفة لقدرته تعالى في جميع أنواع الخلق المختلف التي يمكن أن تدخل إلى تصوّر الإنسان.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

(٣) أن يعرف الإنسان أنَّ القانون الطبيعي ـ أي قانون ـ لا يعمل بصورة مستقلّة من دون حاجته لله، فخلق الملائكة مدبّرين للأمر ليعرف الإنسان أنَّ هناك فوق القانون مَن يدبّر أمر ذلك ليركّز عامل الغيب في صدور الناس، فهم الوسائط بينه تعالى وبين الأشياء.

(٤) أن يكون الإنسان بنفسه مهما أوتي من قوّة وعلم عاجزاً عن تدبير الكون بما فيه وعليه من الكلّيات والجزئيات، فخلق الله الملائكة بما زوّدهم من القابلية والقدرة على تدبير الكون والحياة من خلالهم، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: « ثمَّ خلق سبحانه لإسكان سماواته، وعمارة الصفيح الأعلى من ملكوته، خلقاً بديعاً من ملائكته، وملأ بهم فروج فجاجها، وحشا

بهم فتوق أجوائها »[١].

(٥) أن يعرف الإنسان منزلته الكبيرة ومقامه العظيم عند الله حينما جعل هذا الخلق العظيم لخدمة الإنسان حتّى يتحرّك بمستوى هذا العطاء وهذه المنزلة. ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «ما خلق الله عزّ وجلّ خلقاً أكرم على الله عزّ وجلّ من المؤمن؛ لأنّ الملائكة خدّام المؤمنين »[٢].

س: هل القرآن تعرّض لخلق الملائكة؟

ج:

لم يتعرّض القرآن لخلق الملائكة، ولكن السنّة قد تعرّضت لشيء منه.

س: كيف تعرّفون الملائكة؟

ج:

الملائكة: هي وجود جوهري روحاني نورانيّ مجرّد عن المادّة متصرّفة بها بنوع من الحكومة، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾(مريم:١٧)، ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «خلق الملائكة من نور، وخلق الجانّ من مارج من نار، وخلق آدم ممّا وصف لكم»[٣].

س: هل للملائكة وجود في أذهان النّاس قبل الإسلام؟ اذكر المحتملات من الجواب.

ج:

---

(١) نهج البلاغة: ١٢٨.

(٢) الكافي ٢: ٣٣/٢.

(٣) كنز العمال ٦: ١٣٦/١٥١٥٦.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

أنَّ للملائكة وجوداً في أذهان الناس قبل الإسلام، وذلك للوجوه التالية:

(١) أحدى التحدّيات ضدَّ الرسولﷺ التي كانت تصدر من عرب الجاهلية كان موضوعها الملائكة، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً﴾ (الفرقان:٧)، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ﴾ (الفرقان:٢١).

(٢) أنَّ بعض المجتمعات قبل الإسلام كانوا يتّخذون الملائكة أرباباً ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً﴾ (آل عمران:٨٠).

(٣) كان بعض الناس يعتقدون قبل الإسلام أنَّ الملائكة إناث لاستتارها عن العيون ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثاً﴾ (الزخرف:١٩).

س: هل الملائكة تملك كما يملك الإنسان من الشهوات والغرائز؟

مركز تحقيقات كامپیوتری علوم اسلامی

ج:

الملائكة عقل ولا يحملون الشهوة والغرائز وغيرها من القوى المضادّة، ورد عن عبدالله بن سنان أنّه قال: سألت أبا عبدالله جعفر بن محمّد الصّادقؑ فقلت: الملائكة أفضل أم بنو آدم؟ فقال: «قال أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالبؑ : إنَّ الله عزَّ وجلّ ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوة بلا عقل، وركّب في بني آدم كلتيهما، فمَن غلب عقله شهوته، فهو خير من الملائكة، ومَن غلب شهوته عقله فهو شرّ من البهائم»[١].

س: هل قانون التدريج والتغيير في التكوين الذي يجري على الإنسان من

(١) علل الشرائع ١:٤/١.

الطفولة والشباب والكهولة يجري على الملائكة؟

ج:

الملائكة لا تعتريهم التغيرات من الطفولة والشباب والكبر؛ لأنَّ خلقهم بالمباشرة بأمر الله فلا يخضع خلقهم للتدرّج والمرحلية والمتغيّرات.

س: هل يمتلكون الاختيار تُجاه الأمر الإلهي؟

ج:

ليست لهم نفسيّة مستقلّة ذات إرادة مستقلّة تريد شيئاً غير ما أراده الله سبحانه فهم مجبولون على الطاعة من دون أي زيادة أو نقصان في التطبيق، قال تعالى: ﴿لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم:٦).

س: ما هي أهم الأعمال التي تقوم بها الملائكة؟

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

ج:

(١) القيام بتدبير أمر الكون الطبيعي بصورة عامّة لكلّ وحداته الكبيرة والصغيرة، قال تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً﴾ (النازعات:٥)، ﴿جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً﴾ (فاطر:١).

(٢) مراقبة حركة الإنسان لحفظه وتأييده ولتخليصه في كثير من الأحيان من المهالك والمفاسد بأمر الله ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾ (الأنعام:٦١)، ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (آل عمران:١٢٥)، ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (الأنفال:١٢)، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ

أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ (فصلت: ٣٠ـ٣١).

(٣) وصول التبليغ الإلهي إلى الأنبياء والرسل، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ﴾ (الأنبياء: ٢٥)، ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ (النحل: ١٠٢)، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: « ...ومنهم أُمناء على وحيه، وألسنةٌ إلى رسله..»[1].

(٤) تدبير أمر وحدات الآخرة من الجنّة والنّار وما يسبق الدخول إليهما من استقبال الحشر ووقوفهم ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (ق: ٢١)، ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ (الزمر: ٧٥).

(٥) أحصاء أعمال الناس وتدوينها ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۞ كِرَاماً كَاتِبِينَ ۞ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (الانفطار: ١٠ـ١٢).

س: هل الملائكة كالبشر في أنَّه ليس لهم دخل أو قابلية في تغيير هيئة أبدانهم الخارجية؟

ج:

هنا يوجد احتمالان:

الأول: للملائكة القابلية على تغيير هيئتهم، كما تمثّل الروح لمريم، وكما هم ضيوف إبراهيم عليه السلام المنكرون، وكما هم الذين تسوّروا المحراب للنبي داود، وكما هو أغلب نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وآله.

الثاني: ليس للملائكة القابلية على تغيير هيئتهم، بل لهم نوع تسلط على العالَم

---

(١) نهج البلاغة ١: ١٩/١.

المادّي بحيث يستعينون بشيء من المادة وقوانينها الطبيعية والّتي تؤثّر على الصورة الذهنية للإنسان فلا يراهم الإنسان، أو يراهم الإنسان على صورة بشر أو غيره عند الضرورة، كرؤية الشبح للإنسان من بعيد فيعتقد أنّه حيوان ما مثلاً وحقيقته الخارجية شيء آخر لم يمسّها التغيير، فالذي تغيّر هو الصورة في الذهن لا الملائكة.

س: هل يمكن أن نتصوّر فيهم الخطأ والغفلة والنسيان والخيانة والمعصية؟

ج:

الملائكة معصومون من كلّ خطأ أو غفلة أو نسيان ومن كلّ زلل، قال تعالى: ﴿لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ (الأنبياء:٢٧)، ﴿لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم:٦)، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (النحل:٥٠)، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «...وإنّهم على مكانهم منك، ومنزلتهم عندك، واستجماع أهوائهم فيك، وكثرة طاعتهم لك، وقلّة غفلتهم عن أمرك ...»[١]، وعنه أيضاً: «...قد وكّل بكم حفظة كراماً، لا يُسقطون حقاً، ولا يثبتون باطلاً»[٢].

س: هل يتّصف عملهم بالمركزية والنظام والتنظيم أم يرتبط كلّ واحد بالله بنوع من الارتباط وليس له شأن بغيره؟

ج:

---

(١) نهج البلاغة ١: ١٠٩/٢١٠.

(٢) نهج البلاغة ٢: ٣١٨/١١٢.

يمتلكون النظام الكامل في تشكيلاتهم وتحديد مهامهم ومنزلتهم وعدد اللجان ونوعيتها وأنّ بينهم آمر ومأمور، وهذا ما نستنتجه من الآيات، منها:

(١) أنّ لكلّ مَلَك مقام، وهو معلوم عنده بحيث لا يتعدّاه وهو محدّد بالنسبة للأعلى منه وللأسفل منه، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ (الصافات:١٦٤).

(٢) عدم التداخل بين الملائكة من جهة أعمالها، بل هناك اختصاص وتوزيع معيّن للعمل، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ (السجدة:١١) ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ * وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً﴾ (المدثر:٣١) ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ (الحاقة:١٧).

(٣) وضعيّة الصفوف في موقفهم وعند انتظار أي أمر يراد أن يوجّه إليهم ينمّ عن ثقافتهم التنظيمية والنظامية العالية ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفّاً﴾ (الصافات:١)، ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ (الصافات:١٦٥).

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

س: هل الملائكة على شكل واحد وحجم واحد وصورة واحدة؟

ج:

الملائكة يمتلكون الأسماء المختلفة والأحجام المختلفة والصور المختلفة، قال تعالى: ﴿وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ (البقرة:٩٨)، ﴿جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ﴾ (فاطر:١)، وورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنّه قال: «خلق الله الملائكة من نور، وإنّ منهم لملائكة أصغر من الذّباب»[١]، وورد عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «...وأنشأهم على

---

(١) كنز العمال ٦: ١٤٢/١٥١٧٥.

صور مختلفات وأقدار متفاوتات»[١].

س: هل تنقسم الملائكة إلى الذكر والأُنثى كما عليه الإنسان؟

ج:

لم ينقسموا إلى الذكر والأُنثى، قال تعالى: ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثاً وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ (الصافات: ١٥٠).

س: هل يخضع خلق الملائكة بأن يتّصف بالجميل والقبيح؟

ج:

خلق الملائكة بالنسبة إلى الإنسان لطيف جميل بحيث أصبحت الملائكة رمزاً للجمال، قال تعالى: ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (يوسف: ٣١).

س: ما هي المهمّة التي تشترك فيها جميع الملائكة؟

ج:

أنّ الملائكة رسل الله والواسطة بين الله وغيره، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً﴾ (الحج: ٧٥)، ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً * عُذْراً أَوْ نُذْراً﴾ (المرسلات: ٥٦).

س: ما هو الموقف الشرعي للمكلّف تُجاه الإيمان بالملائكة؟

ج:

الإنسان مأمور بالإيمان بهم، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ﴾ (البقرة: ١٧٧)، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ (البقرة: ٢٨٥)، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ

---

(١) نهج البلاغة ١: ٩١/١٦٨.

﴿وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً﴾ (النساء:١٣٦).

س: ما هو موقف الملائكة بالنسبة للمؤمنين بالله والعاصين له؟

ج:

يستغفرون للمؤمنين ويلعنون العاصين الذين يستحقّون اللعن، قال تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ﴾ (الشورى:٥)، قال تعالى: ﴿أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ﴾ (البقرة:١٦١).

س: لقد ذكر القرآن ثلاث أنواع من صلوات للملائكة، اذكرها مع شيء من التوضيح.

ج:

الأولى: صلاة الملائكة لله، حيث الملائكة لا تختلف عن كلّ الخلق في أنّهم عباد الله وأنّ كلّ مَن في السماوات والأرض يعبدون الله ويسبّحونه ويصلّون إليه ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (النور:٤١)، والملائكة لا تفترق عن هذا الخلق فلهم صلاتهم لله، أما كيفية الصلاة من حيث فعلها وأدائها فلا يعلمه إلّا الله.

الثانية: صلاة الملائكة على الرسول محمدﷺ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ (الأحزاب:٥٦)، وهو بمعنى طلب الملائكة من الله والدعاء له بنزول الرحمة عليه، وبالثناء والتعظيم له، وتعلية مقامه وتشريفه بمزيد كرامته.

الثالثة: صلاة الملائكة على المؤمنين ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ (الأحزاب:٤٣)، وهي تذكرة من الله للإنسان باستغفار ملائكته له وطلب الرحمة منه له، ويذكّره ببعض من نعمه

عليه، ليشعر الله الإنسان بالاهتمام به وكشف حبّه عزّ وجلّ له، وليزيد رابطة الإنسان به، ويهتم بما يصلح علاقته بالله، ويزداد خشوعاً وخضوعاً ومحبّةً له سبحانه.

س: هل تنقسم الملائكة إلى عالِمٍ وجاهل كما ينقسم الإنسان إلى ذلك؟

ج:

الملائكة كلّهم علماء بحسب دائرته الموكّل عليها وحسب مقامه الذي هو فيه، قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ﴾ (آل عمران:١٨)، هذا بالإضافة إلى كونهم مدبّرين للأمر الذي يقتضي منهم العِلم الكامل به فلا يزيدون على ذلك ولا ينقصون فلا يخضعون لعمليّة التدرّج العلمي كما يحصل للإنسان.

س: هل تواجه الملائكة بعض الموانع بحيث تفشل في بعض المهمّات الموكلة إليها؟ اذكر المحتمل في ذلك.

ج:

(١) مطلق المانع

لا يمكن ذلك؛ لأنّهم مطّلعون على الموانع والتغيّرات ومحيطون بكلّ شيء له دخل في مهمّاتهم التي توكل إليهم من قبل الله، مع أنّ مهمّاتهم تمثّل إرادة الله والله لا يعجزه شيء ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾ (فاطر:٤٤).

(٢) خصوص المانع الطبيعي

هو الآخر لا يمكن، لأنّنا قلنا: إنّ الملائكة لها حكومة على القانون الطبيعي ومتصرّفة فيه حسب القابليّة التي أعطاها الله لها بحدود مهمّته فلا يكون مانعاً البتّة.

س: هل تكاثر الملائكة كتكاثر البشر عن طريق الجنس؟

ج:

الملائكة يتكاثرون بالمباشرة وبمجرّد الأمر من الله بعددٍ أكثر من كلّ مخلوق، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «والذي نفسي بيده لعدد ملائكة الله في السماوات أكثر من عدد التراب في الأرض، وما في السماء موضع قدم إلّا وفيها ملك يسبّحه ويقدّسه، ولا في الأرض شجر ولا مدر إلّا وفيها ملك موكّل بها»(١).

وورد في أكثر من حديث ـ كما نقلت في طيّات البحث ـ أنّ الملائكة (لا يتناكحون) بمعنى أنّ طريقة تكاثرهم لا تكون عن طريق التناكح وإنّما عن طريق أمر الله المباشر.

س: قال تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَايَشَاءُ﴾، ما هو المراد من الأجنحة في هذه الآية؟

ج:

يوجد احتمالان:

(١) أن يراد بها الحقيقة، أنّ لهم أجنحة للطيران وأنّ عددها يختلف كلّ حسب ضخامة حجمه ونوع الحاجة الموجه إليها.

(٢) أن يكون استعمال الأجنحة كناية عن تعدّد القوّة للمَلَك الواحد الذي تنتج عنه السرعة، وهي متفاوتة الوجود بين الملائكة، فالذي يملك اثنين غير الذي يملك ثلاث وغير الذي يملك أربعة ...وهكذا أشبه بطائرات اليوم التي بعضها تمتلك محرّكاً واحداً وبعضها محرّكين وبعضها ثلاث ...

---

(١) تفسير القمي ٢:٢٥٥.

س: هل يتعبون فيحتاجون إلى الاستراحة وللجوء إلى النوم؟

ج:

الملائكة لا يتعبون حتّى يحتاجون إلى النوم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾ (الأنبياء:١٩-٢٠)، ورد عن الإمام أميرالمؤمنينعليه السلام أنّه قال: «ولا يغشاهم نوم العيون»[١]، وقد ينامون لا كنومنا لعلّة يكشفها الحديث الذي ورد عن الإمام الصادقعليه السلام عندما سئل عن الملائكة: يأكلون ويشربون وينكحون؟ فقالعليه السلام: «لا، إنّهم يعيشون بنسيم العرش»، فقيل له، ما العلّة في نومهم؟ فقالعليه السلام: «فرقاً بينهم وبين الله عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ الذي لا تأخذه سنة ولا نوم هو الله»[٢].

س: هل يشملهم الموت وأسبابه كما هم عليه بني البشر؟

ج:

ورد عن الإمام أميرالمؤمنينعليه السلام أنّه قال: «ولم يتشعّبهم ريب المنون»[٣]، نعم يموتون عندما لا يبقى إلّا وجهه سبحانه وتعالى.

س: هل تحتاج الملائكة إلى تعويض طاقتها التي تصرفها في العمل من الأكل والشرب؟

ج:

ورد عن الإمام الصادقعليه السلام أنّه قال: «إنّ الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا

---

(١) نهج البلاغة ١: ١/١٨.

(٢) البحار ٥٦:١٩٣/٥٤.

(٣) نهج البلاغة ١: ١٠٩/٢١١.

ينكحون، وإنما يعيشون بنسيم العرش »[1].

س: من حيث الارتباط العاطفي مع الملائكة من قبل الإنسان، هل يجوز للإنسان أن يكره أو يعادي أو يحب بعض الملائكة دون الأخرى منها؟

ج:

لا يجوز عداوة أحد منهم، وحبهم والايمان بهم جميعاً من الواجبات الشرعية، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة:٩٨).

س: ما هو نوع العِلم الذي يحصل عليه الملائكة؟

ج:

عِلم الملائكة من نوع الهداية التكوينية غير القابلة للتغير والاستحالة والتحوّل من طور إلى طور آخر، وليس لها كمال مُنتظر، وليس لهم حدس أو كسب في عِلم، وكلّ ذلك يرجع إلى منشئهم المباشر من الله على ما هم عليه، وإنَّ طريقهم العِلمي منحصر بالله فلا تغيير بعده ولا تحليل لهم في عِلم.

س: ما هي طرق حصول الملائكة على العلم من الله؟ اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

(١) الطريق الإلهامي.

(٢) طريق الإلقاء، بأن يلقي الله في قلوبهم ما يريد منهم فعله.

---

(١) تفسير القمي ٢: ٢٠٦.

(٣) طريق التلقي، بأن يتلقّى الملك العِلم من مَلَك فوقه.

س: لماذا لا يمكن رؤية الملائكة من قبل عامّة النّاس؟

ج:

عدم الرؤية قد يرجع إلى أحد احتمالين:

(١) تكوين الملائكة الروحاني الهوائي الشفاف، فلا يقع تحت الحسّ فلا يمكن مشاهدته من قبل الإنسان.

(٢) ضعف التكوين البصري ومحدوديته للإنسان بحيث لا يمكنه رؤية الملائكة.

(٣) اختلال نظام الحياة عند الإنسان لو تمكّن كلّ أحد من رؤية الملائكة، فجعل الله الكون والحياة خالية للإنسان ومنعه من أن يشعر بوجود مزاحم له يشغله عن عمارة الأرض والحياة.

(٤) لو جعل الله الإنسان أن يرى الملائكة لاستحقر الإنسان نفسه أمامها لما يرى من كمال تكوينها وعظمة خلقها وتدبيرها للأُمور، وبالتالي تؤثّر هذه الرؤية على عقيدة الإنسان بالاتّجاه السلبي، فإنَّ بعض النّاس قد اتّخذوا بعضاً من جنسهم أرباباً من دون الله، فكيف إذا رأوا الملائكة؟!.

س: هل الرسول محمّدﷺ كان قد رأى جبرئيل وغيره من الملائكة على حقيقتهم؟

ج:

الرسولﷺ قد رأى الملائكة كغيره من أنبياء الله ورسله وأوليائه، وأمّا الرؤية الحقيقية بالخصوص على ما هم عليه فنعرف ذلك من خلال:

(١) القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۞ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ

مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ (التكوير:١٩ـ٢٣)، ورد عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ أنّه قال: إنّما عني جبرئيل، وإنّ محمّداً ﷺ رآه في صورته عند سدرة المنتهى[(١)].

(٢) السنّة، فكان الرسول ﷺ يسمع الوحي ويتكلّم معه ويراه بعينه وبواسطته حصل للرسول ﷺ الإسراء والمعراج إلى السماء، ورد عن أمير المؤمنين ﷺ وهو يصف منزلته من رسول الله ﷺ أنّه قال: « ...أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النّبوة، ولقد سمعت رنّة الشيطان حين نزل الوحي عليه، فقلت: يا رسول الله ﷺ ما هذه الرنّة؟ فقال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته، إنّك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى إلّا أنّك لست بنبي وأنّك لوزير، وأنّك على خير »[(٢)].

نعم، إنّ رؤية الرسول لجبرئيل على حقيقته لم تكن بصورة دائمة وإنّما هي تحصل في بعض الأحيان القليلة والضرورية جدّاً، وذلك لضخامة الحجم الكبير جدّاً لخلق جبرئيل بحيث إنّ جانباً من جوانبه يسدّ به جهة كاملة من العالم وفي ذلك روايات كثيرة، ولهذا عند نزوله على رسول الله لا يكون بهيئته الحقيقية وإنّما على هيئات مختلفة.

س: اذكر بعض ما ورد في الأحاديث التي تذكر صفات الملائكة.

ج:

هناك الكثير من صفاتهم نستعين بذكر بعض منها بما ورد عن الإمام علي بن

---

(١) البحار ٥٦:٢٦٣/٤٩.

(٢) نهج البلاغة: ٣٠٠.

الحسين ﷺ أنّه قال في دعائه :

« اللّهم وحملة عرشك الذيـن لا يفترون من تسبيحك، ولا يسأمـون مـن تقديسك، ولا يستحسرون عن عبادتك، ولا يؤثرون التّقصير على الجدّ في أمرك، ولا يغفلون عن الوله إليك، وإسرافيل صاحب الصور الشاخص الذي ينتظر منك الإذن وحلول الأمر فينبّه بالنفخة صرعى رهائن القبور، وميكائيل ذو الجاه عندكوالمكان الرّفيع من طاعتك، وجبريل الأمين على وحيك، المطاع في أهل سماواتك المسكين لديك المقرّب عندك، والروح الذي هو على ملائكة الحجب والرّوح الذي هو من أمرك.

اللّهم فصلّ عليهم وعلى الملائكة الذين من دونهم من سكان سماواتك وأهل الأمانة على رسالات، والذين لا تدخلهم سأمة من دؤوب، ولا إعياء من لغوب ولا فتور، ولا تشغلهم عن تسبيحك الشهوات، ولا يقطعهم عن تعظيمك سهو الغفلات، الخشّع الأبصار فلا يرومون النظر إليك، النّواكس الأذقان الذين قد طالت رغبتهم فيما لديك، المستهترون بذكر آلائك والمتواضعون دون عظمتك وجلال كبريائك، والذين يقولون إذا نظروا إلى جهنّم تزفر على أهل معصيتك: ﴿سبحانك ما عبدناك حقّ عبادتك﴾، فصلّ عليهم وعلى الروحانيين من ملائكتك وأهل الزلفة عندك وحمّال الغيب إلى رسلك، والمؤتمنين على وحيك وقبائل الملائكة الذين اختصصتهم لنفسك، وأغنيتهم عن الطعام والشراب بتقديسك، وأسكنتهم بطون أطباق سماواتك، والذين هم على أرجائها إذا نزل الأمر بتمام وعدك، وخزّان المطر وزواجر السّحاب، والّذي بصوت زجره يسمع زجل الرعود، وإذا سبّحت به خفيفة السحاب التمعت صواعق البروق، ومشيّعي الثلج والبَرَد، والهابطين مع قطر

المطر إذا نزل، والقوّام على خزائن الرّياح، والموكلين بالجبال فلا تزول، والذين عرّفتهم مثاقيل المياه وكيل ما تحويه لواعج الأمطار وعـوالجـها، ورسـلك مـن الملائكة إلى أهل الأرض بمكروه ما ينزل من البلاء ومحبوب الرّخاء، والسّـفرة الكرام البررة، والحفظة الكرام الكاتبين، وملك الموت وأعوانه، ومـنكر ونكـير، ومبشّر وبشير، ورؤمان فتّان القبور، والطّائفين بالبيت المعمور، ومالك والخزنة، ورضوان، وسدنة الجنان، والذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يـؤمرون، والذين يقولون: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدّار، والزبانية الذين إذا قيل لهم: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ ابتدروا سراعاً ولم ينظروه، ومَن أهـمنا ذكره ولم نعلم مكانه وبأيّ أمر وكّلته، وسكّان الهواء والأرض والماء، ومَن منهم على الخلق. فصلّ عليهم يوم تأتي كلّ نفس معها سائق وشهيد، وصلّ عليهم صلاة تزيدهم كرامة على كرامتهم وطهارة على طهارتهم...»[1].

(١) الصحيفة السجادية: ٣٣.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۞ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (البقرة: ٣١ـ٣٣)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات هذه الآيات؟

ج:

(١) آدم: أ ـ إمّا مشتقّ من الأدمة أي السمرة، أو من الأديم أي ظاهر الأرض

ب ـ وقد يكون اسماً أعجمياً ممنوعاً من الصرف.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

(٢) العرض: الإظهار على الغير لغرض.

(٣) الأنباء: الأخبار.

(٤) هؤلاء: اسم إشارة لجمع العقلاء.

(٥) سبحان: التنزيه عن جميع ما لا يليق به.

س: ما هي المحتملات في تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾؟

ج:

أوّلاً: أنّه العِلم المباشر من الله ومن دون واسطة سواء كان بشكل دفعي عن طريق الإلهام أو تدريجي عن طريق الإشراف.

ثانياً: أنّه العِلم المباشر من الله ومن دون واسطة الذي يتمثّل بالقابلية والاستعداد التي أودعها الله في الإنسان من دون زيادة خاصّة لهذا النوع من التعليم.

ثالثاً: أنّه العِلم، وهو الطريق الرئيسي الوحيد الذي خطّه الله لمن أراد الوصول إليه والوصول إلى معرفة كلّ شيء في الكون والحياة.

رابعاً: إنّها الأسماء ذوات المسمّيات وحقائق الأشياء وجواهرها وأعراضها وخواصها وصفاتها ومادتها ومجرّداتها وغير ذلك ممّا يحيط بالمسمّيات.

خامساً: الأسماء هي كلّ الأسماء فيقع تحتها مصاديق كلّ المخلوقات، منها أسماء الجبال والأرض والماء والتراب وما شئت أن تضع من الأسماء، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في جواب عمّا علّمه الله لآدم أنّه قال: «الأرضين والجبال والشعاب والأودية ـ ثمّ نظر إلى بساط تحته فقال ـ: وهذا ممّا علّمه»(١).

سادساً: الأسماء كلّها أي العوالم كلّها من عالَم العقول والمثال الذي فيه صور الأشياء وأسباب حوادث عالَم المادّة وعالَم الآخرة، حيث أنشأ الله الإنسان في ثلاث مناشئ: الدنيوية، والمثالية، والأُخروية، وعرّفه الحقائق المتعلّقة بها كليّاتها وجزئيّاتها وخواصّها وأسماؤها بحيث أصبح التطابق بين منشأ الإنسان وجميع العوالم ممّا يجعل الإنسان يعلم بما لا يعلمه الخلق.

س: ما هي المحتملات في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾؟

ج:

أوّلاً: عرض وإظهار وإبراز أمام الملائكة من قبل الإنسان ليثبت الله عملياً للملائكة أنّ إدارة الكون تحتاج إلى طرف آخر غير التسبيح والتقديس، هذا الطرف الذي تفقده الملائكة وهو في نفس الوقت لا ينفصل عن التسبيح والتقديس لو

---

(١) تفسير العياشي ١: ٣٢/١١.

استعمله الإنسان تُجاه الله.

ثانيا: إنّ الله علّم آدم كلّ الأسماء ولكن عند عرضه وأظهره للملائكة، حيث عرض النموذج العقلائي الذي يفي بالغرض لا كلّ الأسماء، فإنّه عرض المعصومين وعلى رأسهم النبي محمّد ﷺ، فهم النموذج الأعلى للإنسانية جميعاً فرأوا ما فيهم من درجة العصمة التي فاقت الدرجة التي هم عليها بنحو من العرض والإظهار ممّا جعلهم يستسلمون له عن قناعة تامّة، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ الله عزّوجلّ علّم آدم أسماء حجج الله كلّها ثمّ عرضهم وهم أرواح على الملائكة...»(١).

فمطلق الإنسان لا يعلم بجزء ممّا تعلمه الملائكة ولا يعلم بكلّ الأسماء فكيف نريد منه أن يكون معلّماً للملائكة؟! نعم، هناك نموذج الإنسان وسادة الناس الذين يعلمون كلّ الأسماء بالفعل، وهذا النموذج لا يعلم به الإنسان إلا بتعيين من الله وإرشاد النّاس إليهم، فعلّم الله آدم بأسمائهم ومسمياتهم ثمّ عرضهم على الملائكة فكان أمثال محمّد ﷺ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين وبقيّة الحجج عليهم السّلام أجمعين بأسمائهم منقوشة على العرش أو بأرواحهم، فعند ذلك أذعنت الملائكة.

ثالثا: أنّ عرض كلّ الأسماء على الملائكة يكشف لا عن وجود القابلية العلمية التي تمتلكها الملائكة فحسب، بل عن نوعيتها العالية الموجودة في الملائكة، لأنّهم عرفوا وخضعوا عند أوّل العرض من قبل آدم.

س: القابلية العلمية للملائكة التي تتكلّم عنها هل تمتلكها جميع الملائكة؟ اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

---

(١) كمال الدين: ١٤.

(١) أنَّ بعض الملائكة يمتلكون هذه القابلية، للتفاوت العلمي بينهم للمقام المعلوم لكلّ فرد منهم، وقد مرَّ توضيح ذلك.

(٢) أنّهم يشتركون جميعاً في القابلية العلمية بخصوص فهم ما عرضه آدم لا مطلق الاشتراك.

(٣) أنّهم مشتركون جميعاً بالقابلية العلمية مختلفون في المقامات فقط.

س: ما هو نوع العرض الذي قدّمه آدم أمام الملائكة؟ اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

(١) التلفّظ، بأن أخبرهم وجعل ينطق أمامهم بأسماء المسميات مع الإشارة إليها.

(٢) الكشف، بأن كشف الله عن أبصار الملائكة وجعل آدم يعرض على الملائكة النموذج الذي يريد أن يعرّفه إليهم من نوعية الإنسان وحركته في الحياة والدرجة العالية لما يحمله من درجة الكمال.

(٣) العمل، بأن استعان آدم بأشياء وصنع منها شيئاً جديداً ووضع له اسماً، وهذا النوع من العمل، أي كشف المسمّى وتسميته ـ تفقد الملائكة القابلية عليه، فإنّه قد يكون إيجاد الارتباط بين الاسم والمسمى هو قانون يختصّ به الذهن البشري لا غير.

س: ما هي المحتملات في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾؟

ج:

أوّلاً: أنَّ هذه الكلمة قد تشعر بأن الملائكة قد ادّعت شيئاً كالأزمة العِلم بالأسماء.

ثانيا: أنَّ الصدق هنا هو بمعنى العلم، أي إن كنتم عالِمين، لأنَّ الصدق والعِلم يشتركان في المطابقة للواقع.

ثالثا: إنْ كنتم صادقين كما هي طريقتكم وسجيتكم في الحديث.

س: ما هي المحتملات في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾؟

ج:

أولا: قد يكون هذا الردّ قبل العرض الفعلي ومشاهدتهم للأسماء من قبل آدم كسجيّة أخلاقية منهم لاحتمال أنّهم لا يجيبون، كما هي سجية البعض عندما يقال له: سنوجّه الأسئلة إليك فيقول: إن مكّنني الله من الإجابة.

ثانيا: أن يكون هذا الردّ بعد العرض والمشاهدة وبعد عجزهم عن معرفة الأسماء.

ثالثا: أنَّ هذا الردّ يكشف عن عِلمِ الملائكة المحدود بقدر ما علّمهم الله بعد ما كانوا يظنّون أنّهم مطّلعون على أسرار السماوات والأرض جميعاً. فإنّهم يمتلكون القابلية العلمية ذات الطريق الواحد وهو أن يعلّمهم الله ولا يعلمون غير ذلك.

رابعا: أنَّ الابتداء بقول: (سبحانك) يشبه قول: ﴿سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء:٨٧)، ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ (الأعراف:١٤٣)، ففي هذا الردّ يمكننا أن نشم فيه الندم على ظنّهم ولو كان قصوراً لا تقصيراً. ولكن القول الأرجح بأنّه أدب ربّاني علّمه الله لملائكته وأنبيائه ويعلّم به عباده ﴿مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ (النور:١٦).

خامسا: في هذا الردّ تأكيد آخر على ظهور إخلاصهم حيث يعرضون باطنهم كما يعرضون ظاهرهم على الله باعتباره عليماً بما في داخلهم كعلمه بظاهرهم. فكما

عَلِمَ السؤال منهم عَلِمَ بالنوايا التي انطلق منها السؤال، ولم يكن من اعتراض منهم لأنهم يعلمون ويؤمنون بأنّه سبحانه يضع الشيء في موضعه المناسب لأنه الحكيم.

سادساً: أنّ هذا الردّ يبرز الإقرار بعجزهم الذي صدر منهم باختيارهم بأنّهم يجهلون علاقة الخلافة بالإنسان، فهم لا يجهلون كلّ شيء حول الإنسان، بل يعرفونه حقّ معرفته، وعلى هذا عرض الله سؤاله على الملائكة بقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ وعلى ما يعلمونه بالإنسان ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾، ولكن كانوا يجهلون ما عرضه الله عليهم وهي مسألة خلافته للأرض واستحقاقه لها، وهذا الأمر بالخصوص لم يطلع الله ملائكته عليه ﴿لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا﴾، فهم مطّلعون ويعلمون بأصل حقيقة الإنسان دون الاطّلاع على الاستحقاقات الأُخرى التي تترتّب على هذا الخلق.

س: ما هي المحتملات في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾؟

ج:

أوّلاً: اعلامهم بما لم يحيطوا به علماً لإثبات عجزهم.

ثانياً: ينقل صورة من الصور العملية التي يثبت من خلالها للجميع حقيقة قوله تعالى: ﴿أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾.

ثالثاً: عرّفهم بالأسماء حتى يطّلعوا على فضل آدم وقدرته على خلافة الأرض كما هم قادرون على خلافة السماء.

رابعاً: أنّ فضلك يا آدم يحتاج إلى شهود، فأنبئهم بالأسماء حتى يشهدوا لك بالفضل عليهم وعلى غيرهم ممّن لم يحضر هذا الموقف، ولتكون وجود هذه

القابليات حجّة على آدم حتى يعرف منزلته عند الله ومسؤوليته أمامه.

خامساً: أخبرهم بأسماء المواد التي صنعتها واستخرجتها بشكل مختلف عن موادها الأصلية، فإنَّ الملائكة لم تطّلع على أسمائها وإن كانت على فرض أنّها مطّلعة على أصل التصنيع لعدم وجود القابلية لها على وضع الأسماء للمسمّيات كما قلنا سابقاً.

سادساً: أنَّ الملائكة ـ كما قلنا ـ تعلم بتفصيلات حقيقة الإنسان إلّا أنّها تجهل الاستحقاقات الأُخرى التي تترتّب على خلقه، ولهذا قد يكون استعمال كلمة (أنبئهم) دون (أعلمهم) مثلاً فيه دلالة على وجود خلفيّة من العلم حول حقيقة آدم إلّا أنّهم يجهلون الأمر الذي عرضه الله عليهم من استحقاقه لخلافة الأرض.

س: من جملة الاحتمالات التي تطرحها وتكرّرها هو: (إنَّ الملائكة قد تكون مطّلعة على أصل مادّة العرض ولكن لم تكن مطّلعة على أسمائها لعدم وجود القابلية لها)، فهل وضع الاسم للمسمّى يكشف عن وجود قابلية مهمّة في تكوين الإنسان دون الملائكة؟

ج:

نعم، وهو كذلك؛ لأنَّ وضع الاسم للمسمّى يجري ضمن مراعاة لقانون موجود في الذهن البشري الذي يقرن بين الاسم وبين ذلك الشيء الذي يريد أن يسمّيه، فإنَّ تسمية المُسمّى وإن كانت تمرّ بلحظات على الإنسان بلحاظ مناسبة للتسمية أو عدم اللحاظ ولكنّها تجري ضمن قانون معقّد في ذهن الإنسان، فعندما قلنا في الاحتمال الأوّل في جواب سؤال كيفية عرض آدم قلنا: التلفظ والنطق بأسماء المسمّيات، فإنّها نابعة من هذا التكوين الذهني للبشر وهو يمتلك القابلية على القرن

بين شيئين لا أنّها عملية ساذجة، وعليه قد تكون هذه القابلية قد أودعها الله في البشر دون الملائكة.

س: ما هو التفسير المحتمل لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾؟

ج:

أنّه الامتثال الأوّل لآدم للأمر الأوّل من قبل الله الموجّه له والذي جسّده بأفضل عرض للأنباء بحيث أقنع الملائكة. وبعبارة أخرى: أنّه على يديه تمّ انجاح المهمّة الإلهية، فإنّ الطريقة الفنيّة للعرض والإخبار التي كانت لآدم لها الدور الكبير في التأثير والفهم، فإنّ أحد ألقاب آدم أنّه مُعلّم الملائكة.

س: ما هي المحتملات الواردة في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾؟

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ج:

(١) صورة من الصور التي يثبت الله من خلالها أنّه المتفرّد بالعلم المطلق الشامل للظاهر ولما تكتمه وتضمره الصدور من مطابقته للظاهر وعدمه، والتي يبرز الله من خلالها أهميّة نوايا الإنسان ونيّته في العمل عنده سبحانه، سبحانه أن تكون له درجات ومراتب في العلم بين المختلفات.

(٢) أنّه سبحانه أثبت عملياً بعدم إحاطة الملائكة بعلم ما يتصل بالسماوات والأرض التي كانت تظنّ أنّها تعلم فيهما كلّ شيء من خلال لازم كونهم مدبّرين لأمره في السماوات والأرض، ولم يعلموا أنّ الله قد أعطاهم من العلم المتعلّق بالسماوات والأرض بقدر ما يتعلق بمهمتهم لا مطلقاً.

(٣) قد يكون فيه إشارة إلى ما كان يكتمه إبليس في نفسه من الشر والرفض

لأوامره تعالى التي سوف تظهر في المستقبل تنزيلاً للواحد منزلة الجمع باعتباره ملحقاً بهم، أو أنَّ هذا الخطاب قد ورد على نحو القضيّة الخارجيّة، ورد عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال وهو ينقل حكاية إبليس: « ...لئن أمرني الله بالسجود لهذا لعصيته »[١].

(٤) قد يكون فيه إشارة إلى ما كانت تكتمه الملائكة في أنّها أفضل مخلوق أو أنّها تعلم بكلّ ما في السماوات والأرض.

(٥) أنَّ هذه العبارة يستدلّ بها على أنَّ الله في حواراته مع الملائكة وغيرهم لم يتجلّى لهم بل هو غائب عنهم؛ لأنَّ الذي يبدونه فهو معلوم عند الله وعندهم وعند مَن سمعهم وعند ذلك لا مزيّة بينه وبين غيره، وإنّما المزيّة والفضيلة تظهر عندما يعلم بما يبدونه وهو غائب عنهم ولهذا أظهر كلمة ﴿مَا تُبْدُونَ﴾، وسلّط الله الضوء على غيب السماوات والأرض وعلى ما كانوا يكتمونه التي به تظهر ميزة الله عن غيره بعلمه بالأشياء، فإنَّ الذي كتمته الملائكة أو كلّ ما يكتمه أحد فهو غيب بالنسبة للغير ولأنفسهم كذلك، أمّا بالنسبة للغير فواضح لإخفائه عن الغير وعدم اطّلاع الغير عليه، ولكن الكاتم يعلم كما يعلمه الله فلا مزيّة في العلم بينه وبين ما يكتمه نفس الكاتم لعلمه بما يكتم.

نعم، الكتم يكون غيباً بالنسبة لنفس الكاتم، فلأنَّ الكتما لا يصدق على ما أخفاه الكاتم في قلبه أو في صورته الذهنية فحسب، بل يصدق قبل ذلك ممّا لا يعلم به فيكون غيباً بالنسبة إليه، وبهذا تحصل المزيّة بين علم الله وبين علم الكاتم له، ولهذا نجد أنَّ الله استعمل صيغة الماضي ﴿كُنتُمْ﴾ التي تفتح طريق

---

(١) البحار ٦٠:٢٧٣/١٦١.

الاحتمالات لموقع الكتمان التي منها أن يكون قبل خلقهم، ولا شك بعلم الله الذي يعلم بكلّ شيء الشامل قبل الخلق وبعده، وهذا العلم بشقيه متفرّد به الله. وبهذا نعرف القيمة العلمية للكلمات في هذه الآية التي تستبطن هذه الدقة العلمية المختصّة بعلم الله والدالة على المطلق في غيبه وعلمه وقدرته.

س: كيف صدّقت الملائكة بصحّة قول آدم ومطابقة الأسماء للمسميات مع أنّها لا تملك القابلية والاستعداد لمثل هذا العلم كما قلتم؟

ج:

هنا عدّة احتمالات منها:

(١) أنّ الله ألهمهم ابتداءً فَهْمَ الصحّة والتطابق وبها توصّلوا إلى صحة ما يدّعيه آدم ومطابقته للواقع.

(٢) نحن قلنا سابقاً بأنّ علم الملائكة علم التلقي فهو متوقف على عطاء الله العلم إليهم، فعندما علّمهم آدم فهو علم الله بواسطة آدم فعرفوا الصحة والمطابقة والصدق.

(٣) نحن قلنا سابقاً بأنّ للملائكة مراتب وطبقات ونظاماً ومقامات وتفاوتاً في العلم والدرجات، وأنّ لهم الحاكمية ونوعاً من التصرف في قانون المادة كما قلنا في تعريف الملائكة، فلا يبعد أن يكون كلّ ما تصرّف به آدم وعرضه عليهم قد عرفوا صحته وصدقه لمعرفتهم بالقانون وعدم وجود القابلية للعمل في هذا النوع الذي عرضه آدم عليهم، مثلهم كمثل الرجل الذي يعرف كلّ قوانين السحر وهو ليس بساحر.

إذا عرفت ذلك، فهنا نقول: إمّا أن تكون جميع الملائكة لها هذه القابلية من

الحاكمية والتصرف فيكون كلّ الملائكة قد عرفت الصحة والمطابقة، وإمّا نقول: إنّ بعضها يمتلك هذه القابلية فبإخبار هذا البعض للجميع فقد علم الجميع الصحة والمطابقة.

س: لماذا لم يكن كلّ ما مرّ في هذه الآيات السابقة أن تكون في مقام تكذيب الملائكة؟

ج:

أولاً: أنّهم كانوا صادقين في نقل الحالة السلبية التي يمتلكها الإنسان من القابلية على ذلك ﴿مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾.

ثانياً: أنّهم كانوا صادقين في دعواهم في أنّهم المسبّحين والمقدّسين لله ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾.

ثالثاً: لم يدعوا العلم بما علّم الله آدم ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا﴾.

رابعاً: كانوا مؤمنين بالعلم المطلق لله ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ﴾.

خامساً: كانوا مستسلمين لحكمة الله في جعل آدم خليفة على الأرض ﴿الْحَكِيمُ﴾ فليس لهم تكذيب لشيء حتّى يكون المورد مورد تكذيب الملائكة.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة:٣٤).

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات هذه الآية؟

ج:

(١) السجود: التذلل والخضوع.

(٢) أبليس: أ ـ من أبلس أي يأس. ب ـ قطع. ج ـ الحيرة، من التبس عليه الأمر.

(٣) أبى: امتنع ورفض بشدّة.

(٤) الاستكبار: الاستعظام.

س: ما هي المحتملات الواردة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾؟

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

ج:

أولاً: أنّه الأمر الفعلي بالسجود لآدم بعد ما كان إنشائياً قبل خلق آدم، قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر:٢٩)، وفيها إشارة إلى الحكم الإنشائي، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ (الأعراف:١١)، وفيها إشارة إلى الحكم الفعلي.

ثانياً: أنّه سجود عبادة لله لأنه وقع امتثالاً لأمره سبحانه وتعالى.

ثالثاً: أنّ الأمر بالسجود دون غيره من الأفعال يعني منتهى التكريم والاحترام والتعظيم لآدم وبيان فضله وعلوّه.

رابعاً: أنّ السجود قد حصل من كلّ الملائكة ومن دون متخلّف عنه، قال تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (الحجر: ٣٠).

خامساً: أنّ هذا الخطاب يعكس مكانة الإنسان عند الله وحبّه له لو انطلق للحياة وهو يحافظ على هذه المكانة والقرب إليه سبحانه، ويعكس هذا الخطاب مكانة الإنسان بالنسبة إلى جميع المخلوقات، كما يعكس هذا الخطاب حجم المسؤولية الكبيرة المُلقاة على عاتق الإنسان؛ لأن هذا العطاء الإلهي من الاستعداد والتفضيل والتكريم لم يكن على لا شيء، ولم يكن من أجل أن يقضي الإنسان حياته في اللعب واللهو وأن يعمل بما شاء وكيف شاء، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ (القيامة:٣٦).

سادساً: أنّهم سجدوا بسرعة وبمجرّد الأمر به، ولكنّنا لا نعرف كيف سجدوا وعلى ماذا سجدوا؛ لأنّ الكلّ قد سكت بسكوت الله عنه لعدم النفع بذلك إلّا بقدر ما بيّنه من كلماته وهو امتثال الملائكة للأمر وظهور التذلل والخشوع لله والتكريم والاحترام والتعظيم لآدم عن طريق السجود.

سابعاً: أنّه سبحانه أمرهم بالسجود دون بقية الأفعال؛ لأنّه الأمر المناسب للخلافة، فالسجود خضوع، وأهم ما يميّز الخليفة عن غيره هو خضوع الغير لأمره، ولبيان أنّ الكون وما فيه كان من أجل الإنسان حيث الملائكة سجدت، وسجودها يعني أنّها أصبحت في خدمة الإنسان فغيرها يكون من باب الأولى، وبالتالي يكون كلّ ما في الأرض والسماء هو من أجل الإنسان ليعرف الإنسان قدره وأهميّة خلقه ووجوده على الأرض ومهمّته عليها، فهو لم يكن جرماً صغيراً بل فيه انطوى العالم الأكبر.

س: ما هي المحتملات الواردة في المكان الذي وقع فيه السجود لآدم؟

ج:

(١) في السماء التي تتجمّع فيها الملائكة والتي انتقل آدم إليها بعد خلقه.

(٢) في الأرض حيث ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «أوّل بقعة عبدالله عليها ظهر الكوفة لما أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم سجدوا على ظهر الكوفة»[1].

(٣) في نفس الجنّة التي أُسكن فيها آدم والملائكة وإبليس، وبعد رفض إبليس للسجود طرده الله منها.

س: كم نوع من السجود يطرحه الله في كتابه؟

ج:

ثلاثة أنواع من السجود هي:

(١) سجود عبادة، وهو مختصّ بالله، قال تعالى: ﴿لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (فصلت:٣٧)، ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً﴾ (الجن:١٨).

(٢) سجود تسخير، وهو سجود الكون وما فيه من المخلوقات، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾ (الرعد:١٥).

(٣) سجود اختيار، احتراماً أو تحيةً أو تعظيماً وغيرها من مختصّات الإنسان كسجود يعقوب وأولاده ليوسف، قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً﴾ (يوسف:١٠٠).

---

(١) مستدرك الوسائل ٤: ٤٨٤/٥٢٢٧.

• الشيطان وحركة التمرّد

س: ما هي المحتملات الواردة في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾؟

ج:

أولاً: أنّ إبليس قد استثنى نفسه عن الامتثال لأمر الله للسجود لآدم مع شمول الأمر له بذلك.

ثانياً: أنّ هذا الخطاب يكشف عن وجود الاختيار للملائكة وإبليس في امتثال الأمر.

ثالثاً: أنّ رفض إبليس للسجود كان لحالة مرضيّة أخلاقية داخلية وهي الاستكبار.

رابعاً: أنّ إبليس برفضه لأمر الله قد عصى الله، وهذا معناه أنّه قد وقع بالكفر العملي بحدود ما عصاه وبرتبة من رتب الكفر كما مرّ توضيح ذلك في تفسير الآية السادسة من سورة البقرة، قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ (الكهف: ٥٠). نعم، صار رئيس الكفرة والمشركين والفجرة بعد توسعة دائرة العصيان بالإصرار والتحدّي والاعتراضات والتمرّد ونمو وتركيز عملية الاستكبار في نفسه.

خامساً: إبراز الاستكبار كحالة مرضيّة التي وقع فيها إبليس يكشف عن خطورتها عندما يصاب بها الفرد أو المجتمع، وأنّها تجرّ إلى عدّة أمراض نفسيّة وبالتالي إلى دمار ذلك الإنسان أو المجتمع، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْماً مُجْرِمِينَ﴾ (الجاثية: ٣١).

س: كيف تثبت أنّ عصيان الشيطان كان نتيجة الاستكبار لا غير؟

ج:

لأنّ الله عندما أمر الجميع بالسجود لآدم فتمرّد الشيطان هنا ـ إذا أحسنّا الظنّ بأنفسنا لا به ـ ناتج عن اعتقاد منه بعدم شمول الأمر له، وعدم الاعتقاد هذا ناتج عن أحد احتمالين: إمّا أن يكون الشيطان قد رأى نفسه أدنى من الغير بحيث لا يشمله الأمر، وإمّا أن يكون قد رأى نفسه أعلى من الغير فلا يشمله الأمر كذلك، فهنا نقول:

(١) إذا كان هو أدنى من الغير واقعاً فلا يحتاج إلى أمر بالسجود، بل يجب عليه السجود وإن لم يتوجّه إليه الأمر، كالأمر الذي يوجّه إلى الوزراء بالوقوف مثلاً عند دخول الرئيس عليهم، فإنّ الحارس والمنظّف وكلّ ما هو أدنى من الوزير يجب عليهم الوقوف وإن لم يؤمروا بذلك من باب أولى، ويوجّه إليهم اللوم أو العقاب عندما لا يقفون.

(٢) لو كان هو أعلى من الغير واقعاً، فهنا قد شمله الأمر ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾(الأعراف:١٢)، وشمول الأمر إليه يعني أنّه متساوٍ مع الغير في الأمر والواقع، ولم يكن هو من العالين واقعاً، فلم يبقَ أمامنا إلّا القول بأنّه رأى نفسه أعلى من الغير من دون مبرّر واقعي، وهو معنى الاستكبار ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾(ص:٧٥).

س: ما هو المحتمل الذي يرد في سبب سقوط الشيطان في مستنقع الاستكبار؟

ج:

الاستكبار لم يكن من الحالات المرضيّة التي تفاجئ المصاب بإصابته به، بل هو انفجار لتراكمات الحالات المرضية النفسيّة الأخلاقية المتمدّدة، فإبليس استكبر نتيجة السكوت وعدم السؤال؛ لأنّه عندما تتولّد فكرة ما في الذهن ويجري تأثيرها على الداخل النفسي من جهة وعلى الخارج باتخاذ موقف له علاقة بالآخرين من جهة أُخرى، هنا لابدّ من ألّا يتفرّد بنفسه ولا يعطي الفرصة لنفسه في أن تملي عليه وَهَم القناعة والصحّة والحقيقة، بل يجب عليه حصول العلم اليقيني لصحة هذه الفكرة أو خطئها حتى يحصل على الاطمئنان النفسي، وتكون مواقفه تسير بخطى ثابتة وصحيحة بعيدةً عن كلّ ملامة الآخرين له، وهذا ما لا يستغني عنه أحد من المخلصين والعقلاء.

ومصادر حصول العلم كثيرة منها الكتاب وأهل العلم وأصحاب الاختصاص ومشورة العقلاء والتجربة وغيرها من طرق حصول العلم، وتتأكّد خصوصاً حاجة الاستعانة للطرق العلمية هذه عندما يرى الإنسان نفسه قد اتّخذ فكرةً أو موقفاً مخالفاً للآخرين أو مخالفاً للسجيّة الإنسانية.

والشيطان كان يحمل في ذهنه فكرة ونظرة حول علاقته بالإنسان، وقد أثّرت في نفسه بالاتجاه السلبي بما يخالف الله وسجيّة الملائكة منذ أن سمع ورأى خلق آدم، وكان الأمر بالسجود إليه انشائياً على ما ورد في الروايات والآية التي سبق ذكرها (الحجر:٢٩)، هنا كان من المفروض عليه أن يعرض حالته بالسؤال على الله وهو أفضل طريق لحصول العلم قبل أن تستفحل الفكرة على نفسه وعقله وقبل أن يتّخذ موقف التمرّد الفعلي، والله سبحانه وتعالى لم يحجب مطلق السؤال عن أحد لا أوّلاً ولا آخِراً، ولم يحجب السؤال عن أحد بخصوص خلافة الإنسان قبل خلقه

للإنسان ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر:٢٩)، ولا بعد خلقه للإنسان ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ليخرج الجميع ما يكتمه ليطرحه على الله من خلال السؤال حتى يكون الكلّ على بيّنة من أمره.

وقد سارت الملائكة على هذا الطريق العقلائي المستقيم فأبرزت ما كانت تكتمه من وجهة النظر من خلال سؤالها له سبحانه، ولهذا تجد الملائكة قد أبرزت نقطة الضعف في الإنسان وركّزت عليها بكلّ صراحة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ لتحصل من الجواب الشافي على ما كان يختلج في نفسها، وقد حصلت على الإجابة وكانت النتيجة هي فوز الملائكة في جميع الاتجاهات. إلّا إبليس سكت عمّا كان يضمره من وجهة نظره المخالفة قبل خلق آدم وعند سماعه بالحكم الانشائي للسجود.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «خلق الله آدم فبقي أربعين سنة مصوّراً، فكان يمرّ به إبليس اللعين فيقول: لأمر ما خلقت ... لئن أمرني الله بالسجود لهذا لعصيته»[1].

الذي كان من المفروض على إبليس أن يسأل الله منذ تلك اللحظات التي شعر بوجود حالة نفسية مخالفة، وباب السؤال لا زال مفتوحاً والمجيب عليه هو الله فما أعظمها من فرصة، وكلّ ذلك تركه إبليس إلى وَهم أفكاره التي لا تزيد عقله إلّا نقصاناً ونفسه إلّا مرضاً ونتائجه إلّا بُعداً عن الحقيقة والواقع، ومن أجل ألّا تقع فيما وقع فيه إبليس حثّنا الله في كتابه والرسول صلى الله عليه وآله في سنّته على السؤال، قال تعالى:

---

(١) البحار ٦٠:٢٧٣/١٦١.

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾(الأنبياء:٧).

ورد عن الإمام أميرالمؤمنين عليّ‏ عليه السلام أنّه قال: «سلوني قبل أن تفقدوني فَلأنا بطرق السماء أعلمُ مني بطرق الأرض»[1]، وورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنّه قال: «وحسن السؤال نصف العلم»[2]وعنه أيضاً: «العلم خزائن ومفتاحها السؤال»[3].

س: لماذا تجعل سكوت إبليس عن حالته المرضية وعدم سؤاله الله هو السبب في نشوء الاستكبار عنده؟

ج:

لأنّ الظاهرة التي تولّدت عند إبليس حالة سلبية مخالفة لله ولسجية المحيط الملائكي الذي يعيش فيه، فهنا نقول:

أوّلاً: إمّا أن يكون إبليس جاهلاً بصحّة هذه الحالة أو خطئها، فيجب عليه السؤال لجهله.

ثانياً: وإمّا أن يكون عالماً بخطأ هذه الحالة وأنّها حالة مرضية، فيجب عليه السؤال من الله وطلب المعالجة منه.

ففي كلتا الحالتين التزم الشيطان حالة السكوت والصمت والإضمار مع وجود المقتضي للسؤال وعدم المانع الذي جعله يعتمد على علمه الذي يلبّس الحالة المرضيّة بقناعات علميّة مزيّفة حتّى استفحلت الحالة المرضيّة وكملت بأعلى درجاتها بالاستكبار على الله.

---

(١) نهج البلاغة ٢: ١٨٩/١٣٠ .

(٢) البحار ١: ١٤/٢٢٤.

(٣) صحيفة الرضا عليه السلام: ٤٢.

س: هل استكبار الإنسان نفسه وتعظيمها يأتي على شيء يمتلكه المستكبر؟

ج:

ما دام الاستكبار حالة مَرَضيّة فهو:

(١) قد يمتلك المستكبر شيئاً ما بنسبة من النسب، فيعتقد اعتقاداً خاطئاً في أنّه يمتلك الشيء الكثير منه ممّا يفقده الآخرون ثمّ ينمو هذا الاعتقاد بالاتجاه المعاكس ممّا يولّد حالة الاستكبار، ولكن هنا قد يسمى متكبّراً وليس بمستكبر؛ لأنّ التكبّر والمستكبر قد يتّحدان مفهوماً ويختلفان في المصداق، فإنّ المتكبّر يتكبّر على شيء يمتلكه، والمستكبر يتكبّر لا على شيء يمتلكه.

(٢) قد يتولّد الاستكبار عند الإنسان وهو لا يمتلك شيئاً كما ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «إيّاكم والكبر، فإنّ الكبر يكون في الرجل وإن عليه العباءة»[١]، وورد عن الإمام الصادقؑ أنه قال: «إنّ رسول اللهﷺ مرّ في بعض طرق المدينة، وسوداء تلقط السّرقين، فقيل لها تنحي عن طريق رسول الله، فقالت: إنّ الطريق لمعرض، فهمّ بها بعض القوم أن يتناولها، فقال رسول اللهﷺ: دعوها فإنها جبّارة»[٢].

ومن هنا عبّر القرآن على رفض الشيطان بأنّه نتيجة استكبار لأنّه لا على شيء يمتلكه أمام أمر الله ليتمرّد عليه، وهذا أحد الفوارق بين الملائكة والشيطان حيث إنّ الاثنان كانا يعتقدان بأنّهما يمتلكان شيئاً من الفضيلة يميّزهما عن

---

(١) كنز العمال ٣: ٧٧٣٥/٥٢٦.

(٢) الكافي ٢: ٢/٣٠٩.

الإنسان، ولكن الملائكة عرضت نفسها على الله في الاستيضاح دون الشيطان فأخذه الاستكبار الذي منعه من السجود للإنسان.

س: ماذا أنتج الاستكبار الذي وقع فيه إبليس؟

ج:

أولاً: سيطرة نفسه الأمّارة بالسوء على عقله، حيث عقله وواقعه يجادل الله وموقن به ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾(الأعراف:١٢)، وكحاكم حيث لم ينفي حقّ الأمر لله حينما أمره بالسجود، وخائف منه سبحانه﴿إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾(الحشر:١٦)، على الرغم من هذا الواقع الاعتقادي كلّه الذي يمتلكه الشيطان إلّا أنّ ما صدر منه معاكسٌ تماماً حيث التمرّد والإصرار على المعصية والتحدّي وغيره ممّا تعرفه عن إبليس، ولا أدري كم هو حجم خطورة الاستكبار على الإنسان عندما يسيطر عليه، ويكفينا أن نرى خطورته من خلال النظرة إلى عالم الاستكبار والاستكبار العالمي الذي نعيشه اليوم.

ثانياً: الاستعانة بأضعف الحجج وأوهنها وأمام الله، فهو يتمسك بالقياس والدليل الظنّي لتبرير عصيانه الأكبر ويترك الواقع الذي عليه آدم من القابلية والاستعداد، قال تعالى ـ وهو ينقل دليل رفض إبليس للسجود ـ: ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾(الحجر:٣٣)، ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾(الأعراف:١٢).

ثالثاً: يصل به أن يتجرأ على الله ويعانده ويجادله مباشرةً ومن دون حياء مع علمه بحجم المعصية التي يقدّمها بين يدي ربّه.

رابعاً: كلّما يزداد في العمر كلّما يزداد عتوّاً ومكراً وحيلة لا ننتظر منه رجوعاً

إلى الصواب، ولهذا تجد إبليس بدأ بمعصية رافقتها معاصٍ أكثر وأكبر مستمرة فيه إلى يوم البعث.

خامساً: حصاده عذاب الآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر:٦٠).

س: وضّح اجمالاً ما عرضه القرآن عن إبليس.

ج:

(١) أنّه خُلِقَ قبل آدم، قال تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ﴾ (الحجر:٢٧).

(٢) أنّ إبليس من الجنّ وقد يكون أصلاً للجنّ كما أنّ آدم أصل الإنسان، قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ (الكهف:٥٠).

(٣) توجد احتمالات في اسمه الشخصي:

أولاً: لا يوجد له اسم شخصي، وما ذكر في القرآن من الشيطان وإبليس أسماء صفات.

ثانياً: يمتلك اسماً شخصياً واختلف في اسمه باختلاف الروايات الواردة كالحرث أو الحارث بالعربية وعزازيل بالسريانية.

ثالثاً: أن يكون إبليس هو اسم العلم الشخصي، والشيطان هو اسم جنس لصفته، وقد يكون العكس.

(٤) أنّه مخلوق من النار، قال تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ (الحجر:٢٧)، ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (الأعراف:١٢).

(٥) كان طاهراً عند بداية خلقه يعيش مع الملائكة، يتعبد كعبادتهم، ويسلك سلوكهم من جميع الجهات، ولهذا حسبته الملائكة أنه منهم، ورد عن

أميرالمؤمنينعليه السلام أنّه قال: « ...فاعتبروا بما كان من فعل الله بـإبليس إذ أحـبط عمله الطويل وجهده الجهيد، وكان قد عبدالله ستّة آلاف سنة لا يدرى أمن سني الدنيا أم من سني الآخرة، عن كبر ساعة واحدة »[1].

(٦) يؤمن بالله وبجميع صفاته وما ينبغي على المخلوق أن يفعله أمام خالقه، حيث يعلم أنّ الله لا يجوز أنْ يُشرك به، قال تعالى: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ (إبراهيم:٢٢)، وإنّ وعد الله حق، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ (إبراهيم:٢٢)، وإنّه هو الخالق ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (الأعراف:١٢)، وإنّ هناك يوم القيامة ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً﴾ (الإسراء:٦٢)، وإنّ صراط الله هو الصراط المستقيم ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الأعراف:١٦)، ويخاف الله ﴿قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (الحشر:١٦).

(٧) كان من العابدين لمدّة طويلة، ولكنّه قد يكون أنّه كان يتعامل مع العبادة داخلياً ونفسياً لا بجوّها الروحي ولا بعمقها التربوي، بل ينسجم معها بقدر ما تجلب لنفسه المنفعة المنسجمة مع راحة ذاته حيث الجو اللطيف من الجنّة والملائكة والمكانة والاحترام والخدمة بما لا يتصادم مع أنانيته ومنفعته الشخصية ونظرته العالية.

(٨) عالِم من العلماء، وهذا ما تجده واضحاً من خلال تتبّع كلماته وجدله مع الله، وأسلوبه الغرور مع مختلف مستويات الناس العلمية.

(٩) جاءته السريرة الخبيثة من الغرور والحقد والعلو وحبّ الذات الذي ابتدأ ينمو

---

(١) نهج البلاغة ٢: ١٣٨/١٩٢.

كثيراً عند خلق آدم وإخبار الله بأنّه سيجعله خليفة والذي ولّد عنده تصوّراً كاذباً وفكرةً واهمةً بأنّه سيزاحمه في أنانيته ومنافعه الشخصيّة ومكانته العالية وكسر نظرته الاستكبارية على جميع المخلوقات.

(١٠) بقي محافظاً على سريرته المريضة هذه ولم يعرضها على المداوي والمشافي وهو الله سبحانه من خلال سؤاله أو من قبل نفسه لما أعطاه الله من العلم حتى وصل به الغرور وتعاظم نفسه إلى الاستكبار على الله من خلال تسفيه أمره بالسجود لآدم.

(١١) قد أخطأ في رفضه للسجود وامتثال أمر ربّه ولابدّ من تبرير مناسب لشيئين: حجم المعصية الكبير وحجم علمه الكبير، وإذا به يأتي بالردّ غير المناسب جدّاً لضعفه الكاشف عن هيمنة الاستكبار على جميع جوانحه، قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (الأعراف:١٢)، ﴿قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾ (الإسراء:٦١).

(١٢) جاء الأمر بالخروج من الجنّة لأنها محلّ طاهر لا يستقرّ فيه إلّا المُطهّرون المطيعون لله، قال تعالى: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ﴾ (الأعراف:١٣)، وكانت صورة خروجه بعكس ما يراه من نفسه من العظمة والكبرياء، حيث أمر الله بخروجه باستصغار واستحقار وتذلل وهوان بما يستحقّه ﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (الأعراف:١٣)، ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً﴾ (الأعراف:١٨).

(١٣) بعد خروجه من الجنّة وبعد أن انتهى من إغواء آدم عرف ما كان يجهله، وهو قدرته الكبرى على إغواء وسقوط الإنسان ذلك عندما دلّاهما بغرور على تلك الشجرة.

(١٤) في فترة ما بين خروجه من الجنّة ونهاية إغوائه لآدم وقبل هبوطه الفعلي إلى الأرض طلب من الله عدّة طلبات منها:

الطلب الأول: ألاّ يموت، قال تعالى: ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (الأعراف:١٤)، ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (الإسراء:٦٢)، ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ﴾ (الأعراف:١٥)، لم يستجب الله إلى طلبه وأنّه لابدّ أن يموت ولكن أخبره الله بتأجيل موته إلى فترة ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ۞ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ (الحجر:٣٧-٣٨)، لا استجابة لطلبه وإنّما لإتمام منهجيّة الله التي رسمها لحياة الإنسان وحصول الرتب والمنازل من موقع المعاناة وعن طريق التجربة والامتحانات.

الطلب الثاني: السيطرة والولاية على جميع الناس بإغوائهم وانحرافهم عن الطريق المستقيم المتّصل بالله ويُبقي بيد الله الشيء القليل من عباده وتحت سيطرته، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (الحجر:٣٩-٤٠)، لم يجبه على طلبه ولم يعطه الله السيطرة والولاية على عباده، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾ (الإسراء:٦٥)، ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ (إبراهيم:٢٢). نعم، سمح له بأن يتّخذ أي أسلوب وله حريّة الحركة في ذلك ﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُوراً﴾ (الإسراء:٦٣)، وأخبره الله بأنّه سوف يحصل على الأتباع من عباده من الذين تنطبق إرادتهم بإرادته ودوافعهم بدوافعه وحركتهم بحركته، قال تعالى: ﴿إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (الحجر:٤٢).

الطلب الثالث: الدخول إلى الإنسان من أيّ جهة في منامه وصحوته، في

داخله وخارجه، فيما يملك وما لا يملك، في جوارحه وجوانحه ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف:١٦ـ١٧).

المطلب الرابع: الاستعانة بما شاء من الأدوات والعوامل المساعدة عند الحاجة، أذنَ الله له بذلك ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ (الإسراء:٦٤).

س: ما هي الحصانات التي وفرها الله للإنسان ضدَّ حركة الشيطان؟

ج:

الأولى: تزويد الإنسان بعناصر الهداية التكوينية الخاصّة والتي على رأسها العقل الذي جعله الله مسيطراً ومنظماً لجميع أفعال الإنسان ورسولاً داخلياً يهدي الإنسان إلى ما هو بعيد عن مراد الشيطان دائماً وأبداً، وهو السلاح القويّ والغالب دوماً.

الثانية: تزويد الإنسان بعناصر الهداية التشريعية العامّة من بعث الرسل والكتب التي تضع النقاط على الحروف في كشف كلّ ما يتعلّق بالشيطان وغيره.

الثالثة: العلم والمعرفة، فإنَّ دور العلم في كشف وسقوط حركة الشيطان له الدور الذي لا ينكره عاقل، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «إذا سمعتم العلم فاستعملوه، ولتتّسع قلوبكم، فإنَّ العلم إذا كثر في قلب رجل لا يحتمله، قدر الشيطان عليه، فإذا خاصمكم الشيطان فأقبلوا عليه بما تعرفون، فإنَّ كيد الشيطان كان ضعيفاً ...»(١).

الرابعة: وضح ونبه الله الإنسان وكَشَفَ له أهمّ تحرّكات الشيطان من خلال

---

(١) الكافي ١:٤٥/٧.

الأمور التالية:

(١) (عداوة الشيطان لله) فمن أحبَّ الله وأحبَّ طاعته فليتّخذ الشيطان عدوّاً لعدائه للحبيب وهو الله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾ (الإسراء:٢٧)، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيّاً﴾ (مريم:٤٤).

(٢) (عداوة الشيطان للإنسان)حيث الشيطان عدو للإنسان وحاسد له وحاقد ومستكبر عليه فلا يعرف الصداقة ولا الأُخوة ولا الحنان ولا العطف ولا الحبّ ولا غيرها من الأُمور التي تربط الإنسان به إلّا العداوة لا غير، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ (فاطر:٦).

(٣) (وجوب مقاتلة الشيطان)، التي جعلها الله أمراً وجوبياً على الإنسان ليؤكّد للإنسان أساس علاقته مع الشيطان فلا يتخذه صديقاً ولا قريناً ولا مشاركاً ولا محبّاً ولا غيرها من الأُمور إلّا المقاتلة والحرب ضدّه، قال تعالى: ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً﴾ (فاطر:٦)، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (الأعراف:٢٢)، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (يوسف:٥)، ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً﴾ (النساء:٣٨)، ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً﴾ (النساء:١١٩)، وورد عن الإمام الكاظم عليه السلام أنّه قال: ...فقلت له: فأيّ الأعداء أوجبهم مجاهدة؟ قال عليه السلام: «أقربهم إليك وأعداهم لك ...ومَن يحرّض أعداءك عليك وهو إبليس»[١].

(٤) (الشيطان لم يكن وحده، حيث نبّه الإنسان بأنّ الشيطان له حزب يمتلك النظام والمنهجية في التحرك وله لجان تنفيذية من الإنس والجنّ ولهم مآرب ومقرّات

---

(١) مستدرك الوسائل ١١:١٤١/١٢٦٥٤.

تجمعهم، وذريّة يتكاثرون منه ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ (الكهف:٥٠)، ونبّه الله على الالتزام بالموقف الواحد ضدَّ أعوانه وأوليائه الذي لا يختلف مع الشيطان نفسه، قال تعالى: ﴿أُولَـئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ (المجادلة:١٩)، ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ (الناس:٥-٦)، ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ (النساء:٧٦)، ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام:١٢١).

(٥) (كشف مقرّات الشيطان ومقرّات جنوده وأوليائه)، حيث بإمكان الإنسان أن يعثر على الشيطان من خلال تشخيص مؤيّديه والسائرين على خطاه ليبتعد عنهم أو يحاربهم، قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ (الشعراء:٢٢١-٢٢٣).

(٦) (كشف أنواع أعماله التي يتخذها ضدّ الإنسان)، الله سبحانه وتعالى من باب لطفه أن وضّح طرق وخطوات الشيطان للإنسان لتسهيل عملية المقاومة على الإنسان عندما يريد مقاتلته، حيث كشف له جميع المنافذ التي ينفذ من خلالها، بمعنى آخر كشف جميع خطط الشيطان في حربه ضدّ الإنسان، وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى.

(٧) (للشيطان خطوات)، حيث نبّه الله الإنسان، أنّ الشيطان لم يجزع ولم ييأس في تحرّكه، فإذا فشلت خطوة تبعها بخطوات وإذا فشلت مرحلة تبعها مراحل سواء كان في العمل الواحد أو المتعدد، ولهذا يجب على الإنسان أن يكون ملتفتاً منتبهاً من بداية عمله حتى ينتهي منه، بمعنى أنّه في حرب مستمرة مع الشيطان لا هوادة فيها، فإنّ للشيطان خطوة تلو الأُخرى وعملية هجوم تلو

الأُخرى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ (البقرة:١٦٨).

(٨) (الشيطان ضعيف)، حيث نبّه الله الإنسان بضعف الشيطان مهما امتلك من القوّة والنظام والجنود والأولياء والمعدّات والطرق المختلفة في الهجوم، فإنَّ مجرد التفاتة عقلية واستعمال شيء من الإرادة تكفي في أنّه يخنس ويهرب أمام الإنسان، قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾ (النساء:٧٦).

الخامسة: عرّف الله الإنسان مواقع ضعفه التي تكون مرتعاً من مراتع الشيطان واستحواذه عليه، منها ما يتعلّق بانفعالات الإنسان مثل الغضب والعصبية وقسوة القلب.

ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «إنَّ هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في قلب ابن آدم، وإنَّ أحدكم إذا غضب احمرّت عيناه، وانتفخت أوداجه، ودخل الشيطان فيه،إذا خاف أحدكم ذلك من نفسه فليلزم الأرض فإنَّ زجر الشيطان سيذهب عنه عند ذلك»[1]، وورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: لمّتان، لمّة من الشيطان ولمّة من المَلَك، فلمّة المَلَك الرّقة والفهم، ولمّة الشيطان السهو والقسوة»[2].

ومثل ذلك كثير في الشريعة، ومنها ما يتعلّق ببعض الأفعال عند النوم وعند الأكل وعند العمل وعند الخلاء وعند المبيت وعند السفر وعند الدخول على المرأة، وهي كثيرة كذلك في لسان الروايات.

السادسة: دفاع الله عن الذين يطلبون التخلّص من الشيطان بإفشال هجومه وخططه ومنع خطواته من الوصول إلى مَن لا يريدها مخلصاً في ذلك، قال تعالى:

---

(١) الكافي ٢: ٣٠٤/١٢.

(٢) الكافي ٢: ٣٣٠/٣.

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأعراف:٢٠٠)، ﴿فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (الحج:٥٢).

س: هل للشيطان السلطة والسيطرة على الإنسان؟

ج:

ليس للشيطان السيطرة على أي موقع من مواقع الإنسان الداخلية والخارجية ابتداءً، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ (سبأ:٢١)، فهذه الآية تخبر الإنسان وتكشف هذه الحقيقة وهي عدم وجود أي نوع من السلطة على الإنسان، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ (إبراهيم:٢٢)، فهذه الآية يقرّ الشيطان من خلالها بعدم امتلاكه السيطرة على الإنسان، من هنا نعرف أنْ ليس للشيطان السيطرة على المحاور الثلاث الرئيسية التي يمتلكها الإنسان، وهي:

(١) ليس له السيطرة على العقل وما ينتجه من الفكر المجرّد الذي مورده التنظير لمسألة نظرية فحسب، ولا على الفكر العملي الذي يلازمه العمل.

(٢) ليس له السيطرة على القلب وما ينتجه من الحبّ والبغض وبقية المشاعر والأحاسيس القلبية.

(٣) ليس له السيطرة على العمل الفعلي الخارجي الذي يصدر من الإنسان.

س: إذا لم تكن للشيطان السلطة والسيطرة على الإنسان فكيف يتمكّن الشيطان أن يوقع الإنسان فيما فيه المهالك؟

ج:

ما من حركة إرادية واختيارية مقصودة للإنسان إلّا وكانت بدايتها فكرة من العقل،الشيطان يترصّد كلّ فكرة تخرج من عقل الإنسان، وما من فكرة تنقدح لدى

الإنسان إلّا وتؤثّر أثرها على القلب من الإرادة والعزم وكذلك الحبّ والبغض وبقيّة الأحاسيس والمشاعر التي هي ردود فعل القلب الطبيعية بما فكّر به الإنسان، فهنا يقع عمل الشيطان أي ما بعد تأثّر القلب، فيقوم الشيطان بتزيين المؤثّرات القلبية من المشاعر والأحاسيس السلبية التي تنبعث من القلب، ولمّا كان فكر الإنسان وقلبه يعملان بصورة دائمة وفي موارد مختلفة ومتنوعة ومتعدّدة بعدد حركته في الحياة.هنا لابدّ للشيطان أن يمتلك عمليّات مختلفة حسب موضوع الفكرة والحالة القلبية المناسبة التي فكّر بها الإنسان لينتج التزيين والجذب المناسب لتلك الفكرة ولتلك الأحاسيس القلبية التي تنتج الفعل والعمل، والتزيين هو الهدف الذي يريد الشيطان من خلاله وقوع الإنسان في المهالك ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ﴾(النمل:٢٤)، ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(الأنعام:٤٣).

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ويمرّ نتاج التزيين هذا من دون إحساس من قبل الإنسان بأنّ هذا التزيين والجذب بين الإنسان وفكرته وبين الإنسان ومشاعره القلبية هو من عمل الشيطان؛ لأنّ نتاج التزيين يمرّ عن طريق النفث والوسوسة التي هي الهمس الخفي الذي يحاكي فكر الإنسان وقلبه من غير سماع والذي يؤثّر أثره في البواعث الداخلية للإنسان نحو الفعل ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾(الأعراف:٢٠)، ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾(الناس:٥)، فهو في حركة داخلية نشطة مستمرّة يقظة ومن دون أن يحسّ بها الإنسان، ورد عن الرسولﷺ «إنّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»(١).

---

(١) جامع الأخبار: ١٨٠.

إذن عمل الشيطان تزيين يمر عبر نفث وسوسة بعمليات مختلفة تناسب الانحراف الفكري الذي أثّر على الإحساس القلبي ونتاجاته الذي أساسه فكر الإنسان، فبعد الإحساس القلبي بالفكرة يبدأ عمل الشيطان في التزيين، ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «لولا أنّ الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء»(١).

س: ملخّص ما قلتم: (فإذن عمل الشيطان تزيين يمرّ عبر نفث ووسوسة بعمليات مختلفة تناسب الانحراف الفكري وبعد الإحساس القلبي)، اذكر أهم هذه العمليّات التي ذكرها القرآن التي يستهدف الشيطان من خلالها تكوين الجذب والتزيين لدى الإنسان عن طريق النفث والوسوسة.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ج:

أولاً: النزغ

وهو أن ينفث الشيطان في الإحساس القلبي من فكرة الشر التي انطلقت من الإنسان بما تؤثّر أثرها فيجذبه إلى ما فيه هيجان الإنسان نحو الشر، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾(الأعراف:٢٠٠).

ثانياً: التسويل

وهو أن ينفث الشيطان في الإحساس القلبي من الفكرة التي حرص الإنسان عليها فتجذبه إلى ما تؤثّر أثرها في تصوير القبيح منها بصورة الحسن، قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾(محمّد:٢٥).

---

(١) البحار ٦٧: ١٦١/١٧.

ثالثا : الاستهوا.

وهو تفتيش الشيطان عن هوى الإنسان، فبمجرّد أن يطفح الهوى لدى الإنسان في اتّباعه ينفث الشيطان في هوى الإنسان فيزيّن للإنسان اتّباع الهوى ليبعده عن عقله لتكون نتيجته السقوط والتردّي في الضلال والحيرة. قال تعالى: ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ (الأنعام:٧١).

رابعا: الإيحا.

وهو أن ينفث الشيطان على مشاعر الإنسان القلبية فيزيّن له الضغينة والكراهية لينتج فعلاً منحرفاً مضاداً للآخرين، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ (الأنعام:١٢١).

خامسا: الإغوا.

وهو نفث الشيطان على الأحاسيس القلبية ليزيّن له الاعتقاد والرأي غير الرشيد الذي تأثّر به قلب الإنسان بحيث يلازمه الهلاك. قال تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (الأعراف:١٧٥).

سادسا: الغرور

وهو سقوط الإنسان في محاباة الشيطان بأُسلوب الحيلة والتدليس الخفيّ فيجذبه إلى ما ظاهره الخير والصلاح وفي داخله الفساد وكل ما يوقعه في السوء بعد أن يكون قلب الإنسان فيه ما يهيأ لمحاباة الشيطان، قال تعالى: ﴿فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ﴾ (الأعراف:٢٢).

سابعا: الإغرا.

وهو أن يلصق الشيطان نفسه مع الإنسان بحيث يلحّ في طلبه بالإثارة

والاستغفال والهيجان على الطرف الآخر كلّ حسب مناسبة الموضوع الخارجي، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «إنَّ الشيطان يغري بين المؤمنين»(١).

ثامناً: الاستفزاز

وهو الانزعاج أو الاستخفاف، أي عندما تعرض على الإنسان بعض المغريات يجذب الشيطان الإنسان إلى ما فيه الخفّة في التصرّف والسلوك أو يجذبه نحو الانزعاج ممّا يجعله في كلتا الحالتين ـ الاستخفاف والانزعاج ـ بعيداً عن الله ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ (الإسراء: ٦٤).

س: اذكر بعض الآثار الخارجية التي تترتّب على أعمال الشيطان التي تصدر من الإنسان عندما يخضع لعملية الجذب والتزيين الشيطاني.

ج:

أوّلاً: أن يقع الإنسان في التمنّي الكاذب

وهو التصور الذهني للإنسان بقدر يؤثّر على قلبه بحيث يجعله مطمئناً بقدرته للوصول على ما لا يتحقق من بلوغ الآمال عن طريق التخمين والظنّ الذي اعتمده الإنسان من الأوّل، قال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً﴾ (النساء: ١٢٠)، ﴿وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ (النساء: ١١٩).

ثانياً: أن يقع الإنسان بالخوف

وهو الشعور بالنقص في نفس الإنسان أو الحذر الكثير فيما يتوقّعه الإنسان، أو الوجل والخوف لما يتوقّعه الإنسان لأمارة مظنونة أو معلومة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ (آل عمران: ١٧٥).

---

(١) الكافي ٢: ٣٤٥/٦.

ثالثا: ان يقع الإنسان في الإضلال

وهو متابعة الشيطان الدائمة لسير الإنسان إلى ما فيه الضلال والتيه والانحراف عن الاستقامة في التفكير أو العمل، قال تعالى: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾ (النساء: ٦٠).

رابعا: ان يقع الإنسان في النسيان

وهو حب الإنسان لشيء بحيث يجعله منجذباً إليه فينشغل به فلا يتذكّر ما وراءه سواء كان في الأُمور التكوينية الشخصية أو في أمور الدين والشريعة، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام:٦٨)، ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ (يوسف:٤٢).

خامسا: ان يقع الإنسان في الوعد الكاذب

وهو الشعور بروح العظمة والقدرة التي تنطلق من الإنسان والتي بها يصبح الإنسان خالياً من التعقل فيكون لسانه يسبق التفكير والتأنّي ودراسة الموضوع فتكون النتيجة عدم الالتزام بما ألزم به نفسه أمام الطرف الآخر، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً﴾ (النساء: ١٢٠)، ﴿وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ (إبراهيم:٢٢).

سادسا: ان يقع الإنسان في الفتنة

وهي نمّو قوّة الشر التي صدرت من الإنسان فيقع بحسب ما فيه العذاب والعقوبة والجريمة والنفاق والشرك والبليّة والظلم والإثم وغيرها من مصاديق الفتنة، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ (الأعراف:٢٧)، ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ (الحج:٥٣).

سابعا: ان يقع الإنسان في الخذلان

وهو تنمية المقدّمات الخاطئة التي اعتمدها الإنسان في التقييم بوقوف مَن ينصره ويؤيّده إلى جنبه ثمّ في لحظة الحاجة فلا يجد ناصراً ولا معيناً، قال تعالى: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً﴾ (الفرقان:٢٩).

ثامناً: أن يقع الإنسان في الكسل والملل

وهو الشعور الوهمي الذي يزرع في قلب الإنسان روح الكسل والتعب والملل والضجر واليأس والشك في كلّ عمل خير وصالح كلّ حسب مناسبة موضوعه ممّا لا ينبغي للإنسان تركه، قال تعالى: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ (ص:٤١).

تاسعاً: أن يقع الإنسان في النجوى

وهي انجذاب الإنسان نحو بعض الأعمال التي تمزّق الأُخوة ووحدة المجتمع المؤمن كالغيبة والنميمة وكشف الأسرار وغيرها من الأُمور، بحيث يجعل الشيطان النمام أو المُغتاب أو الذي كشف السرّ مسروراً مرتاحاً بما نمّ به أو بما اغتاب أو بما كشف من الأسرار ليجعل الشيطان المؤمنين دائماً يشعرون بالحزن وعدم الراحة والاطمئنان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (المجادلة:١٠).

عاشراً: أن يقع الإنسان في الهمز واللمز

وهو صدور حركات كالهمز واللمز والغمز من الإنسان بحيث تصير سبباً في أن يدخله في طمع الشياطين به، فتكون هذه الحركات آلة بيدهم يوقعون بواسطتها الإنسان بالاستهزاء والمعيب على الآخرين، قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ (المؤمنون:٩٧).

الحادي عشر: أن يقع الإنسان في الزلل

وهو أسترسال نفس الإنسان من دون قصد منه ممّا يؤدّي إلى انزلاقه في

المواطن التي توجب الحذر وهدوء السير بخطى ثابتة وعدم العجلة في الارتكاب الذي يؤدّي إلى عدم الثبات في موقعه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ (آل‌عمران:١٥٥)، ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ (البقرة:٣٦).

س: ما هي الملاحظات أو التنبيهات التي ترغب بذكرها حول هذا التعداد من العمليات الشيطانية التي ذكرتها في جواب السؤال السابق؟

ج:

١) هناك أعمال للشيطان ذكرها القرآن ولم أذكرها؛ لأنّ أساس القيام بها يرجع إلى إحدى هذه العمليات الشيطانية التي ذُكرت بعناوينها الكليّة.

٢) قد ترى ابتداء التداخل في بعض العمليات التي ذكرناها ولكن عند الفحص والتدقيق سوف ترى أنّ كلّ عملية مستقلّة عن الأُخرى.

٣) لم نعلم بكيفية جريان كلّ عملية سوى المعنى السطحي الذي ذكرناه لعدم وجود نصوص تكشف لنا ذلك.

٤) لم تَجرِ هذه العمليات من قبل الشيطان وتؤثّر أثرها بصورة ابتدائية على الإنسان، بل تسبقها عمليات فاسدة كثيرة ومقدّمات خاطئة بفعل نفس الإنسان ثمّ يأتي دور الشيطان في تنضيجها وتزيينها وتنميتها لينجذب الإنسان إليها.

٥) أنّ طرح هذا النوع من الترتيب لعمل الشيطان وهدفه وآثاره وإن كان إجمالياً يكتنفه بعض الغموض، ولكن يُعدّ كخطوة أولى في أن أُقرّب للإنسان تشخيص ما يقوم الشيطان به لأجعله على بيّنة من عمل الشيطان والتأثير عليه ليسهل عليه حربه وطرده من داخله، تاركاً للعلماء ـ حفظهم الله ـ الدقّة والتفصيل في هذا النوع من البحث من أجل أن يقدّموا للإنسان التشخيص العملي لخطوات

الشيطان، فإنّه كما قيل: (تشخيص الداء نصف الدواء)، وأجزم أنّ من الملكات التي يمتلكها المعصوم أنّه يعرف مداخل الشيطان ويحسّ بها ويراها كرؤيا العين ولهذا لا يؤثّر فيهم، وهذا النوع من العلم لم يحجبه الله على الإنسان، فأترك البحث لأصحاب الاختصاص لفتح هذه الألغاز وكشف غموضاتها لتساعد الإنسان في صراعه مع الشيطان.

س: إذا كان دور الشيطان كما عبّرتم هو التنضيج والتزيين والتنمية، هذا معناه أنّه ليس له تأثير على ذهن الإنسان وقلبه مباشرةً؟

ج:

أنّ تأثير الشيطان مباشرة وابتداءً على ذهن الإنسان وقلبه معناه السلطة الكاملة عليه ومنعه الاختيار، والله سبحانه وتعالى ينفي سلطة الشيطان على الإنسان بأي نوع منها. نعم، تأثيره على قلب الإنسان وما بعد بروز أحاسيسه كما قلنا يتمّ من خلال نفس الإنسان الذي وَلّدَ الفكرة والدافع القلبي والفعل المنحرف وما دور الشيطان في التأثير إلّا تنمية المشاعر القلبية والتوسعة بقدر ما يرغب الإنسان في الاستسلام للشيطان، وهذا ما يحسّ به الإنسان العاقل يوميّاً في ما يفكّر به ويَقدِم عليه ويشعر به بأنّه لا سلطة للشيطان إلّا بقدر ما يسلّم من مشاعره القلبية ليؤكّد ما فكّر به الإنسان، لا أصل الفكرة من الشيطان ولا العمل من الشيطان ولا المشاعر والأحاسيس القلبية من الشيطان، بل فقط دوره تزيين الإحساس القلبي لما فكّر به الإنسان كما قلنا، وعدم السلطان من قبل الشيطان يحسّ به كلّ إنسان، وهذا ما يحتجّ عليه نفس الشيطان يوم القيامة ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم﴾(إبراهيم:٢٢).

س: ألم يعتبر خلق الشيطان ضدَّ حريَّة حركة الإنسان واختياره؟

ج:

أولاً: ليس للشيطان سيطرة على الإنسان حتى يمنع حريّته من الحركة باتجاه ما.

ثانياً: جعل الله تأثير الشيطان على الإنسان أضعف بكثير من تأثير الإنسان نفسه.

ثالثاً: أنَّ تأثير الشيطان واقع تحت إمرة الإنسان، فإذا أراد الإنسان الشيطان واستأنس بعمله واستسلم له فهنا حتماً يكون الشيطان أقوى تأثيراً وسيطرة على مَن يستسلم له ويجعله آمراً عليه، ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ (النحل: ١٠٠).

س: لماذا خلق الله الشيطان؟

ج:

أنَّ هذا السؤال يتكرّر عند العامّة من الناس، ودافع السؤال يستبطن شيئاً واحداً، هو إذا كان الشيطان كلّه شر وهذا دوره في حياة الناس ...فلماذا خلقه وهو يعلم أنَّ أمره سيؤول إلى ذلك؟! فهنا نقول :

١) أنَّ الشيطان لم يكن علّة تامّة لكلّ شرّ ومعصية، فإنَّ فرض عدم وجود الشيطان فالشرّ والمعصية باقية غير أنّها تكون أقلّ مع عدم وجود الشيطان.

٢) من جملة وجود المعصية وأسبابها هو الخلق التكويني للإنسان، وهو وجود استعداد النفس وما تملكه من القوى المضادّة الغضبية والشهوية وغيرها، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس: ٧ ـ ٨)، ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ (يوسف: ٥٣)، فإذا خضع الإنسان للنفس الأمّارة فسيعود نفس السؤال بأنَّ الله لماذا خلق هذا الاستعداد لدى النفس؟ أو لماذا خلق الله

العاصي وهو يعلم أنَّ أمره سيؤول إلى ذلك؟

٣) أنَّ الله خلق هذا النوع من الاستعداد لدى الإنسان ليميّزه عن غيره من الخلق، وليتم من خلاله أحد أهداف خلق الإنسان في الحياة وهو الامتحان، وأن يخلص العمل الصالح من بين المعاناة وحالة الصراع التي من خلالها يكون عمل الإنسان أفضل من عمل الملائكة ومترتباً عليه الثواب في الآخرة.

٤) علم الله السابق بعصيان الشيطان أو بعصيان العاصي لم يكن له أيّ مدخلية في إيجاد العصيان؛ لأنَّ علم الله بالشيء لا يعني إيجاد ذلك الشيء.

٥) أنَّ دور الشيطان السلبي في الحياة كان طلباً من الشيطان الذي قدّمه إلى الله كما بيّنا ذلك في الأسئلة السابقة لهذا البحث.

٦) أنَّ استجابة الله لطلب الشيطان كان لإكمال العناصر المضادّة التي يرى الله ضرورة وجودها في رسم منهجيته لحياة الإنسان على الأرض.

٧) يمكن أن نقول من كلّ ما مرّ: إنَّ خلق الشيطان كأي خلق من مخلوقاته التي سار بعضها في طريق الطاعة والكمال وسار بعضها الآخر في طريق التمرّد والعصيان، وليس لله دخل إلاّ في خلق الاستعداد لقبول الحالتين سواء في الإنسان أو في الجن والشيطان، وإلاّ لكان جميع الخلق واحداً أو معدوماً، تأمّل تجد.

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة:٣٥).

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

١) السكن: أ ـ الهدوء والاطمئنان والراحة. ب ـ هو السكون في مقابل الحركة، وهو من الأُمور الإضافية، فقد يضاف إلى المحل وقد يضاف إلى ترك حركة خاصّة.

٢) الزوج: هو الفرد مع الشبيه له، والمقصود منه هنا حواء زوجة آدم.

٣) الأكل: أ ـ ماهو معروف من مضغ الطعام عن طريق الفم. ب ـ مطلق الصرف والإنفاق.

٤) الرغد: العيش الواسع الكثير من دون عناء.

٥) الظلم: أ ـ عدم النور. ب ـ انتقاص الحق.

س: ما هي الآراء المحتملة الواردة في الجنّة التي سكن فيها آدم؟

ج:

ثلاث آراء:

الراي الأوّل: أنّها جنّة عدن التي وعد بها المتّقون، وذلك للأدلة التالية:

١) وجود الألف والآم التي تفيد التعريف والعهد الذهني حتى صارا كالعلم عليها.

٢) الإنصراف عند إطلاقها إلى جنّة الخلد.

٣) عدم وجود قرينة لفظية متصلة صارفة عن المعنى المعهود.

٤) بعض الروايات لا تنهض بانصرافها عن المعنى الحقيقي كقرائن منفصلة؛ إمّا

لضعف سندها وإمّا لتعارضها، وإمكان الجمع ورفع المنافاة إلى ما هو مرادنا من جنّة الخلد.

٥) وجود ألفاظ مناسبة مستعملة لجنّة الخلد ﴿رَغَداً﴾ و ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾، ﴿أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى﴾.

الرأي الثاني: أنّها جنّة في السماء غير جنّة الخلد، وذلك للأدلة التالية:

١) لو كانت جنّة الخلد لاختار الشيطان طريقاً آخر إلى آدم ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى﴾(طه: ١٢٠)، حيث الخلود حاصل في جنّة الخلد.

٢) أنّ الداخل فيها لا يخرج منها أبداً لأنّها خلقت للبقاء.

٣) أنّها تعمّر بأعمال الناس على الأرض وآدم بعد لم يهبط للأرض.

٤) أنّها خالية من التكليف.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

أقول:

أولاً: أنّ الخلود الذي ذكر في النقطة الأولى لم يكن حاصلاً، وذلك للأسباب التالية:

١) لو كان الخلود حاصلاً في علم آدم وموجوداً في ذهنه لما تمنّى ذلك واستجاب لإبليس.

٢) لم توجد أي قرينة لفظية تصرّح بالخلود ببقائهما. نعم، جاءت كلمة الخلود لهما عن طريق الشيطان وهو كلّه حيلة وكذب.

٣) أنّ وجودهما ـ بألّا تعرى فيها ولا تظمأ ولا تجوع وغيرها من هذه الأمور ـ كان معلّقاً على إرادة آدم وحواء كإنسانين على عدم التقرّب من الشجرة مع وجود القوى المضادة الداخلية والشيطان، أي أنّ وجودهما كان مهدّداً وهذا ما ينافي

الخلود والاستقرار ورغد العيش.

٤) أنّ الخلود قد يستنتج من مفهوم المنطوق للآية وهو (لو لم يأكلا لبقيا من دون إخراج) وهو معنى الخلود، ولكن على تقدير ثبوت هذا المفهوم لمثل هذا المنطوق فهو غير حجّة لعدم مقاومته لما ذكرناه.

ثانيا: أنّ ما ذكره أصحاب الرأي الثاني في النقطة الثانية والثالثة قد عرفوه في الأرض وهو قانون الجنّة ما بعد الحساب، ونحن نتكلّم عن قانون الجنّة قبل نزول آدم إلى الأرض.

ثالثا:

١) أنّ التكليف هو الطريق المنحصر لتوصيل ما يريده الله من غيره، لطبيعة العلاقة بين المولى المطلق سبحانه وبين العبودية المطلقة لغيره إليه، فوجود التكليف له الشمولية منذ بداية أوّل مخلوق ولم ينتهِ مادام هناك مخلوق. نعم، التكليف يسقط لمَن شملهم الحساب ودخلوا الجنّة أو النار.

٢) ليس للتكليف جهة واحدة ونوع واحد، فإنّه كما يكون الأمر أو النهي مولوياً حقيقياً يكون إرشادياً أو إمتحانياً صورياً.

٣) أنّ تقسيم التكاليف بأنواعها وفروعها جاءت بعد الهبوط، وأمّا قبله فكالّا يفهم إلّا الأوامر والنواهي المولوية فقط.

٤) أنّ آدم فَهِمَ المولوية من النهي، وفي حقيقته لم يكن إلّا صورياً امتحانياً، ولم يطّلع الله آدم على حقيقة الحكم في أنّه امتحاني لما تفرضه طبيعة الحكم الامتحاني، كما أنّ الشيطان فَهِمَ مولوية النهي فلذلك سعى إلى تدميره من خلال إغواء آدم، وإلّا لو كان يفهم امتحانية النهي وغايته لسعى إلى اتّجاه آخر

يعطّل فيه معصية آدم ليعطّل إرادة الله في الهبوط، فإنّ إرادة الله أن ينتقل الإنسان إلى الأرض ليأخذ دور الخلافة فيها عبر معصية آدم.

٥) تعيين النهي لأن يكون امتحانياً من قبل الله له غاية كبرى أهمّ من كلّ اعتبار وسيأتي توضيح ذلك إن شاء الله تعالى.

٦) أنّ آثار مخالفة النهي جاءت مطابقة تماماً لما فهمه آدم من حقيقة وجدّية النهي من جهة، ومن جهة أُخرى جاء مطابقاً لواقعية صورية الأمر الذي صدر من الله، فأمّا آثار المخالفة على ما فهمه آدم فقد سلك آدم سلوك العاصي لله من الندم والبكاء والتوبة، وأمّا آثار المخالفة عند الله التي رتّبها الله أن اختاره نبيّاً، لأنّ فعل آدم جاء مطابقاً على ما يريده الله من الحكم الامتحاني، وهذا ما سيأتي توضيحه أكثر إن شاء الله.

الراي الثالث: أنّها جنّة من جنان الأرض اعتماداً على روايات كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام عندما سئل عن جنّة آدم قال عليه السلام: «كانت من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس والقمر، ولو كانت من جنان الآخرة ما خرج منها أبداً»[1].

س: ما هي المحتملات الواردة في تفسير قوله تعالى: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا﴾؟

ج:

أوّلاً: لم يكن آدم في الجنّة قبل هذا الخطاب وبعده انتقل إلى الجنّة لتكون محل سكنى له ولزوجته وخصوصاً إذا لاحظنا أنّ الله بدأ يعرّفه بالجنّة بعد الأمر بالإسكان، قال تعالى: ﴿وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا﴾، ﴿إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا

(١) الكافي ٣:٢٤٧/٢.

تَعْرَى ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾(طه:١١٨-١١٩)، فلو كان ساكنا قبل الأمر لما احتاج إلى هذا التعريف.

ثانيا: لم تكن هناك إشارة لا في هذه الآية ولا في غيرها إلى الإسكان والبقاء الأبدي الخالد مع ملاحظة استعمال لفظ الإسكان الذي يستبطن الوقت المحدّد، وقد يكون لهذا السبب أنّ الله لم يستعمل صيغته الفعلية إلّا في الأرض ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾، وهذا إنْ دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أنّ دخول آدم في الجنة من أجل أن يسكن لينتقل، وأن يكون استقراره في الأرض عبر الجنّة، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «والله لقد خلق الله آدم للدنيا وأسكنه الجنّة ليعصيه فيردّه إلى ما خلقه»[1].

ثالثا: أنّ سبب مرور آدم في الجنّة بهذا المرور السريع وهو سبع ساعات من ساعات الدنيا على ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام عن آبائه عن عليّ عن الرسول صلى الله عليه وآله أنّه قال: «إنّما لبث آدم وحوّاء في الجنّة حتّى أُخرجا منها سبع ساعات من أيّام الدنيا حتّى أهبطهما الله من يومها ذلك»[2] من أجل أن يدخله في التعريف العملي لمجمل هدف الخلق فهو أشبه بالمعسكر التدريبي قبل الدخول في المعركة الحقيقية، الذي يوقظ القوى الداخلية الكامنة في كيان الإنسان ويجعلها مستعدّة عندما تنتقل إلى ميدانها الأصيل، فجعل الله آدم أن يمرّ عملياً بأهم الوحدات التي تواجه الإنسان في الحياة الأرضية وهي ميدان الصراعات والمعركة الحقيقية، ومن أهم تلك الوحدات التي تعرّف عليها آدم:

---

(١) علل الشرائع ٢: ٥٧٨/٣.

(٢) الخصال ٢: ٣٩٦/١٠٣.

١) الجنّة، وهي نعيم الآخرة التي أُعدّت للفائزين والمنتصرين في معركة الحياة.
٢) الشجرة، رمز للحياة الموجودة على الأرض والتي هي محل التكاليف فما يتناول منها متناول إلّا وفيه حلال وحرام يسبقانه.
٣) وجود الشيطان وكيفية أثره السلبي على الإنسان وعداوته له.
٤) وجود التكليف من الأوامر والنواهي والأثر الايجابي عند الالتزام بها.
٥) وجود التكليف من الأوامر والنواهي والأثر السلبي عند عدم الالتزام بها.
٦) حقيقة الجنّة الموعودة وما فيها من رغد العيش والاطمئنان النفسي؛ لأنّها كلّها من الله ولا وجود للشيطان ولا لهوى النفس فيها، وما كان صرف وجوده المباشر من الله لا يكون إلّا رغداً.
٧) حصول المعصية من الإنسان ومعرفة طريق التخلّص من الذنب عن طريق التوبة.
٨) ضرورة تكاثر النوع في الأرض عن طريق الميل الجنسي ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾ (طه:١٢١).
٩) تذوّق الندامة وسوء عاقبة المصرّين وأثرها التكويني والتشريعي على الإنسان.
١٠) الجنّة والنار اللتان تنتظران المطيعين والعاصين.

رابعاً: هنا جاء بكلمة ﴿زَوْجُكَ﴾ أي زوجته حواء التي خلقت بعد خلق آدم ومن نفس طينة آدم، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ (الأعراف:١٨٩).

خامساً: أنّه أوّل فعل يقدّمه الله للإنسان أن أسكنه الجنّة لتكون له راحة لبدنه وسكينة لروحه، وهذا النوع من فعل الله مستمرّ للإنسان بداية ووسطاً ونهاية، وهذه هي سجية الله الثابتة في العطاء والنابعة من حبّه للإنسان ورحمته له، وهذا هو الذي

يريده الله من الإنسان أن يحافظ على استمراره عليه، وبهذا نعرف سبب أن تكون تجربة آدم في الجنّة لا في النار ولا في أي مكان آخر.

س: ما هي المحتملات الواردة في تفسير النهي الوارد في قوله تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾؟

ج:

أولاً: أنّ متعلق النهي هو الأكل من الشجرة لا القرب منها، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾ (الأعراف:٢٢)، وإنّما ورد النهي على القرب لبيان شدّة النهي كما يستعمل القرآن ذلك في موارد عديدة منها ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾ (الإسراء:٣٢)، ﴿وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾ (الأنعام:١٥١).

ثانياً: ورود النهي على القرب يلفت أنظارنا إلى ما في القرب من تأثير في ارتكاب المعصية والوقوع فيها من كونه قد يكون جزء علّة الوقوع في المعصية أو مقدمة لها، وذلك للأسباب التالية:

١) ورد عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «المعاصي حمى الله فمَن يرتع حولها يوشك أن يدخلها»(١).

٢) أن يكون القرب سبباً في أن يشغل الإنسان فكرياً وأن يتفاعل نفسياً وقلبياً بالمعصية.

٣) أن يكون القرب مرتعاً صالحاً لشياطين الإنس والجنّ أن يؤثروا نحو ارتكاب المعصية ويكونوا عامل ترغيب في السقوط في المعصية.

ثالثاً: أنّ في هذه الآية دلالة واضحة على أنّ آدم قد عرف الشجرة بعينها، وذلك

---

(١) وسائل الشيعة ٢٧:١٧٥/٣٣٥٣١.

من خلال استعمال اسم الإشارة ﴿هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾.

س: نحن نعلم أنّ النواهي كالأوامر في أنّها تنقسم إلى قسمين بلحاظ بعث المكلّف نحوها أو الانزجار عنها وهما:

الأوّل: الجدّية، وهي التي تسمّى بالأوامر والنواهي المولوية التي تستتبع العقاب عند المخالفة.

الثاني: الصورية وهي إمّا إرشادية أو امتحانية ولا تستتبع العقاب عند المخالفة، السؤال ما هو نوع النهي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ والذي خالفه آدم؟ اذكر المحتمل في ذلك.

ج:

مخالفة آدم للنهي كانت مخالفة للنهي الامتحاني، وذلك للأدلة التالية:

أوّلاً: أنّ ـ كما قلنا سابقاً ـ الجنّة التي سكن فيها آدم كانت لغاية مؤقّتة وأشبه بالمعسكر التدريبي الذي ينقل صورة التكليف، فدخوله للجنّة دخولاً امتحانياً اختبارياً تدريبياً كي يهبط إلى الأرض، لا نهياً جدياً، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «والله لقد خلق الله آدم للدنيا وأسكنه الجنّة ليعصيه فيردّه إلى ما خلقه»(١).

ثانياً: أنّ في هذا النهي مفسدة لآدم لأجل غاية كبرى لا مبغوضية للمولى، فبعض الغاية أن أراد الله من خلال مخالفة آدم للنهي أن يعلّمه عملاً بحيث يجعله يعيش كيفية عمل الشيطان وعلاقته بالإنسان والآثار التي تترتّب على المعصية ومعرفة بعض الصفات الإلهية التي لا تكون إلّا عند المعاناة من المعصية كالغفور والتوّاب والرحيم والرؤوف والمجيب، وغيرها من الأمور المترتبة على مخالفة

---

(١) علل الشرائع ٢: ٣/٥٧٨.

النهي التي أراد الله أن يعيشها آدم عملياً، ورد في الحديث الشريف عن أبي عبدالله الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام أنّه قال: «أمر الله ولم يشأ، وشاء ولم يأمر، أمر إبليس أن يسجد لآدم وشاء ألّا يسجد، ولو شاء لسجد، ونهى آدم عن أكل الشجرة وشاء أن يأكل منها ولو لم يشأ لم يأكل»[1]. هذه الكلمات التي تحملها الرواية فيها الدلالة الواضحة على امتحانية النهي.

ثالثاً: أنّ مخالفة النهي أبرز الآثار السلبية الشخصيّة التي تتعلّق براحة آدم لا على استتباعه غضب المولى واستحقاق العقاب عند مخالفة تشريعه الذي هو لازم للأمر الجدّي المولوي، قال تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾ (طه: ١١٧)، ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ (البقرة: ٣٦).

رابعاً: أنّ مقام آدم عند الله لم يمسّ بسوء أبداً عند المخالفة، بل على العكس من ذلك حيث جعل ربّه معصيته طريقاً لاستعداده للمهمّة الأرضيّة واختياره نبيّاً، قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ (طه: ١٢١ـ١٢٢).

خامساً: عدم إرجاع الله آدم إلى الجنّة بعد قبول التوبة منه ـ إذا قلنا بملازمة قبول التوبة ذلك ـ فهو يكون من المؤيدات على أنّ النهي نهي امتحاني، بمعنى أنّ هبوطك إلى الأرض باقٍ حتّى لو قبلنا توبتك؛ لأنّ الهبوط لم يكن عقوبة لمخالفتك ولم يكن له علاقة بالعصيان أصلاً، بل قد يكون على العكس من ذلك، فإنّ الهبوط لابدّ أن يكون، وأنّه صورة من صور رحمته سبحانه وتعالى، ورد في خبر: «لمّا أمر الله آدم بالخروج ووضع آدم قدمه خارجاً قال: (بسم الله الرحمن الرحيم) فلمّا

---

(١) الكافي ١: ١٥٠/٣.

سمع جبرئيل منه أوقفه انتظاراً للرحمة، فقال: إلهي ترحم عليه فقد ذكر كلمة عظيمة. فأعاد الله الأمر بالهبوط ».

سادساً: أنّ الألفاظ التي وردت عندما خالف آدم النهي بالأكل من الشجرة مثل ﴿وَعَصَى آدَمُ﴾ و ﴿فَغَوَى﴾ ففيها ملاحظتان:

١) أنّ هذه الكلمات كما تستعمل في المخالفة المولوية تستعمل في المخالفة الامتحانيّة، وتعيين الامتحانية يحتاج إلى قرينة، وما ذكرناه سابقاً يمثّل عدّة قرائن وأدلّة تثبت امتحانيّة النهي.

٢) أنّ هذه المصطلحات قد جاءت على ما فهمه آدم من جديّة النهي المولوي لا على الحقيقة الامتحانية التي يعلمها الله ولم يطّلع آدم عليها لطبيعة مجيء الأمر الامتحاني وإلّا لم يكن أمراً امتحانياً لو اطّلع عليه آدم.

سابعاً: أنّ الأوامر الامتحانية لها وجود في القرآن، كأمر الله بذبح إسماعيل ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ (الصافات:١٠٢).

س: لماذا لا يمكن القول بأنّ ما ارتكبه آدم من المخالفة كان مخالفة لحكم إرشادي من الأصل؟

ج:

الحكم الإرشادي هو البعث الصوري الذي ليس بطلب وأمر حقيقة، بل ليس هو بالدقّة إلّا إخباراً عن مصلحة الفعل وإرشاداً وهداية إلى فعل ذي صلاح بحيث لا يترتّب لدى العرف والعقلاء على موافقته إلّا الوصول إلى مصلحة العمل المرشد إليه، وعلى مخالفته إلّا فوت تلك المصلحة، فهذا الحكم وإن كان يلتقي مع امتحانية

الأحكام بوجه من جهة صورية البعث، ولكن يصعب تشخيص وجوده في الأحكام الصادرة من الله في الموارد التي تشتبك المولوية مع غيرها، مع أنَّ القرائن الامتحانية أقوى كما هو الواضح والمنسجم مع هدف إسكان آدم وحوّاء في الجنّة ومع الادلة التي طرحت.

س: لماذا لا يمكن القول بأنَّ ما أرتكبه آدم من المخالفة كان من باب ترك الأولى؟

ج:

ترك الأولى، وهو الفعل الذي لا يليق بمرتكبه أن يفعله لعلو منزلته وإن كان ذلك الفعل في الأصل مباحاً أو مستحباً في بعض الأحيان من باب (حسنات الأبرار سيئات المقرّبين)، ولكنني أشك بجريانه في مورد يوجد فيه مثل هذا النهي من الله المنحصر في التناول من الشجرة، مع ملاحظة أنَّ الحكم الشرعي المكروه وجه من وجوه ترك الأولى، والمعصوم لا يرتكب مكروهاً.

س: لماذا هذا الاهتمام بحمل النهي الذي وُجّه إلى آدم على غير ظاهره من الامتحانية أو الإرشادية أو ترك الأولى؟

ج:

لأننا نعتقد بالعصمة التكوينية للأنبياء والأئمّة جميعاً، ومن جميع الجهات في القول والفعل قبل النبوّة والإمامة وبعدها. وهذا الاعتقاد مأخوذ من القرآن والسنّة والعقل، وهذا البحث سيأتي عند تقسيم الإرادة في سورة البقرة آية ١١٧ وفي بحث الإمامة إن شاء الله.

س: عرفنا من خلال السرد السابق من الشرح والأدلة أنَّ أصل النهي الذي وجِّه لآدم من قبل الله كان نهياً مولويّاً امتحانيّاً، وإنَّ ما فهمه آدم من النهي بأنّه كان نهياً مولوياً جدياً، فتكون النتيجة أنَّ ما ارتكبه آدم كان معصية قد صدرت منه بالفعل حسب فهمه للنّهي، أليس ذلك خروجاً عن العصمة؟

ج:

سيأتي في الآية التالية في جواب السؤال الذي يسأل عن كيفية نجاح الشيطان باستزلال آدم، وطرحنا عدّة نقاط في الجواب، فبمجموع تلك النقاط التي أحاطت بآدم حوّلت قناعته من النهي المولوي الحقيقي الجدي إلى نهي إرشادي، ولهذا عندما عاتب الله آدم وحوّاء أحسّ آدم بكذب الشيطان وأنَّ النهي لم يتبدّل، فاعتقد بذلك أنّه وقع في معصية الله فكان من أوّل البكائين والتائبين.

س: إذا كان النهي الذي ورد لآدم نهياً امتحانياً فلماذا لم يكن الأمر الذي وجّه لإبليس بالسجود أمراً امتحانياً أيضاً؟ اذكر المحتملات من الجواب.

ج:

أوّلاً: عند إطلاق الأمر أو النهي يحمل على ظاهرهما وهو الوجوب أو الحرمة المولويّين، ولا يتخلّى عن هذا الظهور إلّا بوجود قرائن تصرفه عن هذا الظهور، وقد ذكرنا القرائن الكثيرة التي سبّبت الإنصراف من المولوية إلى الامتحانية، فالنهي الموجّه إلى آدم كانت تحفّه عدّة قرائن كما ذكرنا، بعكس الأمر الموجّه إلى إبليس الخالي من أيّ قرينة من هذا القبيل.

ثانياً: توجد النصوص الكثيرة التي تحمل الدلالة الواضحة الصريحة على الأمر

المولوي الجدّي، قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾(الأعراف:١٢)، وغيرها من تفاصيل الآيات التي مرّت والتي توبّخ الشيطان لتركه السجود.

س: هل صدرت أوامر مولوية من قبل الله قبل الهبوط؟

ج:

قد صدرت عدّة أحكام مولوية في السماء قبل هبوط آدم منها:

١) ألى آدم ﴿أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾(البقرة:٣٣).

٢) للملائكة وإبليس ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾(البقرة:٣٤).

٣) لآدم وحواء ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾(البقرة:٣٥).

فلو خالف أيّ واحد منهم الأمر الموجَّه إليه لنال غضب الله واستحقَّ العقاب كما حصل للشيطان.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

س: ما هي المحتملات الواردة في حقيقة الشجرة في قوله تعالى:﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾؟

ج:

أوّلاً: أنّها شجرة ماديّة ولكن اختلفوا في ثمرتها لاختلاف الروايات الواردة في تعيينها: أنّها شجرة العنب، شجرة حنطة، شجرة سنبل، شجرة تفّاح، شجرة تين ... وهكذا، وقد تكون جامعة لكل ما ذُكر من الثمرات؛ لأنّها من شجر الجنّة وليست كشجرة الدنيا كما هو جواب الإمام الرضا﵇ في إحدى الروايات الواردة.

ثانياً: أنّها شجرة معنوية ولكن اختلفوا فيما هي لاختلاف الروايات كذلك: أنّها شجرة الخلد، شجرة معرفة حقائق الأمور، شجرة العلم، شجرة الحسد.

ثالثاً: أنّها لم تكن شجرة حقيقية، بل هي الحياة التي تظهر بأشكال مختلفة

لبعض الأنبياء، وشاء الله أن تبرز الحياة لآدم في الجنّة على شكل شجرة ليكتسب الدرس، قد توجد قصة في ذلك: قد حدثت مع أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقد جاءته الحياة متمثّلة له على شكل امرأة جميلة وتعرّضت له حينما كان في بعض حيطان فدك وفي يده مسحاة، فهجمت امرأة من أجمل النساء فقالت: يابن أبي طالب، إن تزوّجتني أُغنك عن هذه المسحاة، وأدلّك على خزائن الأرض، ويكون لك الملك ما بقيت، قال لها: «فمَن أنت حتّى أخطبك من أهلك؟». قالت: أنا الدنيا، فقال عليه السلام: «ارجعي فاطلبي زوجاً غيري، فلستِ من شأني»[1].

رابعاً: أنّها شجرة عادية ولكن وجودها وجود رمزي ترمز إلى كلّ شيء محذور عنه في الدنيا ليعرّف الله من خلالها الأثر السلبي لارتكاب المحذور الإلهي على الإنسان من جهة، ومن جهة أُخرى أن يعرّفه حالة الصراع التي بها تنبت إرادة الإنسان وتنمو، ومن خلال الحذر منها يمكن للإنسان أن يتسلّق درجات الكمال، وبهذه الدرجات يتميّز الإنسان المؤمن عن غيره عند الله.

خامساً: أنّها شجرة لم تكن معروفة لاختلاف الروايات وعدم ذكر نوعها في القرآن لعدم وجود فائدة تترتّب على ذلك كما هي طريقة القرآن في أن يسكت عن الأُمور التي لا تنفع ولا تدخل كجزء جوهري في الحدث.

س: ما هي المحتملات الواردة في تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾؟

ج:

أوّلاً: أنّ ما يصدر من الله حقّ وبأعلى درجات الكمال، وكل مخالفة له ظلم

---

(١) البحار ٤٠: ٣٢٨/١٠.

صغيرة أو كبيرة، مولوية أو غير ذلك، لأنها انتقاص للحق والكمال وامتناع للـنور يتناسب مع درجة المخالفة ونوعها وبالتالي تكون المخالفة ظلماً ولو على المستوى القليل غير المحسوس من درجات الكمال.

ثانياً: أنّه ظلم للروح والنفس عند خروجها عن الراحة والهدوء والاطمئنان في الجنّة، قال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ (الأعراف:٢٣).

ثالثاً: أنّه ظلم للبدن عند خروجه من رغد العيش والأكل في الجنّة.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (البقرة:٣٦).

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

١) أزلّ: أ ـ انزلق. ب ـ استرسل بالشيء من دون قصد ولو من جهة الغير مكراً.

٢) الهبوط: هو النزول من الأعلى إلى الأسفل.

٣) العدو: أ ـ المتجاوز. ب ـ المنافي للالتئام.

٤) الاستقرار: الثبوت.

٥) المتاع: أ ـ مجموع الحاجات. ب ـ ما يستمتع به.

٦) الحين: الفترة الزمنية المجهولة التي تنتهي إلى حدّ معيّن.

س: ما هي المحتملات الواردة في كيفية نجاح إبليس في أن يستزلّ آدم وحواء ويجعلهما يخالفان النهي فيأكلان من الشجرة وذلك بتحويل قناعتهما بالنهي من المولوي الحقيقي الجدّي إلى النهي الإرشادي؟

ج:

أولاً: أنّ آدم لم يكن بحسبانه أنّ أحداً يكذب ويمكر وهو في السماء لعدم معايشته لذلك، ولعدم وجود تجربة سابقة في ذلك، بل كان كلّ ما حوله يعيش الصفاء الروحي والصدق التام مع الله ومع غيره، فهو كان يعيش في الجهة الواحدة في التعامل وهي جهة الصدق، مع ملاحظة الفترة الزمنيّة القصيرة جداً في البقاء التي لم تتجاوز السبع ساعات ـ كما ورد في الحديث الذي ذكرناه سابقاً ـ التي لا تعطي

التجربة الكافية في أن يعرف حقائق الأُمور.

ثانيا: تقدّم الشيطان لهما بعنوان كونه من الناصحين ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (الأعراف:٢١).

ثالثا: أقسم الشيطان لهما بالله ليؤكّد أنه من الناصحين ليفتح قلبهما إليه ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ (الأعراف:٢١).

رابعا: الأُسلوب الذي استخدمه الشيطان من الوسوسة والغرور الخفيين الذي أخذهما فيه وهما عن غفلة من أمثال هذه الأساليب ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ (الأعراف:٢٠)، ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ (الأعراف:٢٢).

خامسا: استعمل الشيطان معهما الكلمات المناسبة مع دخولهما للجنّة وطموحهما فيها كما هو طموح أيّ إنسان عاقل يدخله الله في جنّته ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ (الأعراف:٢٠)، ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ (طه:١٢٠).

س: لماذا وقع اختيار الشيطان على الإنسان في عمله؟

ج:

أنّ غرض الشيطان هو تحدّي الله والتمرّد عليه نتيجة استكباره، وكان علّة نشوء استكباره هو حسده للإنسان وعداوته له، وقد عرف قدرته عليه بعد التجربة التي نجح فيها مع آدم، وبعدها حصل على تفصيلات حياة الإنسان على الأرض قبل هبوطه، فصار الطريق المنحصر لعكس هذا التمرّد والتحدّي بالنسبة إليه هو الإنسان،لهذا هنا تقدّم لله بطلب عدّة أُمور ذكرناها في مبحث الشيطان، فصار الإنسان آلة الشيطان ومنفذه الوحيد الذي من خلاله يبرز الشيطان تحدّيه لله.

س: ما هو غرض الشيطان في عمله الذي وجّهه إلى آدم وحواء؟

ج:

الغرض واحد وهو إبداء سوءة آدم وحوّاء، قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا﴾ (الأعراف: ٢٠).

س: لماذا حصر الشيطان غرضه في إبداء سوءة آدم وحواء؟ اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

أولاً: الشيطان قد عرف عناصر خلقة آدم وزوجته وشاهد هناك منافذ كثيرة يمكن أن ينفذ من خلالها لعرقلة حركة الإنسان نحو الله ورأى أفضل طريق وأسهله عليه وأكثره سقوطاً للإنسان هو طريق الشهوة الجنسيّة، ومن هنا نعرف أنَّ هدف الشيطان هو أن يُدلِّ آدم وزوجته بغرور على الشجرة للتناول منها حتى يصل إلى مرماه وغايته وهدفه وهو إبداء سوآتهما ليبدأ عنصر الشهوة بالتفاعل حتى يبتدئ عمله المفضَّل في سقوط الإنسان تحت عامل الغريزة الجنسيّة.

ثانياً: أن يخضع الشيطان اختيار آدم وحواء تحت تأثير هوى النفس، فإنَّ الجنَّة كلّ ما فيها من الله من دون اختيار للإنسان فيها؛ ولهذا يكون العيش فيها كلّه رغد ومن دون أي منغّص ينغّص عيشه فيها من المنغصات الباطنية كالجوع والعطش وما تفرزه البواطن من القاذورات، ولا منغصات خارجية من الحرارة والرطوبة والبرودة حتّى تؤثّر أثرها السلبي على الظاهر أو الباطن، ولهذا كانا يأكلان من كل الأشجار من دون أي منغّص إلّا هذه الشجرة المنهي عنها، فإنّها تحت اختيار آدم وحواء، فإن أكلا منها مع وجود النهي عنها فقد تأثّر اختيارهما بهوى النفس ووقع تحت هوى

النفس وخرج الأكل عن كونه خالصاً من الله، فعند ذلك تبدأ المنغّصات في الظهور، وأبرز ظهور للمنغّصات هي عن طرق السوءة حيث الريح والغائط والبول. ولهذا أخذ كلّ واحد منهما يستر نظر الآخر عن النظر إليه حياءً ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾(الأعراف:٢٢)، وهذه إحدى الفوارق بين الأكل في الجنّة والأكل في الأرض، والحياء هو الذي دفعهما لأن يخصفان عليهما من ورق الجنّة للستر.

ثالثاً: أن ينزّل الشيطان الإنسان إلى مستوى الحيوان وأن يظهر فيه منقصة، فإنّ الله كرّم بني آدم بعدم ظهور سوآتهما وميّزه عن بقية الحيوانات بذلك ظنّاً منه أن يؤكّد علّوه وميزته العالية عليه، وبالتالي يكون قد كذّب الله في تفضيله للإنسان عليه.

س: ما هي الأدلة التي تثبت أنّ آدم وحواء قد شاهدا الشيطان كحقيقة خارجية فتكلّم معهما ولم يكن بواسطة التأثير كما هو الجاري مع الإنسان؟

ج:

أنّ آدم وحواء قد شاهدا الشيطان حقيقةً وبالخارج، وذلك للأمور التالية:

١) قد عرّفهم الله الشيطان بالإشارة إليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ﴾(طه:١١٧).

٢) استعمال كلمات المخاطبة المباشرية بينهما، قال تعالى: ﴿قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾(طه:١٢٠)، ﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ﴾(الأعراف:٢٠).

٣) القسم الذي أدّاه الشيطان أمامهما وقدّم نفسه لهما أنه من الناصحين، قال تعالى:

﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾(الأعراف:٢١).

٤) لم نرَ ردّاً من قبل آدم وزوجته بعدم شعورهما به مثلاً أو عدم مشاهدته وغيرها من الكلمات.

س: ما هي المحتملات الواردة في مكان حصول اللقاء بين آدم وحواء والشيطان؟

ج:

الأوّل: أنّه بفناء الجنّة وقبل دخولهما إليها.

الثاني: أنه في جنّة غير التي أمر الله آدم وحواء بدخولهما إليها، فالمكان غير جنّة الخلد عند الله واسع، وخروج الشيطان وطرده الذي تحدّث عنه القرآن بقوله تعالى: ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ﴾(الأعراف:١٣)، فيه احتمالات:

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١) اهبط من السماء التي هي محلّ علو ورفعة وارتقاء رتبة وتشريف لا محلّ نزول وتمرّد وتكبّر.

٢) اهبط من المكان الذي حصل فيه الأمر بالسجود لآدم.

٣) الهبوط هبوط معنويّ وهو مكان القرب الإلهي والمنزلة التي فقدها الشيطان برفضه للسجود.

٤) اهبط من الملائكة وهذه الأرواح الطاهرة الطائعة التي كنت تعيش معها فلا مجال أن تعيش معها بعد تكبّرك وتمرّدك وعصيانك.

س: ما هي المحتملات الواردة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾؟

ج:

١) أنّه الهبوط الأوّل التكويني من الجنّة التي كان فيها إلى مكان ما ثمّ استتبعه هبوط ثانٍ تكويني إلى ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً﴾.

٢) أنّه هبوط واحد مركّب من هبوطين، الهبوط الأوّل التكويني من الجنّة التي كان فيها إلى الأرض، والهبوط الثاني تشريعي ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾(البقرة:٣٨)، فهو على وزن هبوط النبي نوح﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾(هود:٤٨).

٣) أنّه هبوط واحد جاء ببيانين، الأوّل: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ لبيان أصل الهبوط من الجنّة إلى دار الشقاء والعداوة، والثاني: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ لبيان هدف وغاية الهبوط؛ فهو إمّا أن يظهر سعادة بعض الناس، أو أن يظهر شقاوة البعض الآخر.

س: عدّد الأسباب التي ذكرها القرآن التي صارت بمجموعها أو بعضها واسطة في سبب خروج آدم من الجنّة.

ج:

الأوّل: خضوع آدم لوسوسة الشيطان ولغروره ولكلماته.

الثاني: الأكل من الشجرة.

الثالث: ظهور سوآتهما.

الرابع: نسيان العهد، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾(طه:١١٥).

س: هل العهد الذي نساه آدم هو التكليف بالنهي بالقرب من الشجرة أم

شيء آخر، وضّح ذلك من خلال الشاهد المذكور في ذلك وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾(طه:١١٥)؟

ج:

أولاً: أنّه ليس التكليف بالنهي؛ لأن الشيطان قد أكّده بذكره إليهم بقوله: ﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ (الأعراف:٢٠).

ثانياً: أنَّ العهد قد يكون هو الميثاق الكلّي العمومي المأخوذ من جميع الناس وهو عهد الربوبية الذي يجب أن يرجع إليه عند الحاجة أو الشّك فيما هو مختصّ بالله.

ثالثاً: أنَّ العهد قد يكون هو تعريف الله آدم بعداوة الشيطان له بقوله تعالى: ﴿وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (الأعراف:٢٢).

رابعاً: أنَّ نسيان العهد هنا قد لا يكون بمعنى غفلة آدم عن عداوة الشيطان، بل قد يُراد منه الإنساء، أي أنسى الله آدم عداوة الشيطان لمصلحة فيه، ليعرّف آدم بعدم إمكان الجمع بين العيش الخالد المأخوذ من الشيطان وبين العهد المأخوذ عليه من قبل الله، ولهذا عندما اختار العيش الخالد عن طريق الشيطان نسي العهد. وقد تكون هناك أسباب أخرى لجريان مقادير الله على الأرض.

ورد عن أحدهما عليهما السلام وقد سئل كيف أخذ الله آدم بالنسيان؟ فقال: «إنّه لم ينسَ وكيف ينسى وهو يذكره ويقول له إبليس: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾»[1].

---

(١) تفسير العياشي ٢: ٩/٩.

خامساً: حقيقة النسيان تبرز في حالة عندما يصل الإنسان إلى ذروة الفعل، فإنّه في هذه اللحظة فقط ينسى فيها الإنسان كلّ شيء إلّا فعله الذي قصده بحيث يفقد عنده الإرادة فلا يأتي في ذهنه شيء حتّى يستعمل إرادته في أنْ يترك فبالإمكان ألّا ينسى، أو يمتلك الإرادة على الترك قبل الفعل أو أثناءه أو بعد الفعل، ولكن في تلك اللحظة التي ذكرناها لا يمكن، ولهذا تجد الآية ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ إشارة إلى تلك اللحظة التي وصل آدم إليها وإلى تلك الذروة التي فقد من خلالها الإرادة لفقدان العزم على الرجوع، وقد أظهر الله هذه اللحظة الباطنية لآدم لنعرف أُموراً منها:

١) أنّ الله قد ذكر العزم الذي هو آخر مقدّمات الإرادة الأربعة من تصوّر فعل الشيء أو تركه والتصديق بحسنه ثمّ الجزم به ثمّ يأتي أخيراً العزم عليه، فإذا كملت هذه المقدّمات تنشأ الرغبة والشوق الذي يقتضي تحريك المُريد نحو المُراد، ويسمّى ذلك الشوق بالإرادة، وبهذا نعرف أنّ علّة معصية آدم مركّبة من جزءين: وسوسة الشيطان وإرادة آدم.

٢) استمرار قناعة آدم بما قاله الشيطان بحيث لم تجد لآدم العزم على التذكر.

٣) أنّ خضوع الإنسان للشيطان في فعل ما لا يستدعي الخضوع المستمرّ له حتّى نهاية الفعل، بل إنّ هناك مجالاً للإرادة لأن تجري في عملها قبل الوصول إلى ذروة الفعل التي فيها يفقد الإنسان العزم على الترك وبالتالي فقدان الإرادة.

س: ما هي المحتملات الواردة في تفسير قوله تعالى: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾؟

ج:

أولاً: أنّه تقييم الله لشخصية الشيطان الذي لا رجوع عن حقده وحسده وبغضه للإنسان إلى يوم القيامة حيث الله العالِم بكلّ شيء بما كان وما سيكون.

ثانياً: يعرّف الله الإنسان بأنّ الشيطان هو العدو الأوّل له ولا يستريح عن عداوته له ولا يمكن أن ينقلب يوماً ما صديقاً أو محباً، بل يجب على الإنسان أنْ تكون علاقته مع الشيطان هي عدم العلاقة أبداً.

ثالثاً: ليس الشيطان وحده العدو بل أعوانه من الناس كذلك الذين يمثّلون الشيطان بأعمالهم وقلوبهم وحقدهم وأنانيتهم وكبريائهم وأرواحهم المريضة الذين يتحرّكون كجنود مجنّدين إلى الشيطان من حيث يشعرون أو لا يشعرون ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾.

رابعاً: لم يأمر الله بالعداوة بينهما؛ لأنّ الله لا يأمر بذلك، بل مقتضى الحال الذي أمرهم بالهبوط وهم في حالة يكون أحدهما عدواً للآخر.

س: ما هو المحتمل الوارد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾؟

ج:

أنّ استقرار الإنسان وسكناه في الأرض، ويوجد فيها قوام حياة الإنسان ومعيشته من الأكل والشرب واللباس وكل شيء، وهي مستقرّ لما بعد الحياة وهو عالم القبر والبرزخ؛ لأنّ بقاء الحياة فيها مؤقت ولفترة زمنية محدّدة. فدار الأرض دار فناء لا بقاء.وفي الحالتين هي مستقرّ إلى حين لا يعلمه أحد إلّا هو، وما يحتاجه الإنسان في الحالتين هو المتاع ومتاع الآخرة أهم، وكلّ محله الأرض التي بها عُرف الأنبياء والأولياء والصدّيقون ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ (القيامة:١٢).

﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة:٣٧)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

١) التلقي: أ ـ التلقّن. ب ـ الأخذ.

٢) التوب: أ ـ العود والرجوع. ب ـ أجمل صور الاعتذار.

● **التوبة في القرآن والسنّة**

س: ما هي المحتملات الواردة في مكان ووقت حصول الندم من آدم وقبول توبته من قبل الله؟

ج:

الأوّل: حصول الندم من آدم وقبول التوبة من الله بعد الهبوط وفي الأرض، قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة:٣٦ـ٣٧)، حيث تجد أنّ الآيتين خاليتان من ذكر ندم آدم قبل الهبوط إلى الأرض، وتلقى الكلمات وقبول التوبة بعد الهبوط.

الثاني: حصول الندم من آدم وقبول التوبة من الله في الجنّة، قال تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى * قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً﴾ (طه:١٢١ـ١٢٣)، هنا جاء الهبوط بعد التوبة.

الثالث: حصول الندم من آدم في الجنّة، وقبول التوبة من الله عليه في الأرض، قال تعالى: ﴿فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ

عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ۞ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۞ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ (الأعراف:٢٢-٢٤)، حيث هذه الآيات تبرز الندم وتخفي قبول التوبة في الجنّة، وبهذا الاحتمال يمكن الجمع بين ما ظاهره الاختلاف.

س: ما هي المحتملات الواردة في كيفية تلقي آدم من ربّه كلمات التوبة؟

ج:

١) ألهام مباشر من الله.

٢) علّم الله آدم الكلمات عن طريق ملائكته تعالى.

٣) عن طريق الإلهام والاستعداد التكويني والقابلية الفطرية لدى الإنسان حيث علّمه الله كلّ الأسماء، فبإمكانه أن يعبّر بما هو مناسب عند الحاجة.

س: اذكر الأسباب المحتملة في كون التوبة عن طريق الكلمات والمحاكاة مع الله على الرغم من ورود حديث عن الرسول محمّدﷺ أنه قال: «كفى بالندم توبة»[1].

ج:

أوّلاً: لا منافاة حيث التوبة أوّل طريقها الندم ثمّ ترتقي إلى الأفضل مع الكلمات المعبّرة عنها.

ثانياً: أنّ ذكر تلقي الكلمات من الله من قبل آدم للتنبيه على الدور الكبير الذي

---

(١) التوحيد: ٦/٤٠٨.

تؤدّيه الكلمات في كشف المعاناة الداخلية للإنسان والوصول إلى مطلبه الذي يريد أن يعرضه على الله وخصوصاً إذا كانت كلمات التوبة مأخوذة من كتاب الله أو من ألسنة المعصومين عليهم السلام أجمعين.

ثالثاً: أنّ الله كما أراد للجوانح أن تخضع وتتذلل وتندم على ما اقترفت من المعاصي فكذلك يريد الله من الجوارح عن طريق الكلمات أن تظهر الندم والخضوع والتذلل.

رابعاً: أنّ الندم من الأُمور القلبية والذي لا يقف على شيء ثابت من دون وهم الذهن ودخول ما ينافي الندم، وما دور كلمات التوبة إلّا تلقّن القلب عمق الندم واستمرار تأثيره وزيادته في النفس حتّى تثبّته كقناعة وجدانية في ضمير الإنسان.

خامساً: أنّ ظهور التوبة على اللسان من خلال النطق بكلمات التوبة تحفّز الآخرين على التوبة وتؤثّر أثرها فيهم عند سماعهم إليها، فهي طريق من طرق التربية والتبليغ.

سادساً: أنّ استعمال كلمات التوبة بما شاء الإنسان من الكلمات وإن يحصل بها الغرض وقبول التوبة من رحمته إلّا أنّه لا تمثّل اللغة المناسبة مع مقام ربّه، وقد يكون لأجل هذا انتظر آدم تلقي كلمات التوبة من ربّه، ومن هنا يمكننا القول بأنّ الاستعانة بكتاب الله وما ورد عن المعصومين من كلمات التوبة والدعاء لهي أفضل لغة مناسبة مع الله من جميع النواحي.

سابعاً: ألّا يراد من تلقي الكلمات نوع الألفاظ المتلقية، قد يراد من الكلمات شيء آخر قد تلقاه آدم من ربّه كتعريف طريقة التوبة أو اصطفائه نبياً وتوضيح مهمّته في الحياة كنبيّ وغيرها من المحتملات المتعلقة بالفعل لا بالكلمات، حيث

القرآن قد استعمل الكلمات في غير عالم الألفاظ ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (آل عمران:٤٥)، فقبول التوبة قد وقع على ما حصل من آدم من الندم والتوسّل بصورة مستقلّة عن الكلمات، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «...ثمّ بسط الله سبحانه له في التوبة، ولقّاه كلمة رحمته»[1].

س: ما هي المحتملات في السلوك الذي اتّبعه آدم حتّى حصل على قبول التوبة من الله؟

ج:

أولاً: حصول الندم عند آدم.

ثانياً: حصول الإخلاص عنده في اللجوء إلى الله بالتوبة إليه.

ثالثاً: استعمل كلمات التوبة بكلّ صدق ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف:٢٣).

رابعاً: كرّر الكلمات عدّة مرّات حتى عاش ما تحمله الكلمة من معنى وحتى أخذ قلبه يضيف كلمات ليزيد تضرعاً لله وخشوعاً وليسمع الله مناجاته وتوسّله إليه، ورد في الحديث أن آدم كان يقول: «لا إله إلّا أنت سبحانك اللّهم وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي وأنت خير الغافرين، لا إله إلّا أنت سبحانك اللّهم وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فارحمني وأنت خير الراحمين، لا إله إلّا أنت سبحانك اللّهم وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي وتب عليّ إنّك أنت التوّاب الرحيم»[2].

---

(١) نهج البلاغة ١: ٢٢/١.

(٢) الكافي ٨: ٣٠٤/٤٧٢.

خامساً: عاش الاستغفار بتفاعل الجوانح بالخشوع والتذلل والانكسار لله وعاش تفاعل الجوارح بكلّ وجل وخوف حتى عُدَّ آدم من أوّل البكّائين على ما ورد في الروايات.

سادساً: لم تكن توبة آدم من معصية لا كبيرة ولا صغيرة حتّى ينتظر القبول المتصوّر، وإنّما هي الذات العالية التي يمتلكها آدم التي تجعله يشعر بالتقصير أمام الله ولو كان بأقلّ من هذا المستوى من الزلل، وقبول توبته معناه إخباره بأنَّ ذاته باقية على تمامها وكمالها لم ينقصها الزلل بشيء ولذلك اجتباه كنبي.

س: ما هو التعريف الاصطلاحي والشرعي للتوبة؟

ج:

التوبة: هي العزم على ترك الذنب وعدم العود إليه بأبلغ وجوه الاعتذار وأفضلها، أي بالندم القلبي الخالص.

س: ما هي الأدلة التي تثبت وجوب التوبة؟

ج:

١) الكتاب: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران:١٣٥).

أوّلاً: التوبة واجبة على الله أي رجوع الله إلى العبد وقبول توبته؛ وذلك لأنَّ الله هو الذي أوجب على نفسه من نفسه ذلك ووعد به والله لا يخلف الميعاد من باب لطفه ورحمته بالعباد، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ﴾ (النساء:١٧)، ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ (الأنعام:٥٤).

ثانياً: التوبة واجبة على عامّة المذنبين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ (التحريم:٨)، وغيرها كثيرة

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

في كتاب الله حيث ظاهر الأمر ﴿تُوبُوا﴾ يدلّ على الوجوب.

٢) السنّة: الروايات الدالة على وجوب التوبة كثيرة، منها: ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنّه قال: «الإصرار أن يذنب الذنب فلا يستغفر الله، ولا يحدّث نفسه بالتوبة، فذلك الإصرار»(١).

٣) العقل: وجود الذنب أو الخطيئة أو المخالفة و الإصرار عليه أو تكرارها بنفسها أو غيرها يجلب ضرراً إن لم يكن مادياً فمعنوي، فيجب دفعه عقلاً.

س: ما هي الأدلة التي تثبت أنّ الله يقبل توبة العبد المذنب؟

ج:

١) الكتاب: والآيات كثيرة منها، قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنعام: ٥٤).

٢) السنّة: وهي كثيرة أيضاً، منها ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «أوحى الله إلى داود النبي عليه السلام: يا داود، إنّ عبدي المؤمن إذا أذنب ذنباً ثمّ رجع وتاب من ذلك الذنب، واستحيا منّي عند ذكره، غفرت له، وأنسيته الحفظة، وأبدلته الحسنة ولا أبالي وأنا أرحم الراحمين»(٢).

٣) العقل:

الدليل الأوّل: القائل بخلخلة النظام الكوني والاجتماعي، حيث غير المعصوم من الناس يعني وقوع الإنسان في المعصية لأسبابها المختلفة من وجود النفس

---

(١) وسائل الشيعة ١٥: ٣٣٨/٢٠٦٨٢.

(٢) ثواب الأعمال: ١٣٠.

الأمّارة بالسوء وزينة الدنيا والشيطان وغير ذلك، فمع عدم الغفران يعني أن يعيش الإنسان حالة القنوط الدائم التي تشلّ حركته نحو الكمال وتسدّ إفاضة الله على عبده المذنب وعطاءه لقنوطه، وهو قبيح، والقبيح يستحيل صدوره من الله، فلابدَّ من قبول التوبة منه تعالى.

وممّا يسند ذلك ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «يامحمّد بن مسلم، ذنوب المؤمن إذا تاب منها مغفورة له، فليعمل لما يستأنف بعد التوبة والمغفرة، أما والله إنّها ليس إلّا لأهل الإيمان»، قلت: فإن عاد بعد التوبة والاستغفار من الذنوب، وعاد في التوبة؟ قال عليه السلام: «يا محمّد بن مسلم، أترى العبد المؤمن يندم على ذنبه ويستغفر منه ويتوب، ثمَّ لا يقبل الله توبته؟!». قلت: فإنّه فعل ذلك مراراً، يذنب ثمّ يتوب ويستغفر، فقال: «كلّما عاد المؤمن بالاستغفار والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة، وإنَّ الله غفور رحيم يقبل التوبة ويعفو عن السيئات، فإيّاك أن تقنّط المؤمنين من رحمة الله»(١).

الدليل الثاني: أنَّ الله قد وصف نفسه بصفات كالغفّار والتوّاب والمُجيب، ومثل هذه الصفات لا تُعرف إلّا بوجود موضوع خارجي لها وهو صدور العصيان من العبد وإلّا يصبح وجود الصفات لغواً، وحاشا لله من اللغو، وممّا يسند ذلك ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «لولا أنّكم تذنبون ثمّ تستغفرون الله،لخلق الله خلقاً لكي يذنبوا ثم يستغفروا فيغفر لهم »(٢).

---

(١) الكافي ٢: ٤٣٤/٦.

(٢) تفسير العياشي ١: ١٠٩/٣٢٧.

س: ما هي شروط قبول التوبة؟

ج:

الأوّل: يوفّق الله الإنسان إلى التوبة، لأنّ بداية توبة الإنسان تبدأ من رجوع الله لعبده بالرحمة وإرادته لمغفرته، قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ (التوبة:١١٨)، ورد عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: « مَن أُعطي التوبة لم يحرم القبول، ومَن أُعطي الاستغفار لم يحرم المغفرة »[١]، ورد عن أحد الصادقين عليهما السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ أنّه قال: «الموعظة: التوبة»[٢].

الثاني: حصول الندم الواعي على ما ارتكبه من الذنب لا على شيء آخر مثل صرفه للمال أو يندم على الجهد الذي بذله أو على خسارته للوقت، أو لأجل أن يرفع مذمّة الناس عنه، أو لأجل أن تقبل شهادته، وغيرها من الأمور التي تُنافي خلوص النيّة، وإنّما الندم على نفس ارتكابه للمعصية وكيفية هتك احترام مولوية المولى والخوف من ناره والطمع في رضاه.

الثالث: حصول العزم الجدّي على ترك الذنب وعدم الرجوع إليه، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: « إنّ الندم على الشرّ يدعو إلى تركه »[٣].

الرابع: استبدال الذنب وتداركه بالعمل الصالح، فإن كان تداركه متعلّقاً بالله يأتي التائب بكلّ ما فات منه من الفرائض التي ضيّعها، وإن كان تداركه متعلّقاً بالناس فهنا لابدّ من الرجوع إلى الناس ليتبارى معهم الذمّة من إرجاع حقوقهم ومراضاتهم،

---

(١) نهج البلاغة ٤: ١٣٥/٣٣.

(٢) الكافي ٢: ٢/٤٣١.

(٣) الكافي ٢: ٧/٤٢٧.

ورد عن شيخ من النخع: قلت لأبي جعفرﷺ: إنّي لم أزل والياً منذ زمن الحجاج إلى يومي هذا، فهل لي من توبة؟قال: فسكت، ثم أعدت عليه، فقال: «لا، حتّى تؤدّي إلى كلّ ذي حقّ حقّه»(١).

الخامس: بيان الناس وإعلامهم، وهذا الشرط مختصّ ببعض الذنوب كمَن أحدث فكرةً أو طريقاً بحيث ينافي الدين وقد ضلّل بسببها بعض الناس، قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ١٦٠).

س: هل الوجوب الشرعي للتوبة يدلّ على الفورية أم على التراخي؟

ج:

١) القرآن: لا دلالة في جميع آيات التوبة على الفورية في وجوب التوبة، وما ورد في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ (النساء: ١٧)، فالقريب هنا ليس المراد به الفورية والزمن الذي بعد الذنب عرفاً، بل المراد بالقرب هو قرب ظهور علامات الموت وانتهاء زمن الاختيار.

٢) السنّة: تحثّ الروايات الواردة على الفورية ولا توجبها، ولسان الروايات في هذا المجال لسان إرشاد وتنبيه، باعتبار أنّ التوبة تطهير للعمل ونمو في الروح وحياة للقلب وزيادة في القرب، فقبل أن تفوت فرصة التوبة على الإنسان بموته فلا ينبغي له التأخير.

ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: « يا بن مسعود، لا تقدّم الذنب ولا تؤخّر التوبة، لكن قدّم التوبة وأخّر الذنب، فإنّ الله تعالى يقول في كتابه: ﴿بَلْ يُرِيدُ

---

(١) الكافي ٢: ٣٣١/٣.

ﱡﭐالإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُﱠ»[١]، وورد عن الإمام الجوادﷺ أنّه قال: «تأخير التوبة اغترار، وطول التسويف حيرة»[٢].

٣) العقل: هو يقول بالوجوب الفوري ويرفض التراخي في التوبة، وذلك:

أولاً: لأنّ العقل يرى أنّ في المعصية ضرراً، وسرعة دفع ضرر الذنوب مهما كان حجمها قبل سيطرتها على روح الإنسان وقلبه واجبٌ فوراً.

ثانياً: عدم العلم بالموت الذي يوجب المبادرة بالتوبة قبل فوات أوانها عقلاً، ورد عن الإمام أميرالمؤمنينﷺ ـ وهو يشير إلى هذا العامل العقلي ـ أنّه قال: «بادروا والأبدان صحيحة، والألسن فصيحة، والتوبة مسموعة، والأعمال مقبولة»[٣].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

س: على مَن تطلق كلمة التائب؟

ج:

أولاً: على الله، باعتباره الراجع على العبد والعائد عليه بالرحمة والمغفرة بعد ما فرّ العبد منه بذنبه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ (النساء:١٧)، ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة:٣٧).

ثانياً: على الإنسان، باعتباره عاد إلى الله بالندم وطلب الاعتذار والاستغفار منه، قال تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً﴾ (هود:٣).

---

(١) البحار ٧٤: ١٠٤/١.

(٢) تحف العقول: ٤٥٦.

(٣) غرر الحكم: ٢٩٧٥/١٥٧.

س: ما هو المحتمل فيما هو المراد من التوّاب في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾؟

ج:

التواب: هو كثير التوبة، وكثرة التوبة من قبل الله لها احتمالان:

١) قبول التوبة عن عباده كثيراً بحسب كثرة التائبين.

٢) قبول التوبة عن العبد الواحد وإن صدرت منه ذنوب متعدّدة.

س: ما هي الموارد التي لم يقبل الله فيها التوبة على عبده المذنب؟

ج:

في مورد واحد وهو عندما تحضر علائم الموت وينقطع الاختيار ثمّ عند ذلك يظهر المذنب ندمه وتوبته من ذنوبه حيث لا ينفع ذلك عند الله، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾(النساء:١٨)، وقال تعالى: ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾(يونس:٩١)، سئل الإمام الصادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ﴾ ...أنّه قال: «ذلك إذا عاين أمر الآخرة»[1].

وفي غير هذا المورد المذكور إذا حصلت التوبة بشروطها فهي مقبولة عنده سبحانه وتعالى مهما كان حجم الذنب وإن كانت التوبة من الشرك الذي هو أكبر الكبائر، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً * إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ

---

(١) الفقيه ١:١٣٣/٣٥٢.

سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَاباً﴾ (الفرقان:٦٨ـ٧١).

ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «والإيمان مَن شهد ألّا إله إلّا الله ...ولم يلق بذنب أوعد عليه النّار». قال أبو بصير: جعلت فداك،أيّنا لم يلق الله بذنب أوعد عليه بالنار؟ فقال عليه السلام: «ليس هو حيث تذهب، إنّما هو مَن يلق الله بذنب أوعد الله عليه بالنار، ولم يتب منه»(١).

س: لماذا يكون خطاب التوبة في آيات التوبة موجهاً إلى المؤمنين مع أنّ الندم يحصل للمؤمن وغيره و «كفى بالندم توبة» كما هو الصحيح الوارد عن الرسول صلى الله عليه وآله؟

ج:

هو كما قال الرسول صلى الله عليه وآله: «كفى بالندم توبة »(٢)، ولكن يجب أن نعرف حقيقة الندم ونحلّله، فعند النظر إلى هذه الحالة أي الندم نرى أنّها معلول وعلّة مع اختلاف الجهة، حيث لا ينتج أي شعور وتفاعل قلبي سواء الندم أو غيره إلّا أن يسبقه علم، والعلم الخاص بهذه الحالة الخاصّة ـ أعني، الندم على المعصية ـ هو اليقين بالضرر والخلل الذي صدر منه، واليقين بأنّ ذلك الضرر قد أخلّ بعلاقته بالله وارتباطه به فقط؛ لأنّ الحديث عن التوبة التي يترتّب عليها الأثر الشرعي لا التوبة عن الزيادة في الأكل مثلاً، فإذا تيقّن العبد بحدوث هذا النوع من الضرر سوف تتولّد عنده حالة التفاعل القلبي والشعور بالندم. فنعرف من هذا أنّ علّة الندم هو العلم واليقين، وإذا

---

(١) وسائل الشيعة ١٥: ٣٣٤/٢٠٦٧٣.

(٢) التوحيد: ٤٠٨/٦.

حصلت للعبد هذه الحالة واستمرّت عليه بصورة مخلصة بحيث لا يطرأ عليها مانع خارجي فهنا حتماً ستعطي هذه الحالة القلبية معطياتها من الخشوع والتضرّع وتؤثّر أثرها على الجزم والعزم على الترك ثمّ تتولّد عنده الإرادة وبالتالي الحركة نحو التوبة، وبهذا نعرف أنّ الندم علّة لفعل التوبة.

إذا عرفنا هذه المقدّمة نعرف لماذا يكون الخطاب موجّهاً للمؤمنين فقط؛ وذلك لأنّ غير المؤمن لا يتعامل مع الله وليس للارتباط بالله قيمة عنده حتّى يشعر بضرر الارتباط به، وبالتالي لا يحصل عنده الندم الذي يقصده الرسول ﷺ، بل على العكس من ذلك حيث إن غير المؤمن يقترف أكبر الجرائم ويعتبرها نوعاً من المدنيّة والتقدّم على ما نشاهده في عالمنا اليوم، فلا يعلم بأنّها معصية إلّا المؤمن، ولا يشعر بإساءتها إلّا المؤمن، ولا يستبدلها بالخير إلّا المؤمن.

ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «يا محمّد بن مسلم، ذنوب المؤمن إذا تاب منها مغفورة له،ليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التوبة والمغفرة، أما والله إنّها ليست إلّا لأهل الإيمان ...»(١).

س: لماذا يكون المؤمن شاكاً بقبول توبته وخائفاً بعد توبته؟ اذكر الاحتمالات في ذلك.

ج:

١) عدم علمه بالقبول ولا يعلم بنتيجة القبول إلّا يوم القيامة.

٢) لشكّه في حصول شروط التوبة في نفسه.

٣) من صفات المؤمن ومن العوامل التربوية التي يتمسّك بها المؤمن أن يكون دائماً

---

(١) الكافي ٢: ٤٣٤/ ٦.

متّهماً لنفسه أمام الله، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام وهو يصف المتّقين أنّه قال: «والذين هم لأنفسهم متّهمون»(١).

س: المؤمن مبتلىً بكثير من صغائر الذنوب من حيث يشعر ببعضها ولا يشعر بالبعض الآخر، ما هي الطرق التي يسعى الإنسان المؤمن إليها لتطهير نفسه من هذه الذنوب والتي تجعله مطمئناً بمحوها؟

ج:

أوّلاً: نفس محاولة اجتناب الذنوب والتقوى منها، أي أن يعيش الإنسان المؤمن الاجتناب في روحه وقلبه وفكره دائماً، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ (الأنفال:٢٩)، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنَّ المؤمن ليذكر ذنبه بعد عشرين سنة حتّى يستغفر ربّه فيغفر له، وإنَّ الكافر لينساه من ساعته»(٢)، وورد عن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه قال: « ...واجعلنا من الذين غرسوا أشجار الخطايا نصب روامق القلوب، وسقوها من ماء التوبة حتّى أثمرت لهم ثمرة النّدامة، فأطلعتهم على ستور خفيّات العلى ...»(٣).

ثانياً: الاجتناب من كبائر الذنوب، قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً﴾ (النساء:٣١).

ثالثاً: الإقدام على العمل الحسن والصالح ولما فيه الخير، قال تعالى: ﴿إِنَّ

---

(١) نهج البلاغة ٢: ١٩٣/١٦٢.

(٢) وسائل الشيعة ١٦: ٢١٠٣٨/٨١.

(٣) البحار ٩١: ١٩/١٢٧.

الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾(هود:١١٤)، ورد عن الرسولﷺ أنه قال: « أتبع السيئة الحسنة تمحها»[١].

رابعا: الإكثار من كلمات الاستغفار، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ﴾ (آل عمران:١٣٥)، ورد عن الإمام الصادقؑ أنّه قال: « مَن قال: أستغفر الله مائة مرّة في يوم، غفر الله له سبعمائة ذنب، ولا خير في عبد يذنب في يوم سبعمائة ذنب »[٢].

خامسا: إقامة الصلاة، ورد عن أميرالمؤمنينؑ أنّه قال: « ما أهمّني ذنب أُمهلت بعده حتّى أُصلّي ركعتين»[٣] والروايات كثيرة في هذا المجال.

س: هل يجوز للإنسان التبعيض في التوبة أم لابدّ من أن يتوب من كلّ الذنوب التي اقترفها؟

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

ج:

١) صحيح أنّ ملاك كلّ معصية هو واحد وهو التمرّد على الله وأوامره وهتك حرمة مولويته، إلّا أنّ الوجدان وواقع الشريعة يفرّقان بين الكبائر والصغائر التي ليس للإنسان خلاص منها فلا مانع عقلي ولا شرعي في أن يتقدم الإنسان على التخلّص فيما هو الأهم الذي يستحقّ عليه العذاب وسخط الله المنحصر بالخلاص منها عن طريق التوبة تاركاً الصغائر للحسنات أن تمحو السيئات، وهكذا بين الكبائر نفسها وبين الصغائر نفسها.

---

(١) مجموعة ورام ١: ٩٨.

(٢) الكافي ٢: ٤٣٩/١٠.

(٣) نهج البلاغة ٤: ٧٢/٢٩٩.

٢) كلّ أدلة التوبة من آيات أو روايات كانت مطلقة ولم تذكر البعض أو الكلّ، فالتوبة من بعض الذنوب مصداق، ومن الكلّ كذلك.

٣) نعم، إذا كانت المعصية ذات أفراد متماثلة فلا يجوز التبعيض في التوبة لوحدة الدافع من الشهوة أو الغضب ووحدة الدرجة في هتك احترام مولوية المولى، كمَن قتل أربعة أفراد ظلماً في آن واحد مثلاً، فهنا لا يجوز التبعيض للوحدة التي ذكرناها.

٤) نعم، من باب الأخلاق ومعرفة الإنسان ربّه ونوع العلاقة التي تربطه مع ربّه أن يتوب من الكلّ بما علم وبما لم يعلم كما هي أخلاقية وتربية الأئمة الأطهار لنا في ذلك، فراجع أدعيتهم تجد ما هو أكثر من ذلك.

س: ما هي مراتب مطلق التوبة والتائبين؟

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

ج:

وهي خمسة مراتب يوضّحها الإمام الصادق عليه السلام ـ وهو يقسّم مراتب التوبة ـ أنّه قال: «التوبة حبل الله ومدد عنايته، ولابدّ للعبد من مداومة التوبة على كلّ حال، وكلّ فرقة من العباد لهم توبة:

١) فتوبة الأنبياء من اضطراب السرّ.

٢) وتوبة الأصفياء من التنفيس.

٣) وتوبة الأولياء من تلوين الخطرات.

٤) وتوبة الخاص من الاشتغال بغير الله.

٥) وتوبة العام من الذنوب.»[1].

---

(١) مصباح الشريعة: ٩٧.

س: لقد ذكرت توبة الأنبياء في الحديث وهم معصومون فبماذا تفسّر توبتهم؟

ج:

يفسّر الإمام الصادقعليه السلام توبتهم في أنّها لم تكن من ذنب ومعصية ارتكبوها ولكن من خواطر نفسيّة أو ذهنيّة لا بالاختيار، قد تمرّ عليهم كأيّ بشر فيستغفرون الله عليها، ورد عن الرسولصلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «إنّه ليغان على قلبي، وإنّي لاستغفر الله في كلّ يوم سبعين مرّة »(١).

س: كيف تحدّدون التوبة من الخواطر النفسيّة والذهنية مع أنّ صريح القرآن ينسب الذنب إلى الأنبياء صراحة وصدوره منهم فعلاً وخارجاً، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ ﴿غافر:٥٥﴾، ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ ﴿محمّد:١٩﴾، ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ (التوبة:٤٣)؟

ج:

إنّ الخطورات الذهنيّة والنفسيّة التي قلنا بها هي في مجال الحسنات، كما أنّ الآيات التي ذكرت في السؤال وغيرها بالنسبة إلى غير الرسولصلى الله عليه وآله وسلم كثيرة في القرآن،لو راجعت قصّة آية آية منها لوجدتّ أنّ كلّ الذنوب التي صدرت من الأنبياء هي حسنات كذلك، ولكن صدورها منهم يعبّر الله عنها بالسيئة والذنب، فهي من باب (حسنات الأبرار سيئات المقرّبين). فإذن هي ليست من نوع الذنب الذي

---

(١) مستدرك الوسائل ٥: ٥٩٨٧/٣٢٠.

يستحقّ فاعلها اللوم أو العقاب، بل هو أدب يؤدّب الله أنبياءه ودرجة يريد الله أن يرفعهم من خلال تنبيههم على مثل هذه التصاريح.

س: ما هي مراتب عامّة الناس التائبين من الذنوب الكثيرة بالخصوص؟

ج:

وهي أربعة مراتب:

المرتبة الأولى: وهم المستمرون في الاستقامة، المرتكبون للذنوب ماضياً، التائبون منها، العازمون على عدم العود لأي ذنب أبداً إلى آخر العمر، قبول توبتهم مضمونة لأنّها تمثّل أعلى مراتب توبة العامّة.

المرتبة الثانية: وهم المستمرون في الاستقامة، تعتريهم بعض الذنوب لا عن قصد وعزم على الإقدام عليها، وإذا اقترفوها لأي سبب ندموا ولاموا أنفسهم وتابوا وعزموا على عدم العود إليها، قبول توبتهم مضمونة كذلك، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران:١٣٥)، ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ (النجم:٣٢).

المرتبة الثالثة: وهم المستمرون في الاستقامة، وإذا تعترضهم معصية اقترفوها عن قصد وعزم على الإقدام عليها لِغَلَبَتْ شهوتهم على عقولهم وضعف إرادتهم، ثمّ يحصل لهم الندم الخالص على ما ارتكبوه ولاموا أنفسهم على اقترافها ...وهكذا فهم ما بين الاستقامة والاعوجاج والتوبة منه، قبول توبتهم مرجوة الضمان مهدّدة الحصول وإلى القبول أقرب، قال تعالى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة:١٠٢).

المرتبة الرابعة: وهم في الاستقامة لهم نصيب، واستمرارهم في اقتراف الذنب والتوبة منه لهم النصيب الأكبر، وتوبتهم على اللسان هي الحالة الظاهرة والمستمرة فلا ندم قلبيّ خالص على ما يقترفونه إلّا في حالة مؤقّتة، قبول توبتهم لا ضمان لها وإلى عذاب الله أقرب، قال تعالى: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(التوبة:١٠٦)، ورد عن الإمام الصادقعليه السلام أنّه قال: «تأخير التوبة اغترار، وطول التسويف حيرة، والاعتلال على الله هلكة، والإصرار على الذنب أمن من مكر الله ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾»[(١)].

س: ما معنى شرط الجهالة في قبول التوبة؟

ج:

يجب أن نعرف أوّلاً ما معنى الجهل في اقتراف السوء، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾(النساء:١٧)، والجهالة لم يراد منها مطلق عدم العلم؛ لأنه لم يكن هناك عاصٍ إلّا وهو جاهل من وجه، ورد عن الإمام الصادقعليه السلام أنّه قال: «كلّ ذنب عمله العبد وإن كان عالماً فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربّه»[(٢)]، فالجهالة التي هي شرط في قبول التوبة تلك الجهالة التي لا تكون سبباً للتساهل بالتوبة والعناد مع الله والإصرار على اقتراف الظلم والجور والجريمة التي بها يسمى المذنب: عالماً، فلا تقبل توبته عند الموت، ومن هذا الباب يفرّق بين الجاهل والعالم في قبول التوبة.

ورد عن الإمام الباقرعليه السلام أنّه قال: «إذا بلغت النفس هذه ـ وأهوى بيده إلى

---

(١) كنز الفوائد: ١٩٥.

(٢) تفسير العياشي ١: ٢٢٨/٦٢.

حنجرته ـ لم يكن للعالم توبة، وكانت للجاهل توبة»[1]، فالعالم هو المصرّ والمعاند حتّى حضره الموت، والجاهل هو الذي تبع الشهوات وأغرّته الدنيا والخوض بملذّاتها من دون عناد أو تحدّ لله حتّى حضره الموت.

س: ما هي المحتملات التي ترد في معنى التوبة النصوحة؟

ج:

١) التوبة التي تنصح الناس وتدعوهم إلى أن يأتوا بمثلها لظهور آثارها الجميلة في صاحبها.

٢) التوبة التي تنصح صاحبها وتدعوه إلى ترك الذنوب وعدم العود إليها.

٣) التوبة الخالصة لله لعدم رضاه بالمعصية لا لخوف من ناره، مثلاً: العسل النصوح أي الخالي من الشمع.

٤) التوبة التي تخيط ما مزقته الذنوب وتجمع ما قطّعته المعاصي، النصاحة هي الخياطة.

س: ألم تكن التوبة طريق تشجيع على اقتراف الذنوب والجرائم؟

ج:

التوبة هي حصول الندم لدى الإنسان على الإساءة التي حصلت منه، فالإنسان الذي لا يزيد من اقتراف الذنب إلّا ذنباً آخر ومن جريمته جريمة أُخرى، فهذا يعني أنّ الندم لم يحصل عليه ولم يدخل قلبه ولم يكن تصدق عليه كلمة التائب، ولهذا لو أضمر الندم سابقاً على اقتراف الذنب يعدّ من المعاندين العالمين باقترافها

---

(١) مستدرك الوسائل ١٢: ١٤٤/١٣٧٣٦.

والمصرّين على اقتراف الجرائم والخطايا، فالندم الحاصل مسبقاً ندماً كاذباً وخدعة لنفس المذنب لا قيمة له عند الله ولا قيمة له في التأثير على نفس المذنب، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾(الأنعام:٢٨)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾(آل عمران:٩٠)، بينما الندم الصادق النابع من الشعور المخلص بالإساءة الذي يدفع الإنسان المذنب بالتوجّه إلى الله بالغفران فهذا لا يكون مستدعاة للتشجيع على الرجوع إلى الذنب، بل مستدعاة للرجوع إلى الله بالتصميم على عدم العودة إليه وعدم تكراره، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «الندم على الذنب يمنع معاودته»[١].

س: إذا قُبلت التوبة على العبد من قبل الله فكيف يتعامل الله مع المعصية بعد تأثير أثرها في نفس العاصي وتثبيتها في سجلّ كتابه؟

ج:

أولاً: أن ترجع فطرة العاصي وروحه إلى صفائهما اللتان كانتا عليه قبل المعصية، هذا يحصل عندما يتوب الإنسان توبة نصوحة من كلّ ذنوبه، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنّه قال: «التائب من الذنب كمَن لا ذنب له»[٢] وهذا كما هو من مظهر رحمته ولطفه فإنّه مظهر من مظاهر قدرته حيث الورقة البيضاء التي لوّثت وتأثّرت بما لوّثها فلا ترجع إلى بياضها ولَمَعَانِها مهما حاولت مسح ما أثّر فيها، والله له القدرة على إرجاع الفطرة إلى ما كانت عليه من الصفاء، واللمعان عند حصول التوبة النصوحة من عبده.

---

(١) غرر الحكم: ٣٧٩٨/١٩٤.

(٢) وسائل الشيعة ٢١٠٢٢/٧٥:١٦.

ثانياً: الإنساء، وهو أن ينسي الله ملائكته الموكّلين بكتابة ما سجّلوه عليه من الذنوب، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إذا تاب العبد المؤمن توبة نصوحاً أحبّه الله فستر عليه في الدنيا والآخرة». قلت: وكيف يستر عليه؟ قال عليه السلام: «ينسي مليكه ما كتبا عليه من الذنوب ...فيلقي الله حين يلقاه وليس يشهد عليه بشيء من الذنوب »(١).

ثالثاً: الكتمان، وهو أن يوحي الله إلى الأعضاء من الجوارح والجوانح وإلى بقاع الأرض ودوابها بالكتمان، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «مَن تاب تاب الله، عليه وأمرت جوارحه أن تستر عليه، وبقاع الأرض أن تكتم عليه، وأنسيت الحفظة ما كانت تكتب عليه »(٢).

رابعاً: المحو، وهو أن يقوم الله بعملية محو الذنوب فقط، ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (الرعد:٣٩)، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ (الشورى:٢٥).

خامساً: الاستبدال، وهو أن يقوم الله باستبدال السيئات إلى حسنات ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ (الفرقان:٧٠).

سادساً: التكفير، وهو أن يقوم الله بتغطية الذنوب وسترها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ (التحريم:٨).

سابعاً: الطرد والإذهاب، وهو طرد الله للذنوب بواسطة العمل الصالح الذي يقوم به التائب لما جعل الله في العمل الصالح من التأثر والقابلية على ذلك ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ

---

(١) الكافي ٢: ١/٤٣٠.

(٢) ثواب الأعمال: ١٧٩.

يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ (هود: ١١٤).

ثامناً: أن يجعل الله بين التائب والذنوب حجاباً ووقاية التي عندها يتحوّل التائب إلى إنسان متّقٍ فتكون بدورها علّة تامّة لنيل رحمته من دون النظر إلى ذنوبه المثبتة ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ (غافر: ٩).

س: لماذا جعل الله للتوبة هذه المنزلة وللتائبين هذا العطاء من المحبّة والقرب والثواب الجزيل؟

ج:

١) تفضّلٌ منه على عباده في أن جعل التوبة عبادة مطلوبة بنفسها ورتّب عليها ما رتّبه، ليبعث الأمل في نفوس عباده ويطمّنهم ليرجعوا إليه سبحانه.

٢) لكون صدور التوبة من العبد تستبطن وجود الصدق في كثير من الوحدات الايمانية، منها: الايمان بالله، حبّ طاعة الله، اليقين بالمعاد، الخوف من الله، الرجاء بالله، محاسبة النفس، وضوح الرؤية واليقين بصحّة ونفع ما دعا إليه الله في جميع مفردات التشريع وإنّ الضرر والخطأ في معصيتها، وجود مراقبة الله في النفس، الانتباه واليقظة، محاربة الهوى والشيطان، وغيرها من الأُمور التي تعثر على وجودها بصورة واضحة عند تحليل التوبة ودراسة أسباب صدورها من التائب.

٣) تشريع التوبة وقبولها دليل حب الله لعباده، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾ (آل عمران: ٣١)

س: أيّهما أفضل ولماذا، ترك المعصية أم التوبة عليها؟

ج:

لا شك ولا شبهة في أنّ ترك الذنب أهون بكثير من التوبة كما هو قول العقل والشرع، وأمّا سبب ذلك:

أوّلاً: أنّ التوبة تحتاج إلى توفيق إلهي في أن يلجأ إليها الإنسان.

ثانياً: ما يؤثّر الذنب على روحية الإنسان وسمعته وما تعلّق به من الحقوق والواجبات.

ثالثاً: عدم إحراز قبول الله التوبة الذي يرجع إلى عدم توفّر شروطها من قبل المُذنب.

رابعاً: يظلّ الإنسان على وجل دائم من الله كلّما تذكّر ذنبه.

خامساً: أنّ في ترك الذنب راحة للنفس ورفعة في الدنيا والآخرة.

سادساً: فالنتيجة أنّ الصبر على ترك الذنب أقلّ بكثير من الصبر على قبول التوبة، ورد عن الإمام الصادقعليه السلام أنّه قال: «قال أميرالمؤمنينعليه السلام: ترك الخطيئة أيسر من طلب التوبة، وكم من شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً ...»(١).

س: ماذا ينال التائب من ربّه عند إعلان توبته؟

ج:

(١) غفران الذنوب، وهو الأصل في جعل التوبة وتشريعها.

(٢) ترتّب الثواب؛ لأنّ التوبة مطلوبة نفسيّاً وإن لم تكن على ذنب، ورد عن زيد الشحام عن الإمام الصادقعليه السلام أنّه قال: «كان رسول اللهصلى الله عليه وآله يتوب إلى الله عزّ وجلّ في كلّ يوم سبعين مرّة»، فقلت: أكان يقول: أستغفر الله وأتوب إليه؟ قال:

---

(١) وسائل الشيعة ١٥: ٣٠٩/٢٠٦٠١.

«لا، ولكن كان يقول: أتوب إلى الله ...»(١).

(٣) نيل الحب الإلهي له، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة:٢٢٢)، وورد عن الإمام أميرالمؤمنينعليه السلام أنّه قال: «مامن شيء أحبّ إلى الله من شاب تائب»(٢).

(٤) نيل الرزق، ورد عن أميرالمؤمنينعليه السلام أنّه قال: «...وقد جعل الاستغفار سبباً لدرور الرزق ورحمة الخلق فقال سبحانه: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَكُمْ أَنْهَاراً﴾»(٣).

س: ما هي موانع التوبة؟

ج:

١) الجهل، وأقصد به الجهل في أمور منها: الجهل في أصل المعصية، ولمَن يعصي وأمام مَن يعصي، ما هو أثر المعصية على النفس وعلى الغير، لمَن اتّبع في عصيانه، ما هي نتيجة العصيان.

٢) التسويف، وهو أن يأخذ الإنسان طول الأمل فيؤجل توبته مدّة بعد مدّة أو إلى أن يكبر غروراً بشبابه أو بماله أو بسلطته إلى أن يأتيه الموت بغتة ومن دون توبة، ورد في خبر عن أحدهمعليه السلام أنّه قال: «إنّ أكثر صياح أهل النار التسويف».

---

(١) الكافي ٢: ٤/٤٣٨.

(٢) شرح نهج البلاغة ١١: ١٨١.

(٣) نهج البلاغة ٢: ١٤٣/٢٥.

٣) العادة والتطبع، فالإنسان من طبيعته أن يتطبّع على شيء ويصبح جزءاً من همومه، فإذا تطبّع على المعصية ضعفت إرادة التخلّص منها وأصبح أسيرها وشغله الشاغل فلا قدرة معها على التوبة.

٤) خبث السريرة، وهي تراكمات القذارة الأخلاقية التي يعيشها الإنسان داخلياً، فإنَّ السكوت عليها لا تزيد الإنسان إلّا بُعداً عن الله لا التوب والرجوع إليه، فإن أحد نتاجات خبث السريرة هو الاستكبار، حيث من خلال وجوده تمرّد الشيطان على الله ولم يرجع.

٥) تراكم الذنوب، التي عندها يصل إلى أن يطبع قلبه وسمعه وبصره فلا تفكير في التوبة والرجوع.

٦) أصدقاء السوء، وهم شياطين الإنس الذين لهم الدور الكبير في تشجيع الإنسان على المعصية، ويجعلونها حلوة في نظره، ويغذّونها بنوع من الفكر الضّال بحيث يحوّلون السلوك العاصي إلى نوع من التمدن والتطور، وبهذا يكونون حاجباً ومانعاً للرجوع إلى الله بالتوبة.

س: كم وجه يوجد لامتثال التوبة؟

ج:

١) الفعل الخارجي: وهذا يجري فيما إذا تعلّق الذنب بحقوق الآخرين، كاسترجاع المسروقات إلى أهلها، وطلب براءة الذمة ممن أغضبه أو اغتابه من دون حقّ.

٢) الفعل الداخلي: وهو الندم على المعصية والعزم على الترك والإخلاص لله.

٣) الفعل التعبدي: وهو أداء صلاة التوبة عند التوبة، ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «ما من عبد أذنب ذنباً فقام فتطهّر وصلّى ركعتين واستغفر الله إلّا غفر له وكان

حقيقاً على الله أن يقبله »[١].

س: اذكر بعض أقوال العلماء في التوبة.

ج:

١) قال الجنيد: دخلت على السري يوماً فوجدتُه متغيّراً، فسألته فقال: دخل عليَّ شاب فسألني عن التوبة، فقلت: ألا تنسى ذنبك، فقال: بل التوبة ألا تذكر ذنبك. قال الجنيد: فقلت له: إنَّ الأمر عندي ما قاله الشاب، قال: وكيف؟ قلت: لأنّي إذا كنت في حال الجفاء فنقلني إلى حال الصفاء، فذكر الجفاء في حال الصفاء جفاء، فسكت السري.

٢) التوبة: هي أن يتوب العبد من التوبة وهذا معنى قول رابعة: أستغفر الله العظيم من قلّة صدقي في قولي: أستغفر الله.

٣) التوبة: هي أن تضيق عليك الأرض بما رحبت، حتّى لا يكون لك قرار، ثمّ تضيق عليك نفسك كما أخبر الله في كتابه بقوله: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَلاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ (التوبة:١١٨).

(٤) التوبة: هي الرجوع عن كلّ خصلة رذيلة تبعّد الإنسان عن الله جلّ وعلا بحيث يعم الذنوب الظاهرة والباطنة وتبديل الخواطر السيّئة منها.

(٥) التوبة: هي أن تنصب الذنب الذي أقللت فيه الحياء من الله تعالى أمام عينيك وتستعد لمنتظرك.

---

(١) إرشاد القلوب ١: ٤٦.

س: اذكر بعض ما ورد في الأحاديث عن التوبة.

ج:

١) ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «إنَّ الله أفرح بتوبة العبد »[١] وهو دليل القبول وزيادة، لأنَّ الفرح بعد القبول.

(٢) ورد عن الإمام الصادق‏عليه السلام أنّه قال: « قال رسول اللهﷺ: مَن تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته، ثمَّ قال: إنَّ السنة لكثير، مَن تاب قبل موته بشهر قبل الله توبته. ثمَّ قال: إنَّ الشهر لكثير، مَن تاب قبل موته بجمعة قبل الله توبته. ثمَّ قال: إنَّ الجمعة لكثير، من تاب قبل موته بيوم قبل الله توبته. ثمَّ قال : إنَّ يوماً لكثير، مَن تاب قبل أن يعاين قبل الله توبته»[٢].

(٣) ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: « قال الله عزَّ وجلَّ: إنّي حرّمت على نفسي الظلم وعلى عبادي، ألا فلا تظلموا كل بني آدم يخطىء بالليل والنهار، ثم يستغفروني فأغفر له ولا أبالي»[٣].

---

(١) كنز العمال ٤: ٢٠٤/١٠١٦١.

(٢) الكافي ٢: ٤٤٠/٢.

(٣) مسند أحمد ٥: ١٦٠.

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة:٣٨ـ٣٩).

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيتين؟

ج:

(١) الخوف: التحذّر من مكروه متوقع الحدوث.

(٢) الحزن: انكماش النفس في مكروه قطعي الوقوع.

س: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً﴾ ما هي الاحتمالات المرادة في تكرار لفظ الأمر بالهبوط بعد أن ذُكر في الآية السابقة؟

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ج:

١) إذا كان الهبوط الأوّل تكوينياً فهذا الهبوط تشريعي لأهم الأسس التي وضعها الله للحياة من اتّباع الهدى ونتائج الكفر.

٢) أن يكون هذا الهبوط الثاني هو نفس الهبوط الأوّل ومبيّن له وموضّح لبعض التفصيلات.

٣) أن يكون هذا الهبوط الثاني هو نفس الهبوط الأوّل وكُرّر من أجل التأكيد والمبالغة في التشديد وإرادة الخروج.

٤) أن يكون هذا الهبوط الثاني غير الهبوط الأوّل؛ وذلك للبيان التالي: حيث إنّ آدم وحواء عندما استزلّهما الشيطان أمرهما الله بالهبوط الأوّل، فتابا فأعاد الله الأمر بالهبوط ثانية، ليعلما انّ الأمر بالهبوط لابدّ منه، وأنّه ليس على ما

ارتكبوه من الزلّة حتّى يزول بالتوبة، بل هو باقٍ؛ لأنَّ الهبوط حقيقته واسطة في نقل آدم وحواء إلى الأرض التي يراد إعمارها من قبل الإنسان بما رسم الله له وتحقيقاً للوعد الإلهي المتقدّم بقوله سبحانه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.

وممّا يؤيد هذا المعنى الذي ذكرناه ما ورد في خبر: «لمّا أمر الله آدم بالخروج ووضع آدم قدمه خارجاً قال: (بسم الله الرحمن الرحيم)، فلمّا سمع جبرئيل منه أوقفه انتظاراً للرحمة، فقال: إلهي ترحم عليه فقد ذكر كلمة عظيمة. فأعاد الله الأمر بالهبوط».

٥) الهبوط واحد ولكن كرّر أولاً ثمّ ثانياً من أجل استدراج آدم وحواء وتهيؤهما مراعاة للحالة النفسية لهما لصعوبة الهبوط عليهما من جهات منها:

١) أنّ آدم وحواء قد ألفا الجنّة والمعايشة فيها وما فيها من صور الجمال المادّي والروحي وأنهما يعلمان أنّ في الأرض ظلمات ومعاناة بحيث يختلف العيش في الأرض كلّياً مع السماء، وأرحم الراحمين راعى هذه الحالة النفسية التي تتحرّك في داخل آدم وحواء سواء علموا بها أم لم يعلموا، كما هو الحال في استحباب دفن الميّت ونقله إلى قبره من ألّا ينقل دفعة واحدة، بل بالاستدراج ونقله خطوة بعد خطوة ثمّ يوضع في قبره حتّى تستعدّ نفسه وروحه لعالَم القبر والبرزخ.

٢) مراعاة لطبيعة الإنسان التي تستصعب من أن تنقله من جوّ عالٍ من جميع معانيه ثمّ تنقله إلى جوّ أدنى منه لتأمره بالرجوع إلى ذلك الجوّ العالي والوصول من خلال المعاناة والابتلاء وإن كان هذا أفضل.

س: ما هي الإشارات التي يمكن أن نستنبطها من المعنى الإجمالي للآيتين المذكورتين أعلاه؟

ج:

١) أنَّ في الآيتين إشارة على أنَّ الله يريد من الإنسان أن يتحرّك وهو منطلق من تفكيره وعقله وبأعلى درجات التفكير التي توصله حتماً إلى الله وإلى هُداه (فمَن اتّبع) فلا تقليد في مسألة الوصول إلى الهدى واتّباعه. بل لا يصدق على المقلّد أنّه اتّبع الهدى؛ لأنَّ الاتباع في الهدى يحتاج إلى حركة عقلية وعمق في البصيرة حتّى لا يقع في هوى النفس ولا يسقط في مطبّات حركة المعارضة للهدى ولا تنطلي عليه شبهات الباطل.

٢) أنَّ في الآيتين إشارة على أنَّ الإنسان لم يتركسداً وأن يختار الطريق الذي يعجبه بحيث يعيش حرية الحركة المزاجيّة، بل لابدَّ من اتباع هدى الله من خلال اتّباع رُسُله ورسالاته؛ لأنَّ الكل يتحرّكون كعباد لله وحول مولويته سبحانه، مع الحفاظ على الاختيار التكويني للإنسان، لكن ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ باعتباره يمثّل خط الاستقامة العقائديّة والفكريّة والإنسانية الاجتماعيّة والفرديّة، ويمثّل الخط المنسجم مع إرادة الله والكون والحياة، فمن اختار هذا الطريق والتزم به ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الدنيا حيث يعيشون حالة اطمئنان المستقبل، وما بعد الموت يعيشون اطمئنان القبر، واطمئنان الساعة والبعث وحضوره موقف الحساب ووضع الموازين وعلى الصراط، قال تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾(الأنبياء:١٠٣). ثمّ يعيشون الجنّة وفيها الاطمئنان الأكبر. أما اختيار

العكس أي الكفر وتكذيب الحقائق فهذه تعدّ انحرافاً وتمرّداً واضحاً على الله والفطرة الإنسانية ونظام الكون والحياة الذي لا يسمح العقل والشرع بأن يترك الظالمون من دون متابعة وجزاء، بل يكون ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ هو المصير الطبيعي العادل لهم.

٣) أنّ في الآيتين إشارة إلى قمّة العاقبة للإنسان ونهاية مستقرّه، فهي إمّا على نعمة دائمة، أو نقمة دائمة.

س: لماذا جاء في الآية حرف الترديد ﴿فَإِمَّا﴾ والتشكيك، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ مع أنّ الهدى نازل ومرسل وكائن من الله إلى الناس لا محالة؟ اذكر الجواب المحتمل لذلك.

ج:

أنّ مجيء حرف الترديد هنا في مجال الهداية التشريعية العامّة وهي إرسال الرُسل والكُتب والوحي وهي كلّها لم تكن واجبة عليه إنزالها للناس بل نزولها من باب لطفه ورحمته بالناس للوصول إلى كمال معرفته ووصول الإنسان إلى سعادته، وإذا أنزلها يجب متابعتها والالتزام بها من قبل الناس ليحصلوا على الهداية التشريعية الخاصّة المباشرة من الله والتي من آثارها أن يعيش الأمن والاستقرار في الدنيا والآخرة، فالنتيجة أنّه لا يوجد شيء حتمي مطلق على الله حتّى نقول: لابدّ أن يأتي منه الهدى، بل هو متروك للطفه ورحمته.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ (البقرة: ٤٠).

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

١) الذكر: استحضار الشيء في الذهن أو اللسان أو القلب أو جميعاً.

٢) النعمة: ١ـ المنفعة. ٢ـ المنّة. ٣ـ ما يتنعّم به في العيش.

٣) الوفاء: حفظ الشيء من التلف والضياع.

٤) الرهبة: الخوف مع الاضطراب.

س: ماذا تعني كلمة ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾؟

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ج:

إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وهي من الكلمات العبرانيّة، وقد ترجمت إلى العربية، وهي مركّبة من جزأين (إسرا) بمعنى الخالص أو الصفي أو المجاهد أو عبد أو القوّة، و(إيل) بمعنى الله، فيكون مجموع المركّب هو خالصة الله أو عبدالله أو مجاهد الله أو صفيّ الله، وأطلق هذا الاسم على الأسباط الاثني عشر ليعقوب فهم بنو إسرائيل، ويطلق في القرآن على كلّ من دان بدين موسى عليه السلام.

س: على مَن نزلت هذه الآية؟

ج:

على اليهود في صدر الإسلام.

س: ما هي المحتملات في أن يبدأ الله بعرض تجربة اليهود دون غيرهم من الأمم؟

ج:

أوّلاً: من أجل أن تدعوهم إلى التصديق بالرسول محمّدﷺ وبرسالته، ولا يكذبون الرسول ورسالته باعتبارهم يحملون أمانة بذلك من نبيهم وكتابهم الذي يأمرهم بذلك، وأنّ تجربة اليهود تجربة عريقة من حيث تأريخها والوقائع التي وقعت بها، حيث بدأت بداية مشرقة وانتهت بحيرة الظلام، فهناكما بين البداية والنهاية دروس وعِبَر غنيّة جداً بما وقعت هذه الأُمّة في أكثر الشبهات التي دخلت في جميع الأصعدة العقائدية والسياسية والاجتماعية والجهادية.

ثانياً: أنّهم كانوا يمثّلون الأكثرية الدينية في المنطقة المحيطة التي انطلق منها الإسلام، وهذا ممّا يجعل لهم التأثير الاجتماعي الكبير في المنطقة باعتبارهم حاملين لرسالات الله.

ثالثاً: أنّهم أوّل المجتمعات الدينية التي وقفت بوجه الرسول ورسالته موقف المحارب بالسيف والفكر وتضعيف الوحدة الإسلامية من خلال زرع المنافقين ودسّ الجواسيس وصنع الفتن التي تبعّد المسلمين وتشغلهم عن هدفهم، وعرقلة حياة الإسلام في أن يتحرك بحريّة في فكر الإنسان وسلوكه العملي، وتضعيف شخصية الإنسان المسلم من خلال الكثير من الأساليب المنحرفة من زرع الشبهات في ذهنيّة الإنسان المسلم سواء كانت المتعلّقة بشخصية الرسول أو بالرسالة.

رابعاً: أنّ الله أراد من خلال هذا العرض أن يفضح أساليبهم المنحرفة من الكذب على الله وعلى رسالاته وكشف الكثير من الأمراض الأخلاقية التي كانت

خافية على الكثير من اليهود أنفسهم وغيرهم من الأُمم.

خامساً: أنَّ الله يعلم ما هو مستقبل تحرّك اليهود والذي سيشكّل الخطورة الكبرى على الإسلام والمسلمين من خلال أطماعهم في الغزو السياسي والاجتماعي والفكري والعسكري، فابتدأ الله هذه البداية لينبّه المسلمين على هذا النموذج من الأُمم التي سوف تجرّ لهم الويلات إن هم استهانوا بها ولم يجتنبوا عمّا يحذّرهم به منهم.

س: هناك حجج كثيرة يمكن أن يطرحها الله على اليهود للتصديق بالرسول محمّدﷺ وبرسالته، فلماذا تمسّك الله بأن يذكّرهم بالنعم التي أنعمها على بني إسرائيل؟

ج:

أوّلاً: اليهود لم تكن شريحة غريبة عن حركة الإيمان بالله وبالأنبياء وبالرسالات، فهم يؤمنون بالله وبسلسلة من الأنبياء، وبالنبي موسىؑ وبرسالته.

ثانياً: أنَّ الله قد زودهم بما فيه الكفاية من الأدلة والحجج بنبوة محمّدﷺ من خلال وصايا موسىؑ ومن خلال كتاب التوراة بحيث وصل اليقين عندهم من خلال هذين المصدرين، وأنّهم بأنفسهم كانوا من المشاركين في عملية تمهيد ذهنية الناس إلى ظهور النبي الجديد في منطقة شبه الجزيرة بالخصوص من خلال أحبارهم وأعمالهم التي كانوا يستفتحون بها باسم محمّدﷺ، قال تعالى: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ (البقرة:٨٩).

ثالثاً: أنَّ ما يطرحه الله من الأدلة بما فيه الكفاية على المشركين فمن الأولى أن تكون كافية لليهود لحصول القناعة عندهم والتصديق بنبوة محمّدﷺ؛ لوجود

الخلفية العقائدية التي يمتلكها اليهود دون المشركين.

رابعاً: أنّ الله يعلم أنهم لو كان دافعهم بعدم التصديق بمحمّد ﷺ كنبي لاحتياجهم إلى أدلّة وحجج لزودهم بالأدلّة الخاصّة بهم، ولكن يعلم أنّ عدم التصديق ناتج عن عناد ولجاجة وهوى النفس وعلى نفس طريقة الآباء، فهم لم يستفيدوا من ماضي تجربتهم قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة:٨٧).

خامساً: ليذكّرهم الله بأساليبهم في مواجهة الرسول والرسالة ما هي إلّا صورة واضحة من كُفر النِعم الكثيرة التي أنعمها الله عليهم، وخصوصاً إذا لاحظنا أنّ النِعَم التي أغدقها الله عليهم المتميّزة عن غيرهم لم تكن إلّا من أجل تشجيعهم بالالتحاق بركب الايمان بالله وأنبيائه المرسلين وعدم مقاومتهم لهم وشن الحرب ضدّهم، فاستعمالهم بما ميّزهم الله به من النِعَم ضدّ أنعُم الله النازلة على غيرهم من الأُمم من إرسال الأنبياء والرسالات لهو دليل انحرافاتهم الواضحة وكفر بما زودهم الله من النِعَم.

سادساً: ليذكّر الله المسلمين بأنّ ما حصلوا عليه من النِعَم لم يكن بأقلّ ممّا حصل عليه بنو إسرائيل فلايقعوا بما وقعوا به اليهود.

س: ما هي المحتملات التي ترد في مناداة اليهود بقوله تعالى: ﴿يَـبَنِي إِسْرائِيلَ﴾؟

ج:

١) يثبت أنهم أصحاب كتاب، وأنهم من نتاج جهود سلسلة من الأنبياء.

٢) يذكّرهم بأنبيائهم إبراهيم ويعقوب وموسى عليهم السلام أجمعين، عسى أن

ينفعهم ذلك في جذبهم إلى الإسلام والتصديق بالنبي ورسالته.

٣) أنّه الأدب الربّاني الذي يحاول ألّا يوبخهم ولا يذكرهم بعدم إيمانهم بالنبي عيسى عليه السلام وتأريخهم المظلم ضدّ حركة الأنبياء، فلم يلجأ إلى أسلوب المواجهة من موقع إثارة العداوة واستمرار البغضاء بل من موقع السماحة ليفتح صفحة جديدة معهم على الطرح الإلهي الجديد لكي يكون لقاء وارتباط يمحو آثار الماضي الذي خلّفه الآباء في محاربتهم للأنبياء ليعيشوا المرحلة الجديدة بكل حب وانفتاح على أساس العناصر المشتركة بينهم وبين المسلمين وهو الإيمان بالله وما هو موجود عندهم في التوراة ليدعوهم إلى الإسلام ونبذ طريقة الآباء في عناد الحق واللجاجة فيه.

٤) أنّ هذا النوع من النداء يحمّلهم مسؤولية كبيرة وخطيرة جداً عند عدم التصديق بالرسول محمّد صلى الله عليه وآله؛ لأنّه يُعتبر مخالفة وخيانة عظمى وضياعاً لكلّ الجهود التي بُذلت من قِبل هذا السير التأريخي العريق من عدد الأنبياء بخصوص التوصية بنبوّة خاتم الأنبياء الذي كان أمانة في أعناقهم جيلاً بعد جيل الذي حان الوفاء بها ببعثة الرسول محمّد صلى الله عليه وآله.

(٥) أن يراد من هذا الخطاب هو العموم والشمول لجميع بني إسرائيل من اليهود والنصارى من أهل الكتاب، لكن الآيات التي تأتي بالتبع حديثها خاص بذكر ما جرى على اليهود بالخصوص ممّا قد يمنع شمولية الخطاب للنصارى، ولهذا سيكون حديثنا بخصوص اليهود لا مطلقاً.

س: ما هي النِعَم التي أعطاها الله لليهود التي يطلب الله من اليهود أن يتذكروها من خلال قوله تعالى: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾؟

ج:

أنّها كثيرة وسيأتي ذكر كُليّاتها بالتبع، ولكن سأذكر بعضها على سبيل الإجمال:

١) الإيمان بالله.

٢) نزّل عليهم الكتاب وهو التوراة.

٣) بعث الله إليهم كثيراً من الأنبياء.

٤) أنقذهم من فرعون وآله.

٥) أنقذهم في مواطن كثيرة من المخاطر التي لولا التدخّل المباشر منه سبحانه لماتوا جميعاً.

٦) رزقهم من المن والسلوى في زمن هم بحاجة إلى أقلّ من ذلك بكثير.

٧) رزقهم الماء في الوقت الذي كاد أن يقتل أحدهم صاحبه من أجل قطرات من الماء !!.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

٨) لم يؤآخذهم الله في كثير من غيّهم ولجاجتهم مع استحقاقهم للمؤاخذة رحمة منه سبحانه.

س: ما هي المحتملات الواردة في العهد من خلال قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾؟

ج:

١) السير على ما تتقله منهجية التوراة بما هي ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا﴾ (البقرة:٩٣).

٢) التصديق بالنبي محمّدﷺ الذي عهد به موسى؈ إليهم من خلال التوراة، فهو عهد الله.

٣) العبودية لله وعدم مساندة أهل الشرك والوقوف إلى جانبهم ضدَّ دعوة الرسول محمّدﷺ إلى الله. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ﴾ (البقرة:٨٣).

٤) من باب لطفه سبحانه أن جعل عهداً على نفسهُ لهم حقّ المطالبة به وهو دخولهم إلى رضوانه وجنّته عند التزامهم بالواجب المُلقى عليهم وهو الوفاء بالعهد والتصديق بالنبي محمّدﷺ .

٥) أن يكون هذا المقطع من الآية يشير إلى العهد العام المنطلق من لطفه ورحمته بأن جعل للإنسان جنّة ونعيماً ليس لأحد حق المطالبة به إلّا بعد الطاعة والالتزام بما أراده الله من كلّ إنسان، فهو عهد وجداني عقلي فطري، وقد مرَّ سابقاً الحديث عن العهد.

س: ما هي المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾؟

ج:

١) حصر الخوف منه وحده لأنه وحده الذي يستحقّ ذلك بما يمتلك من الصفات التي لا يشاركه فيها غيره من العظمة والقدرة والسيطرة وغيرها من صفاته الثبوتية.

٢) أنَّ عذاب الغير أكبر ما يتوصل إليه هو إزهاق النفس، وعذاب الله هو الخلود في النار مع شدَّة العذاب، فانحصار الخوف منه أولى.

٣) أنَّ الدنيا وما فيها تحت سيطرة الله وبيده تجرى عملية التغيير والتبديل وقهر الظالمين فاللجوء إلى الظالمين بتطبيق ما يريدون من محاربة الرسول وعدم

التصديق برسالته خوفاً منهم عملية لا تنسجم مع إيمانهم بالله وما أعدَّ الله لهم يوم القيامة، بل هي عملية يرفضها الوجدان والعقل والإرادة والمنطق، فاللجوء منه إليه هو الطريق المنحصر لحصول العزّة والنصر والغنى، وإن لم تحصل هذه الأُمور في الدنيا فهي مذخورة لهم في الآخرة.

(٤) الخوف من غير الله لا يحصل منه الإنسان إلّا المذلّة في العيش وضياع القيم الإنسانية من العقائد والأخلاق والأمن والراحة وغيرها من الأُمور التي يدعو إليها المنحرفون والساقطون والفاسقون والظالمون والكاذبون البعيدون عن عطاء السماء ومنهجيتها، بينما الخوف من الله فيه العزّة والكرامة والأمن والأفكار السليمة من كلّ نقص المنسجمة مع العقل والفطرة وغيرها من الأُمور التي تسمو بالإنسان إلى معالي الفضائل، فالذي يريد أن يعيش إنسانيته ليعطي مشاعره وأحاسيسه حريتها أن يخاف الله لما يمنح هذا الخوف ويضمن هذا العطاء الذي لا يرفضه إلّا من به جُنَّة أو موت في إرادة.

ومن مجموع ما مرَّ يكون الخوف من الله هو الطريق المنحصر والطبيعي الذي يختاره كلُّ إنسان عاقل.

﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ (البقرة:٤١).

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

١) مصدقاً: مطابقاً.

٢) الثمن: أ ـ مطلق المنفعة. ب ـ العوض.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ...﴾؟

ج:

١) أنّه كشف لعهد الله من خلال كشف ما هو موجود ومذكور في التوراة من اسم محمّد ﷺ وصفاته ومكان بعثته وأخلاقه ونوعيّة دعوته ممّا هو مصدّقاً ومطابقاً تماماً مع ما هو موجود عندهم في التوراة.

٢) أنّ جحودكم بالرسول محمّد ﷺ يتضمّن جحودين الأوّل بنبوة محمّد ﷺ والثاني جحودكم بما ورد في التوراة، وهذا يجعلكم بالمرتبة الأُولى من الكفر ولأنّه كفر بمركّب اليقين.

٣) أنّ جحودكم بالرسول والرسالة ستكونون أوّل مَن وضع الحجر الأساس للظلم والجور على الرسول والصدّ عن نشر الرسالة، وتكونون سبباً لاتّباع الملايين من البشر على إثركم الذي يوصلهم إلى التيه والضلال والانحراف والحروب والفتنة بين الناس، فاعرفوا كعلماء وأئمّة جريمة ما تقترفون واعرفوا خطورة

دوركم ومواقفكم التي تقفونها، فلتكن أسماؤكم في سجل المسلمين الأوائل لا في سجل أوائل الكافرين الذين تلاحقهم لعنة الله والتأريخ والناس أجمعين.

٤) لم يكن اندفاعكم لإنكار نبوة الرسولﷺ من دليل تملكونه أو من قناعة فكرية أو من شبهة خارجية أو احتياط في دين، بل سببه منحصر في حب الزعامة أو المال الذي تجلبونه ممن يعتقدون بطريقتكم باسم الدين، أو كبرياء منكم في عدم نزولكم ومجالستكم مع مستضعفي محمّدﷺ، أو من عدم استعدادكم لتحمل المشاق عند إعلان تصديقكم، وغيرها من الأمور التي لا يكون الخضوع إليها مقابل إنكاركم للرسول ودعوته إلّا ثمناً قليلاً نسبة بما سوف تحصلون عليه في الدنيا والآخرة عند تصديقكم وإيمانكم بنبوة محمّدﷺ.

٥) بمخالفتكم تتقون وتحذرون فوت دنياكم، وبإيمانكم بالرسول وبما هو مذكور عندكم في التوراة تتقون الله وتحذرون معصيته الكبرى، و كلُّ عاقل مؤمن بالله لابد أن ينحصر اختياره بتقوى الله ليفوز برضى الله لا رضى نفسه وبجنّة الخلد لا بجنّة الدنيا الفانية.

٦) ﴿مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ﴾فيها إثبات لنبوّة نبينا محمّدﷺ من جهتين:

الأولى: ما تنقله التوراة من الإخبار عن الرسولﷺ من جهات كثيرة متعلّقة به.

الثاني: ما أخبرهم الرسولﷺ عمّا هو موجود في التوراة لأمور تتعلّق به وبمبعثه مع أنّه لم يكن مطّلعاً عليها إلّا عن طريق الوحي.

س: لماذا قال تعالى: ﴿أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ مع أنَّ قريش مكّة قد سبقت اليهود بالكفر بالله وبالقرآن؟

ج:

١) أن يكون الخطاب موجهاً إلى أهل الكتاب من اليهود، فعندما يكفرون بالقرآن معناه سوف يصبحون أوّل أهل الكتاب الذين كفروا بـالقرآن وبـالرسولﷺ، وقريش ليست من أهل الكتاب.

٢) الأوّل بمعنى الإمام، لا تكونوا أئمّة للكفر فيتبعكم الناس.

٣) (به) أي كتابكم، فلا تكونوا أوّل مَن كفر بكتابه من خلال تكذيبه.

٤) لا تكونوا أوّل مَن جحد على معرفة، فإنّ جحود قريش لم يكن على معرفة.

٥) لا تكونوا أوّل كافر به أي لا تستعجلوا بصدور حكم الإنكار بمجرّد السماع، بل يجب عليكم أن تتبيّنوا وتراجعوا في عقولكم ومعاينتكم حتّى يظهر الأمر على حقيقته وصدقه فلا تكفروا أوّلاً وابتداء.

س: لماذا يؤكّد القرآن على الأوّل وما هي ميزة الأوّلين؟

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

ج:

الأوّلون على قسمين:

١) أوّل في الكفر والانحراف والضلال والفسق ...

٢) أوّل في الهداية والإيمان والاستقامة ...

وفي كلا القسمين هناك عظمة في الخطورة وذلك:

١) أنّ الأوّل سيكون إماماً شاء أم أبى ذلك، وعليه سيكون إمّا إماماً ضالاً أو إمام حقّ.

٢) أنّ ما يصدر من الأوّل من نظرية عقائدية أو منهجية في الفكر أو في العمل لها مساس في الدين، معناه أنّه يسنّ للآخرين سنّة ويـريد إقـناع الآخـرين بـها والسير عليها، ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «من سنّ سنّة حسنة كان له أجرها

وأجر مَن عمل بها إلى يوم القيامة، ومَن سنَّ سنّة سيئة كان عليه وزرها ووزر مَن عمل بها إلى يوم القيامة »[١].

٣) أنَّ الأوّل يجتمع عليه أمران إمّا أن يُتّبع من قبل الآخرين أو لا، فعلى الأوّل فإنّه يتحمّل وزر التابعين؛ لأنّه البادئ الأوّل، وعلى الثاني معناه التفرّد بموقفه والوحيد والأوّل، فإذا كان في الحقّ فهي مفخرة عظيمة، وإن كان في الكفر والانحراف فهي منقصة عظيمة.

س: ما هو الفرق بين نهاية الآية السابقة ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ ونهاية هذه الآية ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾؟

ج:

١) أنَّ الرهبة طريق للتقوى وسابق عليها ولهذا قدّمت الرهبة على التقوى.

٢) أنَّ الخطاب في الآية السابقة كان عامّاً لكلّ بني إسرائيل فناسبها أن تنتهي بالرهبة لأنّها مبدأ سلوك كلّ إنسان نحو الله، بينما الخطاب في هذه الآية موجّه إلى علماء بني إسرائيل الذين يلزمهم خصوص التقوى، وأنّهم قد تجاوزوا الرهبة التي تحرّك عامّة الناس.

---

(١) الفصول المختارة: ١٣٦.

﴿وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:٤٢).

س: ما هو المعنى اللغوي للآية؟

ج:

١) التلبّس: أـ الخلط. ب ـ التغطية.

٢) الحق: أـ الصدق. ب ـ الواضح بنفسه ولغيره.

س: ما هي المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؟

ج:

١) الوفاء بالعهد هو حفظه وأداؤه كما هو، والتوراة عهد الله وأمانته بأيديكم أيّها اليهود، فيجب عليكم نقلها وتبليغها إلى الناس على ما هي عليه وعلى ما تعلمون من حقيقة تفسيرها وتأويلها من دون زيادة أو نقصان ممّا يخلّ بصدق الوفاء وأداء الأمانة، وعلى هذا تكون هذه الآية تشير إلى أحد مصاديق العهد.

٢) أنّ التوراة والقرآن قد تلتقي بالأسلوب الإلهي في عدم الوضوح في بعض آياته ممّا يحتاج في كشف حقيقة المراد الإلهي إلى أصحاب الاختصاص وهم علماء الدين الذين يمثلون حلقة الوصل بين الأنبياء وعامة الناس، فهؤلاء هم العارفون والمطّلعون على عمق الأدلة واقتناص الحق، فكتمان الحق والسكوت وعدم إظهاره معناه إحلال الباطل محلّه وإعطاء الضوء الأخضر لتحرك عوام اليهود ضدّ حركة الإيمان وزيادة الشرعية لقادة حركة المواجهة لقتلهم المؤمنين من المسلمين وإشعال الحرب ضدّهم.

٣) عند انتشار الشبهات بين الناس نتيجة لأيّ سبب كان فما دامت تلك الشبهات لها مساس في العقيدة، فالمسؤولية تقع على عاتق العلماء بالدرجة الأُولى، والشيء الطبيعي أوّل مَن يقف ضدَّ هذه الشبهات هم العلماء الذين يحملون أسرار العلوم المختصَّة بالدين وهم الذين ينظر إليهم من قبل الناس في استماع رأيهم في مثل هذه القضايا الخطرة وغيرها، وأحوج ما تكون الأُمة إليهم في مثل هذه المواقف التي تضع الإنسان والمجتمع على حافة الجنّة والنار والحق والباطل، ففي مثل هذه المواقف أن يُظهر العالِم علمه وإلا فليتخلى عن هذا الطريق عند بدايته حتى لا يكون من الخائنين لله وللدين وللعلم والعلماء، ويكون سبباً في وقوع الناس في الشبهات وعدم استقرارهم على نهج الحق والحقيقة، فالعلم أمانة ومسؤولية.

٤) من الانحراف الأكبر والخطورة العظمى أن ترى علماء الدين هم قادة الانحراف الديني والعقائدي للناس، ذلك عندما يزودوهم بأدلة تلَبِّس الحق باطلاً والباطل حقاً بحيث تكون سبباً في تشويش الحقيقة في أذهان الناس وهم يعلمون قبل غيرهم فساد ما يقومون به، والنتائج الخطرة التي تترتَّب على فعلهم من الدماء وزهق الأنفس ونشر الظلم والباطل وضياع الحق وأهله والكذب على الله، وهذا كلّه ما وقع فيه علماء اليهود ذلك حينما حصروا الحقَّ في صدورهم وأفشوا البديل له من التحريف في كلام التوراة وألبسوا حقَّ آياته ثوب الباطل، فكانت المعاناة إلى يومنا هذا.

ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «الحقّ ثقيل مرّ والباطل خفيف حلوّ، وربَّ

شهوة ساعة تورث حزناً طويلاً»[١].

٥) أنّه النهي الإلهي يلازمه أمر يتماشى مع فطرة الإنسان وعقله من أجل أن تستقر الحالة الاجتماعية والسياسية، وهو أنّ على كلّ فرد أو أُمّة أو مجتمع أن يظهروا الحق بالكلمة أو بالموقف الذي يحتاج فيها إلى تلك الكلمة أو إلى ذلك الموقف، فإنّ قيمة الفرد أو المجتمع وطريق العزّة والكرامة تكمن في ذلك، وإذا حصل العكس وكتم الحق ولم يظهروه خنوعاً أو مراعاة للآخرين على حساب الحق أو الرضى بالبقاء على تطبّع متخلّف موروث، فلا ننتظر من تلك الأُمّة أو ذلك المجتمع أو تلك الأُسرة إلّا البلوى وعدم الاستقرار والابتعاد عن خط الله، ورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنّه قال: «ما ترك الحقَّ عزيز إلّا ذلَّ، ولا أخذ به ذليل إلّا عزَّ»[٢].

٦) أنّكم أيّها العلماء تعلمون أنّ ما تقومون به هو لَبسٌ، وتعلمون أنّكم كاتمون للحقّ، وتعلمون ما سينزله الله من العذاب على هذا الفعل الشنيع، وتعلمون بصدق الرسول قبل غيركم، وعليه فقد نجد للجاهل عذراً إذا قام بهذه الأعمال إلّا أنّكم تقومون به على علم بالمخالفة، وهذا أقبح وأشنع عمل تقومون به.

---

(١) أعلام الدين: ١٩٦.

(٢) تحف العقول: ٤٨٩.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾(البقرة:٤٣).

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

١) الزكاة: أـ النمو. ب ـ الطهارة.

٢) الركوع: انحناء الظهر.

س: ما هي المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾؟

ج:

أولاً: أنّها العبادة أي العهد الذي أخذه الله من بني إسرائيل قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ﴾(البقرة:٨٣).

ثانياً: أنّها دعوة إلى العمل بعد القناعة الفكرية والايمان القلبي؛ لأنّ من أهم مميزات الفكر الإسلامي هو دعوته إلى العمل، فإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة تعبير آخر عن إرادة العمل ضمن شريعة الله.

ثالثاً: أنّها دعوة إلى التوازن في علاقة الإنسان وحركته، فهي ليست رهبانية منفصلة عن حياة الناس ولا انشغال بالناس بحركة منفصلة عن الارتباط الروحي للعبادة مع الله، بل هي العلاقة والحركة المتوازنة بين الخطين العمودي إلى الله من خلال الصلاة والتعبّد والتذلل إليه، والأُفقي مع الناس من خلال مطلق الإنفاق الذي يساهم في رفع مستواهم الثقافي ودفع مشاكلهم والمشاركة في حلّها.

رابعاً: أنّها دعوة إلى نسخ طريقة العبادة والصلاة وطريقة جمع الأموال التي

كانت تُؤدّى على طريقة التوراة باسم الزكاة، والمطلوب الآن تأديتها ضمن المرسوم الجديد لها الذي يدعو إليه الإسلام وضمن الطرح الأفضل والأكمل في رسم العلاقة مع الله والناس، فإنَّ الذي نسخ الرسم التشريعي للصلاة والزكاة التي كانت تتّخذ في عهد آدم ونوح وإبراهيم ويعقوب وغيرهم من الأنبياء السابقين فالآن بنفسه يدعوكم كذلك لنسخ ما كانت عليها التوراة من رسم المنهجية للصلاة والزكاة والانتقال إلى الرسم الجديد لهما؛ لأن رسم المنهجية الإلهية بكُلياتها وجزئياتها ذات منحى تدريجي تكاملي يتماشى مع تكامل الإنسان ونموه الفكري، فصلّوا وركعوا بالطريقة التي أمر الله بها المسلمين أن يؤدّوها لا بالطريقة التي يعجبكم البقاء عليها.

خامساً: حتى العبادة ذات العلاقة العمودية مع الله فقط لا تكون منفصلة عن الناس، فهي ليست طقوساً كهنوتية تُؤدّى في زوايا كهوف الجبال أو حالة أنانية لا يعود النفع بها إلّا على صاحبها، بل هي علاقة مع الله تضفي على المُتعبّد وعلى غيره ممن معه من المُتعبدين روح المحبّة والغفران والصفاء والعروج إلى الله، فالكلّ مدعو لأن يركع مع الراكعين ويحجّ مع الحاجّين ويصوم مع الصائمين ويدعو مع الداعين ويجاهد مع المجاهدين، فإنَّ الحركة الواعية للعبادة وإعطاء ثمارها المرجوّة تجدها مع الجماعة، ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «يد الله على الجماعة، فإذا أشذَّ الشاذ منهم اختطفه الشيطان كما يختطف الذّئب الشاة الشّاذة من الغنم»[1].

سادساً: أنَّ الاستكبار على الرسول والرسالة والمسلمين بعدم التصديق والخضوع لهم خطأ ليس من صالحكم؛ لأنّه دين الله الحقّ ورسول الله الذي يمتلك الحجّة الدامغة عليكم، وأنه سائر بأهله إلى الأمام وسيتجاوزكم حتى تصبحوا من

---

(١) كنز العمال ١: ١٨٦/٤٨٩.

متخلّفي الأُمم، فلا تستصغروهم باستكباركم، بل يجب عليكم الانضمام إليهم والإيمان بهم والعمل معهم، واركعوا مع الراكعين منهم كما هم عليه بلا فرق بينكم وبينهم بالعزّة والكرامة، فإنّ المسلمين سواسية في التكليف والأخذ والعطاء، افعلوا هذا الآن بعزّة وكرامة قبل أن تنضموا إلى الإسلام وتدخلوه وأنتم صاغرون أذلّة، قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (المجادلة: ٢١).

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ٤٤).

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

١) البرّ: مطلق الخير وما ينتفع به.

٢) النسيان: ترك الإنسان ضبط ما استودع.

س: ما هي المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟

ج:

أولاً: أنّه إشارة إلى قانون اجتماعي وسياسي يحكم المتصدّين للفكر العملي وهو الانسجام بين ما يأمر به الناس وبين عمله القائم، ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام أنّه قال: «ليس منّا مَن لم يحاسب نفسه في كلّ يوم، فإن عمل خيراً استزاد الله منه وحمد عليه، وإن عمل شرّاً استغفر الله منه وتاب إليه»(١).

ثانياً: أنّ عامة الناس عندما يرون التخلّف في عمل المتصدّين عمّا يأمرون به فهم سيكونون بين أمرين؛ إما يعتقدون بشرعية هذا التخلّف فيسيرون عليه وهذه جريمة وخطأ كبير، وإما أن يكونوا من المطّلعين على كتاب الله وما يأمر ويدعو الجميع إلى العمل فسوف يتّهم المتصدّين وينتفض عليهم ويبتعد عنهم، وهذا خطر آخر حيث يؤدّي إلى انفصال الأمّة عن قيادتها الشرعية وبالتالي ابتعاد الأمّة عن

---

(١) الاختصاص: ٢٤٣.

مسارها المستقيم الذي رسمه الله لهم، ولهذا يدعو القرآن في هذه الآية إلى التفكر والنتائج التي تحصل من وراء تخلّف العلماء عن دورهم العملي المنطلق من أنفسهم، وهذه الظاهرة الأُخرى التي وقع فيها علماء اليهود.

ثالثاً: أن تكون هذه الآية تعني المسلمين جميعاً وهم مكلّفون بإلزام أنفسهم على طريق الايمان روحاً وسلوكاً مع الله ومع الآخرين وإن كان المخاطب فيها هم اليهود، فحينما يخاطبون الناس بالمعروف وينبهونهم على المنكر باعتبار أنّ كلّ مسلم مكلّف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهم بذلك ملتزمون ويعرفون أثره التكويني والتشريعي من خلال التزامهم الواعي للأوامر والنواهي، فعند ذلك سيكون خطابهم مؤثّراً في نفوس الناس وسلوكياتهم.

ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «رأيت ليلة أُسري بي إلى السماء قوماً تقرّض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت: ياجبرئيل مَن هؤلاء؟ قال: خطباء أُمّتك يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون»(١).

س: ماهو جواب الشبهة القائلة: إنّي لم آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر حتى لا أكون مصداقاً لهذه الآية ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ لأنني لا أملك المقدرة على تطابق القوة المبدئيّة التي أحملها من الإسلام مع عملي وسلوكي القائم؟

ج:

أولاً: أنّ الآية جاءت في مورد توجيه نفوس العاملين بأُسلوب التوبيخ والتأنيب باتجاه الوحدة والتطابق بين ما يؤمن به الإنسان وبين عمله وترك الازدواجية

---

(١) وسائل الشيعة ١٦: ١٥١/٢١٢١٨.

بينهما، والآية لم تأتِ لبيان شرط الوجوب، وإنما جاءت لتلفت نظر الإنسان إلى خطأ من أجل أن يسعى إلى التصحيح لا إلى الترك. ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «أيّها الناس إذا علمتم فاعملوا بما علمتم لعلّكم تهتدون ...وإنّ أنصحكم لنفسه أطوعكم لربّه، وأغشّكم لنفسه أعصاكم لربّه»[1].

ثانياً: أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يسير في اتجاهين تغيير النفس والآخرين نحو الصحيح، فإذا وقع الإنسان في خطأ فليس من العقل والشرع أن يقف موقف المتفرّج أمام مَن يراه أنّه سوف يقع بنفس الخطأ الذي وقع فيه، فإنّه بذلك سوف يوسّع دائرة المُنكر والفساد.

ثالثاً: أنّ الوقوع غير المُتعمّد أو المتعمّد في المُنكر هي الحالة الطبيعية للإنسان غير المعصوم، وهي الحالة التي تصهر الشخصية الإسلامية في بودقة حلاوة الايمان والطاعة بعد أن يذوق مرّ المعصية من الذلّ والاضطراب النفسي والسقوط الاجتماعي وغيرها من الآثار السلبية التي تتركها المعاصي، وتكون حافزاً لارتقائه الرُتب العالية من القرب الإلهي وتكامله الفكري والسلوكي، ولهذا وضع الله التوبة وجعل نفسه محبّاً للتوابين ليفتح المجال أمام الإنسان لدخوله إلى مرحلة البناء والتكامل، فالذي يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يضمن لنفسه عدم الوقوع بخطأ الازدواجية، ولا يضمن لنفسه الحصول على التكامل الذي يولده الصراع الداخلي مع الداخل والداخلي مع الخارج، بل يقع في خطأ آخر وهو تركه لهذا الواجب، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس:٧ـ١٠).

---

(١) الكافي ١:٤٥/٦.

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾(البقرة:٤٥ـ٤٦)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيتين؟

ج:

١) الصبر: أ ـ الإمساك في الضيق ب ـ كفّ النفس عن المحاباة.

٢) الخشوع: التواضع والتذلل والانكسار.

٣) الظن: رتبة من رتب الاعتقاد التي لا تصل بصاحبها إلى مرحلة اليقين.

٤) اللقاء: وصول أحد الطرفين إلى الطرف الآخر.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

● **الصبر حركة ومواجهة وثبات**

س: ما هي المحتملات التي ترد في مَن هم المأمورون بالاستعانة بالصبر والصلاة في الآية المذكورة؟

ج:

أولاً: قد تكون الآيتان إنشاء الاستعانة بالصبر والصلاة للمسلمين المؤمنين خارجاً عن موضوع اليهود لعدم تصديق اليهود بالنبي بعد فلا يصح مخاطبة اليهود بالاستعانة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(البقرة:١٥٣).

ثانياً: وقد تخاطب الآيتان اليهود لمعرفتهم الصبر والصلاة ودورهما بما هو موجود عندهم وبما كانوا يمارسونه من قبلُ، قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾(الأعراف:١٣٧)، ﴿أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءا

﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس:٨٧).

س: ما هي المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾؟

ج:

أولاً: أنَّ الاستعانة بكثير من الأُمور قد لا تقاوم ولا تؤثر أثرها المطلوب لأسباب عديدة إلّا الصبر والصلاة، فإنّها تؤثّر أثرها الإيجابي سواء على نفس الإنسان وعقله أو استجلاب لرحمة الله وعطفه وحنانه، أو أنَّ واقع القضيّة التي تنطلق من تسرّع الإنسان وعجلته فتحتاج إلى الصبر عليها لتتكشّف بعد ذلك شيئاً فشيئاً، فتأتي النتيجة الصحيحة وتكون المواقف إلى جانب النجاح دائماً، ورد عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «لا يعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمان»[١].

ثانياً: أن يكون الصبر مشيراً إلى عامل العقل لأن منه يسيطر الإنسان على دوافعه العاطفية التي تريد منه التسرع في الأُمور بدون النظر إلى النتائج، وأن تكون الصلاة تشير إلى العامل الروحي وضبط النفس في الأُمور التي تحتاج من الإنسان إلى الصلابة في الموقف وعدم الاهتزاز واستلهام العون من الله. وعلى هذا يكون المعنى: أنَّ الإنسان تواجهه في الحياة الكثير من المواقف والصعوبات كما هي طبيعة الحياة، من أجل أن تستمر حياة الإنسان بشكلها الطبيعي من خلال مقاومة الإنسان لتلك الظروف، هناك عنصران في جميع الأُمور يجب على الإنسان أن يدركهما حتى يستعين بهما دائماً ولا يكون في غفلة عنهما وهما العقل والروح بالصبر والصلاة وأحدهما يغذّي الثاني بالشكل الدوري بحيث يجعلانه دائماً مرتبطاً بالله

(١) غرر الحكم: ٦٣٣٢/٢٨٤.

يسعى وهو متوكل عليه، وهما أحد الثمرات المهمة لايمان الإنسان بالله، ورد عن الرسولﷺ لما سئل عن الايمان أنّه قال: «هو الصبر»(١).

س: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ ما هو متعلّق الضمير الموجود في مقطع هذه الآية؟

ج:

هنا عدّة احتمالات منها:

١) (إنّها)أن يراد من الضمير الصلاة؛ لأنّها جامعة وشاملة لأُمور وآثار عظيمة التي منها الصبر.

٢) (إنّها)أن يراد من الضمير الصلاة ظاهراً والاثنان من الصبر والصلاة حقيقة وهذا وارد كثير في الاستعمال.

٣) (إنّها) أن يراد من الضمير الاستعانة.

٤) (إنّها) أن العائد على الضمير محذوف تقديره تأدية النفس لهذه الأُمور من الصبر والصلاة.

٥) (إنّها) أُضمر للاختصار لوضوحه عند المخاطب به.

س: ما هو التعريف الاصطلاحي للصبر؟

ج:

الصبر: من المفاهيم الكليّة التي تختلف حسب موقع الصبر ونوع أثره ونتاجه، لهذا تجد تفسير الصبر في الروايات مختلفاً كلّ حسب موقع الصبر في تلك القضيّة التي يراد الصبر فيها، ولكن هو في الجميع يراد منه حبس النفس، وهو ما يقابل

---

(١) مسكن الفؤاد: ٤٧.

الجزع والهلع والخذلان باطلاق دواعي الهوى.

ومن جملة تعريفات الصبر المستنتج من الروايات هي:

١) الصبر: استقرار الحالة النفسية والروحية في حالتي السراء والضراء وعدم اهتزازها وضعفها واضطرابها، ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «...يا جبرئيل فما تفسير الصبر؟ قال: تصبر في الضراء كما تصبر في السراء، وفي الفاقة كما تصبر في غنى ... فلا يشكو حاله عند المخلوق بما يصيب من البلاء»[١].

٢) الصبر: التحمّل وعدم إفشاء ما يغيض المرء، ورد عن أميرالمؤمنينؑ أنّه قال: «الصبر أن يحتمل الرجل ما ينوبه ويكظم ما يغضبه»[٢].

٣) الصبر: هو الرضا بما قَسَمَهُ الله للإنسان وعدم التأثّر النفسي بما يراه نقيصة أو مظلمة أو إجحافاً أو غير الذي كان يأمله، ورد عن الرسولﷺ أنّه قال: «الصبر: الرضا»[٣]

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٤) الصبر: هو حبس النفس عن الهوى مع مراعاة تكليف المولى سبحانه، ورد عن الإمام الرضاؑ عندما سئل ما الصّابرون وما المتصبّرون؟ أنّه قال: «الصابرون على أداء الفرائض، والمتصبّرون على اجتناب المحارم»[٤].

٥) الصبر: هو تقدير الشيء عقلاً بالنحو الأتمّ على ما يناسب النظام الأحسن نوعياً أو شخصياً، ورد عن الإمام أميرالمؤمنينؑ أنّه قال: «...وطفقت أرتئي بين أن أصول بيدٍ جذّاء، و أصبر على طخية عمياء ...فرأيت أنّ الصبر على هاتا

---

(١) معاني الأخبار: ٢٦٠.

(٢) غرر الحكم: ٢٨١/ ٦٢٣١.

(٣) البحار ٧١:٨٣/٢٥.

(٤) تفسير القمي ١:١٢٩.

أحجى، فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى ...»[١].

س: اذكر بعضاً من الآيات التي تذكر الصبر مع شيء من التعليق.

ج:

١) الصبر اختبار لقوّة الإرادة وبواعث الأخلاق في نسيان الماضي المؤلم وفتح صفحة جديدة بالتسامح والعفو عن أخطاء الآخرين، قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (الشورى:٤٣).

٢) الوصول إلى الدرجات العليا من الصبر وتعميقه في النفوس يأتي عن طريق النظر في حياة الذين وصلوا إلى أعلى درجاته وهم قادة الأنبياء من أولو العزم منهم، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ...﴾ (الأحقاف:٣٥)، ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ (السجدة:٢٤).

٣) المتصدّي للعمل الحقّ ولكلمة الحقّ لا ينهزم من أوّل اتّهام باطل عليه ولا من آخره، فإنّ ما يقوله العدوّ من التهم والأباطيل هي الحالة المتوقّعة ولم تنقطع حالة العدو عند حدّ، فهي جزء الصراع بين الشرّ والخير، قال تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ...﴾ (ص:١٧).

٤) الصابر له أجره عند الله بما لا يعرف مقداره أحد إلّا الله، قال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل:٩٦).

٥) الصبر طريق نجاة الفرد والمجتمع الصابر، قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ (المؤمنون:١١١).

٦) الصابر يسير في حبّ الله، وكلّما قطع شوطاً أطول كلّما حصل على حبّ الله

---

(١) علل الشرائع ١: ١٥٠/١٢.

واقترب إليه أكثر، قال تعالى: ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾(آل عمران:١٤٦)، ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(الأنفال:٤٦).

٧) قليل من الصبر كثرة في العطاء ونجاح في النتيجة، قال تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ...﴾(الأنفال:٦٥).

٨) لا تتوقّف نتائج الصبر على الأسباب الطبيعيّة، قال تعالى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(البقرة:٢٤٩)، ﴿إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ...﴾(آل عمران:١٢٥).

٩) الصبر يحتاج إلى مجاهدة من النفس وتوفيق من الله ودعاء إليه، قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(فصلت:٣٥)، ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾(البقرة:٢٥٠).

١٠) صعوبة الصبر وكراهيّته من قبل الإنسان ناتجة عن الميل الطبعي للإنسان وعجينته التي تميل إلى الجزع والعجلة، فالصبر هو أن يسبح الصابر ضد تيار هوى تكوين النفس والخلقة التي خُلق عليها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً﴾(المعارج:١٩ـ٢٠).

س: ماذا يكشف عدم الصبر في المواقع التي تحتاج إلى الصبر؟

ج:

١) عدم الصبر قد يتعدّى بصاحبه إلى الجزع واليأس وبالتالي إلى الوقوع في أمّهات المعاصي لله، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «اتّقوا الله واصبروا، فإنّه مَن لم

يصبر أهلكه الجزع»(١)، وعنه أيضاً: «قلّة الصبر فضيحة»(٢) فكيف بعدم الصبر؟!!.

٢) عدم الصبر لا يغيّر بما قضى الله فيه أن يكون، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «إنّك إن صبرت جرت عليك المقادير وأنت مأجور، وإنّك إن جزعت جرت عليك المقادير وأنت مأزور»(٣).

٣) عدم الصبر خسران للتجارب التي هي من أُمّهات طرق المعرفة وصقل الشخصيّة، ورد عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «مَن توالت عليه نكبات الزمان اكتسبته فضيلة الصبر»(٤)، وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «لا ينبغي ... لمَن لم يكن صبوراً أن يعدَّ كاملاً»(٥).

٤) عدم الصبر يكشف عن ضعف يقين الإنسان بربّه والارتباط به وطلب المعونة منه، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنّه قال: «مَن يتصبّر يصبّره الله، ومَن يستعفف يعفّه الله، ومَن يستغن يغنه الله، وما أُعطى عبد عطاءً هو خير وأوسع من الصبر»(٦).

٥) عدم الصبر خسران لرضا الله وثوابه وعطائه، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «مَن صبر واسترجع وحمد الله عند المصيبة فقد رضى بما صنع الله، ووقع أجره على الله، ومَن لم يفعل ذلك جرى عليه القضاء وهو ذميم،

---

(١) التمحيص: ٦٤/١٥١.

(٢) تحف العقول: ٣١٥.

(٣) جامع الأخبار: ١١٦.

(٤) غرر الحكم: ٢٨١/٦٢٥٥.

(٥) تحف العقول: ٣٦٤.

(٦) غرر الحكم: ٣٠٨٤.

وأحبط الله أجره»[١].

٦) عدم الصبر تغيير نحو الأسوء؛ لأنّه يضاعف الأذى والألم، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «المصيبة واحدة،وإن جزعت صارت اثنتين»[٢].

٧) عدم الصبر وقوع في الجزع وله علامات منها ما يطرح الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «أشد الجزع الصراخ بالويل والعويل، ولطم الوجه والصدر وجزّ الشَّعر، ومَن أقام النواحة فقد ترك الصبر، وأخذ في غير طريقه »[٣].

س: ما هي مقوّمات الصبر التي يجب أن يمتلكها الإنسان ليكون من الصابرين؟

ج:

يحتاج الصابر إلى أربع مقوّمات هي:

١) العلم والمعرفة الخاصّة، أي دراسة الموضوع الذي يريد أن يصبر لأجله فهل هو يستحقّ الصبر؟ وإذا كان كذلك ما هو مقدار الصبر ونوعه المناسب لهذا الموضوع، وغيرها من الأُمور التي يجب إمعان النظر فيها حتّى لا يقع في موضوع لا يستحقّ الصبر عليه عقلاً ولا شرعاً؟

٢) تقييم النفس، ففي الأُمور التي تحتاج إلى الصبر لابدّ من تقييم نفسه وشخصيّته هل تقدر على الصبر أم لا؟ فإنّ بعض تأثيرات عدم التحمّل والصبر فيها لا ترجع على صاحبها بالضرر فقط، بل قد يجرّ ضرر عدم الصبر إلى ضرر

---

(١) مشكاة الأنوار: ٢٢.

(٢) غرر الحكم: ٥٦٢٤/٢٦٢.

(٣) البحار ٤٢/٨٩:٧٩.

العشرات من المؤمنين، فعلى الإنسان أن يقيّم نفسه حتّى يؤهلها للاستعداد.

٣) ترويض النفس على الصبر، وذلك من خلال معرفة الصبر وتجارب الآخرين الماضين منهم والحاضرين، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (الأحقاف:٣٥)، ورد عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «عوّد نفسك التصبر على المكروه، ونعم التصبر في الحقّ»[١].

٤) العمل بالصبر، وهو الثبات أو الترك أو الإقدام أو المنع أو أي شيء مناسباً لذلك الموضوع، بحيث يكون مصداقاً للصبر والصابرين، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «الصبر على أربعة شعب: الشوق، والشفقة، والزهادة، والترقب، فمَن اشتاق إلى الجنّة، سلا عن الشهوات، ومَن أشفق عن النار رجع عن المحرّمات، ومَن زهد في الدنيا تهاون بالمصيبات، ومَن ارتقب الموت سارع في الخيرات »[٢].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

س: ما هي أنواع الصبر؟

ج:

ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنّه قال: «الصبر ثلاثة: صبر على المصيبة، وصبر على الطاعة، صبر على المعصية»[٣].

فالصبر بأنواعه العامّة والمختلفة يدور حول ثلاثة محاور هي:

١) الصبر على الطاعة، تحمّل إدامتها والاستمرار عليها وجعل القلب مطمئن بها مع

---

(١) نهج البلاغة ٣: ٣١/٣٩.

(٢) الغارات ١: ١٤٠.

(٣) جامع الأخبار: ١١٦.

أحلك الظروف التي تمرّ ولا تتزعزع القلوب بها عند الشبهات.

٢) الصبر على المعصية، هو وعي المعصية ووعي إلى مَن يعصي وما هي آثار المعصية في الدنيا والآخرة ممّا يزرع كلّ ذلك قوّة في الإرادة وتصميماً على عدم اقتراف المعصية.

٣) الصبر على المصيبة، هو عدم الجزع المؤدّي إلى الشعور بالحرمان والذي قد يتعدّى إلى الاعتراض على قضاء الله وقدره قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة:١٥٦-١٥٧)، ورد عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «الصبر يهوّن الفجيعة»[١]، «بالصبر تخفّ المحنة»[٢].

س: ما هي المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾؟

ج:

أوّلاً: أن يكون الخاشعون هم أصحاب الرّتب الإيمانية العالية، فيكون المعنى أنّ الصبر والصلاة لثقيلة على عامّة المؤمنين من الناس الذين يتعاملون مع سطحية الإيمان وبالشكل الروتيني له، إلّا على الخاشعين المتيقنين بلقاء ربّهم الراجعين إليه دائماً في قضاء حوائجهم وحلّ مشاكلهم، فإنّ الاستعانة بالصبر والصلاة تكون بالنسبة لهم شيئاً طبيعياً، بل هو طريق سعادتهم لوعيهم النتائج التي تترتب على الصبر والصلاة قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا

---

(١) غرر الحكم: ٦٢٦٣/٢٨١.

(٢) غرر الحكم: ٦٣٣٩/٢٨٤.

وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة: ٢٤).

ثانياً: أن يكون الخاشعون هم أصحاب الرتب الايمانية الأولية الذي يكون الخوف هو الدافع لهم للإيمان ولا يعرفون منه إلّا المفاهيم الإجمالية عنه كما يحصل ذلك عند أصحاب الأعمار الأولى للتكليف، حيث ما يترتب من النتائج على الصبر والصلاة لم يصلوا إلى مرحلة العمق الايماني لها، فيكون المعنى على هذا هو أنّ الاستعانة بالصبر والصلاة حالة عظيمة وكبيرة جداً لما يترتّب عليها من النتائج، وهذا ما يشعر به المتوكّلون على الله ويستسلم إليه كلّ إنسان مؤمن عاقل، إلا على أولئك الخاشعين من المؤمنين الذي لولا الخوف ما بعد الموت أو من المجهول لم يبقوا على إيمانهم، أولئك الذين لم يصلوا إلى مرحلة اليقين والاطمئنان في الأصول العقائدية، بل هم في أدنى مرحلة التعلّق القلبي بيوم القيامة وهي مرحلة الظن، أولئك الذين تغلب قواهم وطاقتهم الداخلية على عقولهم بحيث يريدون مشاهدة النتائج وسرعة تحققها، فمثل هؤلاء يكونون أقرب المؤمنين تمرّداً على الصبر والصلاة عند الشدائد وكثرة الشبهات وطول المحنة ووجود المغريات وزين الحياة، لهذا نحن مأمورون بأن نعلّم أبناءنا على الاستعانة بالصبر والصلاة وتعميق المفهوم لهم وهم صغاراً حتى يكونوا مستعدين وعارفين عند الكبر والبلوغ، قال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ (لقمان:١٧).

ورد عن الإمام الصادق(ع) أنّه قال: «ما يمنع أحدكم إذا دخل عليه غمّ من غموم الدنيا أن يتوضأ ثمّ يدخل المسجد فيركع ركعتين يدعو الله فيهما، أما

سمعتم قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾»[١].

س: لماذا الحاجة إلى الصبر؟

ج:

أنَّ ما تجلبه حركة الإنسان في الحياة وطبيعتها لا تخلو عن حالات هي:

١) أن تكون الأُمور التي جاءت للإنسان ملائمة لهوى النفس ومحبوبة عنده وهو في حاجة لها كالأموال والأولاد وطرق الهداية إلى نعيم العقيدة وبقيّة النِّعم الطبيعيّة، وهذا اللون من الجلب والاختيار يحتاج الإنسان فيه إلى نوع من التعامل معه بحذر حتّى لا يسقط بما فيه التعدّي للحدود التي رسمتها الشريعة للتعامل مع هكذا نِعم، فبالتالي يحتاج فيها إلى صبر.

٢) أن تكون الأُمور التي جاءت للإنسان مكروهة له وغير ملائمة لطبعه سواء وقعت باختياره بنفسه أو عن طريق غيره من دون اختياره، وحتماً أنَّ بعضها لا يمكن التخلص منها إلّا بالصبر، فالإنسان يحتاج إلى الصبر، قال تعالى: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (إبراهيم: ١٢)، ورد في خبر: قسّم رسول اللهﷺ مالاً فقال بعض الأعراب من المسلمين: هذه قسمة ما أُريد بها وجه الله، فأُخبر به رسول اللهﷺ فاحمرّت وجنتاه ثمَّ قال: «رحم الله أخي موسى قد أُذي بأكثر من هذا فصبر»[٢].

٣) أن تكون الأُمور التي جاءت للإنسان وهي مفروضة عليه شاء أم أبى وسواء أحبها أم كرهها، كوجوب الالتزام بالأحكام الشرعيّة وقانون البلاد وما يفرضه

---

(١) وسائل الشيعة ٨: ١٣٨/ ١٠٢٥١.

(٢) البحار ٢١: ١٧٨/ ١٣.

المجتمع من الأخلاق وما يفرضه الواقع من الحرب والجهاد ورفع الدرجات عند الله، فهنا الاحتياج إلى الصبر من الإنسان أمر واضح، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «إيّاك والجزع، فإنّه يقطع الأمل، ويضعف العمل، ويورث الهم، واعلم أنّ المخرج في أمرين: ما كانت فيه حيلة فالاحتيال، ومالم تكن فيه حيلة فالاصطبار»[١].

٤) جهل الإنسان في بعض الأُمور بنتائجها أو بما هو المحبوب والمكروه بواقعها، والصبر يضمن النتائج الحسنة وما يحبّه الإنسان، ورد عن المسيح عليه السلام أنّه قال: «إنّكم لا تدركون ما تحبّون إلاّ بصبركم على ما تكرهون»[٢].

س: ما هو الفرق بين الصبر والتصبر والصبار؟

ج:

١) الصبر: هو كما قلنا سابقاً: إمساك النّفس فيشمل الكلّ.

٢) التصبر: طلب الصبر وترويض النفس ومحاكاتها على مواجهة المكروه، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «التصبر على المكروه يعصم القلب»[٣]، وعنه أيضاً: «أفضل الصبر التصبر»[٤].

٣) الصبار: ما فيه التكليف ومجاهدة النفس وكثرة في الصبر ومبالغة بالاستمرار فيه، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (الشورى:٣٣).

---

(١) دعائم الإسلام ١:٢٢٣.

(٢) مستدرك الوسائل ٢:٤٢٥/٢٣٦٠.

(٣) البحار ٧٤: ٢٠٧/١.

(٤) غرر الحكم: ٢٨١/٦٢٣٤.

س: قال تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ ما معنى الصبر الجميل؟ اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

١) أن يكون الصبر بنفسه جميلاً، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «الصَّبر أحسن حلل الإيمان، وأشرف خلائق الإنسان»(١).

٢) أن يكون الجميل على ما يؤدّيه الإنسان في الصبر في أحسن وجه له.

٣) أن يكون الجميل إشارة إلى إتمام العمل والوصول إلى نهايته فإنّ جمال الصبر يصدق عند ذلك.

٤) أن يكون الجميل نسبة إلى أهمّيّة الموضوع المبتلى به وصعوبة الصبر عليه كما هو موضوع الآية المذكورة في السؤال الواردة في ابتلاء يعقوب عليه السلام بفقدان ابنه يوسف عليه السلام، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «الصبر صبران: صبر على البلاء، حسن جميل، وأفضل الصبرين الورع عن محارم الله»(٢).

٥) أن يكون الجميل إشارة إلى عدم الجزع وبثّ الشكوى إلى الآخرين، ورد عن جابر أنّه قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: يرحمك الله، ما الصبر الجميل؟ قال: «ذلك صبر ليس فيه شكوى إلى الناس»(٣).

٦) أن يكون الجميل إشارة إلى العامل النفسي الذي سيعيشه الصابر أمام المكروه، كما هو ابتلاء بعض السجناء من المؤمنين الذين يحوّلون مكان سجنهم إلى

---

(١) غرر الحكم: ٦٢٣٢/٢٨١.

(٢) الكافي ٢: ١٤/٩١.

(٣) الكافي ٢: ٢٣/٩٣.

معبد لله ومحلّ للتبليغ الرسالي، فهم في أتمّ الراحة النفسيّة ويحسبهم الجاهلون أنّهم في أذى.

س: بالإضافة إلى ما مرّ ماذا قالت الروايات عن الصبر؟

ج:

١) الصبر نصف الإيمان، باعتباره يشمل الثبات والدوام على الطاعة التي تشمل أصول العقيدة وفروعها كما يشمل الثبات على منع بواعث الهوى التي توقعه في المعصية والخذلان، ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «الصبر نصف الإيمان»[١]، وعنه أيضاً عندما سئل عن الإيمان؟ أنّه قال: «الصبر والسماحة»[٢]، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد، كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان»[٣].

٢) لا يظهر الصبر في ترف العيش ولا في المواقف التي هي خالية من الصراع النفسي التي من خلالها يكتشف الإنسان إيمانه بالمفردات الشرعية وإرادته، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «مروءة الصبر في حال الحاجة والفاقة والتعفّف والغنى أكثر من مروّة الإعطاء»[٤].

٣) الصبور ربّاني الأخلاق، ورد في الحديث: «أوحى الله إلى داود عليه السلام تخلّق

---

(١) مسكن الفؤاد: ٤٧.

(٢) شرح نهج البلاغة ١: ٣٢٢.

(٣) الكافي ٢: ٨٧/٢.

(٤) الكافي ٢: ٩٣/٢٢.

بأخلاقي وإنَّ من أخلاقي الصبر»[١].

٤) الصبر فيه الخير وسبب من أسباب نزول النعمة، ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً»[٢]، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنَّ الله تعالى أنعم على قوم فلم يشكروا فصارت عليهم وبالاً، وابتلى قوماً بالمصائب فصبروا فصارت عليهم نعمة»[٣].

٥) الصبر بطولة في ساحة المعارك وشجاعة في المواقف، ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «الصبر ستر من الكروب، وعون على الخطوب»[٤]، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «الصبر شجاعة»[٥]، وعنه أيضاً: «الصبر يرغم الأعداء»[٦].

٦) الصبر هو التحمّل بما يحدث من المكاره سواء عليه أو على ما يعتقد به من الحقّ أو على مجتمعه، لا يصيبه الجزع والملل فيترك أو ينهار ويخذل نفسه، فالصبر سير على الأقدام الحافية في طريق ذات الشوكة، الصبر سباحة ضدّ التيار الباطل، ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «علامة الصابر في ثلاث: أوّلها: ألّا يكسل، والثانية: ألّا يضجر، والثالثة: ألّا يشكو من ربّه عزَّ وجلّ؛ لأنّه إذا كسل فقد ضيّع الحقّ، وإذا ضجر لم يؤدِّ الشكر، وإذا شكا من ربّه عزَّ وجلّ فقد

---

(١) مستدرك الوسائل ٢:٤٢٥/٢٣٦٠.

(٢) وسائل الشيعة ١٥:٢٦٣/٢٠٤٥٧.

(٣) الكافي ٢:٩٢/١٨.

(٤) كنز الفوائد: ٥٨.

(٥) نهج البلاغة ٤: ٣/٣.

(٦) غرر الحكم: ٢٨٤/٦٣٥٩.

عصاه»[1]، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: « لا يتحقّق الصبر إلّا بمقاساة ضدّ المألوف »[2].

٧) الصبر صفة ربّانيّة ومنحة إلاهيّة يمنحها الله لأوليائه، فاحصلوا عليه بالتوسّل والدعاء، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحقّ، وألهمنا وإيّاكم الصبر»[3].

٨) عدم الصبر والجزع قد يكون من الأُمور الممدوحة عندما يكون في محلّه، ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام وهو مشغول في دفن خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله أنّه قال: «إنّ الصبر لجميل إلّا عنك، وإنّ الجزع لقبيح إلّا عليك، وإنّ المصاب بك لجليل، وأنّه قبلك وبعدك لجلل»[4].

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

---

(١) علل الشرائع ٢: ١/٤٩٨.

(٢) غرر الحكم: ٦٢٦٢/٢٨١.

(٣) نهج البلاغة ٢: ١٧٣/٨٧.

(٤) نهج البلاغة ٤: ٢٩٢/٧١.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة:٤٧).

س: ما هو المعنى اللغوي لكلمة ﴿فَضَّلْتُكُمْ﴾؟

ج:

التفضيل: الزيادة عن الاقتصاد.

س: ما هي المحتملات التي ترد في تفضيل بني إسرائيل على العالمين من خلال قوله تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾؟

ج:

أوّلاً: أنَّ العالمين وإن جاء هذا اللفظ عاماً إلّا أنّه يراد منه خصوص عالمهم، لما فضّلهم على غيرهم من نزول الأنبياء، والكتب السماوية، ورزقهم الشيء الكثير على الرغم من تمرّدهم، وخلّصهم من مخاطر كثيرة، وغيرها من الأُمور التي حصلوا عليها من الله في زمانهم وعالمهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة:٢٠).

ثانياً: أنَّ لفظ العالمين جاء عاماً ويراد منه العموم أيضاً، حيث ما حصلوا عليه لم تحصل عليه أي أُمّة من الأمم، فهم أفضل الأُمم بهذا اللحاظ، وهو زيادة عدد الأنبياء دون غيرهم، ورزقهم المنّ والسلوى دون غيرهم، انفلاق البحر لهم دون غيرهم، وغيرها من الأُمور التي اختص النعيم والفضل بهم دون غيرهم من العالمين، قال تعالى: ﴿وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة: ٢٠)، فالفضل على العالمين

بلحاظ الإيتاء لا مطلقاً ومن كلّ جهة.

ثالثاً: أن يكون المراد من ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ العموم والشمول كأمّة مفضّلة من كلّ جهة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (الجاثية:١٦)، ولكن لم يحترم بنو إسرائيل هذا التفضيل ولم يحملوه كما أراده الله منهم، بل أخذوا الطريق الذي أبعدهم عن الله كلّ البعد بتكذيبهم أنبياء الله وقتلهم بغير الحق والفساد في الأرض وظلم الناس وغيرها ممّا تُعدّ من أكثر الجرائم وحشيّة التي حاشا لله أن يبقي هذه الأفضليّة لهم، بل ممّا يستيقن أنّها كانت أشبه بالحكم المعلّق على أن يعطوا هذا الوسام حقّه فلمّا رآهم الله بما هم عليه سحب هذه الأفضلية وانتفت منهم، قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً * إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً﴾ (الإسراء:٤ـ٧).

رابعاً: أنّ هذا التفضيل جاء في مورد النِعَم التي أغدقها الله على اليهود ليكون الرد الطبيعي لكلّ عاقل متشرّع أن يقابلها بمسؤولية الالتزام والشكر والتقرّب إلى المُنعم، فهو ليس تفضيلاً طبقياً أو ذاتياً لنفس خلق بني إسرائيل أو عائلياً ليكون سبباً في استعلائهم على غيرهم، ولهذا أعقب هذه الآية بما ينفي أيّ امتياز من هذا القبيل الذي دخل إلى اليهود، والذي قد يدخل إلى غيرهم من الأمم التي قد ترى

نفسها أنّها أفضل من غيرها من البشر لما تمتلك من الامتيازات والنِعَم على غيرها فيكون سبباً في غرورها دون العكس.

والحمد لله

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفهرس

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فهرس آيات السور

المقدمة ٧

سورة الفاتحة

آية ١ .... ٤١

آية ٢ .... ٥٨

آية ٣ .... ٦٤

آية ٤ .... ٧٠

آية ٥ .... ٧٤

آية ٦ ـ ٧ .... ٨٢

سورة البقرة

آية ١ ـ ٥ .... ٩٩

آية ٦ ـ ٧ .... ١٣٠

آية ٨ .... ١٥١

آية ٩ .... ١٥٥

آية ١٠ .... ١٦٠

آية ١١ ـ ١٢ .... ١٦٥
آية ١٣ .... ١٧٠
آية ١٤ ـ ١٥ .... ١٧٥
آية ١٦ .... ١٧٩
آية ١٧ ـ ١٨ .... ١٨٢
آية ١٩ ـ ٢٠ .... ١٩٥
آية ٢١ ـ ٢٢ .... ٢١٦
آية ٢٣ ـ ٢٤ .... ٢٣٦
آية ٢٥ .... ٢٥٥
آية ٢٦ .... ٢٦٠
آية ٢٧ .... ٢٧٤
آية ٢٨ ـ ٢٩ .... ٢٨١
آية ٣٠ .... ٢٩٠
آية ٣١ ـ ٣٣ .... ٣٣٨
آية ٣٤ .... ٣٤٩
آية ٣٥ .... ٣٧٦
آية ٣٦ .... ٣٩٠
آية ٣٧ .... ٣٩٩
آية ٣٨ ـ ٣٩ .... ٤٢٦
آية ٤٠ .... ٤٣٠

البقرة / الآية ٤٧ .... ٥٠٣

آية ٤١ .... ٤٣٨

آية ٤٢ .... ٤٤٢

آية ٤٣ .... ٤٤٥

آية ٤٤ .... ٤٤٨

آية ٤٥ ـ ٤٦ .... ٤٥١

آية ٤٧ .... ٤٦٧

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

فهرس البحوث

المقدّمة ٧
الاستعاذة ١٣
الحروف المقطعة.. ٢٧
البسملة.. ٤٤
الحمد أفضل الشكر ٥٨
رحمة الله ٦٤
في هداية الله ٨٥
الصلاة بين منتهى الاستعباد والحرية ١٠٩
الكفر والكافرون ١٣٠
النفاق والمنافقون.. ١٥١
المثل الإلهي ١٨٢
العبادة والعبودية.. ٢١٦
المعجزة في القرآن.. ٢٣٦
الحياء.. ٢٦١
الإنسان بين الماء المهين والخلافة العظمى.. ٢٩٢
الملائكة.. ٣٢١
الشيطان وحركة التمرّد.. ٣٥١
التوبة في القرآن والسنّة ٣٩٩
الصبر حركة ومواجهة وثبات.. ٤٥١